الترياق المداوي

في أخبار الشيخ

سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي

لجامعه الفقير محمد المختار السوسي

(لطف الله به ووفقه)

المطبعة المهدية 1960 م – 1380 هـ

تطوان (المغرب)

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

تمهيد :

في حديث جبريل تفسير الايمان والاسلام والاحسان ، بان الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وان تومن بالقدر خيره وشره ، وان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، وان الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فلا ريب ان مدلول الايمان هو محور علم العقائد الذي تكفل هذا العلم بالبحث فيه اجمالا وتفصيلا ، وان مدلول الاسلام يرجع فيه الى علم تصحيح العبادات ، لكن للاحسان علما آخر ورجالا آخرين ، هم المتكفلون بتنبيه الناس اليه . فاذا عرفنا اننا نرجع في العقائد الى ارباب علم الكلام ، وفي العبادات الى الفقهاء ، فإلى من نرجع يا ترى في الاخلاص في المعاملات العملية والقلبية الذي هو مدلول الاحسان ؟

لا يزال الصوفية من قديم منذ ظهرت نحلتهم الخاصة المنبثقة من نفس روح الدين كعلم له قواعده ومبادئه وغاياته ، ككل العلوم المنبثقة من ديننا الحنيف ، لا يزالون يرفعون عقيرتهم بأن قطب ما يزاولونه انما يدور حول العمل لوجه الله الكريم ، فيعبد كما يستحق جل جلاله بنية خالصة لا رياء فيها ولا سمعة ، وقديما قال قائلهم : التصوف ان تعمل على وجه الاخلاص بما صح في الكتاب والسنة .

هذا هو التصوف الصافي الذي لا عوج فيه ولا امت ، ولا يهولن من يطالع كتب القوم اذا وجد اختلافا في العبارات ، في التعبير عن التصوف ، كما يقرأ كثيرا في كتاب (الحلية) لابي نعيم وغيره، بل توجد من اصطلاحاتهم قواعد متفرعة حتى في كتاب (مدارج السالكين) للامام ابن القيم، فلكل قوم ان يصطلحوا بما شاءوا على ما شاءوا، ولكن متى عرف الانسان اللب فلا عليه في القشور ، ومن لم ياخذ علما عن اربابه فكيف يمكن له ان يعرف مصطلحاته ، ولا ان يدرك دقائقه ؟

كل من يتقرى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحوال اصحابه يجد الاصل الاصيل مما عند الصوفية واضحا بينا في افعالهم وفي اقوالهم وفي نياتهم ، ولذلك كان هدى الرسول واصحابه هو ما يقتفى عند القوم ، فحين كان مقصود التصوف الاخلاص ، وكان الاخلاص كالعرض الذي لا يظهر الا في الجوهر ، كانت الاقوال والافعال مجلى الاخلاص دائما ، فمن لا يظهر عليه الاخلاص في اعماله ، فهيهات ان يسمى مخلصا ، ومن اسر سريرة البسه الله رداءها .

فحينئذ ليس لب التصوف في جوهره لبس المرقعات ، ولا التقلد بالسبحات ، ولا الحلق المستديرات . ولا الاغراق والغلو في محبة الشيوخ - ولا ارسال العذبات ، ولا الانحياش الى طائفة دون طائفة ، بل التصوف هو الاستقامة على السنة الصحيحة التي كان عليها الرسول واصحابه ، والصدر الاول من السلف الصالح رضي الله عنهم ، فكيف يفلح من يعمل عن قصد عملا لم يعمله الرسول ، محتجا بان فلانا يفعل ذلك ؟ لاها الله ، لا خير الا في السنة، ولا فلاح الا لمن يحرص على ان لايخرج عما صح عن خير المرسلين الذي امرنا بالاقتداء به وحده ، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولكم في رسول الله اسوة حسنة .

فخير امور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع

ايه : هذه كلمة مهدنا بها للموضوع الذي نريد ان نعالجه بايجاز ، وهو ان التصوف الذي ذكرنا مدلوله الصحيح قد دخل عليه بعض احوال ظاهرة ، وعادات متعددة ومغالاة في المشايخ ليست من التصوف في شيء ، حتى صارت كالقشور المحيطة باللب من كل جوانبه ، فأدى ذلك الى ان اساء بعض جهابذة الفقهاء والمحدثين الظن بكل ما نسب الى التصوف ولهم العذر الواضح فى اساءة الظن ، ذيادا عن الحق ، وحرصا على صفاء العقيدة . وذودا عن السنة ان ينكسف نورها ، بل غيرة على التصوف نفسه الذى كان اقطابه الاولون لا يعمل احدهم عملا حتى يعرف كيف العمل فيه بالسنة ، حتى كان بعضهم لا ياكل البطيخ لانه لا يعرف كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكله ؟ ولهذه الغيرة قام من الفقهاء والمحدثين جماعة كالقشيرى والغزالى وابن القيم وزروق يتتبعون التصوف ودقائقه عند القوم ، فنخلوا ما يروج حوله ،حتى بينوا الحق فيه من الباطل، وحتى بينوا ما يختلج فى نوازع القلوب ، وما تنتفض به ارواح المتوجهين الى التعرف بالله تعالى، ولذلك لا ترى الذين لم يطالعوا مثل (رسالة القشيرى) و (الاحياء) و (مدارج السالكين) (وكتب زروق) الا انهم يتخبطون اذا كانوا يحاولون وضع القسطاس فى التصوف . على ان الذين ابتلي بهم هذا العصر من المقاومين للتصوف لا يكادون يؤدون الصلاة فى الوقت ان كانوا يصلون بل لا ترى لهم وقتا يجعلونه لمناجاة ربهم ، إن هناك فى مجامعهم الا غيبة ومضغ لاعراض الاولين والاخرين من كل من ينتسب للتصوف ايا كان . فلا الغزالى ولا الجيلانى ولا زروق وامثالهم من السالمين من الحداد بناجين . هكذا يظلون ويبيتون . على حين ان من لا يزالون الى الآن ينتسبون للتصوف - على ما هو عليه من امشاج - يحافظون على صلواتهم وعلى اذكارهم - وعلى اخلاص وجهتهم لله ، على قدر ما يعرفون ، فقد يتلبس احدهم ببدعة لا عن عمد - وقد يلازم حالة ليست بسنة عن جهل ، ولكنهم على كل حال هم الذين لا تزال رسوم الدين قائمة بهم فى المساجد والزوايا اتم قيام ، وان أتوا من ناحية فانما أتوا من الجهل - ولكن اين من يعلمهم ويرشدهم ؟

لو كنا دولة اسلامية حقا لكان يجب ان نقوم لنصفى ديننا من البدع ، وتصوفنا مما مازجه ، وناخذ بحجز المبتدعين عما هم فيه ، ولو مرغمين ، ولكن افي وقت تفتح فيه المراقص علانية ، وتطفح فيه المواخر جهرة ويدافع فيه عن الزنى بحجة الحرية الشخصية ، ينادى باغلاق زوايا هؤلاء المساكين الذين هم وحدهم لا يزال البصيص من التدين فى ايديهم وحدهم ، ان هذا ليس بحكمة ، وليس برأي ، وما هكذا يكون الدواء من ايدى الاطباء النطاسيين ، فالدين الخرافى خير من لا دين ، كما ينسب للشيخ محمد عبده رحمه الله فى منامة .

وبعد فانني انا مؤلف هذا الكتاب مبدئى هو مبدأ السلفية ، وانا اعلن ذلك ، واوقن ان الدين الخالص هو ما كان عليه السلف الصالح ، وما لم يكن ذلك اليوم دينا فلا يكون اليوم دينا ، واعرف ان التصوف الذى مدلوله الاخلاص فى العمل بالعلم الصحيح هو الحق الذى لا غبار عليه ، وان السنة سنة ، وهي ما صح عن الرسول وان تمالا الناس على تركها ، وان البدعة بدعة ، وهي ما لم يثبت عن الرسول وان تمالا الناس عن اعتناقها ، فهذه عقيدتى ، وعلى هذا احيا ، وعليه اموت . فلا اقلد فى ترك سنة ، ولا فى اعتناق بدعة ، لا شيخا ولا ابا ولا اي انسان ، فقد فتح الله - بفضله - اعيننا بما تلقيناه من السنة الصحيحة ، فلا نغتر فى قبول بدعة لا بكرامة ولا بخرق عادة ولا بشهرة احد ، لاننا عودنا انفسنا ان نعرف الرجال بالحق ، لا ان نعرف الحق بالرجال ، هذا هو مبدئي اسجله هنا تسجيلا ، ولاكن ، هل يحملنى هذا المبدأ على ان اتنكر لكل متصوفى هذا العصر مثل هذا التنكر الذى اراه من غيرى ، لا لا وحق من رفع السماء على الارض ، فكيف اتنكر لهم ؟ وهم بين رجلين ، رجل مستقيم اقع منه متى جاذبته الحديث على ما يوافق مبدئى هذا من حب السنة ، وانكار البدعة وعدم الغلو في الاشياخ وانهم غير معصومين . وارى منه انه طيب السريرة متفتح القلب لكل خير يعن له ، ثم اجده افضل منى بالاستقامة والانابة والاخبات . واطالة مناجاة ربه بالاقبال التام ، فهذا الرجل اغبطه واحبه حبا من اعماق قلبى ، واقر له بان الله اختار له . لاننى اعلم انك اذا اردت ان تعلم ما للعبد عند الله فانظر فيما يشغله فيه . وامثال هذا الرجل ما اكثرهم الان في عصرنا هذا بين الطرقيين المخلصين لدينهم ولوطنهم وانما يجهلهم من بين وراد المساجد والزوايا من يبتعدون عن المساجد والزوايا ، ونطلب الله ان لا نكون منهم ، ومن لا يصاحب هذه الطبقات التي تملا المساجد ، وتلبي الاذان وتخوض الظلماء في الاسحار الى صلاة الصبح ، فأنى يعرف المومنين في هذا العصر ؟

والرجل الثاني متصوف حسن النية الا انه جاهل بالسنة ، فتراه يرتطم في البدع من حيث لا يدري ، لانها سرت اليه من بيئته التي يحسن بها الظن ، فهذا من الواجب علي ان اماشيه وأعلمه بلطف ، ثم سرعان ما ينقاد ويسلس ، فاذا به من اخواني الذين ينفعونني

بهمتهم وحسن مقاصدهم ، وحبهم لكل خير ، فينسى نفسه في المصالح العامة ، ثم لا يمن على احد باعماله .

بين امثال هذين الرجلين شببت في زاوية والدي رحمه الله ، فكم واحد ذاكرته من اصحاب والدي في بعض البدع المالوفة عند القوم فيقبل انها في الطريقة بدعة ثم لايهمه ان ينبذها ، لان روح الطريقة الذي هو الاخلاص في العمل لا يمازج ولا يقارب تلك البدعة بل الطريقة في العبودية المحضة ، والاخلاص لله ، فو الله الذي لا اله الا هو لولا اصحاب والدي الذين ربوني وهذبوني ، واذاقوني حلاوة الدين والاخلاص والخشوع ، وانكار الذات لما رفعني ما تعلمته من القرويين وامثال القرويين فترا ، ولهذا يراني القارئ في هذا الكتاب مندفعا وراء حياة الشيخ، متتبعا كل ما كان يتقلب فيه بين ادوار حياته من اولها الى آخرها، ثم لايحس مني ما يدل على ان لي مبدءا آخر ، ربما لا يتفتح لكل ما يقرأ في الكتاب من اقوال الشيخ ، فقد ذكرت كل ما صح عندي عنه من الاحوال والاقوال المروية عن الثقات عن الشيخ ، بكل امانة للتاريخ . واخال ان غيري لو كان في مكاني لحاول تبديل الكلم عن مواضعه ، لئلا يعرض والده لانتقاد بعض ابناء هذا العصر ، لكنني بكل شجاعة سطرت كل شيء عن حسن نية ، حتى ما لا ادرك له معنى ، فقد فوضت فيه للمدركين ، وانا اعلن انني لا اعدو ان اكون طويلبا جاهلا ، ليس له مما عند الشيخ وامثاله في اخلاقهم ومقاصدهم وحسن نياتهم ولو قيد ظفر ، وانما حرصت على ان احشر كل ما صح عندي عن الشيخ للتاريخ لعلمي بأن هذه الزوبعة من انكار الروحانيات واحوالها التي سادت اليوم في قطرنا هذا ، قد يخلفها وشيكا ضدها ، متى توسعت الحركة الروحية التي نراها تتوسع في اوربة وبكل اسف صرنا كالقردة نقلد اوربة في كل شيء ، ينكرون فننكر ، ثم يقرون فنقر ، وذكر الله بكل خير الاخ محمدا التطواني الذي يقول ، ليس بين المغاربة وبين الاعتناء بمثل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الا ان يعتني به مستشرق ، فاذا بالكتب فيه وفي امثاله تتوالى ، وعسى ان لا يكون ذلك اليوم بعيداء ولا يخفى ان لمولاي العربي تأثيرا عاما في كل قطر المغرب من اواخر القرن الثاني عشر الى ان مات 1239 هـ. ثم جاءت ذيول نضفاضة بعده ، حتى ليكاد غالب اللامعين في القرن الثالث عشر في المغرب من اصحابه واصحاب اصحابه .

لكل هذا سطرت كل ما سطرت عن الشيخ في هذا الكتاب ، ليعلم من بعدنا كيف كان شيخ من شيوخ التصوف المتأخرين يقوم باعمال شتى تنوء بحملها الاطواد حين يربي العامة والخاصة ، ولا يعجبن القارئ في حسن نيتي في والدي لان هذا طبيعي ، لايستنكر مثله الا من لم يذق حلاوة الاباء النابهين، ولا ألام الا في تقليده في غير الحق، واما ما صدر عنه من الكرامات وغيرها فان ذلك مسلم في السنة متى صحت روايتها ، وفي القرآن كثير وقع لغير الانبياء ، ومن يقدر ان ينكر وجود ما كان مثله موجودا بالقرآن ؟ على ان افضل الكرامات هو الاستقامة ، ثم ان مشايخ التصوف الاكابر الصادقين منهم من كانوا

يؤدون لارواح الامة ما يؤديه اطباء الاجسام للامة ، فان الانسان مركب من الجسد والروح، فكما يتطلب الجسد طبه ، كذلك تتطلب الروح طبها ، وهذا الطب الروحاني هو الذي كان الاشياخ المربون من الصوفية يقومون به ، منذ ظهورهم من عهد السلف ، فياتيهم قاسي القلب والذي استولت عليه الغفلة . والذي يحس من نفسه التكبر ، والذي يجد في صدره ضيقا لا يدري من اين ياتيه ، والذي يغلب عليه حب المادة ، الى امثال هؤلاء من مرضى النفوس ، فاذا باحدهم يجد في ايديهم ادوية سرعان ما يذهب بها الداء . وهذا لا ينكره على القوم الا من لا يعرف منهم اصحاب الارواح العالية ، وهذا يدركه كل متأمل حتى الادباء ، فهذا الاديب الكبير احمد امين المصري المرحوم له مقال نفيس في هذا الموضوع احببت ان اتوج به هذا التمهيد فلقد وفى ذلك حقه ، واليك المقال بتمامه قال :

طب النفس

من المشاهد ان الناس يومنون اشد الايمان بمرض اجسامهم، ولا يومنون بمرض نفوسهم فاذا شعر احدهم بمرض جسمي اسرع الى الطبيب يصف له اعراضه ، ويستوصفه دواءه ، وينفذ اوامره مهما دقت ، ويبذل في ذلك الاموال مهما جلت ، ثم هو يمرض نفسيا ، فلا يأبه لذلك ، ولا يعيره عناية ، ولا يستشير طبيبا نفسيا ، ولا يعني بدرس الاعراض ومعرفة الاسباب وقد يلح عليه مرض النفس ويصل به الى الياس ، فلا يسعى لعلاج ، ولا يجد في معرفة دواء ، كأن نفسه أهون عليه من جسمه ، وروحه اتفه من بدنه .

ومن اجل عناية الناس باجسامهم دون نفوسهم ، كان لدينا نظام شامل واف لطب الاجسام ، دون طب النفوس ، فمدرسة لتخريج الاطباء حتى للطب البيطري ، ومعاهد للتشريح والتجارب ، وتخصص في الامراض ، فهذا طبيب عين ، وهذا طبيب انف وحنجرة ، وهذا طبيب اسنان وهذا طبيب باطني الخ، وكان لكل حي طبيب او اطباء، ولكل مدرسة طبيب ، ووجدت المستشفيات في انحاء الاقطار ، وعدها الناس عملا خيريا يتبرعون له بأموالهم ، كما عدتها الحكومات ضرورة اجتماعية، ترصد لها الاموال في ميزانيتها، وانشئت الصيدليات في كل حي وكل شارع لتلبية طلبات الاطباء والجماهير في كل وقت اسعافا للجسم في مرضه وفي ترفه.

وخضعت هذه النظم لسنة الارتقاء ، فهي تساير الزمان ، وتستفيد مما يؤدي اليه البحث والعلم ، وتتكيف حسب ما تقتضيه الاحوال ، وتجهز بأحدث المخترعات .

والعقل عنى به بعض هذه العناية ، فكان اطباء للاعصاب ، ومستشفيات للمجاذيب ، وبحوث وتجارب في امراض العقل وعلاجه .

اما النفس فحظها من ذلك كله حظ الارنب بجانب الاسد ، فلا الناس يقدرون خطورة امراضها ، ولا تنشأ المدارس لاطبائها ، ولا تؤسس المستشفيات لعلاجها .

مع اني اعتقد ان آلام الناس من نفوسهم اكثر من آلامهم من جسومهم ، واضرار

المجتمعات من مرضى النفوس تفوق اضرارها من مرضى الجسوم ، وللنفس امراض لا حصر لها . تختلف كاختلاف امراض الجسم . الى مرض عين ، ومرض معدة ، ومرض امعاء ، فهناك حميات نفسية متعددة كحميات الاجسام ، وهناك ميكروبات نفسية كالميكروبات المادية، وهناك عدوى تصيب النفوس كعدوى الاجسام . وهناك انفعالات تحرق النفس، وتضنى البدن الى آخر ما هنالك ، ولكل هذه الامراض علاجات تختلف باختلاف المرض ، وباختلاف الشخص ولها ادوية من جنسها ، منها ما يسكن الالم ، ومنها يشفي المرض ، وهي في دراستها وتشخيصها وعلاجها ادق وأصعب منالا ، واغمض كشفا . والفرق بينها وبين امراض الجسم وعلاجه كالفرق بين الجسم والنفس .

فما احوجها الى اطباء مهرة ، ومستشفيات صالحة معدة ، ودراسات عميقة منتجة ، ونظم يترقى مع الزمان رقي طب الاجسام .

لعل الذي صرف الناس عن علاج نفوسهم الى علاج جسومهم ، انهم ، او الكثير منهم لا يزالون يسبحون في دائرة الحس وحده ، ولم يرتقوا الى ملاحظة النفوس وشؤونها ، فاذا جرح الانسان جرحا بسيطا في جسمه هرع الى الطبيب يعالجه ويحتاط له ، واذا كسر عظمه ذهب الى الطبيب ليجبر كسره ، ولكن اذا جرحت نفسه ولو جرحا عميقا ، وكسرت ولو كسرا خطيرا احتمل الالم من غير بحث عن علته او نتائجه ، او طرق مداواته ، لانه لايزال ماديا في ادراكه ، اوليا في تفكيره .

او لعل السبب ان الناس لا يومنون بأطباء النفوس ايمانهم بأطباء الاجسام، فهم لايعتقدون في صلاحيتهم ، ويشكون كل الشك في قدرتهم على علاجهم . فيستسلمون للمرض النفسي كما يستسلمون لمرض جسمي استحال شفاؤه ، ولم يستكشف دواؤه ، ان كان هذا فعلى الطب النفسي ان يثبت قدرته ، ويبرهن على نجاحه ، حتى يقبل الناس عليه ويومنوا به .

وقد يكون السبب ان الناس يومنون بسهولة امراض النفس ، وقدرتهم على علاجها والاشتفاء منها من غير طبيب ، فما عليه ان كان حزينا الا ان يضحك ، او منقبضا الا ان يتسلى ، وهذا خطأ بين ، فأمراض النفس كأمراض الجسم فيها ما يداوى بحمية ، وفيها ما يستعصى على الطبيب الماهر . والخبير الحاذق .

※ ※ ※

لعلك تزعم ان هذه الناحية من طب النفوس لم تهمل بتاتا ، فهناك المدارس للتهذيب فيها اصلاح النفوس . وفيها دروس الدين والاخلاق لمعالجة الامراض ، وهناك الوعاظ لارشاد الناس ، وعلاج النفس ، وهناك العرف والقوانين توجه الناس الى الخير ، وتحذرهم الشر ، وفي ذلك تهذيب لنفسهم ، واصلاح لجوانب الشر فيهم .

ولكن يظهر لي انها كلها مع فائدتها لا تكفي، لانها - من ناحية - تكون علاجا عاما يقال لكل الاشخاص ، وتخاطب بها كل النفوس ، كالطبيب يذكر ضرر الافراط في الاكل

واضرار كثرة التدخين، وفائدة الرياضة البدنية، وفائدة الاعتدال في المأكل والمشرب، وهي قل ان تتعرض للازمات النفسية الخاصة بكل نفس . وما احاط بها من ظروف خاصة ، ونوع النفس ، وما يلزم لها من علاج خاص بها ، وهي اقرب ما تكون الى الوقاية الى العلاج ، وللاحتياط من الوقوع في المرض ، لا لعلاج المرض ، فان تعرضت لعلاج وصفت علاجا عاما للناس على السواء ، اذ ليس في استطاعتها ـ غالبا ـ اكثر من ذلك .

ومن ناحية اخرى اكثر ما بأيدينا منها اليوم لم يؤسس على ما وصل اليه العلم الحديث ولم يبن على ما استكشف من قوانين علم النفس على قلة ما استكشف منها ، فالدراسة الحديثة ابانت عن اتجاهات كانت غامضة ، واخطاء كانت ترتكب في تصور النفس وادراكها وجرائمها وطرق تهذيبها ، ولا يزال علماء النفس يقرون بأنهم في اولى مراحلهم، ولم يقولوا في النفس الا الكلمة الاولى ، فكان من المعقول ان يساير التهذيب ، ودراسة الاخلاق ، وعلاج النفس ما وصل اليه علم النفس ، وعلم الاجتماع كما يساير علم طب الاجسام ما يستكشف من مخترعات ، فآلام الجراحة اليوم غيرها بالامس وهكذا ، ولكن ذلك لم يكن .

وربما كان اقرب المناحي الى طب النفس منحى الصوفية ؛ فقد كان لكل مريد شيخه يفضي اليه بدخائل قلبه ، وازمات نفسه ، ووساوسه وخطراته وآلامه وتوجهاته، والشيخ يصف لكل مريد ما يراه انسب له ، واقرب لعلاجه ، ويصف له طرقا يسلكها واتجاهات يتجهها ، واورادا يتلوها ، يرى انها تشفي مرضه ، وتبرئ نفسه ، وله في كل مريد نظرته وفراسته ، بها يشخص وبها يصف ، ولكن تكاد تقتصر هذه الحالة بين المريد والشيخ على الازمات الدينية ، اما ما عدا ذلك من ازمات دنيوية واجتماعية ، فقلما يتناولها المريد والشيخ على انه ، من لكل مريد بهذا الشيخ الدقيق النظر ؟ الصائب الفكر ، الصادق الفراسة ، الموفق في تبين المرض ومعرفة العلاج .

※ ※ ※

واذ عدمنا مثل هذا « الشيخ » وحرمت مجتمعاتنا من نظم وافية شاملة للطب النفسي كالنظم الوافية الشاملة للطب الجسمي ، فلا اقل من ان نوجه النظر الى ان يعني كل شخص بناحيته النفسية عناية لا تقل عن عنايته الجسمية ، فضحايا امراض النفوس كثيرون ، وصرعى المرض لا يحصون ، والالتفات الى فتك هذا النوع من الامراض ضعيف فاتر ، فهناك صرعى الخوف من الموت ومن الفقر ومن الرؤساء ، وهناك صرعى الشك في الدين ، وفي الحياة وقيمتها ، وفي كل ما يحيط بهم مما في الارض وما في السماء ، وهناك صرعى الحزن لا يسرهم شيء في الحياة ، ويودون ان يبكوا دائما ويسودون كل منظر يرونه ، ويحزنون عندما يحزن الناس . ويحزنون عندما يضحك الناس ، فاذا عدموا اسباب الحزن خلقوها حتى من اعمق منابع السرور ، وهكذا تتعدى الصرعى . كصرعى السل والسرطان وما

اليهما ، يبدأ فيهم مكروب النفس صغيرا ، ثم ينمو شيئا فشيئا حتى يفترسهم ، ثم من العجب الا يتوجهوا قليلا ولا كثيرا الى قتلها قبل ان تقتلهم ، وهزيمتها قبل ان تهزمهم ، كأنهم يظنون ان المرض فوق ان يعالج ، والامر أيأس من أن يفكر فيه .

※ ※ ※

لامراض النفس اسباب عدة ، من حالة صحية ، وبيئة اجتماعية ، وبذور ميكروبات تسربت اليها من كتب قرأتها ، ومقالات طالعتها ، وأحاديث سمعتها ، ومناظر رأتها ، الى غير ذلك ، ولعل اهم مرض نفسي يصيب طائفة المثقفين سببه انهم لا يريدون أن يكونوا انفسهم ، ويريدون ان يكونوا غيرهم .

لقد خلقت النفوس البشرية متشابهة في بعض جهاتها ، مختلفة في بعض جهاتها ، شأنها في ذلك شأن الوجوه ، فكل وجه فيه عينان وانف بين العينين وفم تحت الانف ، وذقن تحت الفم ، ولكن مع هذا الاشتراك ، لكل انسان وجهه الخاص به لايشاركه فيه غيره ، وكذلك النفوس تشترك في اللذة والالم ، وتشترك في الغرائز الاساسية وما الى ذلك ، ومع هذا فلكل انسان نفسه الخاصة ، لا يساويها في جميع وجوهها غيرها .

وما الاحظه ان نفس كل انسان ان سارت على فطرتها ، وعرفت ان تتغذى بما يناسبها وطلبت لها مثلا اعلى يتفق وطبيعتها ، عاشت في الاغلب راضية مطمئنة ؛ فان خالفت فطرتها ، وحاولت ان تكون غيرها ، اظلمت واصابها الحزن والقلق والاضطراب ، وفقدت سعادتها وهناءها واطمئنانها ورضاها ، ومحال ان تنال ما يخالف فطرتها ، كما هو محال ان يكون الوجه الاسود ابيض ، أو الابيض أسود ، أو الطويل قصيراً ،او القصير طويلا .

يسعد الانسان إذا عرف طبيعته وحدوده التي يستطيع أن يصل إليها ، ونوع الرقي الذي يمكن أن يبلغه ، فإن حاول أن يكون غير ذلك كان في الحياة (ممثلا) لا يعيش عيشته الطبيعية ، فهو فقير يمثل دور ملك ، وصعلوك يمثل دور وزير ، وطفل يمثل شيخا هرما ، ورجل يمثل دور امرأة ، ومحال أن يوائم بين نفسه الحقيقية والدور الذي يمثله الا بمقدار ما يظهر على المسرح ، فإن هو حاول ان يطيل ذلك بعد دوره فجزاؤه الهزؤ به ، والسخرية منه ، وقلق نفسه ، واضطراب شأنه .

فأكثر أسباب اضطراب المثقف ناشيء من أنه غبي يريد أن يكون ذكيا ، أو ميال بطبعه إلى العزلة والانكماش يريد أن يكون وجيها شهيراً ، او عالم يريد أن يكون أديبا او أديب يريد أن يكون عالما ، أو صريح يريد أن يخادع ويمالق ، أو خجل يريد أن يكون وقحاً ، أو متزن نواحي العقل يريد أن يكون نابغا شاذا . . . الخ. فهو يحاول ويحاول ثم يخفق ويخفق ، لانه يكلف النفس ضد طباعها ، وهذا الاخفاق يهز نفسه هزة عنيفة تسبب له القلق الروحي ، والاضطراب النفسي ، هو بذلك يريد ان يكون انسانا طبيعيا ، فالتوفيق محال ، فخير نصيحة لهذا وأمثاله ان تقول له (كن نفسك ولا تنشد الا مثلك) .

، أتينا بالمقال على طوله ، لان التربية عند القوم كما يدخل فيها تربية الاخلاق ، والتربية العلمية ، والتربية الدينية العملية ، يغلب عليها التربية النفسية ، وكل من يطالع كيف يربي الاشياخ الاكابر التربية التي اشتهروا بها ، يرى كيف يعاملون كل مريد من مريديهم معاملة خاصة ، ولا اقرب في الدليل على ذلك مما في هذا الكتاب ، عن هذا الشيخ الغريب الاحوال ، فان له لكل صاحب من اصحابه تربية على حدة ، ثم لا يقتصر ما بين المريد وشيخه على النفسيات والدينيات فحسب ، بل يتجاوز التربية الى الاعمال الدنيوية المحضة ، وليس بصحيح فيما اطلقه احمد امين، من أن أشياخ الصوفية يقتصرون فيما بينهم وبين مريديهم على الدينيات والنفسيات، فاقرأ هذا الكتاب تر ان هذا الشيخ يهتم في احوال مريديه بكل ناحية من النواحي ، فيهتم لامور معاشهم وغيرها غاية الاهتمام ، فتراه كالطبيب الماهر ، يمنع عن هذا ما يبيحه لذاك ، ويامر ذاك بما ينهى عنه هذا ، ثم ينجح الجميع على يديه ، فإذا هم كالملائكة المعصومين ، سوا" منهم المتجردون او المتسببون ، وعلى هذا السنن كان كبار المشايخ المربين كالجيلاني والشاذلي والمرسي وابي مدين والجزولي والتباع وابي المحاسن وعبد الرحمان العارف واحمد بن عبد الله بن معن ، فاقرأ أخبارهم المفصلة في الكتب التي الفت فيهم تر العجب العجاب في هذا ، ومن لم يطالع كتب القوم بحسن نية لا ينفذ الى مالهم من الشفوف في هذا المقام ، وسياتي يوم يكشف فيه عن سر تربيتهم العجيبة ، وهل ذلك اليوم يكون وشيكا ؟ جعلنا الله من اهل النية الحسنة في الذاكرين الله، لان افضل الاعمال حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباده ، خصوصا المجتبين الاخيار الذين اختارهم الله لتقواه ،

اللهم احينا على السنة ، وامتنا على السنة ، واحشرنا على السنة ، واهدنا الصراط المستقيم ، الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم .

كتب هذا التمهيد بعد جمع الكتاب بسنين كثيرة وذلك في اواسط صفر 1378 هـ.

الفقير الى الله

محمد المختار السوسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الترياق المداوى

في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي

الحمد لله الذي اذاقنا حلاوة الايمان والاسلام، ووالى علينا بفضله سحب المنن والانعام وحبب الينا المتقين، واعظم في اعيننا المومنين المحقين، وكشف لنا حجبا تحول دون معرفة مكانات المجتبين الاخيار، المخصوصين من ربهم الواحد الاحد بما في روح الاسلام من الانوار والاسرار، من خلقهم الله لمعرفته وعبوديته في كل حال من الاحوال، لايستفزهم عن مراقبة خالقهم توالى المسرات ولا تراكم الاهوال، اولئك العارفون بربهم الخائضون الى توحيده اثباج البحور، والمخلصون في عبادتهم لوجهه الكريم فله يعبدون لا لنيل ما في دار النعيم من الولدان والحور، وان كانوا يفرحون بكل ما يكرمهم به ربهم مما تتحلى به في الدنيا والاخرة النحور، وتلك خصوصية اورثهم الله اياها فانفردوا بها على ممر الدهور ومعرفة الله وحدها هي منبع الافراح والسرور (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور). (ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون). فعبادة الله القيوم مالك الملك كل ما يتمناه دائما المومنون، والصلاة والسلام على خير الهداة، ونور المشكاة، ينبوع المعارف والمختص من آلاء ربه بكل تالد وطارف، سيدنا محمد هادي الانام، الى خالص الايمان والاسلام، وعلى آله وصحبه كواكب العلياء وسفن الدأماء، وآساد المعارك الهوجاء، وعلى كل من تبعهم في طريقهم اللاحب، من كل صاحبة وصاحب.

اما بعد: فكثيرا ما يقترح علي الفقراء المنخرطون في الطريقة الالغية ان اجمع لهم في دفتر من اخبار شيخهم سيدي الحاج علي الالغي ما يهتدون بهديه في الاقبال على ربهم، ويجعلونه هاديا خريتا في محجتهم البيضاء التي يمشون فيها الى الارتواء من عبادة خالقهم، فكنت اكتب في ذلك ما تيسر على غير نظام في مجموع خاص اسميته اولا: «الفتح القدوسي، في كل ما يتعلق بالشيخ سيدي الحاج علي السوسي»: ثم حولت اسمه لما رايته طافحا باخبار غير الشيخ الى اسم: «من افواه الرجال». فقد كنت جمعت فيه ما كان انتشر من انبائه على حسب ما تيسر، اتلقف ذلك من افواه من عاشروه من خدامه المختصين بخدمته، من فجر حياته الى ان لقي ربه، فكان ذلك لعدم تنظيمه غير لائق بمن اراد ان يكون على حياته بكل اطرافها على ذكر، وان يكون سمته متصورا في ذهنه تصورا ينفعه في سيره وسلوكه الى ربه، فكنت اقول في نفسي ان هذا الواجب ينبغي ان يقوم به غيري لامرين:

احدهما انه يغلب على عباراتي لون عبارات الفقهاء والادباء، لالون عبارات الصوفية

ولا يمكن ان يتأدى هذا الواجب الا بقلم صوفي يغترف من مثل ينبوع الشيخ ، ويعلم الله انني لست هناك ، ولا ممن سلك ذلك المسلك ، فلست ممن يتشبع بما ليس فيه فأكون كلابس ثوبي زور .

وثانيهما ان الابناء دائما يتهمون في الاشادة بآبائهم ، فيقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ، ومن حرث حرثا يكون له منه نصيب كبير كيف لا يتهم ؟ والمومن الذي يستبرىء لعرضه ولدينه لا يدخل نفسه مواضع التهم ،

لهذين العذرين كنت اؤخر جمع كتاب مرتب في اخبار الشيخ الوالد ، وكنت احث غيري على ذلك ، فصار الفقيه سيدي بريك بن عمر المجاطي ، والاستاذ الاديب سيدي الطاهر السماهري نزيل (اكلو) يجمعان مؤلفين خاصين من غير ان يطلعا على ما كتبته قبل ، ولا على ما كان كتبه الفقيه الصوفي سيدي محمد بن علي التادلي نزيل مدينة الجديدة ، فكنت ارجو ان تسد تلك المؤلفات هذا المسد ، وان تقوم بهذا الواجب ، الى ان ظهر لي ان الجميع انما يكتبون ما سنح من غير ترتيب لحياته ، كما هي حياته ، فاستخرت الله ان اجمع كتابا مختصرا اودعه لب ما عندي جول حياة الشيخ . لانني كنت من ازمان ابحث بحثا مستقصيا عن اخباره ، وقد ذكرت انني كنت اودعت غالب ذلك في كتاب «من افواه الرجال» ، كما انني ذكرت ايضا حياة الشيخ في ترجمة في كتاب «المعسول» بقلم أديب مؤرخ ، وسأجتهد أن اكتب عنه هنا كتابة تقرب مما يكتبه الصوفية جهد طاقتي باختصار ، ومن غير استطراد لغير اخبار الشيخ ، وان اذكر عيون اخباره ، وما اشتهر من احواله ، وبعض ما ذاع عند اصحابه من كراماته ، وما تيسر من مناقبه ، ونبذا تتعلق بذلك كله ، وآمل ان لا يخرج القارىء من الكتاب حتى يعرف كل حياة الشيخ ومشايخه وكبار اصحابه ، وكيفية تربيته ، وما كان امضى به حياته ، ثم اختم ذلك بذكر ما له من الاولاد والزوجات ، فالله ييسر ولا يعسر ، وقد افتتحت الكتاب بالهام طرأ علي صبيحة الجمعة 4 ربيع الاول 1364 هـ. وأنا جالس وحدي في داري بإلغ . فبادرت بالقرطاس والقلم الى ضريح الشيخ ، فافتتحت هذه الخطبة عند رأسه ، طالبا من الله وحده - وهو الفاعل وحده لا رب معه - ان يوفقني على ما يحبه من هذا العمل ويرضاه . وان يجعل لي الخير في كل ما اكتبه وينفع به ، وان يلهمني كل ما يوافق المقام ، وان يدرأ عني فيه ما تجتنى منه الاثام ، بمنه وكرمه .

الفصل الاول في مولده وفي نسبه وفي ذكر قريته التي نشأ فيها

اما مولد الشيخ فكان في نحو 1267 هـ. تقديرا ، وليس عندنا تحقيق يوم ولادته بالضبط ، لعدم اعتناء اهله بتقييد الموالد والوفيات ، واما نسبه فهو علي بن احمد بن محمد ابن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ، والجد الاعلى سيدي عبد الله بن سعيد صالح شهير . له ترجمة في طبقات الحضيكي

وكان اميا صوفيا ذكرت له احوال اهل الخير . واشتهر بذلك في حياته ، وحرر سنة 999 ه بظهير في عصر احمد الذهبي السعدي ، كما يحرر المرابطون المحترمون ، وهو بنفسه الذي ادرك ذلك المقام ، ولم يرثه عن اهله فيما علمنا ، وكان يسكن في (تيغاهارين) بتاهالة وكان يزار ويقصد ويعتقد حياته كلها . وكان له اصحاب يعمل معهم افعال الخير، فيشيدون النطفيات فى معاطش القفار ، وقد ارخ صاحب كتاب «الوفيات» الرسموكي وفاته بالاربعاء 27 ربيع الثاني 1040 ه. وقد ادركه الرسموكي صغيرا ، وهو الذي وصفه بالساموكني ، ويقول اعلنا ان اهله كانوا يقطنون قبله في قرية (اكادير نتبسيست) اسفل وادي ساموكن، وقد علمنا ان هذه القرية كانت لقبيلة ساموكن الى ان نزعها منها ايت علي المرابطون ، ثم اندثرت بعد ، فلهذا نعلم ان هذه النسبة صحيحة لا ينبغي ان تنكر ، وقد نقلها الحضيكي عن الرسموكي الذي عاصر الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد ، على ان اصل الشيخ الاصيل فيما يتداوله اهلونا من مدينة (تامدولت) ، انتقل منها اسلافه لما خربت . وقد ذاع اخيرا ان اصل جرثومة سيدي عبد الله بن سعيد كان من آل سيدي عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، نقل ذلك الاستاذ العلامة سيدي محمد بن مسعود المعدري . عن الشيخ سيدي الحاج الحسن (التاموديزتي) ، وقال : انه رآه مكتوبا في طرة كتاب ، وهذا كان متداولا قبل سيدي محمد بن مسعود ، الا ان الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الالغي قال : لم نجد عليه اثارة من علم ، ويذكر ان مشجرا يتضمن نسب الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد يوجد في قبيلة إيسي . فان وجد فيه ذلك فيمكن ، والا فلا نقول ما ليس لنا به علم ، والله اعلم، وقد قال ابن مسعود في قصيدته النونية في ذكر اسلاف الشيخ :

سلف لهم نالوا العلا بولادة الـطيار جعفر اكرم الفتيان
نسب عليه من الجلالة رونق بادي السنا لبصائر الايمان

واما سيدي احمد بن عبد الله بن سعيد ، فهو الشيخ الزاهد ذو المناقب العليا ، سكن قرية (إلغ) بعد وفاة والده ، فأورثها اولاده الى الان ، ومشهده يوجد الى الان ازاء مسجده الذي بناه في القرية العليا من قرى (دو كادير) ، وهو من اهل القرن الحادي عشر . ولم نقف على متوفاه .

واما سيدي محمد بن احمد بن محمد بن سعيد الجد الادنى للشيخ سيدي الحاج علي، فانه من حفظة كتاب الله المبين ، وقد ولد 1214 ه. وعاش الى 1297 ه. وكانت له مكانة في القرية ، لما له من ذات اليد ، ومن تبرك الناس به ، وتطببه لهم فيما يعتريهم بالرقى والتعاويذ ، اشتهر بذلك ، وكانت له صحبة برئيس سوس الجنوبية اذ ذاك ، سيدي الحسين ابن هاشم ، فطالما نزل هذا في داره في بعض عبراته الى مواطن جولاته التى لا تنقطع اذ ذاك ، وقد كاد يعجز ويسلمه الهرم الى السكون التام في اخريات ايامه ، فكان اذ ذاك يجلس الى مكتب تلاميذ القرآن فى القرية ، فيعين معلمهم فى استماعه الى بعضهم يتلو

محفوظاته ، وقد رزق اولادا اميين ، من بينهم السيد احمد والد الشيخ الذي نحن في صدد ذكره .

وقرية (دو كًادير) توجد في بسيط (الغ) الذي يبتعد عن (تيزنيت) شرقا بنحو 82 كيلومتر ، وهما قريتان متجاورتان ، وفي القرية السفلى يوجد مسكن الاسرة حيث منشأ الشيخ رضي الله عنه ، واما مسقط رأسه ، ففي مرتبع اهل القرية في الجنوب ، ولا يبعد عن القرية كثيرا .

الفصل الثاني في أساتذته في القرآن الكريم

نشأ الشيخ في قريته ، ولم ينتقل عنها في ذلك الطور ، وقد عرفنا ان الاستاذ الذي تخرج به يسمى سيدي بلقاسم افكًان الايسي ، وهو استاذ مجد ، له يد في علم التوثيق ، وقد كان شيخ الجماعة ، فأخذ عنه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الالغي مؤسس المدرسة الشهير ، والاستاذ الفقيه سيدي الحسن بن احمد التياسينتي الالغي ، وكلاهما من ابناء عمومة الشيخ ، وممن عاشرهم امدا من الدهر ، وكان الاستاذ المذكور ذا شهرة في عصره بتعليم القرآن. الى ان توفي في آخر القرن الماضي ، وقد كان الشيخ انتفع كثيرا بجده المتقدم سيدي محمد بن احمد ، فقد كان يحمله على تلاوة محفوظاته كلما اوى الى الدار، فسرعان ما اتقن حفظ القرآن بسبب ذلك .

الفصل الثالث في ذكر أمور شوهدت من الشيخ في هذا الطور

حكي السيد الطيب بن احمد من بني عمومة الشيخ ، وكان لدته وقرنه. انهم كانوا صبيانا يلعبون كما يلعب النشء ، فيبنون بيوتا صغارا ، يضعون فيها ما ياتون به من عند امهاتهم من التمر ، ويتفاخرون بينهم بأن لهم مخازن من التمر ، شأن اهل قريتهم : قال وفي بعض الاحيان يجمعنا سيدي علي بن احمد على ما عنده من التمر ، فيامرنا بأكله ، ثم يطلب منا الدعاء ان يجعله الله وليا كبيرا ، قال فصدق الله عزيمته ، وقد احيانا حتى راينا منه ما راينا ، اقول : ان سيدي الطيب هذا كان من اتباع الشيخ بعد ، وهو زوج اخته خديجة ، ووالد الفقيهين سيدي موسى بن الطيب ، واخيه سيدي البشير .

وحكى ايضا الفقير سعيد الموذن من عمومة الشيخ المسنين ، وهو اكبر كثيرا سنا من الشيخ ، قال : كنا نجلس ونحن رجال امام المسجد ، فيمر بنا تلاميذ مكتب القرآن ، فنضاحكهم ونقول لهم : اعطونا من خبزكم ندع لكم بما شئتم ، فكان سيدي علي بن احمد يطلب منا ان ندعو له ان يكون شيخا صوفيا كبيرا ، فكنا نتعجب منه حين يهتم بمثل ذلك في تلك السن ، كما نتعجب ايضا من الشيخوخة التي يتطلبها ، لاننا لا نعرفها في بلادنا ، ولا منا من يعرف كيف هي ؟ قال ثم طالت اعمارنا حتى اتانا بها غريبة مستغربة ، اقول : ان هذا الحاكي كان موذنا دائما في مسجد القرية ، وكان من المشوغلين في الطريقة

الناصرية ، يراها كل شيء ، ولذلك كان يستغرب ما اتى به الشيخ ، ولم يزل في تباعد عن الشيخ كل حياته ثم لم يتوفق الى الاعتراف به الا بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فادرك اذ ذاك مكانته فكان يذكره بامثال هذه الحكايات .

فمن هاتين الحكايتين يتراءى لنا ما كانت همة الشيخ مفطورة عليه من صغره الى ان شب ، ومن خلق لشيء فانه لا يزال يستهام به حتى يناله وان كان في مناط النجوم .

- الفصل الرابع في اشياخه في العلوم الدينية -

- وذكر المدارس التي كان فيها اولا -

- اختتم الشيخ القرآن ، واتقن حفظه نحو سنة 1283 هـ. فكان اول استاذ افتتح عليه المبادىء العلمية ، هو العلامة سيدي الحاج محمد اليزيدي الايسي ، المتوفي نحو 1309 هـ. فقد كان بين الاسرة اليزيدية ، وبين اسرة الشيخ تعارف واتصال، فلذلك اختار اهل الشيخ الاستاذ المذكور لابنهم ، فالحقوه به في مدرسة (تانالت) ثم انتقل معه الى مدرسة (المولود) برسموكه ثم لم يطل مكثه هناك حتى انتقل به وبكل الطلبة الاستاذ الى مدرسة سيدي احمد بن موسى التازروالتى ، باستدعاء من الرئيس سيدي الحسين بن هاشم يعسوب (ايليغ) ، فعن هذا الاستاذ تدرج الشيخ في متون المبتدئين شيئا فشيئا ، حتى قضى عنده نحو سنتين ، ثم ذهب به اهله الى مدرسة (تانكرت) عند الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي نزيل (تانكارت) المتوفى 1296 هـ. والبيت الذي كان فيه الشيخ يمر به الداخل يمينا من الباب الاعلى الشمالى ، وهو بيت صغير ساذج ، وعلى يد هذا الاستاذ شدا الشيخ وتفوق ونال ما نال من مزاولة الفنون المتعددة ، نحوا وفقها وفرائض وحسابا ، وقد لازمه منذ نحو 1286. الى سنة 1289 هـ. وقد كان بلدياه سيدي محمد بن عبد الله وسيدي الحسن التياسينتى معه هناك ، وفى هذا الطور كتب الشيخ بيده كتبا كثيرة دراسية ، لانه لم يجد من كتب الدراسة ما يتوقف عليه . فأقبل بهمته المعروفة يكتب الدردير على المختصر و «ايسر المسالك» على الالفية وشروحا كثيرة للمتون الصغرى والوسطى ، ولا نزال نقف على شذرات مما كتبه اثناء كتبنا الى الان .

الفصل الخامس في بعض ما اثر عنه في هذا الطور الثاني من عمره

- حكت لى والدتى رحمة الله عليها ان الشيخ اخبرها بأن اول ما راى النبى صلى الله عليه وسلم كان فى المدرسة (المولودية) قبل احتلامه ، وحدثت عنه انه كان يقرأ كل ليلة ختمة وهو واقف ، قال : وقد كنت مغرما بزيارة الشيخ سيدي الحاج يعزى الوسخينى ، فلا اغب زيارة ضريحه ، اقول : كان مقام هذا الشيخ الجليل محط رحال المولعين بزيارة الصالحين ويذكرون عنه ما يذكرون من استجابة الدعاء فى مقامه ، وقد كان امثال سيدي مسعود المعدري يضرب اليه اكباد الابل من ازغار حتى يزوره ، ثم اورث ذلك

اصحابه ، وهذا الشيخ شريف النسبة ولا عقب له، وهو من أهل القرن التاسع، توفي سنة 888 هـ

وحكى لي الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح التازرواتي رحمه الله ان اول اتصاله بالشيخ كان في المدرسة التازرواتية عند الاستاذ اليزيدي ، قال : فتأكدت بيننا الصحبة حتى انه كان يرافقني كل ليلة الى ضريح الشيخ سيدي احمد بن موسى ، فأضطجع أنا ويبيت هو متهجدا بختمه تامة الى ان يطلع الفجر ، قال : كانت هذه عادتنا الدائمة ، وذلك امام باب القبة الذي كان من العادة ان يسد الا احيانا ، اقول :

كان هذا الحال من الشيخ في وقت بلوغه كما ترى . ومن حبب اليه مثل ذلك في مثل سنه فكيف يكون بعد ذلك .

وسمعت شائعا ان الشيخ والفقيه سيدي محمد بن عبد الله الالغي والقائد سعيدا المجاطي اكرموا يوما طلبة مدرسة (تانكرت) ـ وقد كانوا ثلاثتهم اذ ذاك هناك ـ فقال لهم الطلبة ليقترح كل واحد منكم بنفسه ما يتمناه ، لندعو الله ان ينيله اياه ، فقال الفقيه إنني اريد مقاما كبيرا بين الناس بالعلم ، وقال القائد انني أحاول رياسة كبيرة استولي بها على الناس وقال الشيخ احب مقاما عاليا في معرفة الله تعالى ، فدعا لهم الطلبة بما شاءوا ، فسبق القضاء فنال كل واحد واحد منهم ماتمناه ، اقول : انني سمعت هذا شائعا ذائعا ولم اروه بسند متين متصل .

واخبر ثقة ان من عادة الشيخ حين كان في المدرسة التانكرتية حضور مجلس الرجل الصالح سيدي المدني بن احمد الناصري ، وقد كان يعقد مجالس مخصوصة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ينتقي لها الاخيار ، فكان الشيخ ممن انتقى لذلك من بين طلبة المدرسة .

الفصل السادس في اعتناق الشيخ الطريقة الدرقاوية بعد الناصرية

ذكر الشيخ في بعض رسائله انه كان يذكر اوراد الطريقة الناصرية ، ولم ادر الى الان عمن تلقن اورادها . لان العادة تقتضي ان لا يذكر ورد طريقة من الطرق الصوفية الا باذن خاص من احد اهلها ، ولذلك قلنا لابد ان يكون للشيخ استاذ يلقنه الناصرية وان جهلناه الان ، وقد ذكر الشيخ في بعض مخطوطاته انه تلقن الناصرية سنة 1286 هـ، ولا يبعد ان يتلقنها من سيدي المدني الذي نراه يصاحبه هناك . وقد كان الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم انخرط في الطريقة الدرقاوية على يد شيخها بسوس اذ ذاك سيدي سعيد ابن محمد المعدري ، فتبعه غالب الطلبة وممن كانوا صاغيته ، فكان شيخهم المعدري ينتاب اتباعه هؤلاء ، ويتردد اليهم لارشادهم وتربيتهم ، فكان ذلك سبب انخراط الشيخ الالغي في تلك الطريقة .

وذكر لي سيدي بريك بن عمر انه سمع من كبار الفقراء القدماء ان الشيخ سيدي سعيدا المعدري جلس يوما في مكان بتانكرت ، وقد ورد اليها في طائفة من اصحابه ، فمر

به الشيخ الالغي وهو شاب في زي الطلبة ، فأثبت فيه الشيخ المعدري بصره ، ولم يزل كذلك حتى غاب عنه ، فالتفت الى بعض جلسائه فقال له ان هذه الذات يعني ذات المار بهم لا تصلح الا للنور ، ثم لم ينشب الشيخ الالغي ان انخرط في أصحابه في اليوم نفسه ، قال الحاكي ثم إنني بعد حين سمعت الحكاية من فم الشيخ نفسه .

وأخبرني شيخي وولي نعمتي سيدي سعيد التناني رضي الله عنه . أنه سمع من الشيخ الالغي سنه 1305 ه أنه لما أخذ الشيخ سيدي سعيد المعدري بلبه ، صار يتردد اليه ويضع في يده قرشاً من الفضة ، ويطلب منه الدعاء ، ويقبل يده ، ففعل ذلك مرات متوالية الى أن انفد ما عنده من القروش . فوضع في يده القرش الاخير ، وترك يده في يده وقال له خذ بيدي لله ، فاذ ذاك لقنه الذكر وعلمه ذكر الاسم المفرد (الله) ثم لم يقم امامه حتى أحس بشيء آخر لم يكن يعتاده من نفسه وذلك في سنة 1289 ه كما ذكره الشيخ نفسه في بعض مخطوطات من رسائله .

أقول قد الم الشيخ بما يشير الى هذه الحال في (رحلته) الحجازية ، وذكر أن شيخه صار يقول له بعد : ليس هناك الا تلك النظرة ، يعني أنها أساس كل ما يظهر بعدها . ثم ان الشيخ لم يكد يتصل بهؤلاء الصوفية حتى غلب على حاله ، واعتراه الجذب الشديد . حتى كادت ذاته تذوب ، فصار الفقراء يلقونه في نطفية من الماء غطساً ، ثم لم تفتر هذه الحال منه الا بعد اسابيع ، وقد بقي كذلك لا يأكل ولا يشرب ، وقد حاول الفقراء أن يلعقوه يوماً حليباً فلا يكاد يسيغه حتى يجيش بلفظة (الله) فيمج الحليب ، والمكان الذي تلقن منه الشيخ الالغي اذكار الطريقة من الشيخ المعدري معروف الى الان في بيت بدار سيدي مولود في قرية أكادير من قبيلة (إداوشقرا) احدى قبائل وادي افران .

وقد الم الشيخ بهذا الذي وجده في نفسه بعد ان لاقى الشيخ الحي ، فذكر انه لم يتفق له قبل مع ولوعه بكثرة العبادة والمجاهدة ، ويقول الصوفية ، أن السر في تلقيح الارواح بالاذكار لا في الاذكار وحدها .

ثم أن الشيخ أقلع عما هو فيه من القراءة وتتبع الدروس ، فتبع شيخه الى الزاوية بالمعدر ، ثم ساح مع الفقراء الى ماسة ، عازما على ان يطلق كل ما كان فيه من مزاولة اخذ العلوم ، ومعلوم من قديم ان لذة الاذواق الصوفية تنسي اذواق العلوم الظاهرة ، ولذلك قال ابن عرفة : اذا رأيت طالب العلم ينتاب الصوفية فاعلم انه لا يأتي منه شيء ، يعني لايستتم ، لان ذوق الصوفية يجتث من قلبه ذوق فنون العلوم ، كما وقع ذلك للعارف ابي زيد الفاسي حين طاف به اخوه وشيخه ابو المحاسن . فطار به الى التصوف بعد ما كان منهمكاً في العلوم الظاهرة ، كما هو في التاريخ معلوم ، «وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» ويقول الصوفية ان اراد الله الانسان للخير شغله بتحصيل العلوم الشرعية في وقت غفلته ، ليجدها حرزا واقية ، ونورا تاما ، حين يقبل على علوم القوم ، وهي كلمة حكيمة منهُم رضي الله

عنهم ، وقد كان لقي الشيخ الالغي بالشيخ المعدري في حدود 1289 هـ .

« الفصل السابع في مراجعته للدراسة العلمية حتى استتم تفوقه في العلوم »

ثار ثائر اهل الشيخ حين بلغهم ما وقع لولدهم حتى فارق دراسته التي هو بصددها ، وحتى صار يوسم بالمجنون المخبول ، وقد انخرط في اصحاب المرقعات المشائين في الطرقات ، الصارخين بالاذكار صراخ من تصرعهم الجنة ، وحالت بينهم وبين شعورهم ، وقد كان اهل سوس لا يعرفون من التصوف الا التصوف الناصري وحده ، ولا ريب ان للطريقة الناصرية روعة ورونقا ، لانها صافية الموردمونقة المظهر ، لا ينكر في ظواهرها منكر ، ولا يجد المتغالي في العلم الظاهر منها مغمزا ، وقد أخذها خلف السوسيين عن سلفهم ودرج عليها الشيخ ونشأ فيها الشاب ، واتفق على تفضيلها العالم المدرس ، والفقير الامي المنقطع الى العبادة ، ولذلك يعذر السوسيون اذ ذاك حين جاءهم من هذه الطائفة الدرقاوية الجديدة ما لا يعرفونه من أحوال واذواق وتربية ومشرب جديد ، فقاوموها بانكار تام ، وقد رأيت للاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي المتقدم الذكر ما يدل على تلك الظاهرة التي ستولت على سوس اذ ذاك ، فقد وقفت له على اجازات من مصر في احوال الصوفية الشاذلية الدرقاوية ، ولا ريب انه ما اعتنى بها الا ليدلي بها الى من كانوا يعلنون عليه وعلى امثاله الانكار ، ليعرفوا انهم انما جهلوا ذاك فانكروه ، ومن جهل شيئا عاداه .

بادر والد الشيخ الالغي سيدي احمد بن محمد الى استرداد ولده الى القراءة فلحق به بين الفقراء السائحين . فأبى أن ينقاد له ، حتى استعدى عليه شيخه المعدري ، فأمره بالرجوع مع والده ، وأمره أن يراجع الدراسة العلمية وأن يقف عند ارادة والده .

حكى لي العم ابراهيم قال : رجع الشيخ مع والده وقد لازم الصمت ، ولا ينطق ببنت شفة ، ولا يرجع اليه قولا ، ولا يحير اليه جوابا ، فصار يلومه اشد اللوم في اعتناقه هذه الطريقة الجديدة التي لم يجد عليها الاباء ولا مشى عليها الاسلاف فاكثر عليه من ذلك وألح عليه ان يذكرماعسى أن يستميله من حالته الجديدة، وأي ربح وجده فيها، مع ان الاباء ما درجوا فيها ولا طافوا بها ، ولا الموا بأمثالها ، ويكفي من الخسران كون هذه الطريقة حالت بينك وبين العلم الذي كنت في مزاولته ، قال ، وبعد لاي قال له الشيخ وهما في وسط الطريق ان الانسان لا يتوجه الى شيء حتى يجد حلاوته ، والا فلماذا انت صرت تتجر في كذا وكذا من غير ان يكون اسلافك يتجرون فيه ، فما ذا وجدت في ذلك من حلاوة ؟ ورأيته فيه من الربح ، فقال ابوه انني اذهب بتلك السلعة واستبدل بها الزبيب والتين اليابس لتتفكهوا بهما في داركم ، فقال له الشيخ فهكذا انا ايضا ، وجدت حلاوة ما انا فيه ورأيت له ربحا عظيما ، ولذلك اخترته لنفسي فلا لوم علي - في حكاية اختصرنا منها - .

ثم ان الشيخ الحقه والده بالمدرسة (الادوزية) عند الاستاذ شيخ الجماعة ابي عبد الله سيدي محمد بن العربي الادوزي ، وذلك في حدود اوائل 1290 هـ فاقبل على المجاهدة في

حذ حفظا وتفهما وتعليقا، وقد وقفت له على ما يدل على نشاطه في النساخة في هذا الحين ايضاً في الحفظ للمتون ، ومما حفظه التسهيل لابن مالك ، ولم يزل في اكباب حتى نال الشفوف على كل اقرانه ، ولذلك استخلفه الاستاذ على متابعة دروس المدرسة العليا للطلبة الكثيرين المتعرين للمائة يوم سافر الى مراكش مع الشيخ ابي علي التمكيدشتي سنة . 1293هـ .

أخبرني الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح التازاروالتي قال: كنت التحقت بالمدرسة الادوزية منذ قرنا في مدرسة تازاروالت - وذلك في نحو 1286 هـ - ولم ازل هناك حتى التحق بنا الشيخ بعد حين ، فلم يزل في تفوق حتى استخلفه شيخنا سيدي محمد بن العربي يوم سفره الى مراكش ، وقد وقفنا مصطفين امامه للوداع ، فلما رجعنا آنست من الطلبة انفة من ان يتقدم مثله عليهم ، وان يجلسوا امامه للاخذ عنه ، فخلصوا نجياً ، يحلفون على انهم لا يقرونه وحوز هذه المنقبة ، قال فحين شاهدت القوم نفسوا عليه ما اكرمه الله به من الشفوف عليهم ، وخفت الفتنة ، وعلمت ان هناك من جهال الطلبة ونتاكهم من لا يخافون الله ، ولا يرعون الا ولا ذمة ذهبت اليه ، وطلبت منه ان يتأخر عن مكان التدريس ، وقلت له انني وأمثالي نأتي الى بيتك لنأخذ عنك ، وكذلك فعلنا فافتتحنا عنده (دالية اليوسي وغيرها .

وأخبرني العم ابراهيم ان الشيخ رجع الى داره في هذا الطور بعد حين فسافر الى مراكش ببغلة اهله ، فباع هناك شيئا فاشترى بعض كتب ، ولما رجع الاستاذ من سفره رجع الى هناك ايضا ، حيث بقي الى أواخر 1294 هـ فودعه الاستاذ واجازه باجازة عامة . كنت رأيتها بخط المجيز مؤرخة - كما في علمي - بالسنة المذكورة ، وقد تلفت مني نسختها .

« الفصل الثامن في بعض ما يتعلق به في هذا الحين »

حكى لي سيدي ابراهيم بن صالح قال : رأيت اذ ذاك من الشيخ انزواء كثيراً عن الطلبة أكثر من انزوائه المعهود دائماً ، وكان اذ ذاك كثير البكاء ، لا يفتر عن العبرة فقلت في نفسي . لا أحسب سيدي علي بن أحمد الا أنه كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً حتى غلب عليه الشوق ، واستولى على قلبه الهيام ، فكثر بكاؤه ، ويجري في كل وقت دمعه ، فتحينت وجوده في بيته الذي يختلي فيه وحده، فولجت عليه اتطلب منه الاخوة لله فما كاد يسمع مني ذلك حتى جاش ثانياً بالبكاء الكثير والشهيق حتى رحمته ولم يجبني ببنت شفة ، وبعد حين خرجت عنه ، وبعد ما مر زمن استدعاني فواخاني لله ، والحمد لله ، قال فذلك هو أصل ما بيننا اليوم ، قال وقد كنت اذ ذاك اجاريه في العبادة لئلا يسبقني ولكن ابى الله الا ان يجعله من الاعلين السابقين ، «وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» .

وحدثني من لا أتهمه منفقها (أملن) انه سمع الفقيه سيدي عمر التيملي نزيل مدرسة (يكضي) يقول كنت رأيت حيناً من سيدي علي بن احمد الالغي . ونحن بالمدرسة الادوزية

ضحكاً كثيراً وكثرة هذر بين الطلبة ، فاشمأزت نفسي منه ، حتى اني اقول لرفيقي سيدي ابراهيم بن صالح التازاروالتي لا ترافق بعد هذه الساعة سيدي علي بن احمد الى بيني لما فيه من كثرة الضحك والكلام المسترسل ، وقد استدعى انسان الطلبة الى داره جوار المدرسة فذهب كل الطلبة سواي ، وما منعني من الذهاب معهم الا سيدي علي الكثير الضحك والكلام ، اقول: ان سيدي عمر هذا عاد بعد الى صحبة الشيخ حتى عد من اتباعه وذلك لاجل ما بينه وبين سيدي ابراهيم بن صالح من الصداقة ، فقال له يوماً سيدي ابراهيم في داره بتازاروالت بعد ان اخذ عن الشيخ ولهج به ، اما ان توافقني في الاخذ عن الشيخ واما أن تفارقني مفارقة ابدية ، فأطاعه سيدي عمر . فتلقن العهد من الشيخ امام دار سيدي ابراهيم ، كما أخبرني بذلك سيدي بلعيد الصوابي رحمه الله ، وقد كان حاضراً ، ثم لم يزل على عهده ، يرد عليهما الشيخ في المدرسة ، وربما ورد هو على الشيخ ، إلا انه لم يفارق حالته التي كان عليها من ملازمة المدرسة والتدريس ، وكان يقول بعد انني لاخجل من نفسي كلما ذكرت ما كنت أرمي به الشيخ اذ ذاك ، ويستغفر الله مما صدر منه .

ثم ان هذه الاحوال التي كانت تختلف على الشيخ يقول الصوفية: إنها تأثرات بالمقامات المختلفة التي يمر بها المريد في سير السلوك الذي هو بصدده ، فمقام يقتضي الانقباض التام والانزواء والبكاء ، ومقام آخر يتجلى فيه الانبساط والسرور . ولا يجد صاحبه بدا من الضحك الكثير وكثرة الكلام ، ولولا ذلك لمتزقت ذاته بما يشعر به ، والقوم ادرى بأحوالهم ، وأهل مكة ادرى بشعابها .

هذا وقد كان الشيخ يختلف اذ ذاك دائماً الى شيخه بالمعدر فينة بعد فينة ، ولا يكاد يغب ذلك ، وكان يتحفه بما تيسر من التمر من عند اهله ، ومما وقع له اذ ذاك مذاكرة طويلة جاذبتها بينه وبين رفيقه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ، احدى صواحب الشيخ سيدي سعيد بن محمد بأمر منه ، فرأى الفقيهان من الفقيرة الامية ما بهرهما من من المعارف الربانية ، ومدار المذاكرة كان حول المعرفة بالله ، وقد كانا سألاها عن كنهها فقالت لهما : انني لا اقول لكما الا ما قالته بنية لي ايقظتها يوما من مرقدها : لقد ايقظتني يا امي من نومة لها حلاوة عظيمة ، فقلت لها كيف حلاوتها يابنية ، فقالت نامي مثل ما نمت تذوقيها ، فكذلك انتما افعلا ما يطلب منكما تذوقا حلاوة معرفة الله تعالى ، وهي حكاية مشهورة : أخبرني بها من كانوا يعيشون اذ ذاك ، وقد كان الشيخ ورفيقه وردا على شيخهما ، فجلسا في ظل جدار زاويته ، فأمر الفقيرة ان تخرج اليهما وتذاكرهما في حكاية مبسوطة اكثر مما تقدم ولكن هذا لبها .

« الفصل التاسع في مشارطة الشيخ في المدارس وتدريسه فيها »

غادر الشيخ المدرسة الادوزية نحو سنة 1294 هـ فأوى الى اهله ، فصار يعين اباه في

ـض شؤون الاسرة ، وقد كـان الناس في تلك السنة وما بعدها في مشقـة مسغبـة شديـدة ـرث الناس فلم يحصدوا شيئا ، فذهب الشيخ الى معدر درعة ازا" (تامانارت) ، فاشترى هناك حبوبا وأشيا" اخرى بدراهم من سيدي محمد بن علي الكوسـالي السملالي مقارضة ـنها الربح ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة (فوكورض) في قبيلة ايت صواب ، وكـان دخوله تلك المدرسة يوم الاثنين مفتتح جمادى الاولى سنة 1296 هـ كما وجدته بخط الشيخ نفسه رضي الله عنه ، فقضى هناك سنة تامة ملأها تدريسا واكبابا على تعليم من عنده من الطلبة ، ـد عرفنا بعض من يأخذ عنه اذ ذاك ، ومن بينهم الشريف الصالح مولاي محمد البوزاكارني من اشياخ الطريقة الدرقاوية ، وقد توفي اخيراً في 23 من رمضـان سنة 1363 هـ ، وقـد حكى لي سيدي بلعيد الصوابي ان معرفته بالشيخ ابتدأت من ذلك الحين وذكر انه كـان ـعظ الناس في كـل فرصة سنحت بمثل هذا الوعظ الذي صار يعظهم به بعد ما تصدر للتربية، ـد كـان منذ ذلك العهد يلهج في كل وقت بارشاد الناس الى ربهم لهجا يتعجب منه عارفوه" ثم بعد ان استتم السنة هناك استدعاه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الالغي ، فاستنابه في المدرسة (البومروانية) بقبيلة سملالة، ليتم له سنة بقيت في مشارطته وذلك في سنة 1297هـ. والفقيه الالغي كان يشتغل اذ ذاك ببنا" (المدرسة الالغية)، فبقي الشيخ هناك يدرس الفنون التي كان يدرسها الفقيه قبل ، مقتفياً خطاه فيما وصلته الانصبة ، وقد كـان هناك العـلامة الاديب سيـدي العربي الساموكني ، والفقيه المـدرس سيدي علي بن عبد الله الالغي . ومن في حلبتهما اذ ذاك ـد أخبرني العم ابراهيم ان انتفاع الاستاذ سيدي علي بن عبـد الله الالغي بالاخذ ابتدأ من ذلك العهد ، فقد كـان قبل يلهج بغير القرا"ة من التجارة ونحوها ، فحين اتصل به الشيخ ـال به الى الاكباب على اتقان ما يأخذه ، وكـان يسهر معه الشيخ في اعداد الانصبـة ، ويؤاخذه بمعاودتها ، ولم تمض تلك الشهور حتى استيقظت همته فنال بذلك ما نال .

« الفصل العاشر في الانقطاع الى شيخه المعدري وتجريده بين يديه »

كـان الفقيه سيدي الحـاج الحسن التاموديزتي انقطع الى الشيخ المعدري قبل هذا الحين . فصار بين المتجردين في زاويته، وبين السائحين في طائفته ، فبات الفقرا" ليلة في المدرسة (البومروانية) عند استاذها الشيخ الالغي ، ولما خرجوا منها كـتب الفقيـه التامـوديزتي الى الشيخ الالغي يعذله على ترك المشرب الصوفي ، واشتغاله بما هـو فيـه ، فهز اوتـار فـؤاده برسالة تمثل اخيرها بقول الحراق :

والفتى من سلبته جملة ✡ لا الذي تسلبه شيئا فشي

فهكذا هبت ريح الهيام ثانيا بالشيخ الالغي، بعد ما مشى خطوات في طريق الفقها" وتزيا ظاهره بزي العلما" ، ولم يكن قط منقطعاً عن زيارة شيخه في كـل وقت ، الا ان وجهته ـمعا الى العلم وأهله ، اتباعاً لما امره به شيخه المعدري ، ليطيب خـاطر والده ، وتقر عين ـرته بعالمها الجديد ، ولا ريب ان كـل من شرب التصوف فانه يرضى بكل مقام اقامه

فيه مولاه ، فلا يرضى لنفسه غير ما رضيه له مولاه . فالالتفات الى التجريد مع اقامة الاقدار له في الاسباب انما هو حظ من حظوظ النفس ، وكذلك العكس ـ كما يوجد معناه في الحكم العطائية ـ ولهذا استقر الشيخ الالغي كل هذه السنين ، الى ان وصل الوقت ، وأجنى الثمر، وروق الشراب فأهاب به داعي التجريد من باطنه ، بعد ما حركت منه رسالة التمدزتي ما سكن .

وذو الشوق القديم وان تعزى ☆ مشوق حين يلقى العاشقينا

التحق الشيخ بزاوية المعدر . فانخرط في زمرة المتجردين ، فالقى عنه زي العلماء . فأزال الرداء والسلهام والعمامة ، فجال في مرقعة وسبحة كبيرة وعكاز ، فاقبل على شروط الفقراء من صمت وجوع وذكر وعزلة ، بهمته المعروفة التي يضرب بها المثل ، فكان هو واخوانه يقومون بشؤون زاوية شيخهم ، حرثا وحصاداً واحتطابا وبناء وكل شيء ، بخدمة الاشياخ يفلح المريدون ـ كما هو معلوم عند الصوفية من قديم ، أخضع لرقبة واحدة تخضع لك الرقاب والزم باباً واحداً تنفتح لك الابواب ـ .

ذكر لي ثقة ان أصحاب الشيخ المعدري حكوا له أنهم كانوا مرة يحصدون في الهاجرة في الرمال الممتدة حوالي قبة سيدي عبد الله بن سعيد بالمعدر ، فجاءهم شيخهم ، فوجدهم في مشقة ، وقد سالت أيدي الفقهاء البضة الرقيقة دماً ، لغلط سوق الزرع . وهم يقطعونها بأصابعهم ، فلم يملك عينه شفقة وحناناً ، فقال لهم والله لو علمت سبيلا يؤديكم الى ما تريدون مني غير هذا لما تركتم وهذه المشقة الفادحة ، ولكن لا اعلم غير هذه السبيل لنيل ما تريدون ، واحب الاعمال الى الله أحمزها أي أشدها يروى في حديث . أقول : ان الباب الذي فتح فيه سيدي سعيد هو باب الخدمة لشيخه . ولذلك يرى أن لا فتح لاصحابه الا من هذ الباب ،

كان الشيخ سيدي سعيد كثير الشفقة على أصحابه ، فقد خرج يوماً فوجد الشيخ الالغي مضطجعاً تحت جدار الزاوية . وقد وصلته شمس الظهيرة في الصيف، فبادر فاظله بردائه ولم يوقظه ، ففهم من ذلك أصحاب الشيخ ما فهموا، وكان الشيخ سيدي سعيد يسيح بأصحابه هؤلاء الى وادي نون فافران فتامانارت فأقا احياناً ، واحياناً يسيح بهم الى هشتوكة ويطلعون مع هوارة فرأس الوادي فجبل درن ، أو الى حاحة فإداوتنان ، وكان يرشد الناس الى الله، ويصطاد الغافلين الذين كتب لهم على يده الفتح المبين ، وكثيراً ما يبقى الشيخ واصحابه اياماً متوالية . يطوون سغبا ، ثم لا يبالون ، وكان اذا اراد ان يذاكر احد العلماء يدني اليه الفقهاء الذين معه كالتاموديزتي والشيخ الالغي وامثالهما لان الشيخ المعدري امي لا يقرا ولا يكتب ، ولكن قد يحضر عنده من بين اصحابه الكثيرين زهاء اربعين من العلماء ، فيبهرهم ما يرونه منه ، ولكن مع كل هذا لم يخل من منكرين يشددون عليه النكير كامثال علامة جزولة الاستاذ الكبير سيدي محمد بن العربي الادوزي . فانه كان

يجاهره دائما بانكار ما كان عليه ، وخصوصا حين استتبع من الفقهاء من تلاميذ الاستاذ كثيرين كالتاموديزتي والشيخ الالغي ، وقد اخبرت ان الشيخ الالغي والتاموديزتي زارا مرة شيخهما الادوزي هذا وفي العشية قال لهما ، قد كنا جميعا على امر يجمعنا كلنا وهو العلم فما هذا الذي اخترتموه بعد العلم؟ فأروني ما هو ؟ ، فان كان حقا اتبعناه كلنا ، وان كان باطلا نبذناه كلنا ، فلا خير في ان نتفرق بعد ان ائتلفنا ، ثم قال لهما تأملا في ذلك ، وفي الصباح نجيل المذاكرة في هذا الامر ، فلما ذهب عنهما الاستاذ قال التاموديزتي لصاحبه تعال لنتفق على ما ذا نجيب به الاستاذ صباحا فقال له الشيخ لا جواب عندنا الا ان لا يجدنا هنا صباحا ، فان ما سيقوله لنا قد عرفناه ، ولكنه لا يمكن ان يدرك ما نقوله له نحن، فلا فائدة في محاورته ، فنحن نعذره وهو يعذلنا .

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني ✡ او كنت اجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ✡ وعلمت انك جاهل فعذرتكا

واخبرت ايضا ان الاستاذ كتب رسالة الى الشيخ المعدري يشدد عليه النكير فيما هو فيه مع اصحابه ، فارسل اليه الشيخ باننا سنجيء كلنا الى حضرتك ، ثم وردوا عليه بعد بزعم الحاكي ان الاستاذ تراجع بعد ذلك عن هذا النكير ، الا ان هذا الرجوع من الاستاذ غير صحيح لما سيرد بعد ، بل لم يزل لهجا بذلك الى ان اورث ذلك بعض اصحابه كالفقيه الاكراري . فكتبوه في كتبهم ، والذي ينكره الاستاذ هو بعض مظاهر في الطريقة الدرقاوية لم تكن مألوفة في الطريقة الناصرية .

الفصل الحادي عشر في خرق الشيخ العادة في الاسواق وفي قريته

من الاصول عند الصوفية اصحاب التربية الاصطلاحية ان الباطن عند المبتدئين لا يعمر غالبا الا بخراب الظاهر ، وان الفتح لا يقع الا لمن تهذب وتربت نفسه حتى لا يطلب مقاما مستترا ولا يريد علوا في الارض ، ومن اقوالهم ايضا : كل ما لا يدفن في التراب لا ينبت، وذلك كله يدندن حول التواضع التام ، والمسكنة والموت المعنوي ، ويقولون ان الجنة لا تحصل الا بعد الموت الحسي ، فكذلك جنة المعرفة بالله لا تنال الا بالموت المعنوي ، وهذا امر اتفق عليه فلاسفة الاخلاق ، وعلماء الارواح ، واساطين الصوفية ، ولذلك يكون هذا هو محور التربية الصوفية اعني التربية الاصطلاحية ، التي ذكرها الشريشي في (رائيته) وامثاله من المؤلفين في شرط الوصول ، كالقشيري والغزالي والمكي وابن البناء والسهروردي والشعراني وامثالهم .

وخرق العادة عند القوم يعنون به ارتكاب بعض امور تجتث جدور التكبر من النفس لينفتح لها الباب الى الوصول الى المقصود ، ويقول القوم ان الله اقرب الى عبده من حبل الوريد ، ولا ياتي الحجاب الا من النفس المولعة بالحظوظ والشهوات والكبرياء ، فلا بد من

قمعها . وكسر شدة جبروتها ، ليزول الحجاب بين العبد وبين ربه ، وقد كان مولاي العربي الدرقاوي ومن بعده في طريقته يأمرون بعض اصحابهم بان يتكففوا في الاسواق، وان يلبسوا الرث البالي من الثياب ، ريثما تزول تلك العلة ، ثم يأمرونهم ان يراجعوا حالتهم المعتادة ولكنهم لا يامرون بذلك الا من آنسوا منه بعض كبرياء وزهو فهو دواء خاص لمن فيه مرض الكبر واما من ليس فيه ذلك فانهم يتركونه على حاله ، وعلى هذه الوتيرة يربي الشيخ المعدري اصحابه فقد حكى الفقيه العارف بالله سيدي محمد بن مبارك الدشيرى المعدري ، انه كان بعد ان اخذ عن الشيخ المعدري يتردد عليه في هيأة سنية عطرة ، وهو معجب بزيه ، قال فتناول الشيخ يوما لفتا ملطخا بطين لا يزال يقطر ماء احمر ، فامرني ان احمله على كتفي الى داري بالدشيرة ، فشق ذلك على نفسي مشقة عظيمة ، ولكنني تحاملت عليها فرفعت اللفت على كاهلي وهو يقطر على كسوتي البيضاء فمررت بين الناس كذلك وانا اعاني من نفسي ما اعاني، ولكن ما اوصلت ذلك الى داري حتى انفشت نفسي ، وصار كبرها هباء منثوراً من ذلك اليوم ، فداواني الشيخ . وفتح لي هذا بابا كان امامي مغلقا.

فكذلك امر الشيخ المعدري تلميذه الشيخ الالغي بان يخرق العادة ، فدار متكففا في سوق الاثنين بأساكا ازاء وجان - وهي سوق مندثرة الان - ثم ورد الى قريته ففعل فيها مثل ذلك .

حدثتني والدة الشيخ السيدة (تاكدة) عن ذلك قالت: بينما نحن جالسون اذا بمخبر اخبرنا ان ولدي عليا يدور متكففا في ابواب الدور بايت ونقا . ثم في قريتنا ، فاسرع اليه احد اخوانه وهو سيدي محمد المتوفي 1329 هـ فلطمه لطمة منكرة فساقه ثم وضعه في قيد فصار يصنع ما يصنع من به جنة، فصار يصرخ ويقول قد فتكبي الجوع. فاطعموني ايها الناس لوجه الله ، يكرر ذلك بملء فيه، قالت فصرت اقرب اليه كل ما اعرفه يؤكل مما عندنا وفي دارنا والحمد لله كل خير، وهو لا يبالي بذلك، ثم سهوت عنه ساعة فاذا به في وسط القرية يصرخ بالجوع، ويقول من يطعمني لوجه الله الكريم؟ فاتينا به ثانيا، فبقى اياما، وفي صبيحة يوم دخلت عليه فسلم علي سلام من له عقل تام ، ثم قال : يا امي ما هذا الذي صنعتم بي حتى وضعتم القيد في رجلي ؟ فقلت له ، انك ياولدي صرت مخبولا لا عقل لك ، فقال : لكنني الان صار عقلي تاما ، ففرحت وناديت والده فاسرع بالحداد فأزال عنه ما في رجله ، فلبس كسوة حسنة وتردى برداء جميل ، فقلت الحمد لله قد برىء ولدي مما اصابه ، فارسلت الى صهري الفقيه سيدي محمد بن عبد الله فاتى الينا ، فجالس ولدي فطعما وشربا ، ثم اصطحبا معا الى دار الفقيه، وبعد زمن جرت الي احدى جاراتنا تقول: ان ولدك قد رايته يذكر الهيللة متوجها الى ايت ونقا، فثار ثائري ، فقلت : ان داءه قد عاوده ايضا ، فركبت على بغلتنا الاحق به في زاوية المعدر ، وانا اعلم انه لا يذهب الا اليها، وقد تركت اباه مريضا، فبت عند بعض معاريفنا في (تيغمي) ، وفي الصباح مر بي راكب اخبرني بوفاة ابيه احمد ، فحرت في

مري ، ولم أدر ما أصنع ، فهذا زوجي متوفى يقبر ، وهذا ولدي مجنوناً مخبول اللب يعسف في البلدان ، فواحسرتا ، ثم بدا لي ان ارجع الى الدار ، وان اذر ولدي في يد الله .

أقول : هكذا سمعت الحكاية من الجدة ـ مختصرة ـ وقال غيرها ان الشيخ كان يخرق العادة في السوق وفي القرية وفي موسم تازاروالت ، وعلى كتفه جراب مثقوب الاسفل ، فكل ما اعطاه الناس والقاه فيه يسقط على الارض ، فيلتقطه الصبيان الذين يتبعونه، وبهذا الفعل صح عند أهله ان عقله مخبول، وانه ممسوس بالجنة، ولكن الشيخ عرف ما طلب، ومن عرف ما طلب هان عليه ما بذل ، ويقول الصوفية ، كيف تخرق لك العوائد ، وانت لم تخرق من نفسك العوائد ؟ وقد صنع الشيخ هكذا ايضاً في وقت آخر اذ ذاك في ازغار فقال شيخه المعدري انه لا يحتاج بعد الى ذاك . فمرآته صافية ، ونطفته لا كدر فيها .

« الفصل الثاني عشر في سفر الشيخ الى جبالة وزيارته زاوية مولاي العربي »

في سنة 1239 ه بعث سيدي سعيد المعدري سبعة من كبار اصحابه وعلى طليعتهم الشيخ الالغي ليزوروا الزاوية الدرقاوية الاصلية في بني زروال وراء فاس فسلكوا طريق ... فازمور فالشاوية فالرباط وسلا ، فمروا بفاس فوقعت لهم في فاس عجائب ، منها انهم زاروا اولا الضريح الادريسي فاخبرني سيدي مولود اليعقوبي انه سمع الشيخ يقول : اننا بعد ما جلسنا امام الضريح ناداني المولى ادريس من ضريحه فقال يافلان انتم اضيافي فغلب علي مقام الفناء في الله وحده فقلت له بل نحن اضياف ربنا تبارك وتعالى . فكرر علي ثلاثا . وفي كل ذلك اجيبه جواباً واحداً ، ثم خرجنا من الضريح ونسينا دفتراً صغيراً كتبت فيه اشعاراً صوفية، وقصائد من كلام القوم ، ثم ساقه الله لنا على يد من انزلنا الله عليه ضيوفا ، فقد وجده يباع في السوق فاشتراه واتى به الينا ، من غير ان يعلم انه لنا . فردت الينا بضاعتنا بفضل الله ، وحدث غير الشيخ من رفاقه كما حدثني به ثقة قال اوينا الى مكان مهجور من الامكنة التي يأوى اليها الغرباء ، فانتشرنا في زواياه وأطرافه فاقبلنا على ذكر (الله) بتشخيص حروفه ومدها امتداد النفس سرا، ونحن صامتون ، فبقينا ما شاء الله ، حتى قام الينا انسان من بعض زوايا المكان ، كان في مثل ما نحن فيه ، فجعل يسالنا من نحن؟ فلما اخبرناه باننا فقراء سوسيون، قال انكم والله ذكرتموني احوال اصحاب مولاي العربي الكبار بسمتكم وهيأتكم ، ثم ذهب بنا الى منزله ، فقام بضيافتنا مدة مقامنا هناك ، اقول انه خليفة الشيخ سيدي الخضر من مشائخ الدرقاويين الحراقيين بفاس ، ففي بعض رسائل الشيخ وهو يذكر علو الهمة ، الماع بما وقع لهم اذ ذاك بفاس ، فذكر ان خليفة الخضر الشيخ الدرقاوي الفاسي الشهير هذا الذي آواهم اعجب بحالهم لما رآهم على ما هم عليه ، فكان ذلك هو السبب حتى لم يسرحهم الا بعد ايام غير قليلة ملأوها ذكرا ومذاكرة .

اقول اخبرني الشيخ العطار شيخ زاوية من الزوايا الدرقاوية الحراقية الفاسية سنة 1343ه

انه كان محافظاً على رسالة بخط الشيخ الالغي . كتبها اذ ذاك الى فقراء فاس بعد ما فارقهم اذ ذاك ، وقد اعجبوا بحاله وبحال اصحابه ، وقد ذكر العطار ما يدل على ان صدى تلك الاجتماعات الواقعة سنة 1299 هـ لايزال يرن سنة 1343 هـ، وقد اخبرني مخبر اخاله لا يكذب ان الشيخ مع رفقته حين رجعوا من بني زروال مروا ايضاً بالشيخ سيدي محمد بن ملوك في (كرمت) ويذكر ما وقع بينهما مما لا استوعبه .

ومما وقع للشيخ بفاس آنذاك انه حضر في مجلس العلامة الشهير سيدي محمد بن المدني كنون . وقد كان مشهوراً بالانكار على الصوفية . كما هو معلوم ذائع ، فحين انفتل كل من في المجلس سأل الاستاذ الشيخ الالغي الذي لاحظه يتتبع تقرير الدرس مع انه ليس في زي العلماء ، بل في زي الفقراء المتجردين . اصحاب المرقعات ، انعرف ما نقول ؟ فقال له نعم ، فقال ولماذا اذن توخيت هذه الهيأة المشنوءة الزرية عن هيأة اصحاب العلم ، ام تريد ان تدعى مقامات الصوفية الاولين كما هو شنشنه امثالك ؟ فقال له الشيخ لو كان كل من لا ينال من مقام من المقامات سناءه يتركه بالكلية اقلنا ان مثل حضرتكم ايها الاستاذ ايضاً يتزيا بزي العلماء المتقدمين امثال ابن القاسم ، وان كان دونه بمراحل ، فدارت محاورة بينهما اختصرنا منها وهذا لبها ومرماها .

ثم وصلت الرفقة الى زاوية مولاي الطيب ابن مولاي العربي حيث يقطن رئيس الزاوية اذ ذاك ابو زيد مولاي عبد الرحمن ابن مولاي الطيب ، فأوصلوا ما في أيديهم مما اصطحبوه من سوس هدية الى الزاوية . ومن بين ذلك سطل كبير لتسخين ماء الوضوء لا يزال يذكر الى الان هناك ، ولا يزالون يحافظون عليه ، ثم استراحوا من وعثاء السفر فتطلبوا عملا يعملونه ، لان من مبادىء الصوفية ان الخدمة للمشائخ مفتاح باب معرفة الله تعلى ، وقد كانوا تعودوا الخدمة في زاوية شيخهم بالمعدر ، فرأوا ان الماء قليل . فتحينوا محلا تحت مشهد مولاي الطيب ، فصاروا يحفرون فيه بئراً ، وبعد ما بلغوا مقداراً غير عميق ، طلع الشيخ الالغي الى ما فوق البير في هاجرة ، فنام نومة قليلة ، ثم لما استيقظ نزل الى البير وهو صامت لا يحدث احداً كما هي عادته كل تلك الايام ، فتناول الفاس من يد احد الحافرين ، فصار يحفر في شفير البر ، فصار الفقراء ينادونه ماذا تصنع ماذا تصنع ؟ انفقد الماء ونحن نحفر الى اسفل وتطمع انت ان تقع عليه في جانب البير ؟ فاقبل هو على شأنه لا يحير جواباً ، فكأنه لايسمع ما يقولون ، وبعد قليل تفجر الماء من المحل الذي يحفر فيه من جانب البير ، ثم اخبر الشيخ بعد ذلك ان مولاي الطيب وقف عليه في المنام . فقال له انكم تركتم الماء الى جانب كذا ، فكان ذلك هو السبب حتى وقعوا على الماء ، اخبرني بكل هذا سيدي محمد الزكري عن رفقاء الشيخ اذ ذاك .

ومن ذلك المحل كتب الشيخ الى شيخه المعدري رسالة يبث له فيها اشواقه الحارة ، ويخبره بما كان يعتريه في مشهد مولاي الطيب ، حتى كأن مولاي الطيب لم يمت .

وهي رسالة مشهورة ، تدل على مقدار تعظيمه لشيخه المعدري ، ومقدار سمو نظرته وحسن اعتقاده . وقوة رجائه في ربه .

ثم لما قضوا هناك لبانتهم رجعوا الى سوس . فمروا بفقراء الغرب ثم زمور نسلا ، حيث بقوا في زاوية سلا ذكراً طيباً ، لا يزال الى الان متردداً بين اكابر الفقراء الدرقاويين السلويين ، وقد قال بعضهم ان ذات سيدي علي السوسي ذات الديك لضؤولتها ومذا كرته الكبير من القبلة العظيمة ، ثم مروا ايضاً بأزمور فدكالة فحاحة . فاستقروا ايضاً في سوس .

«الفصل الثالث عشر في وقوع الفتح الكبير للشيخ في جبالة اثناء هذه السفرة»

حدث الشيخ عن نفسه انه لما حفر ذلك الماء من تلك البير المتقدمة ، وقف عليه مولاي الطيب او مولاي العربي - الشك مني الان - فقال له : انك حفرت لنا الماء الظاهر ، ونحن نحفر لك الماء الباطن ، فاذ ذاك وقع الفتح الاكبر للشيخ ، والجزاء من جنس العمل - انما الماء من الماء - .

وحدث سيدي محمد بن سعيد بن محمدالمعدري فيما يرويه عنه سيدي محمد بن مسعود فيما جمعه من اخبار الشيخ المعدري ، انه بينما هو وامه وابوه الشيخ سيدي سعيد جالسون في سطح دارهم في الشمس في يوم من ايام الشتاء ، وامه تنقي شعير الطحن . اذا بالشيخ قد اعتراه فجأة حال عظيمة قف بها شعره . واحمرت عيناه ، فصرخت امه بالشيخ مالك مالك مالك ؟ فقال لها الشيخ ، الان دفع سيدي علي بن احمد مغاليق الحضرة الربانية فدخل الحضرة .

اقول كان هذا في الوقت الذي كان فيه الشيخ الالغي واصحابه في جبالة ، فكانت ايضاً كرامة ظاهرة للشيخ المعدري ، رضي الله عن الجميع ، لان هذا بسوس وذاك في جبالة .

«الفصل الرابع عشر في وفاة شيخه المعدري وتقدم الشيخ التاموديزتي في مكانه»

كانت وفاة الشيخ سيدي سعيد بن محمد المعدري المسكن السملالي الاصل الشريف النسبة في شهر صفر 1300 ه في قرية (الخندق) من قبيلة (تانكرت) بدار احد اتباعه الفقير سعيد بن حمو ، ودفن في المقبرة التي في سفح الجبل المطل على الوادي شمالي المدرسة ثم نقله اصحابه بعد الى زاويته بالمعدر ، وقد سئل لما احتضر عمن يرث سره من اصحابه فقال ان الشمس اذا طلعت لا تخفى عن احد ، ولم يزد على ذلك ، وقد فوض امر اصحابه لله يظهر منهم من شاء ، اخبرني بهذا سيدي احمد بن الطيب الزكري عن الفقير سعيد بن حمو المذكور . قال وهو السائل عن ذلك . وقد كان الشيخ سيدي سعيد بن محمد المعدري اخذ عن الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الموجودة الان في المكان المسمى (أزبزض) بمراكش ، وقد كان المكان دار سكناه ، ثم وصى

ان تكون زاوية الفقراء ، ولا عقب له ، وقد كان من العدول في محكمة القاضي ، ومن أصحاب الخمول لا يعرف له مقام في مراكش ، ولم يظهر له أصحاب إلا في سوس ، كسيدي سعيد المعدري ، وسيدي الحاج مبارك الهواري الكلالشي ، ووفاته في حدود العشرة السابعة في القرن الماضي. وهو من اصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وسلسلة مولاي العربي شهيرة وقد أخبرني ببعض أخباره الفقيه سيدي ابراهيم بيبي السوسي ثم المراكشي . ناقلا عن عدل كان يجلس معه في دكان العدالة .

كانت وفاة الشيخ المعدري قبل رجوع الشيخ الالغي ورفقائه من السفرة المتقدمة. وبعد مقدمهم اجتمع الفقراء وتآمروا في تعيين من يقوم مقام شيخهم. ليجمع كلمتهم . وليدوموا على التآمهم وتعاونهم على ما رباهم عليه شيخهم ، فأشار الشيخ التاموديزتي بتعيين الشيخ الالغي، فقال له هذا لا والله بل انت أولى لمقامك ولسنك ، ثم اجتمعت كلمة الفقراء على ذلك ، فقام باعبائهم ، ودأب على ارشادهم وتصفية نفوسهم ، وقد كان جنيد عصره زهداً وتقشفاً وبعداً عن كل ما عسى أن تطمئن اليه النفس ، فصاروا يسيحون سياحات مختلفة بطائفتهم الكبيرة، وأمرهم جميع ، وشأنهم مرتفع ، ومن السياحات التي ساحوها اذ ذاك سياحة كبرى يتحدث بها الرجل الصالح سيدي محمد التانكرتي المشهور بأبكي من (تانكرت) بافران . قال اجتمع الفقراء في الزاوية المعدرية في وقت تواعدوه ، ثم خرجوا الى السياحة نحو جبل درن ، فخرجت لاشيعهم ، وقد كان ذلك عقب خروجي من خلوة تطببت فيها بأكل العشبة ، فلما أردت أن أودعهم أمرهم الشيخ التاموديزتي أن يحملوني على حمارته فصرت أصرخ به، وأقول انني ضعيف حديث عهد بالخروج من خلوة العشبة، ويضر بي أكل الذرة، فقال انك لا تأكل الذرة ، ثم ساقوني مرغماً . وكان العام عام جدب فبعد أيام توالت علينا جوعاً أضر بنا فيها الحال غاية ، فأقبلنا يوماً بذكرنا لندخل قرية أخرى فلاقانا أعوان رئيس يسكنها ، فأمرونا بالرجوع ، فقال لهم الشيخ التاموديزتي إننا نمشي باذن السلطان وعندنا رسالة منه ، فخلوا بيننا وبين الدخول ، فقاموا بضيافتنا ، ثم أرسل الينا الرئيس يسألنا أين رسالة السلطان التي ذكرتم أنها عندكم ؟ فقلنا لهم اننا لا نزال نتلوها على الاذان منذ دخلنا ، وسلطاننا هو الله ورسالته هي ذكر الله وتوحيده الذي نعلمهما للناس، فرجعوا الى الرئيس فاخبروه فتعجب مما قلناه ، فطلب أن يذهب اليه منا أناس ، فذهبت انا مع فقيرين من عرض الفقراء ، فلما وصلناه وعظناه وأسمعناه كلام الله حتى تأثر بما نقول ، فقال هل أنتم رؤساء أصحابكم ؟ فقلنا له أو يتنازل ساداتنا العارفون بالله ليقدموا الى أمثالك ؟ فقد ملات عظمة الله أعينهم . فلا يستعظمون بعده شيئاً آخر ، فان كان لك أرب بهم فانقل اليهم أقدامك . ترهم ملوكاً بلا عروش ولا مملكة ، فسار معنا الرئيس . فرأى منهم ما بهره . وملك عليه مشاعره ، فأبى هو وأهله أن نمضي الا بعد ثلاثة أيام ، ثم لما أرادوا أن يودعونا وقف رئيسهم فقال أيها الفقراء . الا ترون ما حل بالزرع لعدم المطر ؟ فاننا نطلب منكم المطر ، فقال له الشيخ

التاموديزتي إن المطر بيد الله لا بأيدينا ، فالله هو المسؤول أن يرحم عباده وبلاده ، ثم لما بعدنا عن القرية أمر الشيخ التاموديزتي أن نجتمع فقال إن هؤلاء القوم أكرموكم واعتقدوا بكم الخير ، وطلبوا من الله بجاهكم المطر ، فلا بد الان أن تعينوا واحداً منكم ليتوجه بهمته الى الله ليرحم عباده بالمطر ، فقال له الفقراء ، فأنت هو اذن ، فقال انني لست هناك ، قالوا له عين اذن من تريد ، فنادى سيدي علي بن أحمد الالغي . فقال له أنت لها ، وقد جلستك ثلاثة أيام فقط ، ثم أمر الفقراء أن يقاطعوه في هذه الايام . فلا يكلمونه ولا يجالسونه ولا ينادونه بالسيادة ، بل باسمه الخاص : ياعلي ففعل الفقراء ذلك ، قال : وفي اليوم الثالث بتنا في مسجد فأرخت السماء عزاليها ، فسالت الامطار ، وتدفقت السيول ، فصارت السقوف تكف من كثرة المطر في المسجد الذي نحن فيه ، فانكمش كل فقير في ناحية الى الصباح، ثم طلب الفقراء الكرامة من سيدي علي بن احمد ، فاقترح عليه كل واحد مايريده لنفسه، فخرج الى السوق فأتى لكل واحد بما اقترحه ، فقد وقف في وسط السوق وهو ينادي من يعطيني كذا وكذا لله وحده ، حتى أتاه كل ما يطلبه دفعة ، فقال له سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ، انني لا اقترح الا أن تدوم على لقيمات ولفيتات حتى القى الله ، ثم قال للفقراء ان لسيدي علي همة فعالة عظيمة الوقع ، فلو توجهت الى جبل لنقلته من مكانه ، ونحن من الان نطلب الله ان يبدل له اسمه المعهود سيدي علي بن احمد باسم آخر ، فلم يمض قليل حتى تصدر . فصار يسمى بالشيخ وحده بين الفقراء في سوس كلها بل عند الخاصة والعامة . حتى نسي اسم سيدى علي أكرام الذي كان يسمى به بين الفقراء قبل، اخبرني بهذه الحكاية الفقيه سيدي عبد الله بن محمد العويني عن سيدي محمد المذكور وهو أطول من هذا وإنما اختصرتها . وقد ذكر فيها ايضاً ان الفقراء لما الح عليهم الجوع أولا أمر الشيخ التاموديزتي الحاكي وهو محمد أبكي ان يذهب الى سوق نزلوا ازاءه. فيعقد فيه حلقة يعظ فيها الناس ، ثم يقبل ما يلقى اليه ، ففعل سيدي محمد ذلك ، فجمع الخير الكثير فاشترى منه الفقراء ما أشبعهم كلهم اجمعين خبزاً واداماً ، وأبقى عنده دراهم اعدها لشراء كسوة امرأته ان رجع من السياحة ، وأتى بالباقي الى الشيخ التاموديزتي ، فلما قبضه منه سأله عما بقي فأنكر ان يبقى عنده شيء ، فلم يزل به حتى أخذ منه الجميع ، ثم قال له اننا لا ناذن لك ان تقف بعد هذا اليوم واعظاً في اية سوق من الاسواق ، فلا ترجع الى ذلك منذ الان .

اقول ان امثال هذا الاستمطار بالشيخ تكرر اذ ذاك ، والشيخ لا يزال في عهد تجريده بين اخوانه الفقراء ، فقد وقع لهم ذلك مرة اخرى فكلفه الفقراء فامطروا وشيكاً فصار كل واحد منهم يقترح عليه ما يريد في اكرامه للفقراء - لان العادة جرت بين الفقراء ان من ظهرت عليه كرامة او رئيت له رؤيا حسنة . يكرم الفقراء بما شاؤوا (1) - فقوم ما اقترحه كل واحد بالثمن ، فخرج الى سوق يطلب من يعطي له ذلك الثمن جميعه مرة واحدة

1) ولعل ما فعله احد الثلاثه الذين خلفوا لما تيب عليهم من جعل بعض ماله لله اصل لذلك.

بلا نقصان ، فكان من العجب عند الناس ان تاجراً كزاً كان من ابخل الناس اتاه بكل ذلك ريالات مجموعة ، فكان ذلك كرامة اخرى اكبر من اختها ، وقد كان بعض الفقراء يتطلبون من الشيخ اذ ذاك اشياء غير متقدمة ، فقد اقترح عليه الحاج محمد البوزاكارني ان لا يزال يملك بغلة ما حييي، فاستجاب الله دعاءه، فلم يزل ذا بغلةحتى مات سنة 1363 ه وتطلب منه مولاي احمد الوادنوني شيخ الطريقة الدرقاوية في وادي نون ان يعطى مقام القطبانية فعلا كعبه بعد ذلك حتى نال ما تتذبذب دون نيلهالهمم، وطلب منه آخر بغلة بنفسها فتطلبها الشيخ في السوق فاذا بانسان قدمها اليه بزمامها . فكانت احدى العجائب ولكن هذا الذي تطلب بغلة قد طرده الفقراء بغلته ، قائلين له انك لا قصد لك الا البغلة فاذهب ولا تقربنا بعد اليوم .

بهذا كله نعرف مكانة الشيخ بين اخوانه في ذلك الطور ، وندرك المقام الذي يسلمه له اقرانه المرتضعون معه من ثدي واحد . والمتسابقون معه في حلبته .

«والفضل ما شهدت به الاقران»

«الفصل الخامس عشر في اشادة شيخه به وذكر ما اشار اليه من انه خليفته بعده»

ذكر الاستاذ الشيخ سيدي محمد بن مسعود رضي الله عنه في كتابه «الايماء الخفي في بعض التعريف بالقطب الالغي» وهو المسمى ايضا بـ «هز الراية الجعفرية ، في المنافحة عن الطريقة الالغية» ان الشيخ الالغي اشتمل يوماً في سوق بحصيرة فخرق العادة بذلك وكان ذلك بغير اذن شيخه المعدري ، وفي بعد منه ، فلما وصله الخبر قال انه لم يحتج بعد الى مقام الخراب . فقد تم حاله ، وقد كنت ذكرت هذا قبل .

وذكر ايضا هناك انه سمع الشيخ يقول كنت رايت في عالم الارواح ان الشيخ المعدري سقاني لبنا ، وفي السحر دخلت على الشيخ بهدية قدمتها بين يدي نجواي . واريد ان اقص على مسامعه ما رايته ، فقال لي في الحال :

انك ملكت ما عندي من سنا العرفان .

وذكر ايضا هناك ان الشيخ المعدري ذكر يوما بعض اصحابه . واثنى عليه ، ثم قال لكن سيدي علي اوسع منه نظرة في شهود العيان ، وتقدم ما كان ذكره به الشيخ يوم وقع له الفتح، وعبر عن ذلك بان باب الحضرة الربانية انفتح امامه.

وقد ذاع وتواتر ان الشيخ الالغي رأى في عهد شيخه ايضا انه صار يرعى غنماكثيرا، فلما قص الرؤيا على اخوانه قال له الفقيه التاموديزتي: انكم يا آل سيدي عبد الله ابن سعيد لا تولعون ولا تلهجون الا بالغنم مناما او يقظة، ثم بلغ الشيخ سيدي سعيداً ما رآه، فقال : كلا بل تلك طوائف المريدين الذين سيقوم بتربيتهم بعد، ثم لما تصدر الشيخ واقام اول موسم لاصحابه فتواردت الطوائف الى الغ من كل جهة في كثرة غير منتظرة حتى عند الشيخ نفسه، اخذ بذيله الفقير محمد ابكي التانكرتي الافراني، فقال له: الا تذكر ما كنت رايته ايام

تجريدك؟ فذكره بالرؤيا المذكورة، ثم طلب منه ان يعطي له كرامة كبرى في مقابلة ما صدق الله به رؤياه كما فسرها الشيخ سيدي سعيد المعدري، فأعطاه ما أقر به عينيه .

حكى لي الفقير الزاهد الذاكر العارف الكبير سيدي محمد الزكري انه سمع من الشيخ سيدي الحسن التيملي نزيل (إيرازان) وهو يسرد ما وقع له في بدايته في الطريقة على مسمع كل الحاضرين من اصحابه واصحاب الشيخ الالغي، وذلك في حضرة الشيخ الالغي نفسه وهو يسمع ما يقول : فذكر انه لما سيق اليه الشيخ سيدي سعيد فأخذ عنه، ثم اذن له في الحين لارشاد العباد، قال فقلت له : إنني شيخ كبير مسن فلا اقدر ان انقل أقدامي الى زيارتك، فقال له سيدي سعيد إننا نكفيك ذلك ونزورك، ثم قلت له فمن يقوم بذلك ان قضى الله بوفاتك قبلي؟ فقال ان هذا وأشار بيده الى سيدي علي يفعل ذلك، فاقتد به بعدي كل ما تريده مني تراه فيه، يقول سيدي الحسن التيملي ذلك لاصحابه لتنبيههم على مكانة الشيخ الالغي لئلا يستنكفوا من اتباعه، لانه آنس منهم بعض ذلك .

أقول : لهذا الذي قاله الشيخ سيدي سعيد كان الشيخ الالغي يقوم دائما بزيارة الشيخ سيدي الحسن التيملي بعد وفاة الشيخ سيدي سعيد، فكان يتردد عليه قبل ان يتصدر للتربية وبعد ان تصدر لها، الى ان توفي سيدي الحسن التيملي سنة 1308 ه فقد اخبر أحد رجالات قبيلة إداوزكري ان الشيخ الالغي مر بهم مرتين ماشياً في مرقعته وعكازته وحده . قبل ان يتصدر للتربية، فكان يذكر عنه همة وعزوفاً وصمتاً واستنارة محيا بذكر ربه، وكان إذ ذاك ياتي من إلغ الى سيدي الحسن التيملي (في حكاية) (1)

(الفصل السادس عشر في تصدره للتربية وفي استقراره في قريته بإلغ)

كان الشيخ رضي الله عنه يقول ما تصدرت للعباد ولا لارشادهم حتى هددت بالسلب ، وحتى كان عندي إذن من الله وإذن من رسوله وإذن من الشيخ، وقد ألم بذلك في إحدى رسائله، فذكر أنه سمع مرة وهو ماش في طريق وقد توسط قرية (إنشادن) من قرى هشتوكة هاتفاً يقول له : زيد هن إردن رن أد تزيدن ، ومعناه بالعربية زد أمامك فإن القمح سيكون في ازدياد، وقد سمعت أنه كان سمع ذلك في وجهته الى جبالة : 1299 ه يوم أرسله شيخه كما تقدم، وقد كان شيخه أذن له إذ ذاك في التربية ايضا، ولكنه قال في رسالة اخرى، لم تنهض همته الى ذلك الا بعد ما أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عند طلوع الفجر سنة 1301 ه فإذ ذاك نهضت همته رغم أنفه الى ذلك، فلم ينشب ان استقر في قريته فبنى الزاوية الالغية سنة 1302 ه .

كان في جملة الفقراء إخوانه يقتدون بسيدي الحاج الحسن التاموديزتي، يسيحون معه،

---

1) كل ما اختصرناه في هذا الكتاب فإنه مبسوط إما في كتاب (من أفواه الرجال) وإما في كتاب (المعسول) .

ويأتمرون بأوامره، الى ان وصله الوقت وكان له الاذن العام كما تقدم، فكان لخروجه من بين إخوانه سبب خاص، وذلك ان الفقرا' اجتمعوا يوماً في مذاكرة، وقد حلقوا حول سيدي الحاج الحسن، فجرت مباحثة في مسئلة صوفية ذوقية ، فكان الشيخ التاموديزتي يقول فيها شيئا، والشيخ الالغي يميل الى شي' آخر، فكانت المباحثة تدور بأدب بينهما كما جرت به عادة الفقرا'، وقد كان حضر في المجلس بعض(1)من ليس له مقام الشيخين، ممن تلبس بلباسهما، ولكنه لم يتحل بحليتهما، ففهم من مباحثة الشيخ الالغي مع الشيخ التاموديزتي أنه يتعالى على مقامه، وأنه لا يسلم له التقدم الذي سلمه له كل الفقرا' ، فقام الى الشيخ الالغي فخطف من يده كتاباً كان في يده ولطمه في وجهه، فقال له : الى متى أيها المدعي تتعالى الى ما ليس لك؟ فتأبى أن تسلم لسادتك مقاماتهم، فسكت الشيخ الالغي، فقام وقبل رؤوس الفقرا' ، كما يفعله من صدر منه سو' أدب. فيعلن توبته بذلك. ثم تداخل أمثال هذا الفقير بالوسوسة بين الفقرا' فقالوا للشيخ مولاي احمد الوادنوني : إنك أمي لا تصلح لارشاد العباد، فألزم حالك. وكذلك قالوا للشيخ مولاي محمد البوزاكارني، والقصد من الذين يقولون هذا ان لا يظهر أحد من أصحاب الشيخ المعدري سوى الشيخ التاموديزتي وحده، فحجروا فضل الله فحجروا واسعاً، ولم يكن للشيخ التاموديزتي الورع المنيب المخبت يد في كل هذا، إلا أنه غلب على أمره، ثم بدا للشيخ التاموديزتي أن يمنع الفقرا' من ذكر (العمارة) بحجة أنه ليس من السنة في شي'، فإذ ذاك اختلف الفقرا' ، فمنهم من تبعه في ذلك، ووراه من ذلك ما تولى، ومنهم من قالوا إن هذه ظاهرة خاصة من ظواهر الطريقة تلقيناها عن أشياخنا، فلا نبدل الطريقة ولا لنا يد في قبول البعض، ونبذ البعض، فقال الشيخ الالغي ان سرنا إنما نبع من شيخنا المعدري، وهو قبلتنا الخاصة وهو حجتنا ودليلنا وسنتنا في كل شي' ، وهو قدوتنا في كل ما نفعل أو نترك، وليس لنا بحث بعده، ثم قال إن الفتح الذي وقع لي أنا ما وقع لي إلا في هذه الحالة، ولغز الاشباح سر تعرفه الارواح، وقد جرت الطريقة هكذا منذ عهد الشاذلي بل ومن قبله الى الان - فمن شا' فليومن ومن شا' فليكفر - ولكل وجهة هو موليها.

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ✿ إذا لم تذق معنا شراب الهوى دعنا
فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ✿ وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

ثم قال الشيخ الالغي للفريق الذي يرى رأيه، الان يجب أن يظهر كل واحد ما عنده فلا عطر بعد عروس، فأذن للشيخ مولاي احمد الوادنوني ولمولاي محمد البوزاكارني أن يتصدرا للارشاد، وقد كان ذلك كله بعد الاذن العام للشيخ الالغي، فأقبل هو أيضا لتأسيس زاويته بإلغ في سنة 1302 ه.

---

1) هو الفقيه سيدي صالح أبو شريكن البعقيلي فيما حدثني به سيدي مولود عن سيدي محمد كفربو الفقير المتجرد، وهو ابن أخي سيدي صالح المذكور.

كان الشيخ لا يزال بين الفقراء إخوانه، لان تلك المخالفة كانت بأدب، ولم تشر فيها النفوس، ولا انتهكت بها الاعراض، ولذلك كان الشيخ التامودبزتي ساح بأصحابه الى (أقة) ورجعوا على طريق (إلغ) ، فباتوا في دار آل الشيخ ليلة 27 من رمضان سنة 1302 ه ثم ودعهم الشيخ صباحا، فجلس الى والدته فأفضى اليها بأنه يعزم على أن يقطن بالمعدر، وقد خطب هناك بنت أحد الفقراء وعزم على التزوج بها قريبا، فطلب من والدته أن تأذن لبعض اخوته أن يصحبه الى المعدر، ليعينه على الاشغال التي يتوقف عليها فيما هو بصدده، فقامت له وقعدت فقالت: لا والله لا آذن لك أن تسكن بعيداً مني، فيا طالما أتمنى هذا اليوم الذي تهتم فيه بالزواج وبالسكنى، فاريد ان أقضي ما بقي من حياتي معك، فإذا بك تريد ان تبتعد عني، ثم أسرعت إلى صهرها الفقيه سيدي محمد بن عبد الله فاستعانت به على ولدها، فجلس إليه يراوده على ان لا يسكن إلا في (إلغ) وان لا تمتد عينه إلى مكان آخر، وقال له من تريد ان يأنس به مثلي في هذه البلدة المقفرة ان أبى مثلك ان يجاورني، فاعتذر الشيخ بأنه لا يريد ان يضايق إخوته في دارهم، وفي الذي بين أيديهم، فقال له الفقيه أحسب كل ما تحت يدي في ملكك، فكل ما تريده تجده بين يديك، فلم يزل به الفقيه والوالدة حتى غلباه على رأيه وأقنعاه بالسكنى في (إلغ) ، وقد كان الشيخ يريد ان لا ينكسر خاطر والدته حتى لا يقع لها من جانبه مثل ما وقع لوالده يوم غادره مخبولا - كما يظنه أهله يوم خرقه للعادة - كما تقدم، فقد أخبرني سيدي محمد الزكري ان الشيخ حدث بأنه رأى والده بعد وفاته، فقال له والله ياولدي لقد كدت أكون من الهالكين لولا بركتك، فالان أنا أعطيك رضاي، قال الشيخ فقلت له تعطيني رضاك يا أبي الان على رغم أنفك، فحكى الزكري عن الشيخ انه يقول ان تعرض للفقير طريقان: أحدهما فيه رضا الله تعالى ، والآخر فيه جبر خاطر والديه، فليقدم رضا الله تعالى فإنه لابد ان ينال بعد رضا والديه ايضا ، فان اتباع الوالدين مقيد بما إذا لم يامراك بما ينافي ما امرك به ربك، قال تعالى: (وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي)، والمنيبون الى الله هم الدالون على معرفة الله من المشايخ، ومن لم يمكن له ان يجمع بين اتباعهم وطاعة والديه فإن اتباعهم لا بد ان يؤدي الى رضا والديه .

وحكى الزكري ايضاً انه سمع الشيخ يقول ان هذه الزاوية يعني الزاوية الالغية ما وضعنا فيها الحجر الاول إلا بعد ان ضمن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارتها ، وقرأت في كتاب (تعطير الطروس، في ذكر رجال سوس) للفقيه الاديب سيدي علي بن الحبيب الجراري، في ترجمة الشيخ، ان الشيخ رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له في بناء زاويته بإلغ، فاعتذر اليه الشيخ بأن إلغ بلد قفر لا يتيسر فيه كل ما تتوقف عليه الزاوية التي تمتلىء بالفقراء ، فقال له ، ان كل شيء سيصل من مكانه الى الزاوية بفضل الله تعالى ؛ اقول لعل هذه الرؤيا النبوية وقعت في الوقت الذي كان فيه الفقيه الالغي ووالدة الشيخ يحاولان إقناعه بسكنى إلغ، ولذلك نزل على إرادتهما والله أعلم .

وسمعت عن ثقة ان الشيخ في بعض زياراته لبلده في عهد تجريده. قال لبعض إخوانه من الفقرا" إنني هنا أبني زاويتي، وأراهم إزا" بير العنصر، ثم كأنه اضرب عن هذه النية الى ان اراد الله تنفيذها .

في ثاني شوال 1302 هـ ابتدأ في جلب مواد بنا" الزاوية الالغية، ثم اجتمع بعض الفقرا" ورجال الاسرة يرتأون محلا لبنا" الزاوية، فاختار الشيخ ان يبتعد بالزاوية عن القرية قليلا ، فأعانه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله في ذلك. فأراه المحل الذي وضع فيه الحجر الاساسي للزاوية، وقد كان لامراة تسمى (تابوريشت) فاشتراه الفقيه من عندها، فوهبه للشيخ، وهو على بير العنصر، فحفر الاساس بعد ان ذبح تيس جعل لحمه صدقة، وبعد ان نادى مناد على من عسى ان يكون هناك من الجن لينقلوا اولادهم - وكانت هي العادة عند تأسيس بنيان جديد في مكان لم يتقدم فيه بنيان - فرفعت الجدران الاولية وسقفت، فكان ذلك اول محل بني في الزاوية التي امتد الان بناؤها الى كل جهة، وقد كان بعض من يلقي الكلام على عواهنه يقول إذ ذاك : إننا وجدنا بيتاً إزا" تلك البير نضع فيه دلا"نا ودوالبينا بعدالسقي، فقال الرجل الصالح سيدي مبارك أبكا التزنيتي: إن بنا" هذا المكان سيمتد الى ان يصل الى تلك الحجرات السود، فأشار الى محل بعيد إذ ذاك عن ذلك المحل في الشمال الغربي، ثم لم يزل البنا" يمتد حتى قارب ذلك المكان في سنة 1363 هـ. وحدث سيدي بوهوش ان احد المسنين من اهل القرية قال للشيخ حينئذ : أتبني هنا منفرداً فقال له ارأيت هذه التلعة انها كلها ستستحيل بنا" ، فظهر الان مصداق ذلك. وقد كان للفقيه سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله يد طولى في الاعانة الاولية في تأسيس الزاوية كما ترى، وقد حكى لي العم إبراهيم ان الفقيه اتى ليلة إثر بنا" الزاوية. فوجد من فيها من الفقرا" في ظلمة لا سراج بينهم. وقد علم ان لا زيت يستصبح به، فرجع فأرسل إنا" كبيراً من الزيت لسراج الزاوية، وقد وقفت على مفتتح كتاب للشيخ في شيخه المعدري يسمى (المبدي" المعيد، في مناقب الشيخ سيدي سعيد) ذكر فيه الشيخ ان الذي اقترح عليه تأليفه هو الفقيه سيدي محمد بن عبد الله، وانه هو الذي سماه، فلهذا نعلم شرف نفس الفقيه، وانه من الرجال العظام ، الذين يقدرون الناس اقدارهم، ولا يجدون في انفسهم حرجا مما اوتيه غيرهم، مع انه احدى الطريقة، والشيخ من الدرقاويين، فهكذا تكون الاخوة الاسلامية إذا استولت، فلا تجد الطرق الصوفية تفرقة الى قلوب اصحابها ، وقد علمنا ما كان الشيخ ذكر به الفقيه في (رحلته) الحجازية حين افاض عليه سجالا من الثنا" الفياض، وقد ذكره مراراً اثنا" مجالسه بين اصحابه الفقرا"، فيستعظم ما اوتيه من بركة في العمر، فانه لم يتجاوز 38 سنة، مع انه تعلم وعلم وولد وربى واثل ونشر الخير الكثير، والمقصود ان يعلم الاخلاف. كيف التحمت المودة بين الاسلاف .

كذلك اسس الشيخ زاويته. واقبل على تربية العباد، والجولان للارشاد في البلاد ،

وقد كان أول من تلقن منه الورد صبيحة اليوم الذي اذن له فيه النبي صلى الله عليه وسلم إنسان من المرابطين يسمى سعيداً، من آل احمد بن سلمان من القرية. فقد قال له مد الي يدك لافتتح بك حين تسمى سعيداً، لعلنا في عملنا هذا نكون دائماً في السعادة، ثم كان لسعيد هذا من الجد في الدين ومراقبة ربه ما اشتهر به الى ان مات بعد موت الشيخ.

وقد كان الشيخ خطب يوم عزم على سكنى (إلغ) زوجته الاولى السيدة فاطمة التيوتية، فتأبت امها أن تجيبه، معتذرة بأنه لا يستقر على حالة، وانه فقير مقل لا يملك شيئا إلا ان الله هداها اخيراً فوقع العقد 10 ذي القعدة في 1302 ه يوم العيد نفسه، ثم رأت أم الزوجة ما اغتبطت به في عمرها كله من الشيخ .

(الفصل السابع عشر في مشارطته في المدرسة الالغية يدرس فيها)

أمضى الشيخ عرسه في عيد الاضحى. فبقي في اهله ما شاء الله، ثم ساح مع بعض الفقراء الى (أقة) فعيدوا هناك عيد المولد النبوي، وبعد ربيع الاول رجعوا الى إلغ ، فصادف الشيخ امامه رسالة من الفقيه سيدي محمد بن عبد الله يوصيه ان يقوم بالمدرسة حتى يرجع من مراكش، وقد قصد اعتاب السلطان في يوم المولد مع بعض قواد مجاطة التحيد. كما هي عادة العمال في كل عيد مولد، فقام الشيخ بالتدريس في المدرسة، وفيها تلاميذ الاستاذ النجباء كالعلامة سيدي الطاهر الافراني. والعلامة سيدي بلقاسم التاجارمونتي والفقيه سيدي علي بن عبد الله الالغي. ومن في طبقتهم فلم ينشب خبر وفاة الاستاذ ان ورد فانزعج الالغيون، وغلب الحزن على والد الاستاذ وهو الرجل الصالح سيدي الحاج عبد الله بن صالح، فلم يصبر على ولده، فاتفقوا على نقل تجاليد الاستاذ لتدفن بين ظهراني اهله. فتوجه الشيخ والفقيه سيدي علي بن عبد الله اخو الاستاذ لتنفيذ ذلك فحملوه في صندوق على البغال. وتوجهوا به حتى اقبروه في المقبره القاسمية، فدام الشيخ على القيام بالمدرسة، فصار يرشح اخا الاستاذ سيدي علي بن عبد الله ليقوم مقام اخيه في التدريس وفي القضاء وفي كل شيء، كما كان الاستاذ كتبه لاخيه وقد جعله خليفته قبل ان يسافرهذا السفر، فزوجه الشيخ اخته التي مات عليها الاستاذ، ثم صار يقدمه الى إلقاء الدروس، ويقضي معه جل الليل في إعداد دروس الغد. فقد حكت لي السيدة فاطمة زوج الشيخ إذ ذاك ان الشيخ لا يؤوب من عند الاستاذ حتى يبهار الليل، لانه يعاونه في إعداد دروسه للغد، وعلى هذا امضى الشيخ سنة 1303 ه حتى استقل الفقيه سيدي علي بنفسه، فصار يقدر ان يتولى امره بنفسه، فرجع الشيخ بهمته الى ما خلق لاجله من تربية المريدين ، وإرشاد العباد ، ثم لم يزل هذا الحال ديدن الشيخ مع الفقيه مدة عمره، فكان يقضي عنده جل الليالي في المذاكرة العلمية، ولا يرجع إلا قرب نصف الليل، لا يكاد ينقطع عن ذلك كلما كان في البلد حاضراً الى ان فرق الموت بينهما .

(الفصل الثامن عشر في انتشار أنوار الطريقة الالغية حتى أنارت كل نواحي سوس)

كان الشيخ معتاداً في مبدإ امره بعد تأسيس الزاوية الالغية ان لا يفلت مجمعاً من مجامع الناس، كالمواسم الحافلة، والحفلات التي تقام على الاضرحة. وتسمى في عرف الناس (المعروف) فيذهب مع اصحابه الى من فيها فينشر ألوية الوعظ، ويفتح صحائف التوحيد، ويعلم العامة امور دينهم، ويتتبع الحاضرين واحداً واحداً، فيسألهم عن التوحيد. وعن القيام بشرائع الاسلام، وعن امور اهاليهم هل تصلي النساء؟ وهل يتعلم الصبيان ؟ وهل تمتثل الاوامر وتجتنب النواهي من الله؟ ولم يكن يفتر عن ذلك في كل مجمع صادفه امامه، ويتخلل ذلك بإذكار يديرها اصحابه، وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان اوتي موعظة مؤثرة، ترتجف منها القلوب، وترتدع بها النفوس، فلا يكاد ينفتل هو واصحابه من مكان حتى يغادروا مرايا القلوب صافية، ولوائح تأثير التربية منتشرة على الرؤوس، فارتفع شأن الشيخ بسرعة في القلوب، وعظمت هيبته في العيون، لما له من همة فعالة، وعزيمة صادقة، ووعظ يذيب الجلاميد، وصراحة تامة لا تلجلج فيها ولا مجمجة. فلا يستحيي من إبداء الحق، ولا يفرق من دحض الباطل، ولا يخاف في الله لومة لائم .

حكى لي ان المرابطين أبناء الشيخ سيدي عبدالله بن سعيد ارادوا مرة في ذلك العهد ان يذهبوا لاقامة الحفلة السنوية المعتادة عند ضريح جدهم سيدي عبد الله بن سعيد، فمروا بالشيخ فطلبوا منه ان يحضر معهم، فقال لهم الشيخ إننا نحب ان نحضر معكم، ولكن بشرط ان تتركوا عنكم هناك ما يألفه سفلتكم من إقامة ما يفرح به حزب الشيطان، ويستاء به اولياء الرحمان، من الالعاب التي تجمع بين الرجال والنساء ، ثم انه ذهب معهم فأفاض هناك ما افاض من مواعظ اسرت الالباب، وفتحت العيون، وجلت الصدور، وقد كان حاضراً بعض العباد التمليين، فلم يملكوا انفسهم من المثول بين يدي الشيخ فصاروا من اتباعه المخلصين منذ ذلك الساعة، فكانوا هم النواة الاولى في اهل الطريقة الالغية في قبيلة (أملن) لانهم استدعوا الشيخ الى بلدتهم إذ ذاك، فتكون للشيخ هناك تلاميذ كثيرون يعدون بالمآت، منهم الواعظ سيدي محمد بن الحاج، ومنهم الشريف الصالح سيدي الحاج الحسن العيسي الذي به انتشرت الطريقة الالغية بعد في درعة وفي سجلماسة وفكيك وتوات، ثم خرج الشيخ من (إلغ) في ثمانين من الفقراء فمر بإداوزكري فانثال عليه الناس، وتتابعوا في الاخذ عنه. كأنما يسوقهم سائق، فكل من رآه لا يقدر ان يفارقه، وقد راى رئيسهم من ايت امري في المنام رؤيا بشرته بمجيء ولي كبير، وشيخ عظيم - كما حدث بذلك، ثم حدثني به عنه سيدي احمد بن الطيب وسيدي محمد الزكريان - فتلقى الشيخ لما اقبل على ارضهم . ثم تلمذ له، وقد حكى لي كل ذلك بتفصيل الفقير الزاهد سيدي محمد الزكري الذي ساقته تلك الحلة فطلق اهله وماله، فلازم الشيخ من تلك السنة 1304 هـ ولا يزال حياً الى الان في الزاوية، على حالة مغبوطة. وقد ذكر ان الناس إذ ذاك لما شاهدوا من الشيخ ما شاهدوه ،

سرايا القلوب ترفرف حوله، وان المحبة القيت عليه في الناس، صاروا يقولون ان هذا هو الامام المهدي صاحب الوقت، وبهذه الهمة وعلى هذه الحالة افتتح الشيخ عهد تربيته، فكان يعظ العامة بأمور الدين، ويصطاد اثناء ذلك الخاصة الذين كتب لهم ان يستقوا من معين تربيته الصوفية الخاصة، فكان يمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربه، وقد امتدت هذه السياحة الى راس الوادي، الى ان دارت في هشتوكة فالمعدر، ثم كانت اخرى سنة 1305 ه من إلغ الى البوتانان فالى حاحة فالى الصويرة، وهي على تلك الوتيرة العجيبة، فصار الفقراء المتجردون يحتمون على الشيخ. ويتخذونه قبلة يأتي إليه كل واحدمن جهة، حتى ان سيدي سعيداً الوجاني من اكابر اصحاب الشيخ إنما مر امام الزاوية مسافراً في هاجرة، فمال إليها ليقيل، ثم دعي ان يبيت حتى يستريح من وعثاء السفر، لكن لم يكديرى ما فيه الشيخ واصحابه حتى نسي حاجته، فغلب على لبه، فقال للشيخ بالله عليك ياسيدي ضع في رجلي قيداً متى رايتني اهتم بعد ان اسافر من عندك ، فقال له الشيخ انك مقيد ، ولا تحتاج بعد لقيد الرجل يعني انه مقيد باطنا ، لان ارباب القلوب لا يتصرفون الا بالهمم، ومثل هذا وقع ايضا لسيدي بلعيد الصوابي . فانه كان واعظا يحفظ كتاب (بحر الدموع) بالشلحة للشيخ سيدي محمد الجزولي ، فانه لم يقدر ان يفارق الشيخ اثر ذوقه لشرابه ، وكذلك بشاشة الايمان اذا ذاقتها القلوب ، فان اصحابها لا يرتدون ابدا ، وقد كان جيران الزاوية يصفون الشيخ بالسحر ، ويقولون لولا انه ساحر ماهر في السحر ، لما امكن له ان يستحوذ على قلوب هذه الجماعات الكثيرة ، كهذه الجماعات التي لا تكاد يتصل بها الشيخ حتى تنقاد له ، فصارت اتبع له من ظله ، تتبع ما يشير به ، وتكون عند امره ونهيه في كل ما يريد منها ، من الحرث والحصاد ومختلف الاشغال ، في بلد قلما يجد فيه رب شغل من يعاونه في شغله ، فضلا عمن يكفيه اياه بلا اجرة .

حدثني سيدي الحاج محمد بن عدي الواعظ الالغي قال : دخلت في اوليات اتصالي بزاوية الشيخ على الشيخ فيها ، فاستدعاني فقدم الي مائدة فيها سمن وعسل وخبز فقلت في نفسي لعل الشيخ ما كان يضع ما يسحر به الناس الا في مثل هذا الطعام فلم اقدر ان امعن في اكله ، ثم لم تنقشع هذه الغشاوة عني الا بعد ان عرفت من الشيخ ما يجهله اذ ذاك اهل بلده منه ، فعرفت الهمة التي يربط بها القلوب ، ويستحوذ بها على الناس .

ومجمل القول ان الشيخ بدأ عهد تربيته بهمة غريبة ، وعزيمة عجيبة ، زعزع بهما البلاد ، وانقادت له بهما العباد ، فظهر صدق دعواه في الاذن العام الذي وقع له من شيخه ومن ربه ، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد صارت الزاوية تعمر بالفقراء الجدد بسرعة ، وكل من دخلها يغتبط وينسى حظوظ نفسه ، ويتسع قلبه بمعرفة ربه ، ثم لايرتدون على اعقابهم بعد ، وقد الف الله بينهم ، فتواخوا اخاء ربانيا ، (ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) ؛ ومن حكم الصوفية التيسير من علامات

الاذن الصحيح .

كان فقيه يسمى سيدي اسماعيل الكرسيفي انخرط في هذا الطور في طريقة الشيخ وقد كان اذ ذاك يأخذ في المدرسة التملية عن الفقيه العابد الصالح سيدي عبد الله بن محمد الايديكلي ، فكان في كل خميس يغادر المدرسة ويرد الى الغ لزيارة شيخه من مسيرة يوم ، فأبلغ الطلبة ذلك للفقيه سيدي عبد الله ، فسأله عما يجده في الزاوية الالغية ، حين لا يغب زيارتها ، فقال له انني لا اجد هناك الا شيئا واحدا . وهو يكفيني انا وحدي ، فإن قلبي كلما توجهت الى ذلك المكان يكون فارغا من غير الله. فلا اتذكر بعد نفسي ولا شهواتي ولا اي شيء ، اشعر بذلك في غير تعمل مني ، فقال له الفقيه عجبا الا يزال هذا موجودا في الدنيا ؟ فإننا كنا نرى ذلك يذكر في الكتب ، ولكننا نحسب ان اصحابه انقرضوا في الدنيا ، وقد كان سيدي عبد الله من العباد الزاهدين الكبار ، لا يزال في خلوة عن الناس ، لا يخالط احدا الا الطلبة وقت الدراسة ، فمتى اراد ان يخرج من بيته الى مصلى المدرسة غطى وجهه حتى لا يراه احد ، ولا يرى احدا ، فطال تعجبه مما سمعه ، وقد كان يظن ان الاشياخ الاحياء الذين يذكرون في كتب الصوفية بهذا الحال قد انقرضوا ، فلما سمع ما سمع اشتاق الى ان يذوق ، فكان ذلك سبب اتصاله بالطريقة الالغية التي جاز فيها نصيبا وافرا من الشفوف .

ـ الفصل التاسع عشر في أداء الشيخ فريضة الحج وزيارته للقبر الشريف

كان الشيخ منذ ان مضى عليه حال الجذب الذي كان فيه اثر ملاقاته لشيخه المعدري لا يزال يعتريه نفس من ذلك ، خصوصا في مجالس الذكر ، وان كان لا يظهر منه ذلك الا في همته وكلامه، وإلا في ذكر (العمارة) ، ولذلك صار بعض اخوانه الذين ينفسون عليه ما رزقه الله من الجد في كل اموره ينبزونه بالمجذوب ، ولهذا كان كلما جرت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس يكاد يفقد شعوره شوقا اليه ، وفي تلك السياحة التى ساحها الى الصويرة فى طائفة كبيرة ظهر منه مرات شوق كثير ، ولذلك لم يكد يستقر فى (الغ) بعد رجوعه فى اواخر رجب 1305 هـ. حتى تيسر له ان يحج ، فقد كان غني من اغنياء «امانوز يريد ان يبعث اولاده لاداء فريضتهم فجاء الى الشيخ ، فقال له انني لا اقدر ان افارق اولادي الا فى يد امين ، ولا احب الي منك ، والمال موجود ، فقال له الشيخ حسنا فعلت ، ولكنني لا احب الا ان تسلفني من مالك ما احج به ، لا ان تهبه لي بالكلية ، فعرف ان من الاذن التيسير ، فلم يكد ينقضي من طوائف كثيرة جاءته من التمليين ومن قبيلة الصوابيين الذين اعتنق ايضا منهم كثيرون الطريقة الالغية، وفدوا عليه لاجل عقيقة، حتى توجه إلى حجته فكتب فى رحلته رجزا كان مهملا، ولم يخرجه الشيخ حتى خرجته انا سنة 1356 هـ. وهذبت نظمه وحبرته ، فليقراه من اراد ان يعرف كيف حج الشيخ

هناك نفس عال ، وأفكار وعبرة دينية وأمور تاريخية، وبالاجمال انها رحلة تفيد فيما يتعلق بالشيخ وبكل ما يراه في سفرته .

كان الشيخ ترك في الزاوية المنقطعين الذين انقطعوا اليه ، فوصى بعضهم بالسياحة على الفقرا ، يقدمهم سيدي الحسين بن مبارك المجاطي العارف الكبير، ووصى آخرين بالمكث في الزاوية لمزاولة شؤونها ، ووصى السائحين ان يلاقوه في يوم عينه في دار القائد الحسن النكنافي، قال لي الرجل الصالح سيدي الحسين التامكونسي ان الشيخ علم لنا يوما بعينه من الشهر الذي يرجع فيه ، فتخلفنا ليلة واحدة ، فوجدناه قد أتى في ذلك اليوم نفسه الى دار القائد النكنافي ، فلما ذكرنا العيلة الى دار القائد ، خرج وتلقانا فمال بنا الى بيت على بعض الاضرحة هناك ، فحكى لنا عن حجته ، فكان فيما قاله لنا ، اننا حججنا ولم ننس احدا من احبابنا هناك، فقد وجدنا انفسنا مع الله هناك كما نجدها معه هنا ، اقول : ان هذا مثلما قال علي بن ابي طالب ، لو كشف الغطا ما ازددت يقينا ، فالله تبارك وتعالى حول بيته المكرم هو هو في مكان آخر عند من صفت مرآة قلبه فيراه ببصيرته .

(الفصل العشرون فى أحوال الشيخ العامة والخاصة فى زاويته وفى سياحته)

ان من يتصدى لاحوال الشيخ العجيبة ليحاول ان يستقصيها بالقلم كمن يحاول ان يتصدى لالوان الازهار المتنوعة في الوجود ، وتبيين ماهية كل لون من ألوانها او كمن يحاول ان يجلو للسامع الذي لم ير البحر قط بعينيه ولا عرف ما يحتوي عليه من الاحجار الكريمة ، أوصاف البحر في اتساعه وعمقه وترداف امواجه الى كل جهة ، وتبيين انواع ما فيه من الدر والياقوت والمرجان ، وما لها من الصفا واللمعان وما فيه من مختلف الاسماك التي يقصر الحساب دون عدها ، وتنقضي الاوصاف قبل اتمام كل اوصافها ، وهذا الفصل من أصعب هذه الفصول امامي ، لان قطب احوال الشيخ هو التصوف الصافي ، ومعرفة ربه والغيرة على دينه ، وافنا كل ما له من قوة في نفع عباده وبلاده ، فأنى لمثلي الطويلب القصير الفهم ، المعوج العبارات ، الذي يغان على قلبه بسحب الغفلات ، البعيد كل البعد عن مشرب الشيخ الحقيقي، أنى له ان يمكن ان يجلو احواله كلها كما يعرفها كل من يعرفها حق المعرفة ، فقد يمكن لي ان اذكر حكاية وقعت له فاؤديها كما هي ، او ان اقول مقالة من مقالاته فيسمعها السامع كما قالها الشيخ . ولكن كيف يمكن لي ان اتصدى لاحواله التي ما كانت الا نفسيته عينها ؟ وهل يمكن ان يصف نفسية الصوفي العالي المقام ، الفريد بين اهل جنسه الا من كان صوفيا عالي المقام فريدا بين اهل جنسه فلا يصف ذا مقام سام الا من يشاركه في سمو مقامه ، لان الوصف اذا اريد ان يؤدي المقصود دقة فلسفية فلا بد أن تستمد من نفسية الواصف ، فمتى لم يشارك الواصف الموصوف في نفسيته ، فابعد به ان يصادف في وصفه عين الحقيقة ، ولهذا يعلم الله انني اعجز عن ادا اوصاف ما للشيخ من الاحوال العجيبة ، وان حاولت ما حاولت ، فقد رأيت اشياخ العصر الصادقين المخلصين فيما

هم فيه ، ثم قرأت تراجم آخرين يقربون من عصرنا هذا، وشاهدت احوال اصحابهم، فأدركت بالموازنة الصادقة المخلصة بينهم شفوف احوال الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي ، وانفراده بينهم بأشياء عظيمة لاتجتمع كلها الا في النادر القليل من الرجال . وما رأ كمن سمع ، لكنني مع كل التقصير العظيم الذي اشعر به لابد ان اتوكل على الله في تتبع احواله شيئا فشيئا، فإلا ابلغ بعض ما أريد، فان فيما اذكره بعض ايماء لما لم يتيسر لي ان اذكره ومن بذل الجهد فلا يلام في التقصير ، ثم انني لا اقول هذا كولده ، بل اقوله كمن له ادراك حر يزن به على ما يقدر عليه احوالا من احوال ، ورجالا من رجال، لا يقول تقليداً ولا تحيزاً ، وكفى بالله شهيدا ،

من احوال الشيخ العجيبة، تلك الهمة القعساء العالية المنزع ، فقد خصه الله بهمة فعالة صوالة ، تسير بها الجبال من مراسخها ، وتنسى بها النفوس امامه كل حظوظها، همة لاتعرف يأسا ولا قنوطا ، ولا يعتريها فتور على امد الايام ، لا تزال مع الشيخ في كل احواله ، حتى انه احيانا لينسى التؤدة من غير شعور منه ، فيكون كالريح العاصفة التي تدك كل ما امامها ، تصاحبه في سيره وفي حالة ذكره ، وفي مقام الوعظ ، وعند الاكل والشرب ، وعند مزاولة كل شغل من اشغاله . فلا تعارضها حرارة ولا برودة ، فتقتحم بالشيخ حمارة القيظ ، وصبارة الشتاء ، وتستصغر امامه العظائم ، فيشجع حيث يكع الشجعان ، ويقدم حيث يتأخر الفرسان ، فبهمته العلية اطار آلافا مؤلفة من الناس الى ملكوت رب العالمين ، فنسوا اولادهم واموالهم ، ومشتهيات نفوسهم ، وبهمته يقتنص الرؤساء الجهال ، فلا يزال بهم حتى ينقادوا للخير مهطعين ، وبهمته طال تردده الى اصحاب الغفلة فينقض عليهم انقضاضا متواليا لينتشلهم مما هم فيه ، ويطربهم الى عبادة مولاهم ، ثم لاييأس ان عادوا الى ما هم عليه ، فلا يزال يرجو منهم كل الرجاء ، ومن آثار همته هذه الحكايات :

حكى سيدي مولود اليعقوبي من اكابر اصحاب الشيخ انه كان رأى قبل ان ينقطع الى الشيخ في عالم المنام : ان الشيخ صار كطائر كبير ينقض على أناس كثيرين اجتمعوا في بسيط من الارض، فكان كلما انقض عليهم يحمل منهم كثيرين فيطير بهم، ثم لايزالون يتفلتون من يده واحدا فواحدا ، حتى يفلتوا كلهم اجمعون ، ثم يرجع ثانيا الى الانقضاض عليهم ، فيقع له معهم مثل ذلك في كل مرة، قال فقلت في نفسي: لابد ان انظر ما سبب سقوط هؤلاء الناس من يد الشيخ ، فصرت اقلبهم ، فاذ في ارجلهم كبول وقيود ثقيلة، فقلت فقلت في نفسي، أبسبب هذه القيود يسقطون الى الارض ؟ ثم صرت امد يدي خلسة من الشيخ ، لانظر افي رجلي انا ايضا قيد ام لا ؟ فلحظني الشيخ ، فقال ليس في رجلك انت قيد يقيدك، فعلمت ان المقصود بتلك القيود الشهوات التي تمنع الناس من الوصول الى ربهم ، فتعجبت من كون الشيخ لا ييأس من الناس ، مع انهم مقيدون بالشهوات دون الوصول ، قال ثم سمعت الشيخ يقول : ان العارف بالله لاييأس من الغافلين وان بلغت

بهم الغفلة ما بلغت ، كما ان الشيطان لا ييأس من صالح عابد منيب الى ربه ، وان بلغ في الانحياش الى ربه ما بلغ .

وذكر لي سيدي احمد الزدري ان الشيخ اراد يوما ان يذهب الى موسم (تازروالت) لملاقاة الفقراء ، فخرج على بغلة ، وانا وراءها راجلا في يوم بارد شديد القر، وقد اكتسى وجه الارض ثلجا ، فسرنا كذلك الى ان نزلنا في ثنية تينزار فمال الشيخ الى مسجد قرية (اسكبوار) العليا ، فبات في مسخن ماء الوضوء والمطر منهل علينا ، والسقوف تكف حتى سالت المياه منها ، فتناول الشيخ هبضورته فوضعها على رأسه ، فأقبل مستقبلا على الذكر الى ان طلع الفجر عليه وهو فان في الذكر ، وقد كان الفقراء في القرية راودوه ان يذهب الى ديارهم فأبى ، وفي الصباح سال الوادي فلم يمكن عبوره فرجعنا ادراجنا على تلك الحالة ، وامثال هذه الحكاية من الشيخ كثيرة .

- وذكر لي سيدي ابوبكر بن عمر رحمه الله قال سحنا مرة مع الشيخ في ازغار ، فخرجنا من قرية الى اخرى ، فبلغ منا مطر كثير اصابنا مبلغا عظيما ، سالت به ثيابنا ماء، فلم نكد ندخل المسجد في القرية التي نقصدها ، حتى افتتح الشيخ بهمته المعروفة من الاذكار ما استنهضنا - فاذا بنا قد نسينا كل شيء، فسخنا من بواطننا الى ظواهرنا .

- وحكى لي ايضا ان الشيخ اراد يوما ان يخرج من محل في حمارة القيظ ، والشمس تذيب الادمغة فقيل له : انتظر حتى تمر الحرارة، فقال قولوا انتم للحرارة تنتظر حتى نمر نحن ، فخرج لطيته ولا يبالي ، وهذا ايضا منه كثير .

اخبرني مخبر بان الفقير المتجرد سيدي الحسين السكتاني تمارض مرة في وقت حصاد والفقراء يحصدون في الزاوية الالغية ، فخرج الشيخ من الدار ، فاذا به يرى بغلة من بغال الزاويه افلتت من مربطها ، فناداه بهمته العلية ، قم قم رد تلك البغلة وبهمة الشيخ نسي تمارضه ، فجرى ملء ساقيه حتى ردها ، فقال له الشيخ : اهكذا انت وانت تتمارض ؟ اذهب والحق بالفقراء يا بهيمة - كلمة كثيرا ما تجيء على لسانه .

وقد كان الشيخ دائما لا يرضى من الفقراء ان ذكروا بالجهر ، الا الذكر ملء افواههم واذا كانوا في الخدمة فلا يزال يستحثهم فلا يقبل تأنيا ، وإذا كانوا يسيرون يسوقهم غالبا امامه ، فيضع المهماز في شاكلة البغلة ، ولا يركب الا البغال المشاءة فيجري الفقراء امامه جريا دائما ، ومن تخلف ضربه بطرف اللجام ، ولهذا قال سيدي بلقاسم الحجام الهواري من كبار المتجردين ؛ ان الشيخ لا يكون معه الا الجنادب التي لاتسكت قط ، ولا تعرف الا الصراخ دائما ، والا الرياح العاصفة التي لا تسكن قط عن الهبوب ، يعني ان الشيخ لا يزال يستحث الفقراء على ذكر الجهر في السير ، فلا يزال يامرهم به ، ثم هو مع ذلك لا يرضيه منهم الا الجري الدائم .

وقد كان الشيخ الذي لايالف الا ركوب البغال المشاءة ركب مرة بغلة من (تامانارت)

فحملها على مشيته التي يعتادها ، فلم يكد يصل بها حتى هلكت ، وللشيخ مع هذا شفقة مشهورة على البهائم ، فيوثر عنه التوصية بالرفق بها .

ومن آثار علو همته انه لايحب من اصحابه التشكي ، ولا يريد منهم الا المثل العليا في التحمل ، وكذلك لا يحب منهم الا ان يعلوا نظراتهم وان لا يستبعدوا اي مقام من مقامات الصوفية كما سترى ذلك بين مقالاته الاتية ان شاء الله، وكثيرا ما يحكى في المجلس لاصحابه هذه الحكاية : كان فقير متجرد متبتل عالي الهمة ، فتعلقت همته بأن يتزوج بنت سلطان عصره ، فذهب وطلب لقياه ، فلما مثل بين يديه خطب اليه بنتـه على سنة الله ورسوله ، فلم يرد السلطان ان يقابله برد خطبته صراحة فقال له ان لبنات الملوك صداقا كأصدقة مطلق النساء، فإن أردت بنتي فسق اليها ياقوتة فريدة من اليواقيت التي لا تتداول في الاسواق ، ولا بين ايدي التجار الصغار ، فقال الفقير للسلطان الامر سهل، ثم خرج فسأل أين يوجد الياقوت العالي الغالي الذي تتحلى به بنات الملوك ؟ فقيل له لا يوجد الا في قعر البحار ، فذهب بدلوه الى البحر ، فعزم ان يفرغ البحر من كل ما فيه من الماء حتى يتوصل لحاجته في قعره ، فحين جد في عمله بهمة عظيمة ، اطلت عليه دابة من دواب البحر فقالت له ما تصنع وما تنوي من عملك هذا حين اكببت على غرف المياه من البحر؟ فقال لها بهمة عالية انني اعزم كل العزم على ان لا ازال افرغ هذا الماء حتى لا تبقى في البحر نقطة لاتوصل الى الياقوت في قعره ، فعزت كلمته بسبب نفوذ همته الدابة وما حواليها من الدواب ، فقد خفن ان يفرغ كل ما في البحر من الماء ، فيبقين بلا ماء ، فيهلكن فقلن له ان كان هذا هو مقصودك وحده ، فبفضلك لا تغض ماءنا فنهلك ، فان كل واحدة منا ستنزل الى قعر البحر فتحمل بفيها ما تقدر عليه من الياقوت ، فتلقيه بين يديك ، ففعلن ذلك فاجتمع من اليواقيت امام الفقير ما ملأ به مخلاته ، فذهب بها حتى مثل ثانيا امام السلطان فأفرغها ، فتعجب السلطان مما رأى وأيقن أن للفقير يدا خفية في حاله غير مايظهر عليه ، فسأله أين وجد كل هذا الياقوت الذي لم يكن عشر معشاره في خزانة السلطان ؟ فحكى له الواقع ، فإذ ذاك زوجه السلطان بنته التي ما ملكها الا بعلو همته .

هذه هي الاسطورة التي هي احدى الحكايات التي كان الشيخ يحكيها غالبا لاصحابه يستنهض بها هممهم الى المعالي ، وقد كان يقول اثرها ما قاله الشاعر الشلحي :

أبسوسو أركَيْر تلي منعنين

وترجمته : من يتسوف دائما في اموره فلا يدركن المعالي أبدا

ومجمل القول في علو همة الشيخ انها تتخلل جميع اقواله وأفعاله ، وكل شؤونه المادية والمعنوية ، كما كانت قطب تربيته لاصحابه ، فإنه لا يريد منهم ان تسف هممهم فتقنع بما هو دون حضرة ربهم ، فلا يتوقفون مع كشف ولا كرامة ، ولا شهرة ولا خمول . ولا عبادة ولا اي شيء ، فإن ذلك كله غير الله تعالى .

ومهما ترى كل المراتب تجتلي   عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

ومن أحوال الشيخ البارزة استغراق اوقاته بين شيئين اثنين لا ثالث لهما ، اولهما تبليغ الدين لعموم الامة في كل مجلس بكل فرصة وجدها ، فيجمع في هذا الحال بين اتباعه المنخرطين في طريقته وبين غيرهم ، فإن لواء الارشاد والوعظ لا يزال منشورا بين يديه فينبه الغافلين . ويستتيب المذنبين ، ويسترجع الى جهة الدين من الفوا الاعراض عن اداء شعائر الاسلام ، وهكذا الشيخ كلما خالط الناس . سواء في سياحاته او في اقامته بزاويته .

وثانيهما اشتغاله بخويصة نفسه ، فيقضي خلوات اما في تلاوة القرآن ، وإما في الذكر وكان هذا هجيراه وحاله الدائم ، منذ عرفه الناس الى ان لقي ربه ، فلم يكن يمضي ساعاته الا فيما يرضي ربه ، وقد جبله الله على ذلك وهيأه له ، ورزقه القبول التام ، فلا يكاد يجلس اليه جاهل غافل حتى ينيب الى ربه، او حتى يتأثر بما يسمعه منه على الاقل وقد مدحه يوما شاعر شلحي من إداوزكري بأنه لا يشتغل الا في الدعوة الى الله ، فتشهد له الطرقات التي كان يجوبها ذهابا وإيابا ، وتشهد له الاجبال والاشجار التي كانت تسمع ذكره وذكر اصحابه في الفلوات ، في قصيدة طويلة متضمنة اوصاف الشيخ الصادقة ، وقد ورث الشيخ هذا الحال عن شيخه المعدري ، الا انه زاد عليه بما اوتيه من العلوم ، فيعلم التوحيد للناس ، وكيفية الصلاة واسرار الدين واركانه ، على عادة اناس من السوسيين قبله منهم الاستاذ سيدي محمد بن زكري الطاطائي الذي كان يتقرى القرى لذلك ، وعلى سنة الاشياخ التمكيدشتيين ، الا ان الشيخ زاد على الجميع بجعل ذلك هجيراه وديدنه . فكان كلما ورد على قرية ينادي في كل اهلها ليلا فيجتمع الرجال في جهة والنساء في جهة ، فيأمر احد الوعاظ من اصحابه، فيقوم فيتلو على المسامع بصوت مطرب، القصائد الشلحية، المتضمنة الوعظ ، وعدم الغرور بزهرة الحياة الدنيا ، وتذكر الموت دائما ، او المتضمنة لذكر ما في طاعة الله من الخير وطمانينة القلب، والفوز بالجنة التي عرضها السماوات والارض، فتوصف الجنة التي اعدت للمتقين، او المتضمنة وصف النار وما في طبقاتها من سعير العذاب، فكان الشيخ يتخلل كلام الوعاظ بكلامه ، فيفسر القرآن او الحديث أو يورد من كلام العلماء ، او يستنهض الهمم للتوبة، ولسلوك الصراط المستقيم ، وللابتعاد عن مسالك السيئات . فيهز القلوب وعظه وإرشاده، لانه يعرف كيف يعظ كل طبقة بما يناسبها، فلا يزال بالناس حتى يعلو نشيج البكاء من الرجال ومن النساء ، ثم يستثيبهم في الحين ، وقلوبهم مترفرفة لتأثرها بوعظه، وقد كان للشيخ وعظ يفلق الجلاميد، ويذيب الحديد، ويشعر به الغافل، ويستيقظ النائم ، وكثيرا ما تعجب الناس من بكاء بعض من قست قلوبهم ، وعرفوا بالاعراض عن الله وعن اهل الله ، ولهجوا بالدنيا وأهلها ، فلا يعرفون الا الخوض مع الخائضين ، فلا يسالون بحلال ولاحرام ، ولا بتذكر ما عند الله ولا بانابة اليه . ولكنهم لا يكادون يصيخون لوعظ

الشيخ حتى يبكوا عما فرط منهم ، ويعلنوا انهم ليسوا على شيء . وفي ذلك حكايات :

حضر مرة الرئيس (الخاطر) الزكري الجبار في مجلس من مجالس الشيخ في قبيلته وقد كان معروفا بقساوة القلب ، وغلظ الكبد ، فطال تعجب الناس منه حين رأوه ودموعه على محاجره تتساقط خشوعا وتأثرا بوعظ الشيخ .

وحضر ايضا مجلس الشيخ في مسجد سيدي (ركاك) انسان من أهل القرية ، فحين خامره ما خامر كل الحاضرين ، وعراه ما عراهم ، انفتل عن مكانه ، فقال والناس يسمعون لاها الله لااترك مالي ولا اولادي ، فان هؤلاء الناس لا يتذكر ماله ولا اولاده من عرفهم ، ولا من ذاق مذاقهم فخرج ، هذا مع ان الشيخ يلاقي احيانا العنت ممن يستفزهم الشيطان ، ويستولي عليهم ويلتقم قلوبهم، فقد نادى مرة في جهة (إيسافن نيت هارون) باجتماع الناس ليبلغهم دين الله كما هو ، فثار ثائر رئيسهم فتناول عصا غليظة ، فجاء الى المسجد ، فوجده مكتظا بأصحاب الشيخ ، وقد حلقوا على الشيخ ، فصار يخاصمه مخاصمة السفهاء ، فحين رآه الشيخ محتدما بالغضب لم يجبه ، فأمر الواعظ ابن الحاج التيملي ان يقوم فيتلو من (بحر الدموع) للهوزالي ، فوقف الرئيس يسمع ذلك مليا ، ثم قال للشيخ لولا هذا الذي يحفظ كلام سيدي امحمد بن علي الهوزالي لكان لك مني يوم اسود، ثم ذهب .

وكان مرة في دار القائد سعيد الشياظمي ، فرآه اقام الجمعة في داره مع أعوانه فقط ولم يستوف ذلك شروط الجمعة ، فنهاه الشيخ عن فعله بلطف ، فاحتدم القائد غضبا ، فاغلظ عليه الشيخ ، ولم يخف في الله لومة لائم ، فقام القائد وهو لايدري اين يضع قدمه معاندا وقد ابى من ترك فعله ، فلم يمض الا ايام حتى هدمت داره ، وقد كان من عادة الشيخ اصلاح المساجد ، واقامة الجمعات لمن تمت لهم شروطها ، وتنبيه من ليست لهم شروطها ، فكم جمعة اقام وجمعة نقض، ومن مساجد وسعها أهلها باذنه، حتى عرف ذلك عنه في سوس.

وبات الشيخ مرة في قرية (تارسلت) من قبيلة منوكة ، فرأى مستقى نساء القرية من نطفية وسط المسجد ، وفي الصباح خرج مع اصحابه بين الناس الى مصلى العيد ، وكان ليوم يوم عيد ، فحين قضيت الصلاة نشر الشيخ مواعظه ، فاداه الوعظ الى ان امر اهل القرية ان يبنوا نطفية اخرى خارج المسجد ، لئلا يختلط الرجال والنساء في المسجد ، ثم قال : ام ليس فيكم لا ناه ولا منته ، فاغتاظ رئيس القرية من قوله وثار يخاصم الشيخ فعمد اليه الشيخ متوكلا على الله يقرعه ويثرب عليه فنوى الفقراء ان يفتكوا بالرئيس لانتهاكه حرمة الشيخ ، ولو قاموا لقام ايضا اهل الرئيس ليدافعوا عنه ، ولكن للشيخ هيبة غلبت الرئيس ، فقام ابن للرئيس يستعطف الشيخ ويعده بما يريد ، ثم صليت الصلاة ، وفي اليوم الثاني جن الرئيس ، ثم هلك وشيكا ، فكان عبرة للمعاندين امام الحق .

وهكذا يقع للشيخ احيانا، فيلاقي في ارشاده للعامة ما يلاقي، ولكنه لايبالي بذلك لان كل ذلك فيه ائتساء بالانبياء والمصلحين (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور). وقد يسمع

احيانا حين يسائل الناس بتتبع عن عقائدهم ما يتعجب منه المتعجبون ، فقد وفد عليه الوفقاويون اثر مجيئه من الحج 1306 هـ مع مرابط من آل (اكادير إيـزري) ، وحين صار الشيخ يبين لهم الحياة الاخرى بعد الموت ، ويذكر البعث والحساب ، قال له أحد كبراء الوفقاويين ، وهو المسمى ابراهيم أوسار : اصحيح يا سيدي هـذا الذي يذكره الناس بعد الموت ؟ ام انما يذكر الوعاظ ذلك ليرتدع الناس عن الظلم والتعدي ، فأقبل الشيخ بوجهه الى ذلك المرابط الذي يخدمه الوفقاويون ويعتقدونه ، فقال له : أرأيت يافلان الى اين وصل اصحابك هؤلاء في الجهل ؟ فانهم ليسوا بعد بمن يومنون بالدار الاخرة ، فحرام عليك كل ما تاكله من عندهم حين لا تعلمهم عقائد الدين ، فبقوا في شك مما لابد من الايقان به ، ثم حمل حملة شعواء على المرابطين الذين ياكلون اموال الناس بالباطل ، ثم ليسوا بمن ينفعون الناس بعلم او عمل ولابمن يكفون انفسهم عن الناس فيدخلون في غمار الناس .

وكان الشيخ مرة في قمة جبل درن مع اصحابه ، وقد استدار بهم اهل القرية يسائلهم عن دينهم على عادته ، فقال لاحدهم، ما هي قبلتك ؟ فقال بيت الله الحرام، فقال له الشيخ ومن دفن فيه ؟ فقال دفـن فيه الله تبارك وتعالى ، فأطرق الشيخ فصار يقول لنفسه كأنه يوبخها : ادخل انت يا علي دارك ، ودع تعليم الناس ، مع ان فيهم من قتل الله ودفنه في قبلته ، وقد تكررت مثل هذه الاجوبة من اهل جبل درن لجهلهم ، ولهم عنجهية لا يطيعون بها من يعلمهم ، فلم يزل بهم الشيخ حتى قال لهم ، وداعا يا أهل جبل درن ، حتى يوذن لنا في السيف ، يعني انهم لاينقادون الى الحق الا اكراها .

ووقف الشيخ مرة امام دار القائد عبد الملك المتوكي ، وأصحابه مصطفون امامه . وذلك في وقت وداعه للقائد ، فصار الشيخ يعظ كل من هناك من مئات الناس ، والقائد وأهله وخلفاؤه واقفون ازاءه ، فصار يلقي من مواعظه ، حتى بكي كل من حضر ، وقد كان الفقيه الصالح سيدي الحسين من آل بيهي المتوكي واقفا ايضا في جملة فقهاء متوكة . فلم يملك نفسه ان نادى في الناس : اشهدوا يا كل من حضر ، بأنه لم يؤد ما عليه للامة في تبليغ رسالة الدين الا الشيخ سيدي الحاج علي وحده ، وأما غيره فإنهم سيحاسبون على ذلك ، فقال له الشيخ ، وقد استنكف من هذا الثناء ، دع هذا عنك ايها الفقيه ، ثم أعلن الشيخ بالدعاء فاختتم المجلس ، هذا مع ان الفقيه المذكور ، كثيرا ما حث الشيخ على الاشتغال بخويصة نفسه ياسا منه في اصلاح الناس .

حكى لي سيدي مولود : ان بعض أهل قبيلة إيلالن وإندوزال قال : كنت أعتقد دائما أن اولياء الله تعالى يكونون على وتيرة واحدة ، حتى بات عندنا سيدي الحاج علي الجشتيمي ، وسيدي الحاج علي الدرقاوي ، فعرفت حينئذ ان كل ولي له حال خاص ، فإن سيدي الحاج أحمد هادي صموت ، بات عندنا ، فاجتمع عليه أهل القرية ، فكان لا يقول

لاحد شيئا ، فمتى وصلت الصلاة صلى مع من حضر ، ولا يبالي بمن تخلف من اصحابه عن الصلاة ، ثم خرج عن القرية ، وأهل القرية لا يزالون كما كانوا، مع انهم كلهم يعرفون الفقيه ويحبونه ويكبرون شأنه، لكنه لم يقل شيئا عن دينهم، ولاسألهم عما يعرفونه منه او يجهلونه، ثم لما جاء الشيخ سيدي الحاج علي دخل القرية بذكر اصحابه الذي هز القلوب اولا ، ثم جمع الشيخ اهل القرية الذين ما عرفوه الا ذلك اليوم ، فظل يسأل كل واحد عن عقيدته ، وعن أداء دينه ، وهل يلازمون الصلاة في المسجد ، ثم علم من جهل ، وأثنى على من علم ، ثم صار يحث على عمارة المسجد وعلى تعليم الصبيان ، ثم اعلن وعاظه بالصوت العالي مواعظ الدين، فسمعها كل الرجال والنساء. حتى المحتجبات في دورهن، فقد بلغهن صوت الوعاظ ، فلم يزل الوعاظ بالناس حتى اهتزت القلوب ، وأعلنت التوبات ، وبكى الناس على ذنوبهم بكاء مرا ، وهكذا أيضا حين أراد أن يودع الناس فقد كان آخر ما وصاهم عليه الاشتغال بربهم ، واصلاح ذات بينهم ، ثم ذهب ولا يهمه مال ، ولا جمع شيء من حطام الدنيا ، قال فلو عاد إلينا الشيخ مرة أخرى لما كان في القرية مقيم على المعاصي ، وسبحان من فرق بين أحوال هذين الوليين ، سيدي الحاج احمد الجشتيمي ، وسيدي الحاج علي الدرقاوي .

ومثل هذه الحكاية ما وقع في مدرسة (الساعدات) فقد كان الشيخ الاكبر سيدي ماء العينين بات فيها ، ثم لم يطل الزمان ، فبات فيها أيضا الشيخ الالغي بأصحابه ، فحين ذهب جرى في ناد من أندية الطلبة خلف في الشيخين ، أيهما أعلى كعبا ، وأبعد مدى ، فذكر مؤيدو الشيخ ماء العينين علمه وشهرته في أبواب الملوك ، وعمره المديد ، وكثرة تآليفه ومن يتبعونه من الجيش العرمرم من التلاميذ ، فكلهم علماء أو متعلمون ، فقال له صاحبه كلا الشيخين ما طارت لهما شهرة إلا بإرشاد العباد ، وإصلاح الناس في البلاد ، فقد رأيت كيف بات عندنا الشيخ ماء العينين ؟ وكيف فارقنا ، ولم يبق فينا بعده شيء نذكره به ، وأما الشيخ سيدي الحاج علي فإنه وجدنا غافلين نسدر في غلوائنا ، ثم لم يفارقنا حتى صرنا على حالة أخرى ، وقد نسينا أنفسنا وقراءتنا لكثرة تأثرنا بما نحن فيه معه ، فقد اطار الافئدة بوعظه المؤثر ، وزعزع القلوب بأذكار اصحابه ، وهز مشاعرنا بشيء لا نقدر ان نعبر عنه الا بأنه رباني وضعه الله في يديه ، يهز به شعور الناس ليرجعوا الى الصراط وينيبوا إلى ربهم، فلولا حياؤنا من أستاذنا لما قدرنا أن نتخلف عن مصاحبة الشيخ، والانخراط في طائفة أصحابه ، قال الحاكي ، فحينئذ سلم له صاحبه وقد أيده كل الحاضرين .

سمعت الاستاذ المدرس سيدي الحاج مسعود الوفقاوي يقول ، ذهب الشيخ سيدي الحاج علي بالهمة العليا في الدعوة الى الله ، فكم بلدة غافلة سادرة في جهالتها ، لا تعرف ذكرا ، ولا إقامة صلاة ، ولا عمارة مسجد ، فلم يكد الشيخ يمر بها حتى تدب فيها الحياة ، وينيب أهلها ، ويتركوا شرب الدخان وغيره من المعاصي ، ويعمروا مسجدها ويصلحوا حال

فسادها، ويتوب لصوصها، وحتى تجأر بذكر الله حتى تمتلي° مراعي الغنم بهيللة الرعاة، وحتى لا تسمع من داخل ولا من خارج الا ذكر الله تعالى بالجهر، ولذكر الله بالجهر تأثير في الغافلين (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

كان سيدي الحاج احمد الجشتيمي ارسل مرة الى الشيخ الالغي، يقول له. إنك تسيح كثيرا في البلاد، فاعتن بإصلاح ذات البين بين المتقاتلين، فقال له الشيخ، نحن إنما أقامنا الله في إصلاح ما بين العباد وبين ربهم، ولم يقمنا في غير ذلك، على ان المتقاتلين والمتخاصمين في هذه البلاد في هذا العهد مثلهم مثل الكلاب المتهارشة، فمن اراد ان يقف حياته على الفصل بينها، فانه لا يبقى له شغل بعد، فإنه كلما فرق بينهما في سكة، رجعت الى تهارشها في سكة اخرى، فيكون فى عمله بين المتخاصمين مثل الصبيان اللاعبين، فكان سيدي الحاج احمد بعد ذلك كلما رأى ممن يعاني الاصلاح بينهم مراجعة الخصام بأدنى سبب، يقول: ذكر الله الشيخ سيدي الحاج علي بخير، فقد صدق فيما قال، فكان الجشتيمي رحمه الله يلاقي من ذلك العنت، إلا ان ذلك هو الباب الذي اقامه الله فيه لنفع العباد، وكل ميسر لما خلق له. (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات).

وقد كانت قرى بعض البلدان عجيبة في تهتكها، غريبة في استهتارها، ثم لا يزورها الشيخ حتى يستبدل الله حالها بحال آخر، فقد قال بعض الزكريين، لقد تاب إبليس على يد الشيخ منذ تاب اهل تيمولاي الزكريون على يده، وكان اهل تيمولاي مشهورين بكل فعل قبيح، عرفوا بذلك في قبيلة اداوزكري، ثم لما عرفوا الشيخ، وانخرطوا في الطريقة، صاروا من أخشع الناس واقربهم انابة الى الله تعالى، ومن اريد للسعاده سيق له سعيد.

وكذلك كان يتوب على يد الشيخ من كانوا رؤساء الملاهي التي هي بؤرة المعاصي ومنبع كل قبيح، فقد كان سيدي الحسين أولكود البعمراني فى الغفلة عن ربه، على حال يضرب بها المثل، حتى ان الشيخ لما بات في قريته فصار يستتيب الناس، قال له الحاضرون من الشبان، نحن تبع لهذا، فأشاروا الى المذكور، فان تاب تبنا كلنا اجمعون، فالتفت اليه الشيخ فقال لهم: أماهذا فإنه تائب منذ الان ، فكان الحال كذلك فكان ذلك اكبر كرامة للشيخ عندهم. وهذاما يقع من الشيخ، فان من يكون أبعد الناس عن الرجوع الى الله، هو الذي يؤثر فيه الشيخ بهمته، فيميل بوجهته الى ربه، فكم لص خطير تاب على يده، فصار من أكمل الرجال، كالسيد احمد ابن السائح الجراري، وكم فقيه غافل بعيد عن المعرفة بالله ما جال عليه الشيخ بهمته الا وبدل حاله الى حال آخر، كسيدي احمد الفقيه.

فهكذا كانت الدعوة الى الله اكبر صفات الشيخ الظاهرة، فكان يدور في البلدان ، ولا غرض له إلا ذلك، فكم اسابيع امضاها هو واصحابه سغبا ، لا يتقوتون بلقمة، وهم ينتقلون من قرية الى قرية، لا يتجاوزون قرية امامهم، وهم في كل ذلك يبلغون رسالة ربهم لكل من صادفوه، ثم إذا صادوا احد الذين كتب لهم مما عند الصوفية نصيب، بات منخرطا في

طريقتهم، ثم له من تربية الشيخ الخصوصية ما كان معتادا له بين اصحابه الاخصا" .

وقد كانت هذه هي حالة الشيخين : سيدي أبي محمد صالح دفين آسفي، وسيدي محمد ابن سليمان الجزولي في عصريهما، فكانا يصطادان في سياحتهما من فيهم قابلية الانطباع الصوفي، فقد كان الاخير يقول لاصحابه ألا تصطادون لنا؟ كما هو معلوم في ترجمته من كتاب «ممتع الاسماع» وقد زاد عليهما الشيخ الالغي بكونه يهتم زيادة على التربية الصوفية الخاصة ، بإرشاد العامة، وتعليمهم امور دينهم، وتنبيههم وإرشادهم على حفظ ناموس الاسلام ، فكان للشيخ كما ترى مقامان جليلان ، لم يكد يقوم بهما معا من قبله الا قليلا، فله تربية العامة وإرشادهم، كما كان له تربية الخاصة بالتربية الاصطلاحية لما سنبين ذلك بعد ، وذلك مما يدل على ما له من الكمال العظيم، ثم ان للشيخ التفاتا غير قليل في إصلاح ذات البين بين المتقاتلين والمتخاصمين احيانا، خصوصا بين الافراد الذين ينتمون اليه، فكم قاتل تائب مما اجترم، وقف معه حتى سامحه اوليا" الدم، وكم مظلوم مشى معه حتى ردت إليه ظلامته، وكم مسجون سرح بسببه ، وكان لا يقف في شي" من ذلك حتى يعتقد عارفوه ان همته الفعالة لا بد ان يتم ذلك بسببها على يده، وكان يغار على اصحابه، فلا يمسهم ماس حتى يتوجه بهمته لاعانتهم، ان لم يكن اعانهم ظاهرا ، فقد سجن احد اتباعه في (*اسا كا أوبلاغ) فارسل اليه رسالة مشهورة بين رسائله، يأمره باغتنام وقته، فيرجع بنفسه الى الله تعالى ، فأمره بأن يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أمره بعدد منها يذكره، ثم لا يزال يزيد على ذلك، الى ان يبلغ منتهى عينه له، وهو مائة ألف، ثم سرح بعد ذلك بلا تعب.

وكذلك وقع له حين سجن المهدي المتوكي خليفة القائد عبد المالك المتوكي ، الفقيه سيدي عبد الله الركراكي الكسيمي ، فزار الشيخ الخليفة في محل نزوله بماسكينة ، كما هي عادته في الالمام بالرؤسا" على البلاد التي يكون فيها ، فقيل له بعد أن رجع، أذكرت له الفقيه الركراكي ؟ فقال إننا طلبناه من الله قبل ان نذهب اليه ، فلم نذكره له ، ثم بعد أيام أرسل الشيخ رسالة الى سيدي عبد الله بالتهنئة بتسريحه ، فأتى بها فقير من الصويرة فوجده لما قارب أرض قبيلة كسيمة لما يسرح ، ولكنه ما كاد يقف امام داره حتى وافاه الفقيه مسرحا من عند الخليفة المهدي ، حدثني بهذا ، الفقيه سيدي عبد المالك التناني وقد شاهد ذلك بعينيه .

وأحيانا يفك العاني بلسانه وهمته ، فقد سجن الجبار القائد سعيد المجاطي احد أتباعه فذهب إليه فأبى أن يجلس حتى يطلق له الفقير ، فصار القائد ينكر وجوده عنده ، والشيخ يقول له بهمة عالية ، دع عنك هذا فلا بد أن تأتي به الان ، الان ، الان ، فانفعل القائد بهمة الشيخ ، فأرسل إليه ، فقدمه الى الشيخ ، فرجع به والقائد خزيان ينظر ، وذكر لي أن القائد قال للشيخ من هذا العريان حتى يهتم به مثلك ؟ فقال له الشيخ : انني إن فرطت فيه في الدنيا فسرعان ما أفرط فيه أيضا في غير الدنيا ، لاها الله لا افرط في أحد من أصحابي .

وقد أرسل القائد المذكور لصوصا سرقوا بغلة الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالغي، فركب الشيخ مع الفقيه الى داره، وهو اذ ذاك محاصر في داره في (تاكجكالت) فلم يقدر الفقيه أن يصل دار القائد، فوقف مكانه حين اطلوا على الدار، فدخل الشيخ الى القائد، فصار يخاصمه مخاصمة شديدة، ويقول له هذه أواخر عهدك، فقد انتهكت الحرم كلها، وهذه هي التي بقيت لك فانتهكتها، فتربص عاقبة بغيك عن قريب، فأين بغلة الفقيه ؟ إيت بها الان، ودع عنك جميع الاعتذارات، فلم يمكنه الشيخ من التذبذب بهمته المعروفة، فلم يجد مناصا من أن يامر بالبغلة، فأخرجت الى الشيخ، فرجع بها الى الفقيه، وقد كان القائد لما أتي بالبغلة قال لاصحابه، سترون الان الشيخ الدرقاوي، ولكنه لا يرى البغلة، ولا يجيء هذه المرة إلى ما يريد، وهو الذي كان يمنعني دائما من الفقيه، الا ان القائد لم يكد يرى الشيخ حتى ذل وخضع لاوامره مرغما.

وحكى لي أحد أتباعه من أهل (توكدير) أن زوجته فرت منه الى انسان بأنكيضا، فركب الشيخ على بغلته من غير أن يتطلب منه ذلك، فقابله الانكضائيون بالضيافة، قال المذكور فبات الشيخ يتنفل، ولم ياكل إلا بيضة فقط في العشاء وهم في رمضان، ثم راود المرأة بالرجوع فأبت، فغضب الشيخ، فرأت منه براهين انقادت بها بعد حين، ثم تابت وصلح حالها، فولدت للمذكور كل أولاده.

وكان الحاج الحسن الكيلولي من أصحاب الشيخ وأتباعه، ثم سجنه اخوه القائد مبارك فذهب الشيخ الى (تمانار) بحاجة، فبمجرد ما دخل نادى بالقائد ائت بفلان الساعة الساعة، ولم يتركه حتى يجيبه بأدنى كلمة، فأتي بالحاج الحسن يحجل في قيده، فحل عنه في الحين ثم امر بالخيل الى الملعب بإذن الشيخ، ليظهر الفرح بتسريحه، وكل ذلك على رغم القائد تأثرا بهمة الشيخ، وقد كان الحاج الحسن خليفة لاخيه القائد مبارك على (اكادير)، فهناك انخرط في اصحاب الشيخ.

واخبار الشيخ في هذه الناحية كثيرة، واعظمها ما وقع له 1327 هـ حين مر بالهشتوكيين وقد اقاموا الجيوش للمقاتلة بينهم، فذهب الشيخ ومر بالفقيه اوعابو وبغيره، فساقهم امامه يدعو الناس الى الصلح، ومعه كل فقرائه المتجردين، فأبى عليه الرؤساء إباء تاما، فالتفت الى العامة، فقال لهم، ان الله امر بالصلح، ولا بد منه اليوم، فهل تريدونه انتم؟ فقالوا نعم ان وجدناه، فقال لهم اربح الله كل من اطلق بندقيته اعلانا بالصلح، فثار العامة كذلك، فقام دوي هائل ثارت به الخيل، فولت مجفلة الى كل جهة، فتبع كل فارس فرسه ليدركه، فتفرق الناس على رغم انوفهم فكانت من آثار همة الشيخ العجيبة.

ومن آثار همته هذه، ان كثيرين كانوا ضده، ثم اسلسوا القياد بسرعة، فقد قعد جماعة في قرية عين ابراهيم بن صالح، فإذا بالشيخ مقبلا على بغلته عليهم، فقالوا اجتهدوا ان لانقوم له اذا وقف علينا، ومن هو الدرقاوي ؟ ولكنه لم يكد يقف عليهم حتى تبادروا اليه مسلمين عليه.

وحكى لي القاضي الحاج الحبيب الورزازي قال ، جلسنا في حلقة الفقيه السباعي صباحا في مسجد المواسين بمراكش ، فإذا بنا نسمع ذكر اصحاب الشيخ سيدي الحاج علي وقد مروا فأنشد الفقيه :

تصوف كي يقال له أمين   وما معنى التصوف والامانة
وليس يريغ تصفية ولكن   يريد به الطريق الى الخيانة

ينكر بذلك على الشيخ الذي دخل في تلك اللحظة وحده الى المسجد فحيا المسجد ، ثم لما ختم الاستاذ الدرس ، قام اليه الشيخ فسلم عليه، فلم يبال به الاستاذ حتى صلى ركعتين، ثم لم ينشب الفقيه ان حنى هامته للشيخ بعد ما جالسه، فأقام له ضيافة حافلة عظمه فيها تعظيما.

ومن احوال الشيخ الكبرى ، مجاهدته المسترسلة ، فلا يفتر عنها قط ، ومجاهدته في آخر عمره هي مجاهدته في اوله ، ولم يتأثر بكونه شيخا كبيرا متبوعا ، موطوء العقب ، كما انه لم يغتر بما ذاع له من صيت ، ولا بما طار له من شهرة طنانة كبرى ،

فهاك عمله في اليوم والليلة في السياحة، يصلي الصبح بأصحابه فيقرأون الحزب جماعة ثم يبقون على الاذكار بالجهر على عادة لهم دائمة الى ان تطلع الشمس، فيقرأون الاربعين النووية احيانا، ثم الحكم العطائية بالشلحة، بترجمة الشيخ نفسه نظما، ثم لا يستتمون كل ذلك الا بعد الضحى، فيتصدر الشيخ للمذاكرة ان كان العامة موجودين ، فيشتغل بهم حتى تطلع الشمس بنحو ساعتين، ثم يتنفل الشيخ فيصلي الضحى، ويذكر كل واحد منه ومن اصحابه ورده الخاص، ثم ان كان سفر يخرجون اليه، والا فان الشيخ يشتغل بأهل البلد تعليما وإرشادا، فإنه يبقى وحده وهم مستديرون به، والفقراء متفرقون الى اذكارهم الخاصة، أو إلى الواح يقرأونها، ولا يزال الشيخ مع الناس في المذاكرة ولو على الطعام، فان وجد فراغاً ما عند الزوال نام قليلا، والا فإنه لا يزال يشتغل بالناس الى ان يصلي الظهر، فيجلس للمذاكرة مع اصحابه، وما بين العصرين مخصوص بالمذاكرة في سائر الايام، فان كان الشيخ مع اصحابه وحدهم، فإنه إما ان يعلمهم ويفسر لهم القرآن أو الحديث، واما ان يجاذبهم نفحات الصوفية، وإن كان هناك عامة من اهل البلد، فإنه يشتغل بالارشاد العام، وبتعليم التوحيد وما إلى ذلك، ولا يزال كذلك الى العصر، وبعد صلاته ينعزل عن اصحابه كما هي عادته دائما في الانعزال عن اصحابه في غير اوقات الذكر والمذاكرة، لكثرة حيائهم منه ، فيريد التوسعة عليهم، فإذا صليت العصر فإنه ايضا يشتغل بإرشاد الناس، أو يخرج الى محل اجتمعت فيه النساء ، فيذهب معه من اهل البلد من يأمرهن ان يجلسن حيث يسمعن كلامه، فلا يزال في ذلك الى المغرب، فيقرأ مع اصحابه الحزب، فيجلس مكانه، فيذكر ورده الخاص كأصحابه، ثم يحمل ايضا الكتاب للمذاكرة، لان ما بين العشاءين ايضا مخصوص لذلك ، والغالب ان يكون المجلس مجلس فقه أو تفسير، وبعد العشاء تدوم حلقة الذكر الى نحو نصف

الليل، وان كثر الناس واقبل اهل القرية فالوقت وقت إرشاد العامة، وإنشاد الواعظين لقصائد الوعظ المختلفة، وقد يهرب اهل القرية عن الشيخ وعن اصحابه، فلا يأتون إلى المسجد، ولا يرون منهم احدا، فيأمر الشيخ احد الوعاظ فيقوم في سطح المسجد، فينشد القصائد المؤثرة بأعلى صوته بغنة خاصة، فيسمع ذلك كل من في القرية في عقر ديارهم، فيبلغهم دين الله على رغم انوفهم، ثم اذا ختم المجلس، ونام الفقراء ، وقام من يتهجد منهم، وكثيرا ما يكونون دائما غالب الفقراء، كان الشيخ في منعزله يتهجد ، وقد اخبرني خادمه الخاص سيدي بلعيد وغيره من خدامه الاخرين ، وممن كانوا يبيت الشيخ عندهم، أن عادة الشيخ ان يتهجد بالقرآن بعد اختتام المجلس، قال سيدي بلعيد ولا يزال كذلك الى ان يبقى للفجر نحو ثلاث ساعات فيوقظني لاوقظ الفقراء ، وإذ ذاك فقط يتكيء في مضطجعه قليلا ، ريثما يسخن الماء للوضوء فآتيه بالوضوء، فيتوضأ فيراجع التهجد الى الفجر ، وقد ذكر لي اناس مختلفون انهم سمعوا الشيخ يتهجد إذ ذاك بعد اختتام المجلس الى ان يصل وقت استيقاظ الفقراء ، حتى كان ذلك متواتراً عنه. فهذا حال الشيخ بين اليوم والليلة في سياحاته ، فلا يخرج عن هذا الحال إلا ما دام مع اصحابه في طريق الى قرية اخرى ، فإذ ذاك لا يزال يشتغل إما بذكر الله فيمده على عادة الصوفية، واما بالمذاكرة مع من يحتاج اليها اثناء الطريق .

واما حال الشيخ في الزاوية ، فإنه لا يزال في مصلاه بعد صلاة الصبح الى ان تحل النافلة وهو يذكر مع الفقراء ، ثم ان كان فقراء وردوا على الزاوية، فإنه يشتغل معهم في المذاكرة بعد ختم المجلس على الهيأة المتقدمة، ثم يقوم فيخرج اليهم الغداء ، ولم يكن الشيخ يفارق مصلاه حتى تحل النافلة إلا في اقل القليل من الايام ان حفزه حافز خاص، ليخرج من الدار شيئا او يدخله ، لانه هو الذي يباشر بيده وحده كل ما يدخل من الزاوية او يخرج من دار عياله ، ثم ان كان في الزاوية شغل فإنه لا يزال واقفا عليه ، وإن لم يكن فإما ان ينعزل في بيت الدار ، وإما ان يتناول القرآن فيتلو منه او يطالع كتاباً ، وكون الشيخ يلازم مصلاه الى ان تحل النافلة وهو يذكر جهراً لا سراً امر يلازمه دائما ، وكثيرا ما كان يذكر وحده، وربما اطل من نافذة في المحراب فيستحث من أمرهم بالخروج الى شغل ، ولا ينفتل عن مكانه ، وكثيرا ما كنا نراه ايضا ونحن صغار مع محمد البصير الزكري ، لانه حين كان ضريرا لا يخرج الى شغل ، وربما طافت بالبصير سنة وهو في الذكر مع الشيخ فيضربه الشيخ بجمع يده . والحاصل ان فضيلة الذكر في هذا الوقت لا يزال الشيخ يحوزها دائما إلا في أوقات نادرة ، ثم بعد الظهرين يشتغل ايضا بالمذاكرة مع أصحابه ، وكذلك ما بين العشاءين ، وأما بعد العشاء فكثيرا ما يطلع الى دار الفقيه سيدي علي بن عبد الله ، فيسمر هناك الى منتصف الليل ، يشغلهم بالعلم والمراجعة ، سمعت شيخي سيدي عبد الله بن محمد الالغي يقول ، ما انتفعت الا بخالي الشيخ . فإنه كان يجيء دائما في كل ليلة الى دار الفقيه وقصده ان لا يعمر مجلس الفقيه

الا بالعلم لا بالقيل والقال ، فكان يامر بتلاوة كتاب من الكتب ، حتى يضجر الفقيه فيذهب الى مضجعه، فنبقى نحن مع الشيخ كذلك، وقد اخرج من كيسه الشمع حتى يبهار الليل . وسمعت شيخي سيدي سعيدا التناني يقول ، كان الشيخ بعد ما يرجع من دار الفقيه يتنفل، وأقل ما يتهجد به هو الخمسة من القرآن ما كان يترك ذلك واخبرني الموفن سيدي محمد بن بلعيد التناني انه ما استيقظ قط في السحر قبل الفجر بنحو ساعتين حتى يكون الشيخ هو الذي يخرج من باب الدار المطل على المركع ويناديه، لم يكن قط يغفل عن ذلك لا صيفا ولا شتاء ، ثم يتوضأ الشيخ ، فيخرج الى مصلى الزاوية ، حيث يبقى الى مطلع الفجر ، وهذا عمل الشيخ في اليوم والليلة غالبا ، الا ان حفزه حافز لتغيير ذلك ، وإنما مركز حال الشيخ في هذا الباب أنه لا يمل ولا يضجر ، ولا يعرف النوم إلا لماما ، ولم يعهد منه قط ولا من طائفة اصحابه إن كان معهم، أنهم غفلوا عن وقت يقظتهم ، ولا أنهم ناموا او غفلوا او سهوا عن الصلاة .

ذكر لي سيدي ابو بكر بن عمر المتجرد رحمه الله ، ان الشيخ في السياحة قد يبقى اياما كثيرة بلا نوم ، وكل ما يصنع أننا ان خرجنا من قرية الى قرية ، أن ينزل عن بغلته فيستلقي قليلا وقد أمرنا بالاستراحة كذلك ، فلا نكاد نحن نفترش حتى يقوم هو من نومه ويامرنا بالمشي ، وكان في قلة نومه آية يتعجب منه كل من يعرفه ، وقلة النوم حتى يكتفى بأدنى لمحة منه، من صفات العارفين (كما قاله الشعراني).

ومن أحوال الشيخ، كثرة هيبته في عيون اصحابه ، فإنهم يحبونه محبة عظيمة، ويرون مقامه كمقامات المشايخ الكبار الكمل، وكلما طالت معه مصاحبة واحد منهم، يفنى في محبته فناء عجيبا، ولذلك تعلوهم هيبته، فلا تراهم الا مطرقين امامه، خاشعين متأدبين ظاهرا وباطنا، كأنهم يعتقدون أن المشايخ الكمل ربما لا تخفى عنهم باذن الله من مريديهم خافية ، فيحفظون واردات خواطرهم من ان يسيئوا ادبا مع الشيخ بسببها، وما ذلك الا لكثرة ما كان الشيخ يتكلم على ما في قلوبهم، فلا يكاد يخطر خاطر في قلب واحد منهم امامه في حال المذاكرة حتى يسمعه من الشيخ ، تمالأ اصحاب الشيخ على وصفه بهذا ، ولهذه الهيبة العظيمة التي تعلو الشيخ، كان الرؤساء يخضعون له وان لم يعتقدوا منه ما يعتقده فيه أصحابه ، فقد كان القائد عبد الملك المتوكي مرة قال، ان هذا الذي يفعله الشيخ الدرقاوي في رجالات قبيلتي متوكة لا احبه ، لانه يفسدهم علي ، ويكبحهم عما اريده منهم من خوض الحروب والترامي على الناس ، فسمع خلائقه ذلك فصاروا يستصغرون الشيخ ، فسمع بذلك احد اتباع الشيخ هناك ، فأراد ان لايطأ الشيخ دار القائد خوفا عليه ، فأوعز الى الشيخ بما سمع ، فقال له إننا نمشي باذن الله ، ثم لما كان في دار القائد وقد اجتمع كل الخلائق ، صار الشيخ وأصحابه في الذكر ، فاتى بالصينيات ، فامر الشيخ ان تحط امام الخلائف ، فاصطفت امامهم وقد كانت الشمس مقابلة لهم ، فصاروا يتصببون عرقا ، فصار الشيخ كلما راى واحدا منهم

غطى راسه من الشمس ، يقوم اليه حتى يزيل ما على راسه ، فصار يتحكم عليهم امام مآت من الناس وامام القائد، والذكر والوعظ من الوعاظ يزعزعان القلوب، فيتعجب من كانوا خافوا على الشيخ منهم كيف انقادوا اليه الان خاضعين بعزة الله التي لا عزة مثلها، (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) وقد كان سيدي الحسن التامكونسي حاضرا وهو الذي روى ما وقع .

ومثل هذا يقع ايضا للشيخ كلما ورد على الكيلوليين في تزنيت، فان القائد سعيدا لا يبقى له شغل مدة مكث الشيخ هناك ، إلا الجلوس امامه بخضوع ، وكان يعتقده ككل رجال بيته من عهد اخيه القائد المحجوب، وقد سمعت ان القائد سعيدا كان يطوي الحكمة إذ ذاك، فيختص بالشيخ، ولإظهار الفرح به يأمر احيانا بالحلبة فتتجارى فرسانها .

ومن هيبته ايضا ما وقع له مع الوزير احمد بن موسى حين ورد الشيخ اول مرة في طائفة كبرى من اصحابه الى مراكش نحو 1315 هـ فصعد الشيخ الى دار المخزن في يوم حار، فاصطف الفقراء يتداولون ذكرهم المعتاد، والسقاؤون يطوفون عليهم بالماء، الى ان اذن له الوزير، وقد كان يظنه احد المتفقرة، ولكنه لم يكد يراه حتى طفحت عليه هيبته، فلاقاه احسن ملاقاة، فسأله عن حاجته فقال له لا قصد لنا إلا اننا نريد ان نزور من السبعة الرجال، فأردنا الاذن في ذلك فقط، فراوده الوزير في هدية فأبى، إلا انه قبل منه مثقالا لكل فقير، فخرج العون يعلن ذلك للفقراء .

ومن آثار هيبته ايضا ما شاهده منه عياد المنابهي باشا الصويرة، فإنه كان يسمع بالشيخ واحب ان يقيم له ولاصحابه الذين قد انافوا إذ ذاك على المائة، الضيافة. فأعد شيئا كثيرا للضيافة، فإذا بالشيخ جاءه بعشرة من الفقراء فقط، فراوده الباشا حين راى منه هيبة عظيمة ان يقبل منه قفة مملوءة مالا، فلم يجبه الشيخ ولا بالى بما في القفة، ولذلك لم يكن الباشا ينساه الى ان مات، ويقول لا شيخ سوى سيدي الحاج علي السوسي وحده ، حكى ذلك الفقير بوجمعة البعشراوي الكسيمي الذي تردد بالقفة بين الباشا والشيخ .

ومن هيبته ايضا ما حكاه لي سيدي ابو بكر بن عمر ان العقرب لسعته يوما مرات وهو إزاء الشيخ، فلم يطق ان يذهب من المجلس من هيبته حتى ذهب الشيخ عن المجلس.

ومن احوال الشيخ ، جده في كل اموره دينية ودنيوية، فما لابس شيئا ولا زاول شغل حاجة، ولا توجه الى فعل امر إلا كان الجد امامه ووراءه، حتى انه لولا العناية الربانية التي تحف به في كل حين ، لما قدر على كل ذلك دائما، فلم يعرف عنه نبذ الجد جانبا في كل احواله، وسبحان من خصه بذلك، وخلقه على تلك الجبلة العجيبة الغريبة. وقد قالت والدة سيدي احمد الايسدغاسي : ان الشيخ هكذا خلقه ربه من الجد في جميع اموره كلها .

كان في مجلس الذكر بين اصحابه يكاد يطير بهم عزيمة، فإن آنس من احد الفقراء توانيا هزه بعنف، او صفعه او لكمه اندفاعا منه كأنه لا يشعر بما يفعل، وربما يلغب عليه

الحال ان اتى من خارج مجلس الذكر وسمع ذكرهم متراخيا، فيدخل عليهم بسرعة فيلكم هذا ويرفس ذلك، ويلطم آخر ويصفع من يليه، وهو يصيح بهم : أهكذا يذكر الفقير ربه بكسل ؟ فإذا بهم كأنما انبعثوا من جديد، فيقوم مجلس الذكر على ساق، يسمع دويه من مسافة بعيدة، وقد وقع ذلك منه مرارا من بينها ما وقع منه ليلة في زاوية (سرغوت) في قبيلة (مزوضة) ، وكان اذا افتتح الذكر افتتحه بهمة عالية، ولا يعجبه من الذكر الا ما كان بهمة عالية، لانه يرى الظاهر أس الباطن، فمتى لم ينهض الفقير في ظاهره، لا ينهض في باطنه ، وكان يقول: ان ذكر الجهر في الجماعة اولى للمبتدي* من السر الخفي، حتى اذا تنور المريد وتصفت زجاجته، يكون ذكر الانفراد السري اولى له، وكان جده يسري في اصحابه غالبا ، فكانوا لا يدركون في الذكر ولا في غيره، حتى كانوا أعاجيب الدهر . وقد كانوا يقولون ان خفي عنك حال شيخ مرب من الشيوخ المربين، فانظر* الى حال اصحابه الذين تربوا به واشربوا حاله وانطبعوا بطابعه، فلعمري ان اصحاب هذا الشيخ كان افذاذهم يحكون الشيخ وهمته، ولكن كما يحكي النجوم في الما* نجوم السما*، الا انهم على كل حال لا يلحقهم غيرهم في هممهم، وبهذه الهمة كان الشيخ يذاكر اصحابه، وكل من يمثل بين يديه ، بل كذلك كل كلامه ، فقد كان في كلامه بين اصحابه وفي مشيته وفي تأديبه كما قالت عائشة في عمر بن الخطاب، كان اذا تكلم اسمع، واذا ضرب اوجع، واذا مشى اسرع، فقد كان في حال المذاكرة يعلوه التأثر بكل ما يقول، ويسوده الانفعال بالصفة التي يصفها ، فتراه في الوعظ يكاد الخشوع يذيبه من جلال عظمة الله تعالى، فكثيرا ما تسيل دموعه، ويتهدج صوته بالبكا* ، فيعم الحال كل اصحابه ، ويخامرهم كلهم ما خامر الشيخ ، واذا كان يصف مدافعة الشيطان والنفس ، تراه كأنما يهاجمهما ، ويترامى عليهما بكل شجاعة وقوة ، فيحس السامع وقد تاثر بحال الشيخ ، كأن له هو أيضا قوة عظيمة يقدر بها ان يدرأ عنه كيد الشيطان وغلبة الهوى ، واذا كان يذكر الشوق الى الله ، او الى رسول الله ، تراه كانه ريشة تتلاعب بها الرياح المختلفة ، وقد غلبه نفسه المتتابع شغفا وولها ، واذكر انني كنت اراه وانا صغير في هذا الحال وهو على المنبر في بعض المواسم ، وحوله آلاف من الفقرا* ، وقد اطرقوا برؤوسهم ، فيمثل لي وهو يترنح في مذاكرته ترنحا غير متصنع ، فيؤتى الي كانه يكاد يتمزع مما عراه ، فكنت ارى الفقرا* يكظمون مما يجدون قدر استطاعتهم ، حتى يغلب احدهم الحال فيقول : (الله) بصرخة ممدودة، الا انه يخفضها ويحاول ان تكون منه خفية ، وكثيرا ما اتذكر هذه الحالة التي استوعبتها من الشيخ في صغري حين انظر الى سيارة اثير محركها قبل ارسالها الى السير ، فيغلب عليها ترنح قليل من طرفيها ، فهكذا كان الشيخ على منبره في الساعة التي عقلتها عنه في بعض المواسم .

على انه لا يكون دائما على هذا الحال الا متى غلب عليه الشوق والوله ، او تاثر

كثيرا بعظمة الله تعالى او حين يصور عظمته تعالى لبعض الغافلين ليستنهضهم بالحال والمقال والا فان الشيخ متمكن في حاله ، راسخ جمع بين البقا" والفنا" فكثيرا ما تـراه على هـذه الحال الموصوفة في ظاهره في الوقت الذي يكون فيه باطنه ساكنا هادئا مطمئنا بربه ، وإنما كساه الله تلك الحلة لتكون منهضة للمخلدين الى الارض وكذلك قد تراه ساكنا هادئا في ظاهره في الوقت الذي تتضارب فيه الامواج في باطنه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) او ليس من احوال العارفين الكبار انهم لا يوصفون بلون خاص امثال العباد والزهاد ؟ بل هم من مظاهر الحضرة التي يكونون فيها وما اكثر الحضرات التي تمر على العارف في كل لحظة كما يقول ارباب الفن وكيف لا وقد داوموا على التقرب الى الله بالنوافل ، حتى كان الله سمعهم وبصرهم ويدهم ورجلهم اي تولاهم الله فكساهم من مظاهره سبحانه وتعالى عن شبيه او عن مثيل او عن حلول او اتحاد . (كل يوم هـو في شـان) ، وهذا المقام الذي يكون لمن تكيفت ارواحهم بسر من أسرار العبودية ، المستمدة من ينابيع الربوبية ، عجيب لا يكيف ولا يمثل ، بل لا يقدر عقل ان يدركه ، فضلا عن ان يقدر قلم أن يصوره ، وهذا هو سر تعبير عائشة رضي الله عنها في خلق النبي صلى الله عليه وسلم حين قالت كان خلقه القرآن ، تعني انه تكيف به ، فيرضى ويغضب ، ويلين ويشتد على حسب أحوال القرآن ، وما عبرت بمثل ذلك الا لانها علمت عجز اللسان عن عبارة تؤدي الحقيقة ، وهكذا أحوال العارفين بالله (هكذا يقرر أرباب الفن ، وأهل مكة ادرى بشعابها) .

وكان الشيخ يخدم أيضا اشغال الزاوية بمثل هذا الجد نفسه ، فكلما هم بشي" اقدم عليه في الحين كل الاقدام، بلا تأمل ولا تريث، فياخذ بالحزم والعزم اشغال الحرث والحصاد والبنا" ، وكل شي" يزاوله ، فلولا ان الله هيأ له سريان تاثير همته في أصحابه لما وجد من يقوم له بأشغاله، كمايحب ان يكون القيام بأشغاله، لكن قيض له أصحابا نسوا انفسهم، ونووا في كل اشغال الزاوية التقرب الى الله ، فكانوا يخدمون بالجد ، لا يردهم قر شديد كقر الثلج العجيب ، ولا حر متلظ كما يكون الصيف في غالب تلك البلاد، فمتى اراد الشيخ الحصاد يجمع كل الفقرا" عليه فياتون عليه في اقرب وقت ، وكذلك المدرس ، ومتى أراد بنا" فانه لا ينتقي العارفين للبنا" بل يامر كل الفقرا" فيتصدى كل واحد من جهة فيبني ، وإن لم يعرف قط ان يضع حجرا على حجر ، ويقول لهم من لم يعرف فليتعلم من هذا . ولذلك كانت جدران الزاوية كبيوت الجداول ان خططها غير عارف بتخطيطها ، فما اكثر اعوجاجها من كل جهة ، وهو مع كل هذا يحب اتساع البيوت اكثر مما هو معتاد في البلد ، لكونه يحب معالي الامور في كل جهة ، فمتى ليم على ذلك البنا" الغير المستقيم ولا الصحيح وقيل له ، ان هذا البنا" لا يدوم ، قال ، اننا سنمضي فيه أيامنا ، واما من تبعنا ، فإن لم يعجبه هذا فقد جمعنا له مواد البنا" ان اراد ان يبني بنا" مستقيما صحيحا ، ولهذا اعيد بنا" غالب

دور اولاده، الا بعضه الذي كان مبنيا اولا في مبدإ امره. وقد كان بعض البنائين العارفين هم الذين تولوه ، فاستقام وصح بعض الصحة .

وهذه العجلة الشديدة من الشيخ في اموره كلها ، انه حتى لا يتريث عند الانتعال فيضع قدمه في اية فردة من نعليه فلا يمنى لهما ولا يسرى ، اخبرني بذلك سيدي ابوبكر ابن عمر المتجرد رحمه الله .

وحكى الفقيه الصوفي سيدي محمد بن علي التاطي الرباطي نزيل الجديده ، وقد كان انقطع الى الشيخ حينا سنة 1317 هـ. انه ما حال بينه وبين المكث في الزاوية الا انه لم يكن يقدر على ما يقدر عليه اصحاب الشيخ، وقد كان يصفهم بعفاريت سيدنا سليمان، قال، لا يجارون في خدمة ان كانت، ولا في قلة مطعم ولا منام، ولا فى الدوام على الذكر، ولا في الصمت الدائم ، فكيف تمكن الحياة معهم ؟ اقول.، انه لعمري قد وصف اصحاب الشيخ وصفا حقيقيا بذلك ، وقد كان بعض الفقرا' يتمنى لو تملص من قبضة الشيخ الذي يجشم الفقرا' هذا التعب الشديد في كل شي' في الذكر وفي الرياضة وفي الخدمة ، وفي الجري في السفر بجده العجيب الغريب الذي لا يتبدل ولا يفتر ، لكنه يحس بنفسه كأنه مقيد ليس بحر ، ويصرحون بذلك دائما . وقد قال العارف بالله سيدي احمد الفقيه لولده سيدي التهامي ، وقد سمعه يتأوه يوما بعد ما خرج من التجريد بسنين كثيرة ، فقال له ، هل يضر بك شي' يا ابت؟ فقال ، اولم تعلم ان الشيخ لم يطلقنا من قبضته حتى كنا كأن كل واحد منا جمل الهشتوكي ، لايزال يحمل عليه الاحمال التي فوق طاقته حتى رزم فلم يبق منه الا الرغا' الضعيف - او كما قال - وقد كان ذلك مثلا يضرب ، ثم يباسط ويقول: واها لاهل الغ ، لارحمة في قلوبهم للعباد .

وذكر سيدي احمد الفقيه ايضا انه كان يوما يحمل صخورا على ظهره فيطلعها على السلم للبنا' في جدار عال في الزاوية ، فبلغ به التعب مبلغا عظيما ، فاذا بالشيخ يمشي على جدار قال : فقلت يارب اطلقه من فوق هذا الجدار ليهلك فنستريح مما يكلفنا به ، فاذا بالشيخ يتبسم وقد كوشف بما في باطني ، فقال ياسيدي احمد ماذا تصنع ؟ اخدم بجد ، فإنني لا اسقط ولا اموت الان ، قال فاستحييت كثيرا ، وتبت الى الله . ومثل هذه المقالة صدرت من كثيرين من اصحابه ، فقد كانوا يلاقون عنتا شديدا لما يجشمهم اياه الشيخ ، ولكنهم لا يقدرون ان يتملصوا منه ، ويقولون اننا مسلسلون مغلولون بهمة الشيخ وتصريفه فينا بإذن الله .

وهذا الجد الممتزج بالشيخ يجول معه في كل ناحية ، في الدعوة الى الله وفي القيام بما امر الله به او نهى عنه ، وفي مزاولة الاشغال ، وفي تربية العباد. ومظهر جده في ثلاثة، في لسانه ، وفي البطش بيده ، وفي الاستنهاض بحاله ، فأما لسانه فإن كلامه كله جد لا بين اصحابه ولا بين مطلق العباد ، فلا يعرف اللغط ولا العبث ولا الهذر ، ومتى نادى،

نادى بصوت مسمع، ومتى خاصم، خاصم بكلام موثر ، فكثيرا ما يخاصم اصحابه ، ولا يسلم احد من اصحابه من لسانه ، حتى قال له الفقير الصالح سيدى مبارك ازكوك ، انك ياسيدي لا تشتري البصل ، وانما تزرعه بلسانك واهل سوس يطلقون البصل على العذاب مجازا ، وكثيرا ما يقول للفقير الذي يخاصمه يا بهيمة ، عادة الفعا ، وربما بالغ في الخصام حتى يقول لمن يصاحبه ، لا اربحك الله ، وقد قال له أخوه السيد ابراهيم يوما ، ان الناس ياتون اليك ليربحوا ، وانت تدعو عليهم بعدم الربح ، فقال له ، اربح انت يا اخي ابراهيم او ربحت الآن من مطلق دعائي ؟ يعني الشيخ ان العبرة بما في القلوب والنيات ، لابما يفرط على الالسنة (لايواخذكم الله باللغو في ايمانكم، ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم) واما البطش بيده فانه يفرط منه احيانا من غير شعور منه ، ان آنس غلطا او زلة او توانيا، كما ذكرناه عنه ان آنس الفتور في مجالس ذكر بين اصحابه، او شاهد من فقير الخروج عن الجادة ، او توانيا في الدين ، فإنه قد يسامح في كل شيء ولايسامح في التواني في الدين ، وكان له في الحرص على جماعة الصلاة اهتمام كبير ، فكان كل من تخلف من اصحابه عن ركعة يجلد خمسا وعشرين سوطا ، حتى لايمكن ان يتخلف منهم واحد ، ولو بلغوا من الكثرة ما بلغوا ، وهذا عجيب انفرد به الشيخ في هذا العصر وتلك سنة عبد الله بن ياسين المشهور ، ومن عادته انه كلما صلى بالفقراء يدخل الى داره فيسأل عمن فاتتها ركعة من نسائه ، فيقرصها عشر قرصات لكل ركعة ، لاينسى ذلك ولا يمل ، حتى مرن كل من في داره على التهيؤ للصلاة ، فلا يؤذن المؤذن حتى يتوضأ الجميع ، وقد كان هذا الضرب والقرص كثيرا منه في مبادىء امره ، حتى اشرب اصحابه ونساؤه المحافظة على الصف .

وكان الشيخ يعتاد الصلاة في أول الوقت المختار ، او في وسطه ان كان له عذر ، ولم يذكر عنه قط غير ذلك ، وكذلك لايمكن ان يترك الصلاة في الجماعة وفي المساجد، قد بات ليلة عند الحاج العربي برادة في (تيشنباش) بمراكش واصحابه في زاوية القصور المرقاوية ، فحين قضى نوافل السحر اتى من هناك الى مسجد المواسين ، فجلس بعد الفجر ينتظر حتى الاسفار ، فضاق صدره ، وقام ياتي ويذهب في المسجد ، ولم يكن يدري كيف الصلاة هناك ، وأنها تتأخر عادة ، قال احد رفقائه رأيته بلغ منه الانتظار مبلغا عظيما قبل مجيء الامام ، والعادة من قديم تاخير الصلاة في مسجد المواسين عن اول الوقت ،

وبات الشيخ مرة في المدرسة البوعنانية مع طائفة ، فرأى الطلبة جمعوا بين الحزبين، حزب العشية ، وحزب الصباح الاتي ، ثم في الصباح لم يصل احد من الطلبة مع الشيخ واصحابه صلاة الصبح ، فلما اختتم المجلس عند الضحى التفت الشيخ الى الاستاذ سيدي محمد بن مسعود صاحب المدرسة وهو من اكابر اصحاب الشيخ ، فقال له ، كنت اتعجب لاي سبب جمعتم بين الحزبين عشية امس ؟ ألاجل ابطال صلاة الصبح فعلتم ذلك ؟ وليس

هذا بالصراط المستقيم ، فمن اليوم وكل من يوقظ الطلبة قبل الفجر ، فيدق على كل واحد بيته ، ثم تسرد انت اسماء الطلبة اثر الصلاة . فصاروا يفعلون ذلك منذ ذلك اليوم .

واخبرني الفقيه سيدي عبد الله العويني قال ، مر بنا الشيخ واصحابه ونحن في المدرسة البعبدلية عند الاستاذ سيدي المحفوظ ، فاستدعيت الشيخ والاستاذ الى بيتي وقد اظلت المغرب فلما اذنت ولم ننقض بعد فيما نحن فيه ، قال الاستاذ للشيخ ، اترسل الى من يؤم بالناس ؟ فنصلي نحن متى قضينا ، فقال له الشيخ لاها الله . فماذا ربحنا بعد خسراننا صلاة الصف وهل خرجنا من ديارنا الا لمثل هذا الربح الذي لا ربح فوقه ؟ ولو علم الناس ما في الصف لاتوه ولو حبوا اولاستهموا عليه.

وقد ذكر الشيخ في رحلته الحجازية انه فرح لما تيسر له ولاصحابه الصلاة جماعة في الباخرة ، وقال ، ان اهم امر عندي هو الصلاة جماعة ، .

ومن آثار جد الشيخ انه لا يراه احد الا استنهضه بحاله ، حتى نهض بحاله معاصروه من الفقراء غير الدرقاويين ، ومن العلماء ، فصاروا يتظاهرون بمثل جده ، ويحكونه في وعظه ، ولكن الناس كلهم ادركوا ان التكحل ليس في العينين كالكحل ، نعم قد حكوا ولكن فاتهم الشنب ، حتى اذا ظهر لهم عجزهم عن مجاراة الشيخ لووا رؤوسهم تحت علي الاجنحة ، فقالوا ما لنا بهذا الجد يدان ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ،

وكان الشيخ لا يعجبه من أصحابه الا المقدمون اصحاب الجد والعزيمة ، فكان لايبعث في حوائجه ولا يقدم على اصحابه الا من كان متصفا بهذا الحال ، ومن ابطأ به جده لايقدمه الشيخ ابد الابدين ، وقد رأى مرة مقدم فقراء يمشي مشية المتماوت ، فقال له بصوت عال اهذه هي مشية من يكون مقدم الفقراء يا بهيمة .

والجد بين احوال الشيخ بمنزلة العضلات والاعضاء في الجسم ، فبه قامت كل اموره ، وبه استقام امره كله اجمع ، وبه ربى آلافا من المريدين ، واستنقذ آلافا من الغافلين من غفلة عن ربهم فيها يعمهون ، وبالجد نال الشيخ ما نال من مقامات سنية ، وشهرة ذائعة ، وزوايا منيرة بالاذكار ، وأصحاب كانوا المثل العليا بين اقرانهم من أصحاب مشائخ آخرين.

ولم اجد الانسان الا ابن نفسه   فمن كان ارقى همة كان اكبرا

فلم يتأخر من أراد تقدما   ولم يتقدم من اراد تأخرا

ومن جده استمدت روحانيته العجيبة ، ذات الكرامات الغريبة ، حتى قال فيه الشيخ ماء العينين لاصحابه يوم زاره الشيخ في منزله بتزنيت 1328 ه. ان لهذا الشيخ روحانية عظيمة قوية لها تاثير عجيب ، ولو كشف الغيب عن روحانيته للناس لما تبعنا احد. حدثني بذلك احد الاعراب ممن سمع ذلك باذنه من ماء العينين، وقد قرأت بخط بعض العلماء الكبار الفاسيين انه وصف الشيخ بأنه آخر اصحاب الجد، فلقد صدق والله في وصفه حين وصفه

بذلك . لان ذا الجد يحصل على كل مايريد .

ومن احوال الشيخ رقة قلبه وشفقته على الضعفة ، على خلاف ما يظهر من مظهر جده المتقدم ، فقد كان له في معاملة المستضعفين حال أخرى تسودها الرحمة التامة والحنان والرفق . قال سيدي ابوبكر بن عمر ، ان الشيخ كلما احس بفقير انه مريض حقيقة يفرش له جناح الرحمة ، ويرق له رقة شديدة ، فلا يستنكف ان يزاول المرضى من اصحابه بنفسه يتفقدهم ، ويزيل عنهم ما يستقذره غيره ، قال انني رمدت يوما فجاء الي بحنان ، تناول الكحل ليضعه في عيني فلم يجد المرود فوضعه في عيني بخنصره الرقيقة ، فكان في صبه الشفاء ، قال انني كلما كسلت عن المجلس وتمارضت لا اشعر به حتى يركلني ويحركني ويسوقني الى الذكر ، لكنني ان مرضت حقيقة لا يقول لي شيئا ، ولو لم يخبره احد عني انني مريض ، فكنت اعرف انه يكاشف دائما عن حالي . وهذا ما يراه منه كل الفقراء في حالة ضعفهم ، قال وفي سياحة قطعنا في وسط هاجرة بسيطا محرقا من البسائط المستديرة بمراكش فتساقط الفقراء عطشا ، فكان يحملهم واحدا واحدا فيوصلهم الى المكان الذي نقصده ، حتى حمل الفقراء عن آخرهم ، وهذا ما فعله يوما آخر ونحن نقطع واديا ، فكان يذهب ويرجع يعبر بالفقراء الذين لا يقدرون ان يسبحوا ، وكان يتعهد دائما المرضى ويداويهم بنفسه ، ويراعيهم كأنهم بين أهاليهم ، ويطعمهم أحسن مطعم يشتهونه ، ويسألهم عما يتمنون اكله او شربه ، وكان يعامل المتسببين من اصحابه باللين عكس المتجردين ، حتى اذا تزوج متجرد عاد اليه ثانيا باللين . ذكر ذلك سيدي سعود اليعقوبي .

ومن مظاهر الرحمة من الشيخ انه لا يرى منه غير اصحابه الا كل رقة وعطف وتبسم وكلام لين ليقبلوا على مواعظه، ولينقادوا الى اوامره ونواهيه، حتى ادرك العامة انه يعاملهم غير ما يعامل به اصحابه ، فقال له تناني يوما ، لماذا لا تضحك للفقراء اصحابك كما تضحك لنا نحن ؟ فقال ان اصحابي يضحك لهم باطني بقلبي ، وأنتم يضحك لكم ظاهري بسني . وهذه الملاينة عادته الدائمة ايضا مع غير اصحابه خصوصا الفقهاء والرؤساء في غير مواقف الوعظ .

والشيخ المربي الذي خلقه الله ليكون مربيا للعباد والجماهير المختلفة ، لابد ان تكون فيه كل الاخلاق التي يقتضيها كل مجتمع ، فتكون له مظاهر مختلفة ، هذا مايقرره الصوفية في كلامهم ، وهذا بعينه هو حال الشيخ ، فانه بين العلماء غيره بين اصحابه ، وبين العامة غيره بين العلماء ، وبين الرؤساء الجبابرة غيره بين مطلق العامة ، يظهر لكل واحد بالنمط الذي ينفعه ، وسيجيء ذلك في الفصل الذي نذكر فيه كيف تربية الشيخ رضى الله عنه ، وقد سئل بعض الصوفية عن حال العارف ، فقال لون الماء لون انائه ، وذكر لي من لا اتهمه، ان الشيخ طلب منه يوما ان يجيب عن حقيقة من حقائق الصوفية، وكان

السائلون فقها ، فاستدعى اليه بعض اصحابه فجاراهم في المذاكرة حتى تفجر الجواب من كلامه ، فكان جوابا صوفيا عجيبا ، وهكذا رأيت ان الشيخ لم يتفجر ينبوعه بما يراد منه، حتى حضر بين يديه من تستمد منه قلوبهم ، ولله في خلقه شؤون .

ومن أحوال الشيخ الظاهرة، كونه خادما لاصحابه حقيقة لا أنهم يخدمونه، فإنه يظل ويبيت ويصبح ويمسي داخلا وخارجا بين الزاوية ودار عياله ، يدخل ما يراد ان يدخل الى الدار ويخرج ما يراد ان يخرج من الدار ، فلا واسطة بين الزاوية والدار سواه ، فلا يزال يدخل ويخرج ، وقلما تراه جالسا ، وليس عنده خادم خاص لهذا لغيرته الشديدة على مطلق اتصال بين الفقراء وبين اهله ، ولم يكن ممن يرتاح الى الاماء التي يقمن في العادة بمثل هذه الخدمة ، وقد اشترى له الفقراء مرة امة لتقوم بهذه الخدمة ، ولكن الشيخ لم يرتض ان يملك العبيد فأخرجها من يده ، وقد كان يقول : ان الدار السعيدة، هي التي لا يكون فيها لا مسعود ولا مسعودة ، ولا مبارك ولا مباركة ، وهذه اسماء العبيد والاماء غالبا .

والباب الذي يخرج منه الشيخ ويدخل في داره عال ، فلا بد له من الطلوع في المراقي من الزاوية ومن الهبوط من مراق اخرى وسط الدار، فلا يزال الشيخ صاعدا هابطا ولولا معونة الله لما قدر على ذلك ، وقد جربنا ذلك الطلوع والهبوط بنفوسنا من شبيبتنا فعجزنا قريبا ، وكان الشيخ يحمل القصاع والقفاف والموائد والاواني بيده ، ولذلك لا تزال كسوته رقطاء بنقط الادام التي تصيبها ، وكان يقف بنفسه على اعداد الطعام ، وربما قطع بيده اللحم بالخنجر ليوضع في اواني الطبخ ان آنس من امرأة تتولى ذلك تكاسلا ، وحاله هذا يظهر منه اتم ظهور كلما كثر الناس في الزاوية خصوصا في المواسم ، فإنه يقف حتى تنصب الطناجير العظمى ومن بينها ما يجمع فيها الثور الكبير ، ثم يقف حتى يفرق اللحم والمرق في الاواني وحتى تخرج الى الناس ، ثم لا يزال يرجع بالاواني حتى ياكل كل من في الزاوية ، وهو بنفسه الذي يتولى حساب الاواني ، واصحابه يحلقون عشرة عشرة في كل حلقة طعام ، وهكذا عند تقديم علف الشعير للدواب التي قد تناهز في موسمه مئات، وهكذا ايضا عند فرش فراش خاص ، فإنه يتولاه بنفسه، وقد يكنس هو بيده، حكى لي سيدي ابوبكر بن عمر ، قال : استدعاني الشيخ يوما فصرت اكنس محلا فرشته وهو مبلط ، فلكمني واخذ المكنسة من يدي ، فقال : اهكذا يصنع يا بهيمة ؟ ثم كنس المكان بيده ، وهكذا حاله ايضا عند خياطة حمل اذا ما رأى تثاقلا ممن يخيط ، او آنس منه عدم معرفة ، فإنه يتولى ذلك بنفسه ، وكثيرا ما يفتل بيده حبل الخياطة من الحلفاء او من الفدام ، وكان ايضا يذهب في غالب الايام بالغداء الى الفقراء ايام الحصاد ، فيحمل على البهيمة جرابا او جرابين من الكسكسو في عدل ، وفي العدل الاخر قدر مملوء بالمرق او باللفت المطبوخ او بالجزر ، ثم يركب ما بين العدلين ، وقد يقبض امامه سقاء مملوءا بالماء ، او يحمل امامه جرابا من التمر ، وهذا كثيرا ما يفعله الشيخ بنفسه، ويستغرب

منه عارفوه ذلك ، لعلو مقامه في العيون ، ولعظم هيبته في القلوب ، فان العادة تقضي ان لا يتولى مثله مزاولة هذه المهن، اما لتكبر في النفس، وإما لعدم معرفة مزاولتها وإما لصون مقامه ومركزه من التبذل بين الناس ، لكن الشيخ الذي هذبه التصوف ، وصفاه من ادران الكبرياء ، وقد نشأ في قوم يزاولون اشغالهم بأنفسهم ، انتدب نفسه لذلك احتسابا ، ليؤدي لخدمة أصحابه حقها ولتصح له سيادة القوم بخدمته لهم، وسيد القوم خادمهم - كما في الحديث .

حكى لي المؤذن سيدي محمد بن بلعيد التناني ، قال : كان الشيخ مرة عند غنم الزاوية في ايسافن - وهو مرتبع أهل القرية ومحتطبهم - فجاءنا بين عدلين من الشيح وقد ركب بينهما ، ومر في وسط القرية ، ولا يبالي فتعجب الناس من هذا الشيخ الذي يراه الناس احيانا بكسي فاخرة ، على سريجة عالية من صنع الحضر فوق بغلة مطهمة ، وأصحابه يطرقون هيبة منه وأدبا ، ولكن العارفين من أصحابه يعرفون انه انما يريد خدمة أهل الله في كل فرصة .

وحكى لي سيدي مولود اليعقوبي انهم كانوا يوما يحصدون في حقل ، ثم ارادوا ان ينتقلوا الى الحصاد في حقل آخر يبعد قليلا عن المكان الاول ، فصار الفقراء يحملون المتاع لنقله معهم ، فعمد الشيخ الى مرقعات الفقراء المتراكمة ، وقد كانوا نزعوها للشغل فحمل منها على كتفيه كثيرا ، فقلت في نفسي عجبا من الشيخ ، الم يخف من قمل الفقراء ومن أوساخ مرقعاتهم ؟ الم تكظم انفاسه الروائح التي لا تفارق المرقعات من آثار العرق ؟ الا ان الشيخ عرف ما طلب ، ومن عرف ما طلب ، هان عليه ما بذل ، والشيخ المربي كالمرضع المربيه لا تشمئز من عفونات اولادها ، ولا من كل ما تراه منهم .

وحدثني سيدي محمد الزكري انه كان مرة مع الشيخ في ليلة باردة في مجاط ، فأمره الشيخ ان يبيت معه في البيت ، قال فقلت في نفسي لا اسيء الادب مع الشيخ ولا اخالفه فانكمشت حتى ظننت انه نام فتسللت الى خارج البيت ، فنمت في مرقعتي وحدها تحت البرد القارس ، وعندما استيقظت وجدتني مغطى بخنيف الشيخ ، غطاني به وانا نائم لا أشعر وبقي هو في البرد الشديد ، وقد كان أصحاب الشيخ لا يؤاكلونه ولا يركبون معه ، ولا ينامون معه تأدبا .

وحدثني سيدي بلعيد ان الشيخ قال له يوما ، اذهب بالبغلة وائت بالحطب قال فرآني متثاقلا ، فقال لي اتزعمون انكم تخدموننا ؟ بل أنا خديمكم على الحقيقة ، وقد ذكر سيدي مولود في مصداق كل هذا ان الشيخ قال ما فتح لي انا الا بهذا البيت .

من كان منكم لكم عبدا علا شرفا   من لم يكن عبدكم والله لم يسد

كان الذي يتولى الطبخ للفقراء من الدار نساء شيخهم وبناته ، وما كفين الا الطحن فان الفقراء يطحنون اما بالمطاحن اليدوية المرتفعة المعروفة في تلك الجهة ، واما بمطحنة البهيمة ، واما العجن والطبخ كله فبيد نساء الشيخ وبناته بأنفسهن ، الا ان العصيدة للعشاء

كثيرا ما يقوم بها مؤذن الزاوية مع معاونيه ، وكذلك تزاول بناته بزوجته بقرات الدار.

اخبرتني الاخت الصالحة عائشة قرينة العارف بالله سيدي محمد التاكني ، ان الشيخ كان يقول لهن ، اخدمن في الدنيا تخدمن في الاخرة ، وكن اثنتين اما" الزاوية ، فصار يقول: هذه مباركة، وهذه سعادة ، قالت فنحن وامهاتنا من القائمات بالطبخ والعجن، ومزاولة الحلب من البقر والمخض ، ومتى جا"ت نسا" خارجيات ، يتعن يبقين في دار عينها لهن الشيخ على حدة ، ولا يقرب منهن الطبخ ولا شغل الدار الا بعض فقيرات لسن من البلدة ، يتولين الاعانة ان كثر الفقرا" ، والمقصود ان الشيخ ليس هو ولا اهله من المترفين المترفهين الذين يستنكفون عن الخدمة ، وان كان لهم مقام عظيم بين الناس المعتقدين ، ولا تزال بنات الشيخ على ذلك الى الان ، لا يقدرن ان يجلسن ويكفين مؤونة الخدمة .

ومن المعلوم ان الشيخ كان أيضا يقف على الدواب ، وكان لا يفرط فيهن ، وخصوصا دواب الاضياف ، فقد كان في موسمه لا يزال يتفقدها ليلا دفعا للمتلصصين ونظرا في حقوقها ، فقد حدثني سيدي محمد الزكري انه سمع الشيخ يقول ، ان الديار التي يفرط فيها في حقوق الدواب يسرع اليها الخراب ، ثم لا تعمر بعد خرابها ابد الابدين - ذكر ذلك في حكاية عاتبه فيها على عدم شرب البغلة .

فهذا هو الشيخ الخادم للفقرا" ، وهذه حقيقة خدمته التي لا يفتر عنها قط . فصح منه ما يوقع به دائما رسائله ، خديم الفقرا" علي بن احمد الدرقاوي .

ومن احوال الشيخ المشهورة عند اصحابه زهده في الدنيا ، والعزوف عن الاستمتاع بما تيسر منها ، على خلاف ما يظنه به من لا يخالطه ولا يعرفه حق المعرفة ، فيظنه ان اشتغل فيما يحتاج اليه بما تقوم به الزاوية ، ولا يمكن ان تؤدي مهمتها الا به ، من ارباب الدنيا وعشاق زهرتها ، ومن المستهترين بحبها ، فترى جهال الالفيين يقرنونه ببعض المولعين بجمع الدنيا ، وبالاقبال عليها اقبالا كليا ، اجهلهم ماهية الزهد الشرعي ولعدم البصيرة التي يفرق بها بين ما يامر به الشرع من الكسب للمال ، وما ينهى عنه ، فأينما يرى الجهال شغلا بحرث او حصاد او بنا" يظنون ان هناك طمعا وهلعا ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وبهذا الحال حجب الشيخ عن كثيرين من مجاوريه في بلدته ، وقد كانوا قبل يجهلون كيف مشائخ الصوفية المربون التربية الاصطلاحية ، وما كانوا يعرفون الا عبادا ينزوون في المغارات او في قنن الجبال ، او يعرفون بالكشف الذي يعلنونه للعامة ، فلما كان الشيخ على عكس ذلك ، جهل غالبهم حاله ، وظنوه من ارباب الدنيا الذين يحتالون لجمعها ، فتغطت حالته على كثير من الناس ، وقد غاب عنهم ان الشيخ لو كان يرغب في زهرة الحياة الدنيا لكان أول ما يصنعه بعد أن انتشرت زواياه في البلدان والمدن ، ومن بينها زوايا ترتكز في قبائل للشيخ فيها جاه عظيم ، واتباع كثيرون ، واعتقاد يغمر كل القلوب من الرؤسا" والمرؤوسين ، كراس الوادي وتزنيت وتارودانت والحوز والصويرة ومراكش ، لكان

ينزل احداها ويتخذها مسكنا جديدا بدل إلغ المقفرة التي هي كرأس الجمل ، لا لحم ولا مرق، فينتقل منها الى محل تتوفر فيه اسباب الرفاهية، وادوات الاستمتاع بمباهج الحياة، ولكنه حين عزف عن الحياة الدنيا التي هي غرور في غرور، واستنكف عن ان يذهب في حياته الدنيا اللذائذ التي تكفل بها الله لعبيده في الدار الاخرى، صابر ورابط، ولزم ذلك المحل الذي كان اعلن من اول يوم ان الله اختاره له بعد ما كان نوى ان ينزل في المعدر، على ان المعدر اخو الغ في تجهم الحياة واعواز المتع والشهوات، فلا ماء جار، ولا ظل ممدود، ولا حطب قريب، ولا محرث مضمون؛ وللصوفية في البلدان المقفرة راي غير راي الناس ، فتقوم زواياهم المؤسسة على التقوى بالله لا بالساقية ، كما يقوله السلطان الغالب بالله في زاوية الشيخ سيدي محمد بن يعقوب التاتلتي الشهير رضي الله عنه وعنا به آمين.

ومن اعظم مظاهر زهد الشيخ، انه لا يعتني بنفسه في المأكل، فقد كسر حدة نفسه وشدتها بالرياضة والمجاهدات حتى انه ليكتفي ببلغة فينة بعد فينة، كيفما كانت البلغة ، ويتعجب كثيرون ممن يخدمونه الخدمة الخاصة من اصحابه حين يقفون بأنفسهم على انه يطوي ليالي ذوات العدد بلا اكل، اختيارا منه، مع انه يجد الماكول بين يديه في كل ساعة، فقد حدث خادمه الصدوق سيدي محمد الزكري، انه كان معه مرة في قبيلة مجاط وهو يسعى في صلح بين متحاربين هناك نحو اربعين يوما متصلة، فكان يتردد بينهم، تارة عند هؤلاء ، وتارة عند هؤلاء ، وكان لا ياكل عند اي فريق من الفريقين، فيظن كل فريق انه اكل عند الاخرين، قال ولم يزل كذلك حتى عاد كريشة خفيفة اركبه بيدي وانزله بلا مشقة علي، وهو مع ذلك ظاهر القوة في مشيته وفي كلامه وفي كل شيء ، وبعد الاربعين بتنا عند امراة عجوز مسكينة، فقدمت له عصيدة، فهناك فقط راينه تناول قليلا، وذكر انهم كانوا مرة في سياحة اخرى، فاخبر فقير من تزنيت تجرد مع الفقراء . وكان يفرش للشيخ ويقوم بوضوئه، انه راقبه اياما كثيرة، وهو لا يطعم شيئا، قال الزكري، وقد كنت احرص على مراقبته من هذه الناحية حتى تبين لي ان الله ملكه امر نفسه، فيطعم ان شاء، ويعرض عن الطعام ان شاء ، ثم لا يفتر عما يعتاده منه الناس من القوة، وهذا الحال من الشيخ متواتر عنه عن كثيرين من اصحابه .

ومن أعظم مظاهر زهد الشيخ، انه كان في السياحات يقف بنفسه على طعام الفقراء ، ويتناول كثيرون من الاطعمة المتنوعة الفاخرة امامه، ولكنه لا ياخذ منها ولو لقمة، وان كان يضع يده في الاناء ويرفعه كأنه ياكل وهو لا ياكل، وقد اخبرني سيدي الحسين الايموكاديري ان من وظيفته في السياحة مع الشيخ ان يوصي على عصيدة تصنع من دار بعض الفقراء الورعين، ثم يتحين فراغ مجلس الشيخ فياتيه بها مع لبن، فمنها فقط يتناول قليلا ، اقول وعلى العصيدة ايضا كان يوصي الشيخ في داره متى تشهى طعاما، وكانت من احب الاطعمة لديه، افمن كان على هذا يظن به الاستمتاع بالحياة ؟ او انه ممن اذهبوا طيباتهم

في الحياة الدنيا، والصعيدة أكلة بسيطة خفيفة المؤونة.

أخبرني الفقراء الذين لازموا الشيخ يوم كان في خلوته من المكان المعلوم الى الان بالغ سنة 1315 هـ ان الشيخ كان يصوم ويفطر على رقاقة صغيرة قدر الكف يتناول بعضها فقط، وكان يجمع معظم الصلاة دائما، ويجدد الوضوء متى اراد، وقد امضى هناك اربعين يوما. وقد كذب بعض المتفقرة عن الشيخ فقال: انه امضى الاربعين يوما بوضوء واحد، والحق ما ذكرناه عمن لازموه، وقد اخبرني الزكرى ان اختلاءه هناك تكرر مرات، وحدثني الكفيف سيدي محمد البصير الزكري، ان الشيخ اختلى مرة في الزاوية نحو سنة. كان واقفا على حصاد زرع الزاوية في معدر درعة بنامانارت، فجاء مع الاستاذ سيدي علي بن عبد الله الالغي مترافقين، ثم طرأ على الشيخ ما طرأ، فالتزم الصمت من أثناء الطريق، فلا يحير جوابا للفقيه، حتى وصلا الغ، فانقطع الشيخ في الزاوية عن الدار، وكان يوصي بالضروريات ويقوم بالشؤون التي لا يقوم بها سواه، ويلاقي الواردين، ويودع الصادرين، ولكن يكون ذلك كله منه في مصلى الزاوية، ولا يخرج عن بابها، ويختصر من المجالسة ومن الكلام الا ما كان ضروريا، فيلازم الصلوات في الزاوية، ثم يختلي بنفسه وحده، الا اذا اضطر الى مكالمة من لا بد من مكالمته، قال دام على ذلك سنة.

وحدثتني نساء من دارنا ان الطعام الذي كان الشيخ يتناول منه هو واهله، هو الطعام العام السائغ من الكسكسو الذي يتناول منه كل الفقراء، ولا يعزل لآل الشيخ طعام آخر خاص، وقد طبخت له بعض اخواته طعاما خاصا مرة دون من في الزاوية من غير اذن منه، فخاصمها على ذلك، ونهى ان يخصص بطعام وحده، وما كان يصنع طعام خاص الا اذا كان ضيف من الذين يحتاجون الى الاعتناء، فان ذاك يواكله الشيخ كما هو السنة ولهذا يخبز خبزة خاصة في الاوقات التي يعرف فيها ان الاستاذ سيدي علي بن عبد الله ياكل من الزاوية السهجوري عند العصر.

وعدم اهتباله بالزي اخو عدم اهتباله بالمطعم، الا انه في الغالب يلازم المعتاد، ولا يتحين الزي الحسن، الا اذا اقتضته المصلحة، فقد ذكر لي انه يعتني به ان كان في الحواضر استغناء وتعففا واظهارا لنعمة الله عليه وايناسا للحضريين الذين لا يجالسون الا كذلك، فيدخل في المدن الحمامات الخاصة، ويلبس القفاطين والاردية الشفافة، ثم يطلق ذلك في البادية طلاقا باتا، فمن كان يلبس لكل حالة لبوسها فانه من العقلاء الموفقين، وربما يظن به احيانا انه لا يرجع الى المرقعة، ولكن يرى منه في ذلك ما يرى، حدثني سيدي محمد الزكري، قال: اقترح الشيخ مرة على الفقير الحاج محمد بونكارف الرسموكي ان يلازم اهله شهرا، وقد كان لا يكاد يجلس عندهم، وبعد شهر جاء اليه بدوره بمرقعة غليظة، فاقترح عليه ان لا يزال يلبسها حتى تنقطع، فلم تزل على الشيخ حتى تقطعت وهو لا يبالي.

ومن مظاهر زهد الشيخ الظاهرة، كونه لايدخر الدراهم ولا ما لاتحتاج اليه الزاوية والفقراء

كثيرا ما يدخل الى الدار في آخر عمره ، يطلب ريالا سلفا من عند أهله ، مع أننا نجد دائما ريالات تسقط منه في البيوت التي يمر بها ، وفي الطريق التي يسلكها ، وما كان يهتم بها ، وقد حدثني المؤذن سيدي محمد بن بلعيد التناني انه وجد يوما الريالات متتابعة من الباب الذي يخرج منه الشيخ من الدار الى ان وصل محل اضيافه ، قال فصرت اجمعها ثم خبأتها حتى دفعتها له ، واقول : اننا كنا بعد ما توفى الشيخ نفتش البيت الذي ترا كمت فيه الرسائل التي ترسل إليه ، فنقف بينها على الارباع والانصاف والريالات والقروش، فكان من ذلك كثير ملانا به حجورنا ، وأتذكر انني كنت ادخل انا وأخي الحبيب ونحن صبيان على الشيخ في البيت الذي يتوارد عليه فيه الفقراء ايام الموسم، فكنا نراه كلما اعطوه ما اعطوه يتناوله ويرميه وراءه من غير أن ينظر اليه بعينه، فنستدير وراءه فنملأ اكياسنا فنخرج نفرقها لمن شاء ان ياخذها منا، ثم نعود وهو يلحظنا ولا يزيد على قوله ماذا تصنعون هناك؟ أهكذا يكون من به هلع الى الدنيا بالناس ؟ وما أغلظ الذين يتهمونه بكنز المال الناض كما هو عادة اغنياء البلدة ، فقد كان يصرف على الفقراء وعلى املاك الزاوية كل ما تيسر له ، ولم يكن ممن يحرص على الدنيا ، وانما حرصه التام على إصلاح العباد ، وتوجيههم الى ربهم ، ولا أدل على ذلك من كونه مات وعليه مال دينا ، كما يدل على ذلك ايضا ما يلي .

سمعت سيدي ابا بكر بن عمر يقول : ما ناولني الشيخ قط دراهم الى انسان لاوصلها اليه ، وذكر لي ان عددها كذا وكذا الا وجدتها اكثر مما ذكر ، وكذلك كان يفعل بكل الفقراء متى ارسل معهم دراهم ، قال ومقصود الشيخ ان يجعل هناك فضلا لعل فقيرا تدعوه نفسه الى شيء من الدراهم ، فياخذ ما فوق العدد .

وحدث بعض الفقراء انه ورد على السويرة فسأله بعض الفقراء الاثرياء عما ينبغي ان يشترى للزاوية ، قال فذكرت لهم ان الاولى شراء مراش منضضة بيضاء ، وأكؤس جميلة فاخرة ، وما الى ذلك من الطرف التي تعد للاضياف، فحملنا الجميع، وقد حافظنا عليه ونحن نحسب أننا أتينا الى الزاوية بما يقوم به الشيخ للاضياف الكبار ، وحين وصلنا وضعنا ذلك امام الشيخ في خنشة ، فلم يمسها ولو بأصبع فضلا عن حلها ، فإذا بالفقيه سيدي علي بن عبد الله دخل، فناداه الشيخ وصرفنا ، فناوله الخنشة بعقدتها ولم يفتحها ، مع انه يعرف انها تحتوي على طرف، ولا ريب انه قرأ في الرسالة ما في الخنشة .

ومن مظاهر زهده ايضا انه كان يسيح الشهور الكثيرة من قرية الى قرية، وهو منهمك في الدعوة الى الله، فكان لا يقبل من أحد شيئا الا ما كان من أصحابه، وكان يرى ان الزاوية للفقراء ، فأحسن من يمدها بما تحتاج اليه هم الفقراء لا غيرهم ، فكثيرا ما يعرض عليه العمال اموالا طائلة ، وهم يظنون أنه كأحد المرابطين الذين يعتبلون بمثل ذلك ، فلا يرفع لذلك رأسا ، ولا يبالي به ، وقل ان يمر به يوم في السياحة الا وهو يرد ما يقدم

له ما لم ير ان الاولى هو قبوله لينشرح خاطر مهديه ، او ليزدادوا به اقبالا على الله ، الا ما كان من مريديه فانه يقبل منهم كل شيء ، ثم لا يعطيه الا للفقراء ، كما ينسب اليهم كل املاك الزاوية .

وقد يظن به أحد العمال ان مقصوده هو الدنيا وحدها ، فيريه كيف يكون الزهد، ويحرص على أن لا يالف اصحابه القبول من العمال ، لئلا تفسد مقاصدهم، وقد استزاره القائد الطيب الكنتافي حين لاقاه من شيشوة 1322 ﻫ فذهب من راس الوادي الى داره بتاكنتافت في ثلة من الفقراء ، فبقي عنده اياما ، ثم قدم اليه هدية كبيرى ، فلم يقبلها منه حتى رأى من القائد ما يدعوه إلى قبولها ، ثم فرق القائد على الفقراء شيئا ، فوقف الشيخ بنفسه في مراقي المنزه الذي هم فيه ، يأخذ منهم ذلك حتى استرجعه كله ، ثم أعطى الجميع لكل الفقراء فاكتسى به العراة منهم ، وهكذا يحمي اصحابه مما فيه شبهة ، وكان يتوقى احيانا الرد كما يتوقى احيانا القبول، لان للرد ايضا آفته، وكان يامر أصحابه ان لا يا كلوا من طعام العمال الا البلغة بعد الجوع الكثير، لانه كان يتصد العمال في كل محل نزله، فإذا ليم على ذلك قال، انما هم كالموتى يجب ان يتصدق عليهم بالدعاء، وحينا يقول، لاتصلح الرعية الا بصلاح الرعاة ، فكان له في الالمام بهم قصد حسن ، ومن كان منهم له وجهة دينية فانه لا يزال به في سلوك طريق الخير ، وقد بات الشيخ مرة في قرية بقبيلة ايدوسكا بإيلالن فيها رؤساء اثرياء اشتهروا بعدم تزكية كنوزهم، فصار يعظهم ويشتد عليهم في الزكاة، وفي الصباح قدموا من أموالهم فئة من مال وهم يظنون ان مقصود الشيخ ان يكون له من زكاتهم ، فإذا به أعرض عما قدموه له اعراضا كليا طال به عجبهم ، وبات مرة اخرى في تالعينت عند القائد عبد السلام الجراري ، وكان يعلن أنه من أتباع الشيخ، كما أن القائد محمدا قبله من أصحاب الشيخ التاموديزتي، وفي الصباح لم يصل مع الفقراء الصبح في المسجد، فحين جاء واختتم المجلس، ناداه الشيخ والناس كلهم يسمعون، ما الذي أخرك عن الصلاة مع الجماعة ؟ وانت هو القائد الذي يقتدى به الناس ، فأبدى اعتذارا غير مقبول ، فقال له الشيخ لا بد ان تنصف من نفسك للفقراء ، وتغرم من مالك غرما ، فأحضر عشر ريالات حسنية ، وهي اذ ذاك مال له بال ، فصار الشيخ يلح عليه في ذلك ، فأمر القائد عبداً له ان يأتي بشيء فأتى بقالبين من السكر ، فقال له الشيخ ، لابد من عشر ريالات ، ولا مناص لك منها وبعد اللتي واللتيا اتى بها ، فنادى الشيخ انسانا فأمره ان يشتري بها حمارا للمسجد يحتطب عليه ما يسخن به ماء الوضوء ، ويعطي القائد مؤونة علفه ، فبقي الحمار في المسجد يحتطب عليه المؤذن سنين حتى مات ، والحكاية يعرفها جميع الناس بحمارها .

ومن مظاهر زهد الشيخ، انه أولا أبى أن يتعاطى بيع الثنيا والاقالة الذي يسميه الناس الرهن ، فبقي سنين، حتى اذا ضاق الحال بالزاوية، تبع ما قاله التسولي وغيره من ارتكاب مثل ذلك للضرورة ، ثم صار يعطي في المرهون على هذه الكيفية قدر الثمن الحقيقي ،

ولم يكن يدفع الحبوب والتمر للبائعين الا بثمن السوق ، ولا يفعل كما يفعله غيره من اثريا° البلد من بيع ذلك بأضعاف مضاعفة الى أجل • والحال ان المقصود ان يكون ذلك ثمن المرهون يوم الاجل ، لاعتقاد كل من المتبايعين ان لا ثمن عند الاجل • وقد ظهر هذا تم الظهور من الشيخ يوم مرض مرض موته في مسغبة 1328 هـ. فقد أمر بالزرع والتمر يخرج من اهرا° الزاوية ، فصار الناس يتواردون من القبائل المجاورة للزاوية يشترون بثمن السوق ، ويرهنون اراضيهم بالقدر الذي يختارونه ، فصار الاثريا° الذين يبيعون مثل ذلك باضعاف مضاعفة يفشون حسدا وكراهية المزاحمة ، ان الشيخ قد اختل عقله حين صار يفرق ما في أهرا° الزاوية هكذا ، قال الفقير صالح البوعلاشي ، ناداني الشيخ اذ ذاك فقال ، ايقول الناس كيت وكيت ؟ فقلت له نعم ، فقال انه كان يجب على الزاوية ان تخرج ما في اهرائها هذه السنة المجدبة للناس وان بغير ثمن ، لان الزرع ما كان يخبأ الا لمثل هذه السنة ، ولكننا اردنا أن ينتفع الناس وتنتفع الزاوية ، فيذهب الناس بما يمضون به هذه السنة ، وتفوز الزاوية بأراض كانت اليها في حاجة، ثم متى استطاع الناس ان يراجعوا اراضيهم راجعوها ، ومقصود الشيخ نفع الناس ، ولكنه احتال لايصال النفع اليهم في صورة البايعة لشدة اخلاصه في اعماله كلها ، ولو اعلن العطا° مجانا لما انتظم له الامر .

هذا وقد كان الشيخ كثيرا ما يابى ان يبت له بعض الراهنين بيع املاكهم ويقول لهم كلوا منها الان ما تذهبون به، ثم لا تقطعوا آمال اولادكم من بعدكم، وهذا على عكس ما عليه اثريا° كل تلك الجهات، حين يغتنمون الجدب من السنين ليستولوا على املاك الناس استيلا° كليا، فشتان ما بين الشيخ الزاهد المتوكل على الله، وبين غيره من اهل الهلع والطمع، ولكن اكثر الناس لا يعلمون الفرق بين الرجال .

افمن كان هذا حاله دائما زهدا واعراضا عن اموال العمال، وعن اكتناز الاموال يظن به الجهال ولوعا بالدنيا، وافتتانا بزهرتها، ولكن الجهل العميق له حججه وآراؤه ونظراته الخاصة (ان الله لا يهدي من يضل، ولكن الله يهدي من يشا°)

ومن احوال الشيخ الظاهرة، انه ياتي بالاجوبة المسكتة التي يقتضيها المقام، وتليق بالسائل، وقد كثر منه ذلك حتى عد من عجائبه التي يتناقلها اصحابه، ونذكر من ذلك حكايات:

نزل مرة في قرية من قبائل جهة ايلالن، فبينما هو بين اصحابه في مصلى المسجد ، اذا بأناس من اهل القرية حملوا بينهم قفة في وسطها شيخ هم عاجز عن المشي، اخبر بان شيخا مع اصحابه نزلوا في المسجد، فقال لاهله اذهبوا بي اليه لازور منه، فلما وضعوه بين يدي الشيخ سلم عليه وقال له: اين اصحابك ياسيدى؟ فأشار الشيخ الى الفقرا° الذين كانوا حوله شبانا اقويا° في مقتبل العمر، فأجال فيهم الرجل عينيه فاعتراه عجب منهم، ولم يكن الناس يعهدون في سوس من المتصدرين للتصوف الا الرجال الكهول او المسنين، فقال الرجل نعم الاصحاب اصحابك ان صدقوا وصابروا حتى يستتموا حياتهم في هذا الميدان ، ثم

قال للشيخ ان عهدي بالمشائخ امثالك لا يستتبعون الا الكهول او المسنين، فما ذا رأيتك انت استتبعت الشبان؟ فقال له الشيخ ان هذه سكة الوقت، ومن الى ان يتاع ويشتري بسكة وقته بقي بلا بيع ولا شرا" . وهذا ملكنا، أوليس صبي؟ يعني مولاي عبد العزيز يوم بويع .

وسأله انسان آخر عن كونه لا يستتيب الا الشبان، وهم الذين يتجرجون بين يديه ، فقال له ان سلطاننا اليوم مولاي عبد العزيز شاب، فمن ذا يعيب الشبان بعد وهم سكة الوقت.

أقول، لا ريب ان التوبة ممن عركهم الدهر، وذاقوا مرارة الحياة غير عجيبة، وانما العجب هو توبة الشباب الفياض بموع الشبيبة، وهم في طفولة الامال، وسكرة الغرة؛ فان الهمة هي التي تنقذ الشباب من بحبوحة امواج الغفلات، لا التي تنقذ الكهول او الشيوخ المسنين الذين ملوا من اللهو ومن زينة الحياة الدنيا، وسئموا الغرور وجربوا .

وقد اخبرني سيدي محمد الزكري بعد الحكاية الاولى: ان الشيخ صار يكرر للفقرا" كلمة ذلك الشيخ الهرم: نعم الاصحاب اصحابك ان صدقوا وصابروا حتى يستتموا حياتهم في هذا الميدان، يستنهض بذلك هممهم، وقد استنتج من ذلك ما يلهمهم به الى الامام، لئلا يغتروا فيغفلوا عن ان العبرة بالخواتم لا بالمبادي"، وبعواقب الامور لا بفواتحها، وبالنهايات لا بالبدايات.

وقال له تاني، اننا نراك تكثر الضحك معنا، فلماذا لا تضحك الى اتباعك، فقال له ان فمي يضحك لكم، وقلبي هو الذي يضحك لاصحابي وقد تقدمت الحكاية وللتنانيين هذر، فكان الشيخ اذا جالس رؤسا"هم يجاريهم فيما الفوا حتى انه ليهذر معهم احيانا.

وقد كان الواعظ سيدي الحاج محمد بن عدي من اصحاب الشيخ الاجلا"، وهب للشيخ املاك ابيه المرهونة قبل، وامره ان يفتديها للزاوية عند من ارتهنوها، وقد كان بعضها مرهونا تحت يد سيدي احمد بن عبد الله بن صالح الالغي من الصالحين سكان القرية العليا من (دوكدير) فلما فاوضه الشيخ في ذلك امتعض غاية الامتعاض، فقال له انك عدت يافلان تجاذبنا الاملاك التي في ايدينا، فأجابه الشيخ جوابا عاميا، ان لك اولادا وان لي اولادا ، فلو كان هذا الجواب من غير الشيخ لما كان منه عجب، وانما يتعجب الناس من الشيخ حين انصدر ذلك منه، فظهر من ذلك ان الشيخ يلبس لكل حالة لبوسها، حتى صدر منه ذلك الجواب المستغرب من امثاله، وهو ذلك الزاهد العزوف الذي لم يكن ينسب قط كل ما له الا للفقرا" ولا يتعالى به، ولا يعرف منه ذلك قط.

وعوتب مرة على انه ينقض على ابنا" الاسر فيحول بما يلقيه في البابهم بينهم وبين اسرهم، فقال هكذا فعل بي انا ايضا، وهل ألام ان كنت افعل بأناس آخرين مثل ما فعل بي؟ الى غيرها من اجوبة حاضرة نكتفي منها بهذه النماذج، ويكفي من العقد ما احاط بالعنق.

هذا ما تيسر من بعض احوال الشيخ البارزة، وذلك قل من كثر، فقد جمعنا هذا الذي تيسر والا فلاحوال الشيخ مظاهر كثيرة عجيبة غريبة، تستحق كل ناحية منها الاعتنا" التام، ولكن

لاجل الاختصار الذي التزمناه في هذا الكتاب امسكنا القلم في هذا الفصل.

(الفصل الحادي والعشرون في قيامه بالزاوية بالحزم، وفي مزاولة أشغالها بالعزم)

في الحديث الشريف الذي نسبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من اخذ من هذه وهذه ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم، يذبح منها ويبقي، وله نياق متعددة ، وخيل معروفة بأسمائها، وكان ياخذ من تمر خيبر فيعطي لكل زوج من ازواجه قوتها سنة، وقد كان في الصحابة تجار وفلاحون، وارباب الغنم والابل، فهذا الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وعبد الرحمان بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة خلفوا بعدهم اموالا تعد بالملايين من الدراهم، وكان ابو بكر بزازا، وكل ما كان له ادنى إلمام بأحوال الصحابة وبحال النبي صلى الله عليه وسلم، يعلم علم اليقين ان مزاولة الاشغال التي يتوقف عليها قوت الانسان وقوت أهله واصحابه، لا يخرج الانسان عن دائرة الزهد ما دام قائما بحق ربه في نفسه وفي عياله وفي ماله وفي ضيفه ، وهذا أبو الدرداء سيد زهاء الصحابة ، أثر عنه انه قال: اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا، فالزهد يكون في القلب، فمن كسب الدنيا في دائرة الشريعة، ثم ينفقها بحسبها ابدا، ثم لم يشتغل قلبه بها، ولا افتتن بزهرتها، ولا تبجح فيها الطيبات بالاستمتاع الذي يتجاوز حد الوسط المطلوب، فانه لا يزال يعد من الزهاد، وان كان يصبح ويمسي في مزاولة اشغاله التي تتوقف عليها حياته وحياة من يتعلق به، بل له اجر تام بذلك، وانما الاعمال بالنيات ، فهذا ما حرره العلماء والصوفية امثال الشعراني، فاذا عرفت هذه المقدمة التي لا غبار عليها، فانك تعرف الرجال بالوقوف مع الشريعة، وتدرك مقدار زهدهم بزهدهم في الغرور الذي تمليه الدنيا على من يتلبس بها، فان الفقير هو الذي يتخلى ثم يتحلى، وذلك بعد ان ينبذ الدنيا واشغالها ومتاعبها ومباهجها دبر اذنه في مبدإ امره حتى يصح توكله، ويتمكن من حاله، ويملك امر نفسه، ثم يوذن له اذنا تاما ممن يربونه، فيقبل على نفع العباد، فحين كان نفع العباد وجمعهم لتربيتهم تربية دينية واجتماعية نافعة لا يتم احيانا لمن يعانونها الا بإعداد ما يحتاج اليه من القوت والضروري للحياة، فيزاولونه بالكسب الشرعي، فحال هذا الفقير كحال سيدنا موسى عليه السلام حين امر بالقاء العصا، ثم امر ثانيا باخذها وهي حية تسعى، فأخذها من غير خوف منها (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) بهذه الآية يمثل الصوفية في الاعراض عن الدنيا في البدايات، ثم في الرجوع الى المحتاج اليه منها في النهايات .

كان الشيخ علي الهمة في كل اموره كما تقدم لنا مرارا، ولذلك لما القى العصى في قريته، واسس زاويته 1302 ه كما ذكرنا عزف عن ان يتنازل لمجاذبة افراد أسرته

فيما ورثه بينهم عن والدهم، فترك لهم الامر كله في ادارة شؤون الفلاحة والكسب في دائرة الاسرة، وكان يامر المنقطعين من الفقراء الى الزاوية ان يعينوهم في جميع الشؤون . فكان اهله يرسلون الى الزاوية قصعة او قصعتين صباحا ومساء لا يزيدون على ذلك، مع ان الفقراء قد يكثر الواردون منهم الى الزاوية حتى يصلوا الثلاث. قال سيدي محمد الزكري فكنا نقوم باودنا من دقيق يتجمع مما يضعه الفقراء الواردون من مزاودهم كلما جاءوا، فمنه نعصد ونصنع الكسكسو، قال فبقينا على ذلك السنين الاولى. فكان كل ما يتحصل في بيدر الزرع يذهب به الى دار اهل الشيخ الجامعة لاهل الشيخ واهالي اخوانه. ثم اشترى الفقراء بادي ذي بدء رمكة ليركب عليها الشيخ في السياحة، لانهم يشفقون عليه ان يمشي راجلا، ثم اشترى الشيخ بغلة يحمل عليها الفقراء متاعهم في السياحات. قال وفي فصل خريف سنة، والشمس حارة، خرج الينا الشيخ، فقال لنا قوموا وتسببوا كالناس، فامرنا ان نحرث على حدة، فربطنا الازواج في بسيط متسع من الارض امام ايكلي قدمه الرئيس الحاج ابراهيم الغشاني للفقراء ليحرثوا فيه تلك السنة، فجاء الينا فقراء من القرية بازواجهم، فوصلنا ستة ازواج ، فصار الناس يضحكون من فعلنا، حين صرنا نحرث في غير ابان الحرث، وكان الحاج ابراهيم يتردد علينا كل يوم، فيرى القنابر وانواع العصافير تلتقط البذر من المحرث، فيتعجب من فعلنا، فصار الشيخ يحثنا ويقول انكم لستم كالناس، فعليكم نحو ارشاد عباد الله حقوق عظيمة فاقضوا بسرعة ما انتم قاضون، فلما اتممنا مرام الشيخ من الحرث، سحنا سياحة طويلة فانصبت الامطار، فجاء محروثنا بخصب عجيب لم ير الالغيون له نظيرا، فصار الحاج ابراهيم يقول : كنا نسخر من الشيخ حين كان يحرث قبل نزول الامطار، ولكن ظهر لنا الان ان الحق معه، فقد كنا نحسبه لا يعرف كيف يزاول الدنيا كما نعرف نحن ؟ فاذا به قد فاقنا، وعرف ما لا نعرفه نحن، قال ومنذ ذلك العام صار ديدن الحاج ابراهيم الحرث في اواخر الخريف قبل نزول الامطار، ثم اورث ذلك اولاده، وحتى صار الناس اخيرا ينسبون هذا الابتكار في الغ للحاج ابراهيم، ونسوا ان ذلك كان من الشيخ في مبدإ حرثه، ومثل هذا الحرث لا يجدي الا في مثل الغ حيث لا تكثر الطفيليات من النباتات على المزروعات، قال ثم من تلك السنة صار الفقراء يقومون بحرثهم في وقته على حدة، فيقومون بشؤونهم كلها بمعزل عن اخوان الشيخ .

اقول، كان الشيخ اولا لا يجد ارضا للحرث، منذ صار ينفرد بشؤون زاويته عن اهله وكان يعوزه ما يبتاعه للزاوية بيع البت، ولم يكن يطيب نفسا بالمعاملة التي تواطأ عليها الناس كلهم من بيع الثنيا، فبقي في ذلك الضيق سنين، فكان يختار ان يتطلب من الذين عندهم الاراضي الواسعة، ان يعيروا للزاوية ما تحرثه، فكان بلا ريب يتحمل منة اعارة الارض من اصحابها، حتى اذا امعن النظر في المسالة ووازن بين اقوال المجيزين لذلك البيع بيع الثنيا، والمانعين له، وراى مع ذلك ما في التسولي من ان المحظور قد تجوزه

الضرورة ان لم يكن عنهـا مناص، ورأى ما في بيع الشروط من كلام الائمة المتقدمين كابن أبي ليلى وابن شبرمة والحنفية والمالكية، لان للشيخ في الفقه يداً طولى - على ما وصفه به شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي ، ووقف على ما يستدل به كل واحد من الاحاديث ، ورأى كذلك ما يقوله المفتون المتأخرون السوسيون كأبي العباس الجشتيمي، وابي حامد سيدي العربي الادوزي، وابنه سيدي محمد بن العربي، وسيدي الحاج الحسن التاموديزتي وسيدي الحسن بن الطيفور السماوكني، وسيدي الحسن التيمكيدشتي، وسيدي محمد بن ابراهيم الثوري الرسموكي وغيرهم ممن يجيزه أو يمنعه، فظهر له ان امر ارتكابه سهل في الجملة لاختلاف الانظار - واختلاف امتي رحمة - وهو اولى للمحتاج الذي يعوزه شراء ارض يتوقف عليها توقفاً شرعياً، من تطلب الاراضي عند الناس في كل سنة، لما في ذلك من المنة التي لا يطيق الاحرار حملها :

لنقل الصخر من قنن الجبال   أحب الي من منن الرجال

فلذلك عاد الى ارتكاب بيع الثنيا كما يرتكبه الناس، ولكنه يلتزم ان يدفع للراهن الثمن الذي يساويه المبيع لو كان البيع بيعاً باتاً، ولا يدفع الا الدراهم بنفسها، وان دفع الحبوب أو التمر دفعها بثمن السوق. وقد كان يوم اشترى ارض إدلكوش بمجاط اوصى الفقراء ان يقيسوا مكيالهم الذي يكيلون به للناس بمكيال سوق الاحد في إيزروالن - وهي السوق القائمة إذ ذاك - ثم وصاهم ان يزيدوا على كل صاع مقدار مد بمجمع الكفين، مع انقاص الثمن في الحبوب عن قيمتها في السوق بنصف بسيطة لكل من يدفعون له في ثمن الاراضي، - حدثني بكل هذا، الفقير صالح البوعلاشي الذي كان وقف للشيخ في كل ذلك - وبهذا الاحتياط يرى انه يجبر خواطر الراهنين الذين لا يرهنون اراضيهم إلا للضرورة والحاجة في المساغب، وربما تطلب منه أحدهم ان يبيع له بعد ما يرهن ارضه بيعاً باتاً ، فيقول له اذهب من الزاوية بما تحتاج اليه، واترك أمل اولادك لئلا ينقطع عن اراضي اجدادهم، يقول لهم ذلك لعلمه انهم لا يمكن ان يطيبوا نفوسا لبيعها بيعاً تاماً، وهذا ما لا يقدر ان يعمله احد في تلك الناحية، الا الشيخ الذي كان عمله كله لله، لا للدنيا ولا المكاثرة بها، وان كان بعض أغنياء جواره لا يعرفون، لان الجاهل يقيس الناس كلهم على نفسه .

وقد تيسر الشيخ بذلك ان يتسع في الاراضي بإلغ وبمرتبع الزاوية المسمى إيسافن، حتى كان لا يرد في وقت المساغب شراء ارض من كل من يأتي اليه كيفما كانت ارضه، فكان الفقير احمد بن باها الافقيري وهو قيم الشيخ على محارث الزاوية، يلومه على شرائه بعض اراض لا فائدة فيها من عند آل تا كانزا وايت وافقا، فيقول له الشيخ ان لم تكن لها فائدة إلا كونها طريقا أو محطبا أو مسرحا لكفى، والعادة ان لا يعتبر إلا المحرث فقط .

وقد اشترى الشيخ ايضا ارضا بالمعدر إزاء تزنيت، فلم يزل الفقراء يحرثونها دائما حياة الشيخ وبعده، كما اشترى اخرى في الموضع المسمى تافراوت إكرا بمجاط، وفي معدر درعة

الاشغال، ولحمل متاع الفقراء في السياحات، او للحرث والحمل في الزاوية، مع جمال لا تتجاوز ايضا خمسة او ستة، وقد ملك الشيخ اخيرا رمكة صار يركبها ويسابق عليها رفيقه سيدي علي بن عبد الله في بسيط إلغ، بنية يوجر (1) عليها الشيخ إن شاء الله.

تعده كل مظاهر الثروة للزاوية، وذلك كله دون ما تقف عليه حاجة الزاوية وأشغالها المتسعة، الا ان الشيخ يختصر ما أمكن من هذه الناحية ، فلا يرتكب منها الا ما لا بد منه ، ونظره دائما لايحوم حول كل ما تقدم ، فلم يكن يستفره بغلة تنفرد دائما لركوبه ، ولا يحمل عليها كما ينتظر من أمثاله ، بل كانت البغلة التي يركب عليها كغيرها في الخدمة ، ولا تمتاز بينها الا في زمن السياحة حين يركب عليها الشيخ ويضع عليها سريجة اشتراها له الفقراء .

وقد كان فقراء اداوزكي وراس الوادي وافران ياتون بالزيت من عندهم كل سنة الى الزاوية ، فيملأون كل إناء فيها ، حتى إن الشيخ احيانا صار يفرق الزيت على ديار القرية دارا دارا ، وكانت الخوابي من الزاوية قلما تنقطع عن دار الاستاذ سيدي علي بن عبد الله متى جاء الزيت من هذه النواحي الى الزاوية ، فقد اخبر الفقراء انهم كثيرا ما يناديهم الشيخ فيحملون من الخوابي الكبيرة في شبكات الى داره ليلا ، وقلما يعرف ذلك أحد، وبهذا كله عرفنا ان الزاوية وان لم تكن من الثروة كزوايا أمثال الحوز المثرية الغنية، فإن لها بسطة اكثر من اهل تلك البلاد التي يقطنها الشيخ، ولهذا ولكثرة ما يتواردن من طرائف الفقراء كل يوم على الشيخ، كثر تعجب اهل تلك الجهة ، وصاروا يرمقون الشيخ بنظرات الاكبار، كما هو معتاد ممن لا يواخذون الا برونق المظاهر، ولذلك ايضا يتهمه بعض الفقهاء بأنه دنيوي، في الوقت الذي يرتطمون فيه بين المغارم التي يأخذونها في القضاء ، وقد قال بعض الادوزيين في الالغيين وقد عاشرهم: هؤلاء هم الذين يقدرون على الدنيا والاخرة، لا فلان، لعالم كبير من ادوز.

حدثني المرحوم الفقير سيدي موسى بن الطيب، ان شيخه سيدي العربي الساموكني كان يقول له مباسطة، ان خالك الشيخ لم يبق له الا ان يبايعه الناس فيكون سلطانا ، فإنه قد نال شأناً عظيماً، وملكاً كبيراً، ومقاماً ما فوقه مقام ، ولم يبق اليوم في هذه البلاد من يشار اليه سواه .

وقد كان من عادة الشيخ العلي الهمة، ان يعلوه الوقار والرزانة دائما، فلا يرمق الا بنظر عال، فنال بذلك شنوفا بين كل من عرفوه من الفقهاء والرؤساء والعامة، بله اتباعه من

---

1) كان ارصدها للجهاد يوم احتلت البيضاء ، وقام الشيخ في الاسواق والمواسم والمجتمعات بما قام به من حفز الناس ليقوموا الى الدفاع، وهذه صفحة مذهبة للشيخ كنا طوينا الذكر عنها في هذا الكتاب، لانه بصدد ان يتداول في الايدي، والآن بعد الاستقلال زال الحرج، وفي ترجمة الشيخ في (المعسول) باب متسع في هذا .

المريدين، وقد بلغ من كثرة الاتباع، وسيل مختلف الطرق بهم الى زاويته، وخدمتهم له مبلغا عظيما، ولا ادل على ذلك من هذه الخرافة التي كان طلبة المدرسة الالغية يتفكهون بها بينهم في مجالس انسهم، زعموا ان الشيخ خطر له يوما ان يبني بيتا في ليلة بحيث لا يصبح اليوم حتى يتم البيت، ومثل ذلك محال عادة، لصعوبة البناء وجمع مواده في الغ ، فلا بد من حفر الاحجار اولا حفرا صعبا، ثم بالاتيان بالخشب للسقف من بعيد ، قالوا فرتب الشيخ الفقراء من الزاوية الى وادي ساموكن صفا واحدا، فصاروا يتناقلون بينهم خشب السقف يدا ليد، فيصل الغ بسرعة من مسيرة نصف نهار، كما انه رتب آخرين للبناء ، وقلع الاحجار ، وآخرين للطين ولمناولة الاحجار في كل ناحية من نواحي البيت، فبني البيت بسرعة ، وسقف بسرعة، فما طلع النهار حتى تم البيت بناء وسقفا، أخبر بذلك سيدي موسى ابن الطيب رحمه الله .

تلك هي الخرافة التي يتفكه بها الطلبة، الا انها ولو كانت خرافة صارت تتضمن تلك النظرة التي ينظر بها الناس الى همة الشيخ الفعالة، والى خدمة اصحابه له والى كثرتهم كثرة عظيمة، والى امتثال اوامره، فينفذونها بلمحة طرف، ولا ريب ان هذا كله حق وصدق.

وقد كان الشيخ ابتدأ الزاوية بقبة المجلس الاولى التي انهدمت، ثم صار يبني في كل سنة ما يحتاج اليه، وقد كانت عادته ان يأمر الفقراء بالبناء ، لا فرق بين من يعرف ان يبني وبين غيره، بل كان اذا راى بعضهم يجتهد في تقويم الجدار وتسويته يهدم ما بناه، ثم يامره ان يبني كما تيسر، حدثني بهذا سيدي محمد الزكري كما حدث به ايضا سيدي الحسين التامكونسي، والفقير صالح المجاطي وغيرهم، وانما يفعل ذلك لانه كان يربي من اصحابه عدم الرضا عن النفس، فيخاف ان قوم احدهم بناء جدار، ان يرضى عن نفسه فيهلك في الهالكين - وسنذكر هذا في فصل تربيته لاصحابه - وقد كان بناء من اصحابه ينكسر خاطره اولا حين يفسد الشيخ ما كان سوى بناءه، حتى ذاق مقصد الشيخ فصار لا يبالي بعد، ووجهة الشيخ الوحيدة في كل اعماله انما هو تربية اصحابه، وما سواها فتبع لا غير.

حدثت ان الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي نزل مرة في الزاوية فراى جدران الزاوية المنحرفة الملتوية، ثم مر على فقراء يعصدون العصيدة لعشاء الفقراء بخشب في طناجير من نحاس، فقال لعمل هذه العصيدة هكذا افضل عندي من عمل هذا البناء، واشار الى جدران الزاوية، ثم لما راى جدران دار الفقيه سيدي علي بن عبد الله ورآها مستقيمة مستوية انشد :

هكذا هكذا والا فلا لا   طرق الجد غير طرق المزاح

وقد قال الرجل الصالح سيدي الحاج عبد الله بن صالح الالغي للشيخ، ما هذا البناء الذي تبني، فإنه لا يصح ولا يبقى الا قليلا؟ فقال له اما نحن فنمضي فيه أعمارنا، واما من تبعنا فإن لم يعجبه هذا فاننا قد جمعنا له التراب والاحجار، فليبن كيف شاء - وقد تقدمت الحكاية -

اقول، لقد صدق رحمه الله ، فإننا اولاده الان لا ننتفع الا بما اعدنا بناءه ثانيا ، وكذلك يكون الزاهد الناصح الذي لا يبالي ، فمن لي ببعض من يقول ان الشيخ قد استهوته الدنيا فشيد المباني؟ ورفه الاولاد، وكسب الاموال، ان يقف على ما شيده الشيخ فيدرك كيف شيد وعن اولاده كيف يربيهم . وعن الاموال كيف ينظر اليها . ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الا ان الشيخ قياما بحق اكرام الضيوف الكبراء، قد بنى وسط هذه الابنية الملتوية قبة واسعة سقفها سقفا حضريا اتى به الفقراء من السويرة بغير اذنه - كما حكى سيدي سعيد الذي اتى بها - ثم فرشها بزراب ونمارق رفيعة وعلق في جوانبها ساعات كبيرة ، فكان الشيخ لا يفتحها الا للاضياف الذين تناسبهم فقط ، وكأن الشيخ نزل في ذلك على معنى الحديث الشريف ، انزلوا الناس منازلهم ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يتجمل بها للوفود ، وهذا من ذاك ، ومن عرف ان الشيخ حريص على ان لا يفوته أجر سنة كيفما كان، يعد هذا من ذاك، وانما الاعمال بالنية، وانما لكل امرىء مانوى. والكامل هو الذي يعطي لكل ناحية ما تستحق .

على ان لارواح العارفين شهوة، كما لنفوس الغافلين شهوة، فلبعض العارفين بعض مظاهر اقتبسوها من الملوك ، ثم حذر الصوفية انفسهم من الانكار عليهم ، كما قاله الشعراني في سيدي محمد البكري المصري ، وكما ذكر عن الشيخ الشاذلي ، ومولاي عبد القادر الجلالي وأمثالهم ، ويقول الصوفية ، ان العارف قد يكون على لون واحد كالزهد التام ، او كالرغبة التامة ، اوكالجمع بينهما ، وقد يكون بعضهم لا لون له ، فيكون مصداق جواب بعضهم حين سئل عن حال العارف ، فقال لون الماء لون انائه ، اقول ان هذا الحال بنفسه هو حال الشيخ ، فإنه عابد مع العابدين، زاهد مع الزاهدين ، عالم مع العلماء ، عامي مع العامة ، رئيس مع الرؤساء ، دنيوي مع اهل الدنيا ، وقد يكثر الكلام مع أهل الهذر ، والمقصود ان له اتصالا تاما بكل هؤلاء، لا تزمت فيه ولا استثقالا، لئلا ينفر عنه الناس، ثم هو لايخالطهم الا بظاهره حتى ليحسبه من لا يعرفه متى كان مع طائفة انه لا يعدو حال تلك الطائفة ، لكنه ينقلب الى مظهر آخر يوافق طائفة اخرى يكون معها ، وهكذا دواليك ، ثم هو مع ذلك كله لا يخالط الا بظاهره ، وأما باطنه فإنه مغلق دون ما تربى عليه من مراقبة ربه عز وجل ، فكل من تقرى احوال الشيخ فانه يجده هكذا ، فكان بذلك فريدا بين العارفين من الشيوخ الكمل رضي الله عنهم(1) .

ومما يتعلق بأحوال الشيخ الدنيوية، انه كان يقوم بها لله ، ويتقرب بها الى مولاه ، ويجري على ذلك من جعلهم قيمين على املاك الزاوية، فقد حدثني سيدي محمد الزكري قال، كنت مرة اخبر الشيخ بأحاديث سمعتها من أهل إيشت، فقال اننا ما جعلناك هناك الا لتغرس

---

1) وبهذا وصفه احد اكابر اصحابه سيدي محمد بن مسعود المعدري .

ما يعود عليك نفعه في آخرتك ، وان تجعل نفسك في خلوة مع ربك ، لا ان تتسمع لما يدور في مجامع اهل الغفلة ، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين ، وهكذا كان الشيخ حريصا على ان يكون المثل الاعلى لاصحابه فيما يقوله لهم دائما : ان الفقير الكامل هو الذي يحرص كل الحرص على ان يكون في صحيفته كل خير، وكل نوع من انواع الاجر، فلا يقتصر على الصلاة والصيام والذكر فقط، بل يكون له اجر الغرس واستنباط المياه وبناء الامكنة لله وارشاد الناس ، وكان الشيخ يكرر هذا دائما للفقراء، ولذلك حرص على عمل ذلك كله في املاك الزاوية ، فقد كان بعد ان كتب وصيته في مرض موته وعول على الوفاة ، قام على حفر البير التي في شمال الزاوية، وبين الزاوية وبينها مسافة قريبة غير كثيرة ، فقد نفذت فيها نظرة الشيخ وهمته الفعالة ، فصار اليوم ما حواليها بساتين متعددة بآبار اخرى ، وبهذه النية كان يحرص غاية الحرص في اقامة المساجد واصلاحها واقامة الجمع فيها ، فكم مسجد قديم وقف عليه هو وأصحابه حتى جدد بعدما كاد يتهدم ، وكم من مسجد ضيق امر اهله ان يوسعوه فزيد فيه ، وكل هذه المساجد الكثيرة لا تزال معروفة الى الان في الجبال وفي ناحية تامانارت وفي افران وفي ازاغار وفي حاحة وفي متوكة وفي الحوز وفي اداوزكي وفي رأس الوادي وفي الفائجة وفي بعمرانة ، وقد كان من عادة اصحابه اقتباسا منه الوقوف على ذلك ، حتى إنه ربما تركوا مسجدا قديما مهدوما يهدمه اهله على نية اصلاحه ، فينتظرون ريثما يتهيأون لبنائه ، فيقول المتقولون ان الشيخ سيدي الحاج علي واصحابه لا يعرفون الا هدم المساجد ، ينبزونهم بذلك عادة لا تفارق جانب المصلحين .

وقد كان الشيخ لحرصه على ان لا تخلو صحيفته من أي عمل، لا يغفل عن أي ناحية في عملها اجر، وقد كان كثير الصدقة سرا وجهرا، الا انه لشدة إخلاصه يجعلها على كيفية لا تلفت الانظار، حدثني بعض بني عمومة الشيخ - وهو ابراهيم بن عدي - ان الشيخ اراد مرة ان يعينه بشعير، ولكن خوف ان يحسده جيرانه، احتال فصار يسأل اهل القرية وهم امامه عما حصلوا عليه من بيادرهم، فصار يثني على كل واحد واحد الى ان وصل المذكور فذكر له ما ادخله من محصوله، فكان يعنفه على عدم اهتمامه بأمر عياله. فألعقه بسوط من تأنيب، ثم امر له بما يكفيه قوت عياله سنة، وقد اخبرني آخر انه ذهب يتسلف منه مالا كثيرا فأعطاه فى صورة سلف، ثم لم يسأله عن شيء بعد، ومثل هذا من الشيخ كثير، وقد حدثني الفقير صالح البوكلاشي ان الشيخ قال له فى مرضه، أيقول الناس انني قد فقدت رشدي؟ حين صرت اخرج من زرع الزاوية للناس في هذه السغبة - يعني مسغبة 1328 ه التي مات فيها الشيخ - قال فقلت له ان الناس يقولون ذلك، فقال، ان هذا الزرع كان واجبا علينا اخراجه فى هذه المسغبة للمحتاجين اليه مجانا بلا ثمن، ولذلك ادخرناه، ولكن نريد ان تنتفع الزاوية بالارض لتوقفها على الاراضي، وان ينتفع الناس ريثما يقدرون ان

يسترجعوا اراضيهم، وقد كان الشيخ إذ ذاك يكيل التمر والشعير بثمن السوق ، على حين ان آخرين من اغنياء البلد يبيعون بالاجل بعشرة اضعاف ثمن السوق، ثم لا أداء ، وانما المقصود كثرة الثمن على الارض، فلذلك مال عنهم الناس الى الشيخ، فكانوا هم الذين يزعمون ان الشيخ فقد رشده حين لا يفعل فعلهم، وحقا فقد الرشد الذي عندهم، لان رشدهم دنيوي، وهو يرى غير ما يرون، ويقصد غير ما يقصدون (ولكل وجهة هو موليها) .

ومن اهتمامه بأنواع الاجر، انه تصدق على اولاده الذكور بأربعة أخماس كل املاكه، وقال ان مقصوده ان يحصل له اجر من وصل اقاربه، وذكر حديث، لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس، ومحرر يده في ذلك موجود، ملاه بأحاديث في الموضوع، ومن هنا نعلم ان كل اعمال الشيخ جارية على هذا المنوال المؤسس على مثل هذه النية، وإنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى، وقد عرفنا كثيرين من المشائخ الكبار لا يخطون خطوة ، ولا يعملون عملا ولا يقومون ولا يقعدون ولا ينامون ولا يستيقظون ولا ينكحون ولا يركبون ولا يترجلون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون، ولا يتعاطون أي امر الا بنية خالصة يتقربون بها الى الله، فصارت كل عاداتهم عبادات، وكل لذاتهم قربات، وبمثل هذه النية يسبق العارفون العلماء الذين يعرفون كيف توكل الكتف، غيرهم من الذين لا يصححون النيات، ولا ريب ان كل من يؤسس كل اعماله على هذه النية، فانه لا يرى الا الربح ابدا، كيفما كان، وعلى اية حالة كان، فسواء عنده النوم او اليقظة، والاختلاء في الخلوة مع ربه، والاجتماع مع مختلف انواع الجماهير في المجالس، وسواء اشتغل بالصيام والقيام، أم اشتغل بالاسباب الدنيوية من حرث وحصاد وتجارة وغراسة، فان كل ذلك يعود كله في صحيفة القربات، وينالها من درجة تفوق كل الدرجات، فلا تكون الا للمجتبين الاخيار .

حكى لي سيدي محمد الزكري انه سمع الشيخ يقول لانسان سأله عن افضل ما يتقرب به الى الله، وقد كان السائل من اهل بلد يولعون بالغرس: ان من افضل الاعمال ، غرس الاشجار والفلاحة لوجه الله، ولهذا لم يكن الشيخ يحول بين اصحابه المتسببين وبين الاعمال الذين يألفونها قبل ان يأخذوا عنه، بل كان يربيهم في ضمن اعمالهم، كما سترى ذلك فى فصل خاص بكيفية تربية الشيخ رضي الله عنه .

ومجمل ما نقوله اخيرا في هذا الفصل، ان الشيخ عند اصحابه الذين اولعوا بتتبع احواله، من الكمال الذين لا يلهيهم حال عن حال، فقد قام بالزاوية التي اسست على التقوى من اول يوم قياما عجيبا غريبا، لافتا للانظار، فقد كانت القرية في بسيط مقفر لا يمكن ان يوجد فيه اي شيء الا باستيراده من بعيد، حتى الحطب، فيوتى به من مسيرة يوم ان كان المقصود الشيح الذي هو غالب حطب إلغ، وأما الحطب من اعواد (اركان) فمن مسيرة يومين ، يوم للذهاب وآخر للاياب، وكل ما هناك شعير قليل قد يسد الرمق إن توالت سنو الخصب، وقلما

يتوالى سنتين وثلاثا، ويقول الالغيون لا يمكن من إلغ الا الغدا" وحده ان توالى الخصب في إلغ، واما العجوري اي ما يوكل وسط النهار فمن تمر تامانارت، والعشا" فمن ذرة ماسة ففي هذه البلدة المقفرة اقام الشيخ زاويته قياما غريبا، فكانت مجمع الطوائف الكثيرة في كل يوم، فيقوم بضيافاتهم وبعلوفاتهم وبزادهم يوم يؤوبون، وقد امتلات الزاوية بالشعير والتمر ولم يعهد قط منذ اديرت فيها الاشغال، ان تخلو مخازنها، وذلك ببركة ظاهرة يعرفها كل من له عينان، وقد قامت ابنية كثيرة ساذجة للواردين، واحتوت على كل ما يحتاج اليه من الانية والحصر وطناجير النحاس المصنوعة من إندوزال، وهي كبيرة، وليس في الزاوية من الما" المورود الا آبار يستقي منها بالدلا"، فكانت هذه الزاوية القائمة بالله، اخت زاوية سيدي محمد بن يعقوب التاتلتي التي قال من اجلها السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله السعدي ان الزاوية بالله لا بالساقية، يوم طلب منه متشيخ ساقية ليقيم فيها زاوية ، وقد ابى الشيخ ان تخدم القبائل زاويته، مع ان الساموكنيين توافقوا على ان يجعلوا لها حظا من كل نخلة ، فحين لامه سيدي علي بن عبد الله على ذلك، اجابه بجواب يقنعه فقط ، كما اهتمت قبيلة إداوزكري بذلك وغيرها، فكان يمنعهم عن ذلك بإعذار فيقبلونها، وانما كان يأبى من ذلك للزهد التام من اموال العامة، ويقول ان الزاوية للفقرا" فقط، فهم يقومون بها لا غيرهم ، ولا يريد ان يدخل مال العامة الذي يكون غالبه امشاجا بين اموال الفقرا" لتصفو اللقمة، ولاخلاصه الشديد الذي يبالغ في كتمه ثم لا يصرح بذلك .

كان امر الصوفية والقيام بزواياهم عجبا عجابا من قديم، فهذا سيدي ابو عمرو المراكشي كان ملوكي المظهر، تطفح الخيرات فى زاويته، حتى ليغار منها الملوك ، ولكن شتان بين زاوية اقيمت فى مدينة تجبى اليها الثمرات من كل ناحية كمراكش، وبين زاوية اقيمت فى قفر بلقع كإلغ، وقد دل ذلك على ان الشيخ محظوظ ايضا فى هذه الناحية كما كان محظوظا فى ناحية الاقبال على ربه، والارشاد اليه، لانه لا يكاد يزاول شيئا حتى يتمه الله له، ولم يك كالشيخ سيدي عبد الله بن احمد الغزواني دفين القصور بمراكش، فإنه لا يزال فى كد وتعب في مزاولة شؤون الدنيا، ثم لا يأتي على يده منها شي" - كما علم في ترجمته - فسبحان من قسم الحظوظ حتى بين العارفين الكبار، فلا عتاب ولا ملامة.

هذا وقد اشتهر ما فى الزاوية من البركة الظاهرة فى عهد الشيخ وبعده، فان الديار التي يشار اليها بالثروة بإلغ فى عهد الشيخ ، كانت معروفة بإمساك شديد ، وبخل وكزازة ومحاسبة ومكايسة يضرب بها المثل، وقد كانت ترى ان لها مثل ما للزاوية من المدخرات الا انها لا تقدر ان تقوم بمثل ما تقوم به الزاوية من القيام بالضيافات المتوالية على مر السنة، وقد يصل من يجتمعون فيها احيانا نحو ثلاثمائة قصعة وستمائة علف دابة كما اخبرني به سيدي الحسين التامكونسي قال، وقد احصيت ذلك بنفسي فى بعض الايام، واما من يكون فيها من الفقرا" المنقطعين دائما فيبلغ نحو مائة فقير يأكلون فى عشر قصاع، عشرة

في كل حلقة زيادة على الصادرين والواردين، ولا ينقطع غالب ذلك إلا في الاوقات التي
يسبح فيها الشيخ، ومع هذه الانفاقات الكثيرة من الزاوية، لا يزال ما فيها في نمو يظهر لكل
ذي عينين، وما ذلك الا بالبركة التي وضعت في الزاوية، ونحن الى الان لا نزال نلمس
ذلك لمساً والحمد لله، فنحن الان 1364 ه في إلغ، وكأننا لسنا فيه، وإزاءنا من لهم من الثروة
مالیس في الزاوية ما يوازيه، ولكن النفقة التي تصدر من الزاوية، والمظهر الذي لها ، لا
يظهران من غيرها، ويقول بعض المجربين، ان طعام الزاوية فيه قناعة وبركة دون غيره ،
ويعللون ذلك بأن مصدر ذلك الطعام حلال طيب مما اسسه الشيخ للزاوية، وبه ما زالت تقوم
الى الان، والعبرة بالبركة لا بالكثرة .

اجتمع مرة في الزاوية بعد وفاة الشيخ اناس كثيرون من مجاط وغيرهم، فقدمت لهم
الحريرة ومآت من المغارف الجديدة، فطال تعجبهم في دار يخرج منها هذا العدد الكثير من
المغارف، وما ذلك الا لهمة الشيخ الذي كان أوجد في حياته للزاوية من كل ما يتوقف عليه
كل شيء ، ثم لا يقنع بالقليل من كل شيء ، وكان يحب ان تقوم الزاوية بنفسها من
غير ان تتوقف على سواها في أي شيء ، ولولا ان الشيخ كان يهتم بدار الرئيس الحاج
ابراهيم الغشاني، وبدار الفقيه سيدي علي بن عبد الله، فكان يدفع اليهما دائما من كل ما
عنده من الاواني والاثاث والمتاع والملابس، لكان ما في الزاوية بعد الشيخ اكثر مما فيها، لكنه
رحمه الله ورضي عنه يؤلف ما بين القلوب، ويستجر النفوس الى التخلق بأخلاق تدرأ عنها
ما عسى ان يلم بها مما لا ينجو منه بشر، ولا سيما بين الجيران، وقد كان الشيخ حكيما
في مداراة الناس، فلم يعهد له عدو ظاهر يقدر ان يناوئه أمامه، وان كان يتحرق على ما
آتاه الله وراءه ، وسنرى بعض ما يتعلق بالشيخ من هذه الناحية في الفصل الذي نخصصه
لكيفية تربية الشيخ للناس اجمعين .

وقد كان الشيخ وقف في أول امره حتى استخرج من معدن النحاس من أكجكال
جميع ما صنع منه من اواني النحاس المختلفة الحجم ما قامت به الزاوية، ولا تزال تقوم به الى
الان، فرضي الله عنه من ذي همة ما توجهت الى شيء من الاشياء كيفما كان فترجع عنه
الا تنال منه ما لا يناله غيره، فقد اعلى الله همته، فظهر علو همته وعزيمته في كل ما يزاوله
من ارشاد وعلم ودين ودنيا، فنال في سنين قليلة ما لم ينله غيره في الاعمار الطوال ،
فربى وأرشد ما لا يعد من آلاف المريدين، وولد الاولاد، وملك ما تقوم به زاويته، وعلم العلم
واعان من قصروا اعمارهم على تعليمه، وقام بأيدي كثيرين يتعلمون في عهده، وغرس
واستنبط الماء ، وبنى من الزوايا ما يقارب التسعين، واصلح من المساجد كثيرا، وذلك كله في
عمر لا يتجاوز نحو 64 عاما .

الفصل الثاني والعشرون في اعتنائه بالعلم الظاهر وأهله تعلما وتعليما وإعانة ومذاكرة

رأينا فيما تقدم تلك الهمة التي كان الشيخ يتعلم بها في المدارس ايام كان ياخذ عن اشياخه، فقد دأب واجتهد في الدراسة وفي نسخ كتب الدراسة اجتهادا كبيرا، حتى نال الشفوف التام بين تلاميذ مدرسة ادوز، حتى انتخبه استاذه ابن العربي للتدريس مكانه انتخابا غار منه اصحابه، فكانت شهادة عليا ايدته الاجازة التي اجازه بها هذا الاستاذ يوم ودعه.

وهمته في الاخذ والتحصيل تظهر من محفوظاته من المتون الصغار والكبار، حتى التسهيل لابن مالك فقد حفظه كله او غالبه - كما يقوله ابن مسعود - يوم درسه لهم ابن العربي شيخهم، كما تظهر همته ايضا في ذلك من آثار يده التي كتبها إذ ذاك، فتحت يدي نسخة خطها بيده من شرح (أيسر المسالك، الى ألفيه ابن مالك) لابي حامد الادوزي، فرأيت النسخة موشاة بطرر نفيسة، انتخبها مما كان يطالعه إذ ذاك، تجمع بين فوائد وتكميلات وتنبيهات وشرح شواهد وما الى ذلك مما تتحلى به عادة طرر الكتب التي يعتني بضبطها اصحابها، ويهيئونها للدراسة فيما بعد، ويجعلونها صونا لكل ما تصل اليه ابحاثهم، وتترقى اليه مداركهم.

ومما خطه إذ ذاك، المقدمة التي جعلها الهلالي سيدي احمد بن عبد العزيز السجلماسي مفتاحا للقاموس، فقد انتسخها الشيخ بيده في نسخة من القاموس بالطبعة القديمة، ولا تزال في خزانتنا، وكذلك مجموعة متون وتتمة نسخة من (نزهة الحادي) والدماميني على الخزرجية، والدردير على المختصر، وغير ذلك مما لم يتم نسخه وهو كثير، كالرحلة الادوزية الى مراكش لشيخه ابن العربي، فهذا من آثار همته، فلولا ان التصوف كان يكفكف من غربه لكان له شأن عظيم في الميدان العلمي اكثر مما كان منه، فقد رأيناه بعد ان تخرج، ظهر في اهله بمظهر العلماء* إزاء* رفيقه الاستاذ سيدي محمد ابن عبدالله بنصالح الالغي، فقد زاول إذ ذاك مسائل من الاحكام بالتحكيم فحررها، ومن بينها قضية اولاد سيدي ابراهيم بن سليمان التي عجز فقهاء* قبله عن فض نازلتها لاحباس تقف في سبيلهم، فأقدم عليها الشيخ فحررها على وجه الحق الذي ينقاد له كل الورثة، وكذلك زاول هو ورفيقه المذكور نازلة لاهل دوكادير العاميين، حكما فيها معا ففصلاها، وقد كان إذ ذاك خفيف اللحية، فصار العامة يقولون عجبا من ناشي* بإلغ لا يزال صغيرا اعطاه الله علما كثيرا، وفهما ثاقبا، ذكر ذلك صالح البوعلاشي. ثم درس ما درس في المدارس المتقدمة، فظهرت آثاره، واستنهضت همته من كانوا قبله من الفاترين، وقد كان علمه الذي بذ فيه، هو العربية بنحوها وتصريفها، فقد كان درس النحو وأتقنه، وكان له في اللغة يد طولى، كما له ايضا في علم العبادات في الفقه مهارة تامة فائقة، وتحصيل جامع مستحوذ على كل الجزئيات التي في كتب الفقه المتداولة، ولا ادل على ذلك من المجلد الضخم الذي كتبه بالشلحة في العبادات لاصحابه، فإنه وان كان يقصد

به اولا شرح عبادات مختصر الامير، الا انه كان يزيد على ما فيه حتى انه ليحرص على ذكر كل الجزئيات الموجودة فى مختصر خليل وفي شروحه بالاطناب التام ، وله فى تلك الجزئيات نظرات تدل على نهمه الدقيق ، واما غير العبادات من الفقه فله فيه مشاركة حسنة ، وقد سمعت من شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ثناء جما على ما للشيخ في كل ابواب الفقه، ويقول، انما لم تظهر مقدرته وتحصيله في ذلك لانه لا يفتي ولا يزاول النوازل، ولا يتظاهر بذلك ، والا فقد علمنا منه في المذاكرة معنا تمكنا تاما ، وقد كان يعارضنا فى مسائل فنجد الحق معه، علم يوما انني افتيت في المغلصمة بالحرمة، فقال لي انك ياعبد الله لم تعرف الا الحرمة، أو لم تطالع في المغلصمة ما جرى به العمل ، وأيده ابن عرفة، وجرى به العمل في تونس قبل ابن عرفة قرنا ؟ قال فكان ذلك سبب مراجعتي المسالة حتى حررتها، وكان ذلك اول مبدئي بالافتاء.

وكان الشيخ ينصف فيرجع ان تبين له الغلط ، فقد حكم في بقرة للقين (يعلي) انشبت ابرة في قلبها بالحرمة فلم توكل ، ثم علم ان القلب ليس من المقاتل ، فأعطاه بقرة ذبحها واستبد القين بجميعها ، وذكر له أنها في مقابلة تلك التي حرمها عليه ، فلم ينتفع بها ، وكانت عادة الشيخ انه كان لا يفتي غالبا في البلد إلا في باب العبادات لمن سأله، وأما ما سوى ذلك فكل من سأله ولو سؤالا عاديا يامره ان يذهب إلى الاستاذ سيدي علي ابن عبد الله ، وقد تكرر ذلك كثيرا ، خصوصا ممن يحبون ان يتنكبوا الاستاذ الى غيره، ولا يرضون به ، فلا يكون من الشيخ الا ان يجعله هو المرجع الوحيد في القرية ، فقد سلم له هذا الباب كما سلم له باب الرياسة يوم احتاج المرابطون الى الرياسة في عهد الحاحيين بتزنيت ، فقد كان المرابطون اذ ذاك حملوا سمنا كثيرا وأشياء أخرى نقسموها بين الشيخ والاستاذ ، فأمرهم الشيخ أن يذهبوا بالجميع الى الاستاذ ، كما كان امرهم كلهم امام زاوينه وقد اجتمعوا، ان يجعلوا أمرهم في يد الاستاذ ، بعدما اقترحوا على الشيخ ان يتقدم هو عليهم ، وهذا الحال هو حال الصوفية ، فإنهم يعلمون من مظاهر حكمة الله ما لا يعلمه غيرهم ، فيسلمون الامور لاربابها ، وقد ذكر الشعراني من أخلاق الصوفية أنهم يتركون من ظهر بعلمه من العلماء بين الناس ، ولا يذيقونه من مذاقاتهم ، لئلا يرجع عن ذلك المركز الذي هو فرض كفاية بين المسلمين ، وللظهور بالعلم وتمكن في مركزه ، وكذلك بالرياسة نفع عام مطلوب بين الناس ، يقيمهما الله للحكمة الظاهرة في ذلك ، ولما كانت بصائر امثال الشيخ من الصوفية نافذة ، وكان مقصود الاعلين منهم عالي المنزع ، كانوا يشيدون بالعلماء الظاهرين ولا ينقصون من مقامهم ، ولا يستحقرونه كما يفعله جهال الصوفية ، هذا مع علمهم بأن الغفلة كانت تستولي غالبا على أصحاب هذه المظاهر، ولكنهم

يفهمون عن الله ان في تلك الغفلة نفسها فوائد ، فرضي الله عن القوم ، فما أنفذ بصائرهم وأعرفهم بربهم وبحكمه في مخلوقاته .

وقد كان الشيخ لا يفتر دائما عن التعليم للعلم ، لكن لا بصفة مدرس كما يعتاد في المدارس ، بل بصفة مرشد معلم مهذب مرب ، يعطي السامع من علمه على قدر ما يتوقف عليه ، فمطلق العامة يمدهم بالتوحيد والعقائد وضروريات الدين ، وجوامع الحلال والحرام ، والعلم الجامع الذي يتقربون به الى ربهم ، وأما اتباعه فإنه في وقت اختلاط المبتدئين بغيرهم ، والمتسببين بالمتجردين ، يجري أيضا على مثل ذلك ، مع زيادة معنى التصوف واعلان مبادئه ، وتحرير كلياته ، لتتقرر في اذهان المبتدئين ومن اليهم من المتسببين الذين يمضون غالب أوقاتهم في مزاولة اسباب معاشهم ، وفي الخلطة مع العامة في الاسواق والمجتمعات ، ويترقى معهم الشيخ بمقدار تقدم مداركهم في هذا الباب ، وأما المتجردون المنقطعون اليه الذين يلازمونه دائما ، فإنه يؤسس تعليمهم على غير ذلك ، فيتعلم الاميون منهم حروف التهجي اولا حتى يتقنوها ، ثم يشتغلون بتحصيل فرائض الوضوء والصلاة والصوم والسنن والمستحبات ، حتى يحصلوها تحصيلا تاما يؤخذون على سرده واحدا واحدا في مجتمعات المتجردين الخصوصية ، ثم بعد ذلك يقرأ أحدهم كتب الشلحة التي تضم الفقه والحديث المترجم والمواعظ الدينية، وهو بين ذلك يسمع دائما في المجالس ما يسمع من الاحاديث وتفسير الايات ، والسيرة النبوية ، وكلام القوم وتراجمهم واخبارهم، فتترقى مداركه ترقيا عجيبا ، مع ما يستنير به قلبه من الفكر المصيب التي يقتبس من الذكر الذي لايفتر عنه، فهكذا يدخل أحدهم اميا جاهلا غافلا عن ربه وعن دينه، ثم لاتدور عليه سنة او سنتان حتى يتثقف هذه الثقافة التي يسلك فيها أسهل الطرق ، فيقدر ان يقبل ويرد عن علم وذوق ، وان يذاكر وان يجري في الميادين التي يجري فيها الشيخ وكبار من وجدهم امامه ، فقد عرفنا كثيرين تدرجوا هذا التدرج فصاروا في المذاكرة الصوفية، وفي استحضار ما يستشهد به في الموضوعات من الاحاديث والايات ، واقوال اكابر القوم، عجبا عجابا ، فهذا سيدي محمد الزكري وسيدي الحاج محمد البوطبي وسيدي بلعيد الصوابي وسيدي بكريم الاموكديري ، وسيدي يوسف الايرغي الاكنضيفي وكثيرون من امثالهم الاميين الذين التحقوا بالشيخ اغمارا فعادوا يناطحون العلماء ممن اعتنقوا الصوفية على يد الشيخ كسيدي عبد الله ابن القاضي الايديكلي التملي ، وسيدي ابراهيم بن صالح التازروالتي ، وسيدي محمد بن مسعود ونظرائهم ، فقد اعترف سيدي ابراهيم بن صالح التازروالتي انه سلم لسيدي بكريم في مذاكرة الصوفية ، كما اعترف ايضا سيدي عبد الله ابن القاضي بمكانة سيدي بلعيد الصوابي ، وها انذا اقول بدوري انني ارى من سيدي محمد الزكري الذي اجالسه منذ سنين : اذا كان يفيض في الميدان ، ويغترف من قلبه اعاجيب لم تقتبس من كتب ، ولا ينبغي ان تسطر بعد في دفتر ، فذلك هو أثر تعليم الشيخ لاصحابه ، فقد عادوا مثقفين

يعرفون كيف توكل الكتف ، وقد زالت عنهم الغشاوة التي لاتزال مسبلة على عقول الاغمار الجهال الذين لم يانسوا بعد بتهذيب ، ولا شحذوا بمشاحذ التعليم حتى النساء اللاتي كن ينقطعن الى زاوية الشيخ ، ادركن من هذا التعليم ما ادركن. ومجلس تعليم الشيخ في زاويته كان يجمع بين الرجال والنساء دائما بلا خلطة ، بل بين الفريقين جدار فيه نوافذ بنيت ايضا بأحجار ليس بينها طين ، فلا تحجب الكلام ، فيشارك الفقيرات الفقراء في كل ما يقوله في مجالسه ، وهذا في الزاوية الالغية ، وفي غير ذلك يجتهد الشيخ ان يوصل الى النساء نصيبهن من علمه ووعظه وإرشاده وتربيته ، فإن لم يمكن على تلك الصفة التي كانت عليها الزاوية الالغية ، خصص للنساء مجلسا على حدة ، وقد حدثني مقدم زاوية تازمورت بسندالة ان الشيخ كان ياتي الى داره بعد ان ينزل مع اصحابه في الزاوية هناك فيعلم النساء فيها ، قال وكان يامرهن ان يتسترن منه وان يضربن بخمرهن على جيوبهن بل وعلى وجوههن ، ويامرهن عند التسليم عليه ان لا يمسسن يده ، بل يستدرن وراءه ، وسياتي فصل خاص، كيف يحافظ الشيخ على الشريعة ، وعلى المعتاد في بيئته بين الناس ، كما يحافظ دائما عليها في كل الميادين ، وبهذا الاعتناء من الشيخ للنساء ، بلغ بعض المريدات ممن اخذن عنه مقامات عليا في العلم والمذاكرة ، حتى كن يذاكرن امثال سيدي سعيد التناني، فيسلم لهن، فهذه الفقيرة السيدة خديجة التاكضرانتية، والسيدة فاطمة التملية، والسيدة كلثوم من أسيف ييك التنانية، والسيدة مماس تابوييسكت الاكجكالية وكثيرات امثالهن بلغن من معارف الطريقة، ومن استحضار فرائض العبادات الفقهية، ومن علو الكعب في التصوف واذواقه واشارته ما جعلهن في مقامات عليا ، ولذلك كان الشيخ ينتدب امثالهن لتعليم النساء وتهذيبهن، وقد اولع الشيخ بتعليم نساء إلغ العقائد والضروري من الديانات، فخصص لذلك الفقير الواعظ المؤذن الساموكني يدور على نساء ساموكن وأكجكال وقرى إلغ الشرقية ، وجعل له عليهن في كل سنة ما يقوم به معاشه ، وكان يلزم المقدمين على الفقراء المتسببين في زواياه المنبثة في سوس، ان يتعلموا هذا التعلم لينفعوا من اليهم من الفقراء، ومن مطلق العامة بما تعلموه، وقد كان اصحاب الشيخ يضرب بهم المثل في استحضار المسائل الفقهية والعقائد، حتى كان امثال الفقيه سيدي ابراهيم الساموكني المولع بإلقاء الاحاجي والالغاز في العبادات الفقهية يتنكبهم بعدما وقع له امام الشيخ وأمام سيدي المدني الناصري، وسيدي الحاج الحسين الافراني، واقعة ناظر فيها اصحاب الشيخ لارادة ان يعرف الناس جهلهم، وقع ذلك يوما تحت دار الشيخ سيدي المدني بتانكرت بإفران، فاذا به خر على ذقنه وافتضح، واعلن على رؤوس الاشهاد انه لا يقرب بعد اليوم أصحاب الشيخ سيدي الحاج علي أبد الابدين، ثم وفى بوعده، وقد كان ديدنه في كل سوق وفي كل مجمع، القاء العويصات من مسائل الفقه، وكان يظن ان لا يغلبه احد، حتى وقع له ما وقع، فأقلع عن هؤلاء وبقي متسلطاً على غيرهم، وقد كان فعل ذلك حتى مع كتاب السلطان المولى الحسن

يوم زار سوس، وقد كان الاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي يقول: تالله ما ربى اصحابه ولا علمهم ما يجدي في الدين وتصحيح التوحيد وانتخال العقيدة ، الا الشيخ سيدي الحاج علي وحده، وأما غيره ممن يتصدرون لتلقين الاوراد، فانهم لا يعدون مع اصحابهم الاذكار والتنفع بالطريقة، مع الجهل التام بالضروري من العقائد وما لا تصح الصلاة والصوم الا به. سمعت منه هذا، وربما بالغ فقال ان غالب اهل الطرق اليوم عادوا كفارا مشركين ، لجهلهم العقائد وللهجهم بالاولياء اكثر من لهجهم بالله، ولا ريب أن اقوال هذا الاستاذ النصوح الاريب حجة، ولذلك سقناها في المقام، متغافلين عن ذلك التكفير الذي ما اطلقه من لسان الاستاذ الا الغيرة لا غير، وانما المقصود ان يعلم التاريخ علم اليقين ما كان الشيخ يقوم به في هذا الميدان، وقد قال الشعراني، ان الشيخ الكامل هو الذي يقوم لاصحابه بكل ما يحتاجون اليه من العلوم الظاهرة، زيادة على علوم الايمان والاذواق، حتى لا يحتاجون الى غيره، وهكذا كان الشيخ رضي الله عنه .

وقد كان للشيخ يد في التفسير يستحضره في المذاكرة بين اصحابه، وفي المباحثة بين الفقهاء ، وقد علمنا انه كان احيانا يدرس لاصحابه التفسير، فيقتصر على ما يلتقح به القلب، ويتقرب به الى ربه، وقد تعمد ان يلقي ظهريا بينهم المباحث اللفظية، مع انه في علم العربية متمكن كما تقدم. حكى ذلك سيدي الحسن الماسي .

كما كانت له ايضا مشاركة في الحديث يحفظ منه كثيرا، وكان من بين مجالسه اليومية ، مجلس خاص بالحديث في مختلف كتبه، كالسيرة والجامع الصغير والبخاري ، زيادة على أيام رمضان، حين كان يعقد دائما مجلسا عاما في زاويته الالغية، يحضره اهل القرية ومجاوريها ذكورا واناثا بين الظهرين، فيقتصر فيه على الحديث النبوي، الى اليوم السادس والعشرين الذي يكون من المواسم السنوية الدائمة، فتمتلئ الزاوية بالواردين من اصحابه، وكان يرد كل من يمكن ان يرجع صبيحة السابع والعشرين فيعيد في اهله ، فلذلك لا يتخلف إذ ذاك من الفقراء من بينهم وبين الزاوية مسير ثلاثة أيام.

وأما علم الفرائض والحساب والعروض وغيرها من العلوم المتداولة، فإنما كان للشيخ منها ما يكون لكل فقيه درسها، ثم اعرض عنها ولا يستعملها ولا يراجعها، وحين كان الادب العربي يروج كثيرا في إلغ في عهده، فانه قد يشارك ببعض القوافي مشاركة ما، لان قول الشعر ليس من سجيته، وان كان يصدر منه احيانا ما له روعة. وقد اعتنينا بكل ما صدر عنه فجمعناه في غير هذا الكتاب.

وكانت المذاكرة العلمية بين العلماء محببة اليه كثيرا، ولذلك يقضي غالب الليالي في منزل الاستاذ سيدي علي بن عبد الله حيث تتموج الابحاث العلمية دائما، وقد قال شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ما نفعني الله الا بخالي الشيخ، فانه كان يحرص أشد الحرص على الحضور في دار عمي الاستاذ ابن عبد الله، وفي كيسه شمع يرصده، لعلنا نتوقف عليه، فكان يرسل

الى ان لم يجدني حاضرا، فنسمر في الحديث العلمي، وفي مراجعة المسائل، وفي تلاوتي عليه من الكتب، فنبقى معا بعد ان يذهب الاستاذ الى مضجعه، ولا نتفرق الا بعد ما ينتصف الليل، قال وذلك ديدن الشيخ غالبا، وقلما يتخلف الا لعذر يحبسه او لاضياف يشتغل بهم.

ومن عادة الشيخ، انه يجول في الابحاث العلمية كلما لاقى علماء . وقد حكى بعض تلامذة الاستاذ سيدي محمد أوعابو ان الشيخ بات عندهم في مدرسة إداومحمد بهشتوكة فبات مع الطلبة يسائلهم، ويلقي عليهم من الابحاث، فذكر انهم كانوا يتوقفون من مراجعته للهيبة التي كساها الله اياها، وحدثني العلامة سيدي الطاهر بن محمد الافراني ان الشيخ كان يوما في مجلس شيخ الجماعة أبي العباس الجشتيمي. فألقى على شيخ الجماعة فمن دونه مسألة فقهية عينها الراوي، فإذا بكل الحاضرين غلطوا في جوابهم عنها، فقال الجشتيمي بعد ما روجعت المسألة: تالله اننا دائما لجهال، وانما ندعي معرفة الفقه، وهذه عادة الشيخ الدائمة لا ينقطع عنها حتى في الحواضر، فقد كان مرة بمراكش في مجمع علماء اجتمعوا عليه في رياض الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام الورزازي، فتوقف بعضهم في كلمة: من جراء ذلك، وفي اللغات التي فيها، فأرسل الشيخ فاشتريت له نسخة من نسخ القاموس التي يملكها وما حداه الى شرائها الا مراجعة الكلمة، وكذلك وقع في السويرة ايضا مثل ذلك مع فقيه حول مسألة فقهية، كما جرى له نظيرها مع الاستاذ الفقيه سيدي محمد الاكراري في تالعنت بحضرة القائد عبد السلام، وقد كان الاكراري نقيه الحضرة، وكان لا يرى للشيخ أية مكانة في العلم، فحين جرت المذاكرة في مسألة فقهية في باب السهو، سلك فيها الفقيه غير المحجة، فأرسل الشيخ الى الدسوقي، فأوقفه عليها والناس ينظرون، ولعل ذلك احد الاسباب حتى ذكره في مؤلفه بما ذكره، رحم الله الجميع .

ومن عادة الشيخ ايضا ، ان يستنهض من له ألمعية الطلبة لاستتمام معلوماته ، فهذا سيدي مسعود بن العياشي قاضي الكرائمات اليوم ، كان بدا له في التجريد فلم يتركه الشيخ، بل ارسله لاتمام قراءته عند الاستاذ سيدي الحاج عبد الحميد الايلالني . وكذلك وقع لسيدي محمد بن عبد الله الزيكي استاذ مسجد سيدك مكدول بالسويرة الان فانه انخرط يوما بين الفقراء للتجريد ، وقد استهواه حالهم ، فرده الشيخ الى بونعمان مرغما وهو يبكي ليستمر على دراسة العلم ، ومثل هذا منه كثير جدا، وقد كان كثيرا ما يوصى بالمرور على الفنون عن عجل ، ويقول ان الوقت سريع ، فكل ما لم يقض اليوم بسرعة فلن يقضى بعد ، يوصي بذلك طلبة بونعمان وطلبة بوعنفير كما يحكيه الجميع ،

وكان لايرى بالعلم بديلا ، فيقدمه على الروايات المختلفة للقرآن ، لان أهل بلادنا الشلحيين ان لم يتقصوا العربية حتى يتقنوها، فإنهم كلا شيء ، ولو اتقنوا القراءات العشر ، وحين لا يمكن الجمع بين الجميع كان يختار لهم العلم ، وقد ذكر لي الاستاذ ابو العباس سيدي احمد بن الحاج محمد البزيدي انه كان يتلقى الروايات عن الاستاذ سيدي محمد

ابن الحسن الماسي بالاخصاص، فزار الشيخ يوما في الزاوية الالغية - وهو ابن شيخه الذي عليه افتتح العلوم سيدي الحاج محمد البزيدي - فأمره أن يفتتح العلم منذ اليوم ، فكان ذلك سبب رجوعه بسرعة الى العلم الذي به صار اليوم اماما ، وكذلك وقع مثله مع الفقيه سيدي المكي البزيدي ، وقد كان للشيخ اعتناء بهؤلاء البزيديين ، خصوصا سيدي احمد هذا فقد ذكر لي ان جل زاده اذ ذاك في المدرسة الالغية كان من عند الشيخ ، وأخبرني بمثل هذا أيضا الاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي ، قال ، ان ابي - وكان من اصحاب الشيخ - كان لا يمدني بما يكفي من الزاد في المدرسة الالغية ، فصار الشيخ يخاصمه على ذلك ويلزمه ان يقوم بمؤونتي ، وكان الشيخ يرسل الي احيانا الزاد من عنده ، قال، وأستحضر مرة انه ورد علينا بالمدرسة ، فوجد في رجلي انتفاخا من دمل ، فجلس الي ومد يده الى ما في رجلي بعدما وضعها في حجره حتى فجره بنفسه ، ثم درس لنا نصابا من الالفية ، ومثل هذا ايضا وقع للفقيه سيدي الحسين التيمولاى الافراني ، فانه كان يقوم به وهو في تلك المدرسة الى ان استتم ، وامثالهم كثيرون ، واما قيامه بطلبة اهله حتى تفوقوا، فقد كانوا كلهم كذلك، فهذا ابن اخته شيخنا سيدي عبد الله بن محمد يعلن ذلك دائما كما مر، وهذان ابنا اخت له اخرى الفقيهان سيدي موسى وسيدي البشير، هو الذي كان يقوم بهما، ويوصي اهلهما على تزويدهما كلما وردا الى البلد حتى تفوقا، وكذلك ابن اخيه سيدي عبد الله بن ابراهيم، فهو الذي كان يدفعه الى هذا الميدان ، وينوه بشأنه عند اسرته، وكثيرا ما يقول لبعض اولاده: إن فلانا هو الذي سيكون عالما، يستنهض همته بذلك، وقد سمعت من الاديب سيدي محمد بن علي وهو اخو سيدي عبد الله بن محمد وهما معا ابنا اخته يقول، كنت حين أقرأ العلم أزور خالي، ولا ازوره الا لما اعتاده منه من إعانتي فيما انا بصدده، وهكذا الشيخ فى هذا الباب يغرم بالعلم وبأهله، وحين لم يمكن له ان يدرس للطلبة بنفسه، صار يعينهم وينشطهم ويعطيهم الكتب، وقد كان يشتري المطبوعات من مراكش، ويذهب بعضها عطاء الى امثال هؤلاء الطلبة، ومن أعظم ما نعلم به محبة الشيخ للعلم، اننا لم نعهد الا نادرا من كل العلماء الذين اخذوا عنه واقتدوا به ، ووقفوا عند امره ونهيه، ان تركوا ما كانوا عليه من نفع العباد، واحياء البلاد بالتعليم سواء بالقرآن او بالعلم، فهذا القاضي في سكتانة سيدي محمد بن علي، وسيدي عبد الايلالني نزيل سكتانة، والقاضي سيدي محمود الخياطي الرداني وسيدي عبد الله أخرباش الرداني استاذ القراآت، والقيوم بتدريسها، وكذلك سيدي عبد الله الركراكي الكسيمي، وسيدي مبارك الميلكي، وسيدي محمد بن العربى الهوارى، وسيدى علي بن الحبيب السباعى الكسيمي، وسيدى محمد الباريمي مدرس تازانتوت بإداوتنان ، وسيدى علي التنانى مدرس مدرسة سيدى ابى السحاب، هؤلاء كلهم أئمة القراآت، قاموا فى مدارسهم بتدريسها خير قيام، وكذلك الاستاذ سيدى محمد بن مسعود، واخوه سيدى احمد، والاديب سيدى الطاهر السماهرى، وسيدى

الطيب بن ابراهيم الاكماري، وسيدي عبد الله بن القاضي الايديكلي، وسيدي الحاج عبد الحميد الايلالني، وأمثالهم من المدرسين القائمين بتلك المنفعة العامة، فإن الشيخ بدل ان يهمس في آذانهم ان هذه علوم الظاهر، وانتم تتطلبون علم الباطن، وهما ضدان لا يجتمعان ، كما عسى ان يصدر من بعض جهال المتصوفة، كان يستنهض هممهم ليجتهدوا في ذلك الميدان أكثر مما كانوا ، فقد كان الاستاذ ابن مسعود في بونعمان تتلاعب به الاعاصير عن الدراسة، ولم يستقر فيها إلا بعد أن اتصل بالشيخ ، فكان يلزمه بالدوام ، ويسرب اليه الطلبة من كل ناحية ، ويقول لهم، عليكم به، فإنه لو كان العلم انقطع بالكلية من سوس، لقدر أن يحييه وحده ، وهكذا أيضا يفعله الشيخ فيمن كانوا يجولون بالعلم في فض النوازل بين الناس ، فإن الشيخ يلزمهم أن يبقوا على ذلك ، فهذا سيدي عبد الله ابن القاضي الايديكلي التملي كان يجلس بإذن الشيخ الى الخصوم في مرقعته يوم الاربعاء الذي هو يوم السوق العامة في بلده ، وكذلك سيدي ابراهيم بن صالح التازروالتي، فانه لم يكن ينقطع عن ذلك بإذنه كلما شارط في مدرسة تاغلولو، بل هذا الفريد المتجرد بين يدي الشيخ المنقطع النظير، سيدي احمد الفقيه الركني، امره الشيخ بمزاولة الحكم بين الناس ، بعدما أذن له فنزل في زاويته بإيلغ في الفيجاء ، وقد كان قبل في مدرسة يسدر في غلوائه ، فحين رأى الشيخ لم يقدر ان يفارقه ، فقبله الشيخ فبقي بين يديه متجردا ست سنين ، ثم رده الشيخ الى مركزه ، بعد أن نال على يده ما نال ، فهذا هو مظهر محبة الشيخ رضي الله عنه للعلم، فلم يكن منه ما يكون من بعض جهلة المتصوفين الذين ينكرون العلم وأهله ، ويقولون ان ذلك كله غفلة في غفلة ، وضلال في ضلال ، ومن مشى اليه شبرا، تباعد عن التصوف باعا ، وبيس ما يقولون .

وقد كان للشيخ مجموعة قيمة من الكتب ، وأغلبها من المطبوعات ، تشتمل على كل كتب الدراسة المعهودة ، وعلى تفاسير متنوعة ، من بينها روح البيان ، وروح المعاني ، كما فيها من كتب اللغة والتاريخ والادب والقصص والنوازل والطب ، ومن أغرب ما رايته فيها، كتاب الف ليلة وليلة ، وكتاب رجوع الشيخ الى صباه ، فالله يرحمه ويرضى عنه ، هكذا الذي يذوق العلم ، لايستنكر اي نوع من أنواعه ، وقد كنت رأيت هذا الكتاب أيضا في خزانة الشيخ سيدي فتح الله الرباطي لما بيعت ، فما افسح صدر الشيخين ، واما غيرهما فلو رأى الكتاب لحرقه في الحين، وأما كتب الصوفية فإنها تضم كثيرا منها، خصوصا كتب الشعراني المختلفة، وكان كتاب العهود المحمدية محبوبا اليه ، فيسرد منه ومن طبقاته كثيرا لاصحابه ، وقلما يفارقانه ، وكذلك الاحيا ، وعوارف المعارف ، والانسان الكامل للجيلي، وكذلك الفتوحات المكية، فقد كان مكبا على مطالعتها، وقد اخبرت انه في اخريات ايامه يصحبها معه الى حقول الحصاد ، فينعزل لمطالعتها ، ولكن العجيب من الشيخ انه ما صدر منه قط ما يدل على انه انشرح صدره لوحدة الوجود التي يطفح بها مثل كتاب الانسان الكامل ، والفتوحات وامثالهما . فإن هذا الميدان موصد في مجالسه ، ويظهر ان

محبة المطالعة لكل ما سنح ، هي التي تدفعه الى كثير من الكتب حتى الادبية ، وقد كان يصاحب في اسفاره جملة وافرة من الكتب التي يحتاج الى مراجعتها ، ولا تزال في اوعية خاصة يحملها الفقراء متفرقة، كتاب لكل فقير ، ومن عادة الشيخ، انه لا يزال يستنسخ نوادر المخطوطات ، الى ان مات، من الطب والتصوف، كهدية الدرعي ورسائل ابن عباد. ذلك هو الشيخ العالم المهتم بالعلم في كل حياته الى ان اغمض عينيه المغمضون رحمه الله وألحقنا به مسلمين مصونين غير مفتونين .

الفصل الثالث والعشرون في كيفية تربية الشيخ لاصحابه ولكل من يلاقيهم من الخاصة والعامة

لكل قوم اصطلاحهم في التربية التي يربون بها من يقبلونه في حزبهم ، ويريدون ان يخرجوه على غرارهم ، والتربية تختلف بحسب كل قوم، فتربية الجند غير تربية المدرسين، وتربية الملوك غير تربية الفلاسفة ، وتربية الولدان غير تربية الرجال ذوي العقول ، وتربية الرجال غير تربية النساء ، وتربية رجال البادية غير تربية رجال الحاضرة ، وتربية الرؤساء غير تربية المرؤوسين ، وتربية العامة غير تربية الخاصة ، وهكذا تختلف التربية عند كل قوم عن تربية قوم آخرين ، ولهذا كانت تربية مشائخ الصوفية التي تجمع بين مراعاة الاخلاق الفاضلة، ولب الديانة، وتصفية النفس من شوائب اهوائها، وتهذيب الاحوال الظاهرة والباطنة، وبين تقوية الروح على الشبح مع تعين الاخلاص لله وحده فوق كل ذلك ، تخالف كل تربية توثر عن غيرهم ، وهي التربية التي بعث بها الانبياء المرسلون ، فقد كانوا يؤدون لكل جهة حقها ، فلا يغمطون حق الاشباح والنفوس ، ولا شؤون الدنيا حين يعنون بترقية الارواح وتهذيب النفوس ، وتربية القوة الباطنة ، حتى تؤدي ما خلقت له في هذه الحياة الدنيا اولا ، كما تتأهل كل التأهل للحياة الاخرى التي اليها وحدها جل نتائج كل التربية الدينية ، فقد جمعت هذه التربية بين تربية الفلاسفة المعتنية بالعقول والاخلاق ، وبين تربية العلماء التي لا تهتم الا بترقية المدارك وحدها، كما تتضمن التربية الروحية العليا التي لاتلحق معشار عشر عشيرها تربية اصحاب الرياضات من اهل الهند ومن اليهم من الذين يسلكون اصعب الطرق في حمل الروح حتى تكون لها السلطة التامة على الشبح ، فتأتي بغرائب وعجائب في اعين الناس ، فلتربية الصوفية الكبار، ملحظ اسمى واعلى من كل تلك الملاحظ القصيرة ، ولهذا يعدون كل ما يكون عجائب وغرائب من أفعال الارواح عند الروحانيين الرياضيين، عوائق وسفليات تقطع عما هو المقصود بالذات ، من التكيف بالعبودية المحضة الخالصة التي تكون مرآة صافية لمراد الربوبية ، فتقلبها كيف تشاء راضية مستبشرة ، وأن الى ربك المنتهى (اليس الله بكاف عبده) .

هذه كلمة جامعة صغيرة تكون كمفتاح لهذا الفصل الذي يظهر لنا الشيخ رضي الله

عنه كما هو في اعين اصحابه ، فإنهم هم الذين اهتبلوا به ، ونسوا انفسهم واموالهم واولادهم ووالديهم واصحابهم وشهواتهم في سبيل ما ذاقوه على يده ، والناس اكيس ان ينقادوا لانسان فيقلبهم بين يديه كيف شاء وهم مطيعون راضون، ما لم يونسوا من عنده حالا عجيبة وقوة روحانية عظيمة (لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم) . وقد جاءت ثلة من العلماء يوما الى الشيخ ليختبروه، فعلم ما اتوا اليه ، فأراد ان يعرفوا الحقيقة الناصعة معرفة المشاهدة ، فقال لهم وهو يذاكرهم حول ما جاءوا اليه ، ويشير الى اصحابه المنقطعين اليه وهم كثيرون من اعيان الناس والعلماء والنبهاء ، ان كل هؤلاء عقلاء ألباء ذوو فطنة ، فلولا انهم راو ما رأوا لما لبثوا هكذا احقابا ، وهم ناسون لكل ما يسبح فيه الناس من الحظوظ والشهوات ومباهج الحياة ، من اكتناز الاموال ، ومن مظاهر الرياسة وامثالها .

كان الشيخ رضي الله عنه فريدا بين اقرانه في التربية ، فقد جاء من ذلك بالعجب العجاب ، فقد هذب اصحابه وعلمهم ، وصفى مراياهم ، حتى كادوا كلهم يكونون افذاذا ، وان كان التفاوت الكثير لابد ان يقع بينهم بطبيعة الحال، فقد كانت تربيته لاصحابه تربية تدريجية ، وقد شوهد منه أنه كان يحرص حين يفرق الفقراء المتجردين طوائف ، كل إلى جهة من الجهات ، أن يدفع المبتدئين منهم لامثال سيدي الحسين بن مبارك المجاطي من قدماء اصحابه الكبار ، وسيدي سعيد التناني ، فيواخذونهم بالادب العام والخاص ، والتعلم الابتدائي ، وبالتوبة والانابة ، وبأداء ما عسى أن يترتب في الذمة من فرائض الصلاة والصوم وحقوق الناس ، فقد أدى غالب المتجردين ما كان عليهم من ذلك ، فهذا سيدي احمد الفقيه أدى صلوات خمسة وعشرين عاما ، وهذا سيدي محمد بن مسعود، باع من حر املاكه فرد للناس ما كان توصل به من المتخاصمين في زمن قضائه بين الناس ، نادى في الاسواق على ذلك حتى بلغ كل احد ، وقس على ذلك غيرهما ، ولا ريب ان تصفية الانسان ما بينه وبين ربه، هو أساس التصوف، والخطوة الاولى التي يخطوها المريد الى ربه. وهذا الاعتناء الخاص بالمبتدئين من المريدين ، هو الذي ينبني عليه ما بعد ، ولهذا كان كل من انخرط في التجريد بين يديه، ينجح غاية النجاح ، وما ذلك الا بحفظه على الاصل. ومن كلام الصوفية، ما حرموا الوصول، الا لتضييع الاصول، وكما أنهم يعلمون كل ذلك، يعلمون ايضا الاخلاص التام لله وحده ، فلا ينتظرون وراء توجههم هذا الى الله تعالى، اسرارا ولا كرامات ولا كشوفات ولا مظاهر تلفت اليهم الانظار ، ولذلك كان أصحاب الشيخ يضرب بهم المثل في عدم الاهتبال بالكشف وبالكرامات ، وبكل ما يرد على قلوب الذاكرين من المعاني التي يسميها غيرهم اسرارا ربانية ، وقد كان الشيخ جعل بتربيته الفذة، أصحابه لا يعتقدون للكرامات والكشوفات مزايا ولا خصائص تدل على أن صاحبها له بها وحدها شفوف عند ربه ، بل كانوا كلهم يعتقدون ان الشفوف انما يقع من المريد بالاستقامة

الظاهرة والباطنة ، فالاستقامة الظاهرة هي الوقوف مع الشريعة استقامة تامة ، قولا وفعلا وحالا. والاستقامة الباطنة هي التواضع والتلبس دائما بالعبودية ، وترك الزمام في يد القدرة ، وبعدم الغرور بكل ما عسى ان يتعرض اثناء المجاهدات من رفع الحجاب ، وقرب البعيد ، وانكشاف المخبآت ، الى غير ذلك من انواع الكرامات ، فعلى هذا المحور يربي الشيخ اصحابه دائما ، ولا يزال يراعي دائما هذا الحال معهم ، ولا يزال يقويه في قلوبهم ، ومن هنا كان يوصيهم على تصحيح القصد في مفتتح انخراطهم بين يديه ، نزولا عند الكلمة المأثورة عند الصوفية ، من اشرقت بدايته ، اشرقت نهايته ، وكل من علم من اصحابه انه يتعالى الى الاطلاع على الغيب ، او التعرض الى ما يسمى في عرف الصوفية فتحا ، فإنه ينهره ، ولا يزال به حتى يرده الى الطريق ، وما الطريق عند القوم الا ان تكون العبادة لوجه الله لا غير ، من غير التفات الى فتح ، او الى سر ، او الى كشف ، او الى كرامة او الى حال ، بل يبقى المريد عبدا بين يدي ربه ، فهو الذي يفضل عليه بما شاء متى شاء وكيف شاء ، ثم لا يخرجه افضاله عليه بمقامة من المقامات عن دائرة التكليف ، وعن العبودية المطلوبة دائما من الناس اجمعين، ومن لم يومن بهذا عندهم فإنه لم يذق بعد مذاق الشيخ ، ولا استحق ان ينتسب اليه انتسابا خاصا .

كان الفقير المتجرد سيدي محمد القاضي المانوزي اشتكى يوما على الشيخ بأن الحجاب قد زال عنه فتبدو عورات الناس كلها لعينيه ، وتستبين له المغيبات ، وقد لاقى مشقة وعنتا في ذلك ، فقال له : أولا اقول لكم دائما : اجعلوا عبادتكم لوجه الله لا لرفع الحجاب ، فها انتذا قد هتك الله سترك يا بهيمة ؟ ثم قال له كلاما بالشلحية يدل على أن ذلك المقام مقام سافل لا يزال اهله في الحضيض ، قال الحاكي، ثم ان ذلك الحال زال في الوقت نفسه عن القاضي بهمة الشيخ ، وقد كان الشيخ يوصي اصحابه دائما ان يعرضوا عليه ما يرونه وما يعترضهم في كل أطوارهم ، ويقول لهم، ان من واجب المريد ان لايخفي عن شيخه كل شيء تعرض له حسنا او قبحا ، ليكون دائما شيخه على خبرة تامة في سيره وسلوكه ، وعلى بصيرة فيما يامره به أو ينهاه ، لينشطه في المجدي النافع ، وليأخذ بيده في تجنب المزالق ، وهكذا كان حال الشيخ دائما مع اصحابه، يحكون له كل ما يقع لهم ، ولا يستحيون منه في ذلك ، وان كانوا يستحيون منه دائما. ومن العجيب من الشيخ انه كان يقول لهم، ان كل من توقف في غيبتي على سؤالي في شيء من الاشياء، يصلي ركعتين ثم يسألني بقلبه ، فإنه يجد بإذن الله في قلبه الجواب في الحين ، فكان بعض اصحابه يصنعون معه ذلك فيجدون الاجوبة دائما في قلوبهم ، ولكن امثال هذه المقالة قلما تصدر من الشيخ .

حدثني سيدي مولود قال ما توقفت قط في شيء في حياة الشيخ وبعد مماته وسألته على تلك الكيفية، الا وجدت جوابه في قلبي ، وكثيرا ما يكون الجواب آية قرآنية او حديثا

وحكى في ذلك حكايات رسمناها في غير هذا المكان من كتبنا الاخرى ، وقد امر الشيخ سيدي محمد الشيخ الدرعي بذلك في بعض رسائله .

يقول الصوفية، ان الشيخ الكامل، هو الذي يعطيه الله التصرف في اصحابه ، فيتصل سلك روحه بارواحهم ، فلا فرق ولا بعد ، وما ذلك الا من عجائب الروح ، ويقولون، ان هذا الاتصال يجعله الله ممتدا من روح المريد المستعدة لذلك الى الشيخ ، لا من روح الشيخ الى روح المريد ، يعنون ان ذلك الاشعاع الباطني ، يتكون بارادة الله بمغناطيس الروح الجذابة من المريد الذي يريد له الله الانتفاع بالشيخ ، لا ان الشيخ تكون له قوة اولية ، يصرحون بذلك كذلك وهم ادرى بأحوالهم ، والعجيب ان مثل هذا الاشعاع ، اكتشف اليوم علميا ، وان كان ما اكتشف علميا لم تصل حقيقته الى ما عند كبار الصوفية ، وكان الشيخ رضي الله عنه من أهل هذا المقام ، وقد قال، ان هذا المعنى يرثه عنا من يريده الله له ، لا لمن نريده له، وحكوا ان الرجل الصالح سيدي مباركا اوبا كا التزنيتي المكاشف كثيرا ، قال للشيخ مرة بعد افتراق الموسم ، لماذا لا تسوى بين اصحابك فيما تعطيهم وتمدهم به ؟ فقد رأيت تفاوتا كثيرا بينهم في الامدادات الباطنية ، فما زاد الشيخ على قوله : انما أنا قاسم، والله هو المعطى ، ويذكر الشيخ ان زمام اصحابه وضعه الله بيده لكن لمن تعلق به . وكان يقول لاصحابه ، ان زعم المريد الذي ذهب الى فلاة خالية ، فرفع حجرا وبصق تحته ، ان شيخه لم يقدر الله ان يجعل له نورا يراه به ، فانه ما قدر قدر شيخه بعد ، اقول، ان هذا المقام نفسه هو الذي عبر عنه الشيخ في ابياته المشهورة :

ولى مذهب فى العشق منفردا به — فلست ملونا بوجد ولا فقد
قد امتزجت روحى بروح احبتى — فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل — فحالي لم تحل عن الود والعهد

وقد حكى لي سيدي مولود المذكور، انه كان مرة في سكتانة بالسياحة ، فتوقف على امور يريد ان يسأل عنها الشيخ ، قال ، فاذا بمقدمنا سيدي سعيد التناني جمعنا للمذاكرة، فشاهدت بعيني ولعنة الله على الكاذب ذات الشيخ كما اعرفها ، دخلت ذات سيدي سعيد التناني ، فصار هذا يذكر كل ما كنت توقفت عليه ، فيجيب عنه ، ونحن نحكي كل هذا ولا ندركه ولا نعرفه ، وانما نأتي به كما سمعنا ، والله على كل شيء قدير ، وانما نومن ان للارواح اعاجيب لا تقاس على الاشباح ، كما يقوله ابن القيم في كتاب الروح .

ومن المتواتر عن الشيخ، انه كان يتكلم عما في قلوب من في حضرته ، فليس من أصحابه من لم يشهد بذلك ، حتى كانوا يتحفظون على قلوبهم لئلا يفتضحوا ، وفي ذلك مئات من الحكايات سمعتها من مختلف الفقراء، ولكن اعجبها وأغربها ما سمعته من سيدي

سعيد التناني ، فقد كان يتكلم يوما عن هذا الحال من الشيخ ، فقال، ان ذلك ألفناه منه حتى عاد عندنا عادة مستمرة ، وإنما العجيب ظاهرة غريبة تقع منه في ايام المواسم دائما حين يجتمع في الزاوية آلاف من الفقراء ، فكنا نحلق حول الشيخ في المذاكرة ، وكنت انا لا افارق ما حواليه ، وما كنت انسى ما يقول وما أنا بمغفل ، ولا ممن تتمشى عليهم الحيل ، الا اننا كلما قمنا، يجيء الي كثير من الفقراء المتسببين وهم مستبشرون ، فيقولون اننا كفينا المؤونة ، ويقول كل واحد على حده، انني كنت نويت ان اسال الشيخ عن كذا وكذا ، فإذا بالشيخ يخبرني بما اريد ان اسأله عنه آنفا وسط المجلس في المذاكرة، يقول كل واحد منهم ذلك ، فعرفت انه يسمع كل واحد منهم جواب سؤاله وحده ، ويظن ان كل من معه في المجلس سمعه كذلك ، وانا بنفسي اتيقن ان الشيخ لم يقل ذلك ، فهذا من اعجب ما رايناه من الشيخ في هذا المقام ، وامور الارواح من الاعاجيب التي لا تكيف ، وربما كان ما نطلق عليه المحال في عالمنا عالم الاشباح، ليس بمحال في عالمها عالم الارواح ، وقد ذهب الى ذلك كثيرون ، حدثني سيدي بريك بن عمر المجاطي انه سمع الشيخ باذنه يقول، كل من اراد ان يسألنا عن شيء فليستحضره في مجلسنا، فانه سيسمع منا جواب سؤاله بفضل الله .

كان الشيخ مختلف التربية بحسب مريديه، فإن كان الامر الجامع العام لهم هو ماتقدم، فإنه يربي كل واحد بحسبه ، فيلين للبعض، ويشتد على البعض، ويامر هذا بملازمة الذكر، وذلك بملازمة شغل الزاوية ، فلا يؤاخذه الا بالفرائض، ويقبل بين المتجردين من لا يتم مقامه الا بالتجريد ، ويرد الى الاسباب في أهله من تنفعه الاسباب ، اولا تحول دون ترقيه في مدارج السلوك ، ويامر ذاك بالزواج وان كان مسنا ، ويمنع هذا الشاب منه وان كان يظهر لغير الشيخ انه يتوقف على الزواج ، ومن كان مقامه في الاحتراف يختار له حرفة او يبقيه على الحرفة التي ألفها ، وذلك هو الغالب ، وكان يوسع لاهل الاسباب الفلاحين ، ويوطيء لهم الاكناف ، ويفسح لهم المجال في سعة رحمة الله، كما يفعل ذلك بالرؤساء والمتعجرفين من العلماء ، ثم لا يزال بمخالطته معهم يجذبهم برفق من حيث لا يشعرون ، ويؤثر فيهم بهمته ، فلا يكاد يمضي زمن حتى تنقلب أحوالهم ، وتصح وجهتهم الى الله تعالى ، قال العلامة سيدي محمد بن مسعود، لم ار قط حكيما مثل الشيخ ، فانه كان يداخل الرؤساء اولا فيما هم فيه من غير ان يعيب عليهم شيئا ، ثم لا يزال يسارق حاله احوالهم شيئا فشيئا ، حتى يقعوا في المحجة من غير ان يشعروا ، او يومنون على الاقل بأن في محاسبة انفسهم الخير لهم .

كان الشيخ يماد الفقهاء في علومهم ، ويسايرهم فيما يالفون ، كما يداخل الرؤساء في احوالهم ، وربما يتشهى عليهم مثل الشهوات التي يالفونها ، وما ذلك كله الا للتاثير عليهم بالمداخلة والمؤانسة ، فيتسرب اليهم بذلك ما هو المقصود بالذات ، وهذا خلق محمدي (فبما

رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، والحكيم اللبيب، هو الذي يلبس لكل حالة لبوسها .

وقد كان يقنع من امثال هؤلاء بالرجوع الى الله ، والخدمة في الصالح العام كيفما كان الرجوع ، وكيفما كانت الخدمة ، فكل فقيه يشتغل بما هو بصدده من التدريس او الفصل بين الناس بالحق ، وكل رئيس يتصدى لحسم النزاع ، والرأفة بالرعية ، وقبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اياالته ، مقبول عنده ، يرضى عنه بذلك ، ويلابسه على تلك الحالة ، هذا اذا كان لا يعتقد الشيخ ، وانما يمر به كما هي عادته مع الرؤساء دائما ليجد الى من كانوا تحت يدهم بابا مفتوحا اليهم ، ليوصل اليهم الرسالة التي يهتم بتأديتها، واما الرؤساء الذين يعتقدون الشيخ ، فانه يجتهد ان يصفيهم من التبعات ان امكن ، والا فليتحفظوا فيما ياتي على الاقل ، ولم يكن من عادته ان يامرهم بالخروج عن الرياسة ، وانما يامرهم ان يجتهدوا في سلوك المحجة، وهكذا كان حاله مع آل الحاج العربي الكسيمي وآل المحجوب الكلولي الحاحي ، وآل القائد العربي الضرضوري ، وآل امسري الزكرى ، وآل تالعنت بأيت جرار، وآل تيوت في احواز تارودانت ، وغيرهم ممن انقادوا اليه من الرؤساء ، واعتقدوه اعتقادا تاما، وكانوا يستشيرونه في كل امورهم، بما فيه المخرج والسلامة لهم دنيا واخرى ، فيحمدون دائما عقبى المشاورة .

ومن الحكايات التي تتعلق بحاله في ملابستهم، ما حدثني به القائد الضرضوري قال، بات عندنا الشيخ يوما ، فتشهى علينا نوعا من اطيب المطبوخات من اللحم ، وذلك ليدخل الفرح على ام القائد العربي ، لانها كان لها في اعتقاد الشيخ يد طولى ونحن نعرف من حال الشيخ الدائم انه لا يهتم بالمآكل كيفما كانت .

ومما يتعلق بذلك ايضا، ان سيدي عبد الرحمان ابن الحاج العربي الكسيمي رحل مرة الى حاحة ، فصادفه الشيخ هناك في الجلاء ، فأضافه وأصحابه ، واتى بقفطان من الملف وهدايا اخرى الى الشيخ ، فطلب منه الدعاء بالرجوع الى دارهم ، فتبسم الشيخ والبس احد ابناء سيدى عبد الرحمن القفطان ، وناوله الهدايا ، فتطلب منه سيدي عبد الرحمان قبولها ، فقال اننا قبلناها وسناخذها يوم ترجعون الى داركم، فصدقه الله فرجعوا قريبا بسلامة وعافية.

واخبرني سيدي احمد بن الطيب الزكري، انه كان انقطع الى الشيخ حينا هو وأحد الرؤساء من أهله، فكانا يقترحان دائما على الشيخ مراجعة الرياسة ، قال فالتفت الي الشيخ يوما ونحن على البغال في طريق، فقال اويمكن ان يشتري الاب لابنه المحبوب عنده سما من السوق فيطعمه اياه ؟ فقلت لا ، فقال اننا كذلك لا نرضى لكم هذا الذي يكون لكم سما في دينكم ، ثم تيسرت الرياسة بعد المذكور ، ولكن وجده الحال قد ذاق ما كان الشيخ يريد ان يذوقه من الرجوع الى الله ، فأبى كل الاباء منها ، فاختار الراحة وملازمة خدمة مولاه عن الرياسة ومشاقها وتعبها .

كان الشيخ يعلن دائما في كل فرصة وفي كل مجلس خصوصا في المواسم ، ان ما عنده انما هو معرفة الله ، ويقول في ذلك (ظلمنا وظلم نفسه كل من يتطلب منا غير الله) لا يزال يكرر ذلك ، لئلا يستغل اصحابه ما يجدونه من مقام الشيخ العالي ، فيريدون ان يجعلوه وسيلة لنيل حطام الدنيا الدنيئة ، او رياسة كما فعله مبارك التوزونيني الثائر المشهور في تافلالت حين استخدم القوة الروحانية التي اكتسبها من الشيخ في غير المقصود بها ، وكان الشيخ دائما يحب من أصحابه ان لا يقنعوا بما دون الله تعالى ، فقد طفحت بذاك رسائله المجموعة ، كما كان ذلك معلوما عند كل اصحابه ، ولهذا لا يفتأ من يكون قصدهم الدنيا وصلاحها ، او نيل مراتب الدنيا ورياستها ، ان هم لازموا الشيخ حتى يشربوا من كأسه. ان يزهدوا في مقصدهم الاول ، ويرجعوا الى المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك .

كان الشيخ يربي العامة بمواعظه المبثوثة على لسانه وعلى لسان الوعاظ من اصحابه، فقد كان حريصا كل الحرص على ذلك ، بل ذلك هو الذي يملأ به غالب ساعاته ، فكان يعلم التوحيد ، ويرفع راية الارشاد ، ويري الطريق المستقيم لكل من في القرى التي كان يتتبعها قرية قرية، بل كان لا يفلت مجمعا فيه الناس حتى ينشر فيه الدين ، ومنافع التوبة للعباد ، وقد كانت الجهات السوسية مسارحه في كل عمره ، فكان يوصل الخير للناس في عقر ديارهم وان كانوا فيه من الزاهدين ، وله في ذلك نية خاصة ، وهمة عجيبة انفرد بها وحده في عصره بقطره ، ولو لم يكن يقوم الا بهذه التربية العامة وحدها لكان مربيا عظيما ، ونفاعة للعباد نفعا ذهل عنه غالب العلماء والمرشدين ، فقد صار ذكره بين عوام ذلك الجيل الى الان لا يزال يطن في المجامع ، ويقولون قال سيدي الحاج علي كذا ، ونهى عن كذا ، لانه كان نهاء عن المنكر ، امارا بالمعروف ، قد جعل نفسه احتسابا لله تعالى محتسبا بين الناس ، فيامر بهذا وينهى عن ذاك ، فيامر باقامة الجمع في القرى الجامعة الكبيرة ، وينهى عن اقامتها في القرى التي لا تفي بالشروط التي يقررها الفقهاء، ويامر باصلاح المساجد وترميمها ، وبملازمة الجماعة ، وتعليم الولدان ، كما انه يأمر بصون النساء وعدم اختلاطهن مع الرجال ، وقد رأى من اداوزكري التبرج وعدم تغطية الرأس شاع وذاع من العواتق الابكار ، فنادى في تلك القبيلة بملازمة الخمار والتستر ، وحين كان العامة لا يزدجرون الا بالخوف، دعا بالجرب على كل من فعلت ذلك ، فارتدعن عن التبرج، وقد اصيب بالجرب بعضهن، ولا يزال اثر ذلك هناك الى الان ، ووجد في أملن الحفلات السنوية التي تسمى بإدرنان تذهب بغالب الاموال ، ويتكلف لها الناس ، فامر كل من انصت له بالاقلاع عنها ، فاقلع عنها كل من يقتدى به ، بل كاد كل الناس في تلك القبيلة ينكفون عنها اذ ذاك لولا ما في القبائل المجاورة لها ، وهكذا كان الشيخ دائما فأدى للعامة ولمطلق الناس ماعليه، مما اخذ عليه به العهدوالميثاق بصفته عالما ان يؤديه للجاهلين.

ومن خدمته للمصلحة العامة، وقوفه أمام المتصلحين الذين يسرون الحسو في الارتغاء، ويريدون التلاعب بالامة، اما عن حاجة في نفس يعقوب، واما عن تغفل يحجب العقول عن الحقائق، فقد اغتر سنة 1306 هـ الشيخان سيدى الحاج الحسين الافرانى. وسيدى الحاج المدني الناصري بأحد العباد هناك في افران، لازم خلوة سنين كثيرة، حتى تلاعب به الشيطان، فصار يرى تخيلا جنودا كثيرة، فيسمع من يقول له انت الامام المهدى المنتظر، ويكون وزراؤك سيدى الحاج الحسين وسيدي الحاج المدني، وكان شريفا معروفا بالخير والعفة، الا انه مغفل، فصدقه الشيخان المتقدمان، فورد الشيخ الى افران، فعرضا عليه امره بل اتياه به، فلم يكد يراه حتى بين لهما الحقيقة، وذكر لهما ان العباد المنقطعين المختلين في الخلوات بلا شيخ حى عارف، تتلاعب بهم الخيالات، فيرون مثل ما رأى الرجل، ثم امرهم ان يذهبوا به عنه، فكان من العجب عند الناس، أن الرجل انقطع عنه ما كان يراه منذ تلك الساعة، فيقول العامة، شرب سيدي الحاج علي ما عنده من الاسرار، على عادة اقوال الجهال في مثل ذلك، ووقع للشيخ ايضا مثل ذلك ازاء رجلين آخرين في الغ وفي سملالة، فدحض حجتهما، وانكشف القناع هناك عنهما في الحين، فكأن ما كان يجذب اليهما الناس من السحر وشبهه قد بطل بهمة الشيخ، وقد فصلنا هذه الحكايات في غير هذا الكتاب، بل وقع من الشيخ اغرب من هذا، فقد كان الرجل الصالح العلامة العابد سيدي عبد الله بن ابراهيم اليوفتاركائى مشهورا شهرة غريبة بالكرامات، والكشف الصريح الذي لا يستره، وكان الناس يصابون كثيرا من جهته، فكل من قال فيه كلمة، او ابى ان ينقاد لما يأمره به، او عارضه في أمر ما يصاب في الحين، فكثر ذلك منه كثرة سارت بها الركبان، فكان الشيخ يمر بجهته، ولكن الفقيه كان يتنكب دائما اللقي معه، ويجتهد ان لا يراه، فاحتال الشيخ مرة فدخل مع اصحابه وقت الظهر الى مدرسته بلا ذكر جهر، فخرج الفقيه الى صلاة الظهر من باب ازاء المحرب كما هى عادته، فحين صلى بالناس وقام احاطه الشيخ بيديه فقبل رأسه، وامر الفقراء ان يقبلوا رأسه كذلك، فصار الفقيه يستغيث ويقول ابتعدوا عنى ابتعدوا عنى يكررها بجهر وخوف، حتى سلموا عليه كلهم، فحينئذ اطلقه الشيخ، ثم تهيأ مع اصحابه فسافروا، فتعجب الناس حين انقطع من الفقيه ما كان يصيب به الناس، فاستراح الناس منه، فبقى ينفع بعلمه وبصلاحه وبما يوثر عنه من الخير الكثير، وقد كان من اعلام المدرسين الذين خرجوا عشرات من العلماء.

اقول، ان الصوفية يقولون، ان اكبر الرجال منهم هو الذي يكون رحمة عامة للناس كلهم، سواء معتقدهم ومنتقدهم، وكل من يصاب الناس منه دائما، فانه عندهم ناقص، ويقولون، ان الله يرسل اليه من له روحانية اعظم من روحانيته فيقلم منه الاظفار التى يتضرر بها الناس، وهذا بعينه ما وقع من الشيخ مع الفقيه كما ترى، ويعبر العامة عن ذلك بأنه شرب ما عنده، والله اعلم بالارواح وشأنها وقوتها الخارقة.

واما احوال تربية الشيخ الظاهرة لاصحابه، فان المتسببين منهم وهم الذين يدخلون في حزبه ، ويبقون في أهاليهم يترددون على الشيخ ويتردد عليهم ، فإن الشيخ يسارقهم شيئا فشيئا الى المشرب الصوفي ، ويسيح معه منهم في بعض السياحات من تيسر لهم ذلك في غير اوقات أشغالهم ، ويسرب اليهم الشيخ من كبار اصحابه من يعلمونهم ويهذبونهم، وكان يامر أهل كل قرية كثر فيها الفقرا" ببنا" زاوية يجتمعون فيها ليلة الاثنين وليلة الجمعة ، ويحثهم على هذه الاجتماعات ، كما يحثهم على ملازمة الصلوات في المساجد ، وكأنني أخبرت انه كان يقول، الصلاة للمساجد ، ومجالس الذكر والمذاكرة للزوايا، وكان يحضهم على التردد الى زيارة الفقرا" في كل فرصة ، كما أنه لا يزال يرفع هممهم عن الاخلاد الى الدنيا وزخرفها وان كانوا يزاولونها ، ولم يكن الشيخ يكلف هؤلا" المتسببين بأكثر من هذا ، ولم يكن يتشدد معهم ويناقشهم كما يفعل مع المتجردين ، الا افرادا منهم ينبثون بين القرى، بدا منهم انهم اهل ان يشحذهم الشيخ كما يشحذ المتجردين، فترقوا وهم على تلك الحال الى مقامات المتجردين ذوقا وفهما ومجاهدة ، بل نعرف كثيرين من المتسببين تعلو مكانتهم على مكانة بعض المتجردين ، وذلك فضل الله يوتيه من يشا" ،

وأما المتجردون فإن الشيخ كان يعتني بهم دائما ، وهم عيبة أسراره، وحشمه وجنده، وهم أعوانه في أدا" الرسالة الربانية التي انتدب لتبليغها الى الامة ، فعلمهم الشيخ وهذبهم وجمع هممهم الى ما هم متوجهون اليه ، فقطع عنهم ما تتقوى به شهواتهم ، او تطغى به نفوسهم ، فلا يزال يواخذهم فينة بعد فينة بما يطلقون عليه الشروط الاربعة ، الذكر والعزلة والجوع والصمت ، فلا يفتأ يرجع الى معاناتها المبتدئون من المتجردين حتى يتخلقوا بها ، وحتى يالفوها فتكون عندهم كالعادة المالوفة، فقد كنا نرى المتجردين ونحن صغار في الزاوية ، ويكونون دائما في زها" المائة ، فلا نسمع منهم همسا ، ولانحس منهم ركزا ، وقد انتشروا في اركان المجلس الكبير الذي يسمى الزاوية ، وفي حفافي سواريه وتحت جدرانه المستديرة ، فلا نرى الا من استقبل القبلة بوجهه ، ويذكر سرا ذكر الاسم ، وهو عندهم (الله) ممدود اللام بقدر نفس الانسان مع تشخيص حروفه بين عينيه لئلا تضل به الذكريات في اودية الغفلات ، وقد كنا نطل عليهم وهم في ذلك الجمع الحافل ، فنراهم جامدين كأنه لا ارواح فيهم ، وذلك في غير أوقات الذكر المعلوم بالاجتماع ، وفي غير اوقات الخدمة في اشغال الزاوية ، وقد كانت مزاولة هذه الشروط تجمع كل المتجردين احيانا ان امر بها الشيخ للجميع، او اتفق عليها الفقرا" ان لم يحضر الشيخ ، والا فهي على الاختيار ، فيذكر وينعزل ويصمت ويصوم من يشا" ، ويشتغل بغير ذلك من يشا" ، ولا يشتغل غير الذكر منهم الا بلوحة يقرؤها ، او بخياطة مرقعته ، او ينام ان احتاج الى المنام في الهاجرة ، وأما اللغو بالحديث فإنه مرتفع بينهم ، حتى كأنهم

كلهم في غير وقت مجالس الذكر صم بكم عمي على شأن عجيب .

حدثني سيدي عمر الحوزي قال كنت انا الذي اقترح على الفقراء في السياحات الدخول في الشروط ، وكان الشيخ امرني بذلك ، قال فأراد الشيخ مرة ان يودعنا الى جهة اداي فتاغجيجت فاخذ بيدي ، فقال : الفقراء الفقراء ، ولم يزد على ذلك ففهمت منه انه اراد ان نهتم بالشروط ، فلما ابتعدنا عن الشيخ اجتمعنا بيننا واعلنا ذلك ، فجعلنا الحد في اكل التمر القدر الذي تجتمع عليه الانامل من النوى ، ومن اللقم من الطعام ثلاث لقم ، وقد اسقطنا اللحم والادام ، فبقينا كذلك كل تلك السياحة ، وهذا الحال كثيرا ما يسودب به الفقراء احدهم ان اذنب ، فيأمرونه بالشروط والصيام شهرا او اكثر او اقل ، وهذا الحال من المتجردين كثيراً ما يدفع عنهم من يدخل فيهم ولم يكن في علو همتهم ، فلا يطيق هذا الحال فيفارقهم ، فيكون هذا الحال كالمصفاة ، فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، وكثيراً ما يقطعون لبس الكتان ، وينزعون العمامة ، ويمشون حفاة ترويضا لانفسهم .

ومما يواخذ به الشيخ بعض المتجردين، خياطة مرقعة يلبسها ، فيلقى عنه اللباس الفاخر ، وفائدة ذلك مزدوجة ، فالفائدة الاولى ان المرقعة يكون امرها سهلا في الغسل وفي الخياطة وفي كونها تدوم ما دام يرقعها صاحبها ، والفائدة الثانية ان النفس ينقمع هواها باللباس المبتذل فتنكسر حدتها ، وتغيض نورتها ، فتتضع فتسهل تربيتها ، وهذا هو الذي يتطلبه الاشياخ المربون من مريديهم ، كما يقول الجيلالي للمريد امام شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقد صارت المرقعات شعار الصوفية من قديم من أجل تلك العلة المتقدمة لا غير ، والا فقد عرفنا كم من مريد متجرد عند الشيخ سيدي الحاج علي لم يامره بها ، لانتفاء تلك العلة، والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما ، وكما كانت المرقعة شعار الصوفية، كان كذلك السبحة والعكاز ، وقد امتاز الدرقاويون بالسبحة الغليظة ، فقد كنا نعرف لكل فقير سبحة حمراء كبيرة ، وعكازة لطيفة لها زج في أسفلها ، وفي أعلاها تفاحة صغيرة من عود كان النجارون يصنعونها لهم ، خصوصا المعلم محمد النجار الزيكي الذي كان في الزاوية ما شاء الله ، فهو الذي صنع كثيرا من ابوابها واخونتها وموائدها ، وكان صوفيا كبير المقام ، وقد توفي 1362 ه بعد ما فلج رحمه الله .

ويكون لكل فقير هيضورة من الجلد المدبوغ مع صوفه للجلوس عليها، واناء صغير لوضوئه ، وخنشة صغيرة يضع فيها كتبه ومتاعه ، وذلك كل ما يحمله على كتفه في السياحات ، ولم يكونوا يحملون الزاد ولو قليلا ، مع انهم في السياحات التي يتتبعون فيها القرى، قد يبقون اياما متوالية لا يذوقون فيها ذواقا ، ويقول الفقراء، ان الشيخ كان يتعمد

فيهم ذلك ، فيرسلهم احيانا الى بلاد كان ينتظر منها عدم الاهتبال بهم ، قالوا وربما تذهب همته الى ان نقع في ذلك، فلا نرى من ذواق في الامكنة التي لم يكن ينتظر فيها التفريط في الاضياف ، وقالوا أيضا ، ان الشيخ ربما جال بهمته في محل مقفر فتدفقت الينا الخيرات ان كنا في أخريات جهد جاهد عركنا كثيرا • وربما قال بعضهم ، لانرى الا ان الله يصرف الشيخ في احوالنا ، فيفتح لنا الباب ان شاء ، ويسده ان شاء ، كما جربنا ذلك منه مرارا ، لان الشيخ كثيرا ما يمنعنا من الطعام ولو وجد .

حدثني سيدى مولود قال سمعت سيدي مباركا ازكوك يقول اقام الشيخ الموسم يوما في زاوية اداوزنزم بحاحة ، فقامت كل القبيلة والقائد محمد كورما بالمؤونة الكثيرة من الطواجين ومن القصاع الطافحة بالكسكسو واللحم ، فأمر الشيخ بكل الاواني وكانت الموائد اكثر مما فيها • فادخلت الى مكان متسع ، فحبس الجميع عن الفقراء المتجردين ، والجوع قد اخذ منهم كل مأخذ ، ثم لم يمكنهم الا من قصاع قليلة من الكسكسو الذى عليه اللفت فقط ، فلم تسد منهم الا رمقا ضئيلا ، قال، فدخلت الى ذلك البيت في اليوم الثاني فشاهدت الطواجن المصطفة الكثيرة . وهي عشرات ، فصرت ارفع اغطيتها فرأيت الدجاج وأنواع اللحوم، ثم لما خرجت ومضى وقت قليل لقيت الشيخ فكوشف بما فعلت، فقال ارايت الطواجن فقلت له اوتختمر الطواجن هنا من امس ، والفقراء في الجوع ؟ فقال لان تختمر هناك، اولى من أن تختمر في بطونهم ، يعني ان ما يترتب عنها من الفساد وهي كذلك، اسهل مما يترتب عنها من الفساد ان اكلوها فتنبهت شهواتهم ، فكذلك كان الشيخ دائما ، فلا يزال يراعي اصحابه ، فلا يعطيهم من الطعام الا بمقدار ، بل ربما منعهم بالكلية من الاطعمة والفقراء يتمايلون جوعا ، فكان الفقراء يقولون، ان الشيخ يراعي اولا اللقمة الطيبة فلا يطعم اصحابه ما فيه شبهة ، كما يراعي ثانيا منعهم مما تتنبه به شهواتهم ونفوسهم، وكيف لا وكل واحد منهم شاب عزب ، فلولا هذه التربية لما كانوا اشباه الملائكة عفة وزهدا ودواما على التسبيح آناء الليل وأطراف النهار، ومن عادة الشيخ اذا الح عليه ملح هو وأصحابه ان ياكلوا طعامه وكان مما لا يرضاه الشيخ، ان يقول للفقراء تبركوا ، فيتناولون قليلا منه ، ثم يرفعون ايديهم ، وان كان يرضى لهم اكله يامرهم بالاكل منه صراحة ، بل يامرهم ان يبالغوا منه ، وربما قال لهم : ان الايمان يبلغ مقدار ما يبلغه طعام المحبة من الفقير ، وقد كان يامرهم ان لا ياكلوا من سكرجات السمن والعسل واملو التي تقدم عادة للاضياف في جبال جزولة قبل الطواجن ، لان العادة تقضي ان لا توكل ، وانما يوخذ منها بمقدار ، كما ان الفقراء دائما لابد ان يفضلوا في كل اناء اكلوا منه فضلة ، وان كان الطعام من اصله قليلا ، ففرقوه لقمة في ايديهم ، كما يقع لهم غالبا في جبال سوس الشحيحة الباخلة الكزة .

وقد كان الشيخ في الزاوية نظم طعام الفقراء فصنع مغرفة من النحاس هي التي تكون لكل فقير ، فان كانت القصعة لعشرة تكون فيها عشر مغارف ، وهكذا ، وقد كان

الشيخ حبب اليه النظام في كل شيء، فلذلك نظم الطعام هكذا، كما نظم التمر كذلك بمكيال خاص من النحاس ايضا عرفناه ، وقد نظم كل اموره ، فما من حرفة للزاوية الا ولهـا قيم خاص عليها ، وقد كان موذن الزاوية هو القيم على تمر الزاوية وعلى الشعير ، فهو الذي يكيل ذلك للفقراء ولعلف الدواب ، وفي يده المفاتيح دائما ، وكان الشيخ يضع في داخل الدار من ذلك ايضا ما يحمل منه ما يريده أهل الدار وبيوت كل ذلك في داخل الدار لا تغلق دونها الابواب ، فبيوت الادام والشعير والتمر مفتوحة دائمـا ، الا ان التى تتناول ذلك هي القيمة على الدار ، وهي السيدة حكة ام زوجة من ازواج الشيخ ، وهى التى تقـوم على اشغال الدار من جلب الكلا في وقته ، ومن حصاد الحلفاء التي تراد للبقر وما الـى ذلك ، وقد كان الموذن يقوم بسقاية اللفت والجزر والفول والبصـل والقـرع التى تزرع في حقول الزاوية ، وقد ذكر لى انه كان يقوم على تسعين حقلا في دوكادير وفي آيت وفقا ، ويحكى ان الشيخ كان دائما يعينهم ان كانوا يسقون ، فربما كان هو الواقف على الاحـواض في الحقول فيفتح للماء من الجدول بين الاحواض ، ويسده، قال لا أزال اذكر اننـا نستقي في ليلة قارة في بير العنصر امام الزاوية ، فأتى الشيـخ بحصـر فغطى بها البير لتـدرأ عنـا الرياح العاصفة ، ثم صاحبنى الشيخ والفنار بيده ، وانا اسقى الحقول واحدا فواحدا في الظلمة يشير لى الامكنة التي افتح فيها للماء ، وقد كدت اسقط بالبرد ، والشيخ واقف لـم يتـأثر ، وكل ذلك من حب الشيخ لخدمة الفقراء ليكون نموذجا لغيره .

ومن حب الشيخ للنظام، انه كان يعين لكل شيء من يزاوله في السياحة، حتى ان الفقراء بمجرد ما يخرجون من الزاوية، ينتدبون حتى يتعين لكل ناحية من يقوم بها ، فيتعين الموذن ومن يخدم الفقراء وقت الاكل ، ومن يسخن لهم ماء الوضوء، ومن يجمع عكاكيزهم عند الدخول الى قرية، ومن يمرض المرضى ، ومن يتقدم امامهم في الطريق ومن يتأخر ، فلا يتأخر احد ولا يتقدم ، وكذلك من يتأخر في المحل بعد ان يخرجوا منه لما عسى ان ينسوه، وهكذا يتعين لكل ناحية واحد يقوم بها ، ثم لم يكن ينالها الا ان عينه الشيخ لها او اشتراها من عند الفقراء بصيام ايام معلومة ، لان لخدمة اهل الله فيما يرون تأثيرا في تنوير القلوب ، ولذلك يتسابقون لهـا ، ولمـا كـانوا لا يتعاملون بالسكة ، صاروا يتعاملون بالعمل الصالح .

حكى لى سيدي عمر الحوزي قال، كنا نمشي مرة في الطريق وانا مبتـدىء بين الفقراء، فاستدرت وراء سدرة خارج الطريق فواخذني الفقـراء على ذلك ، ومن حب الشيـخ النظام، انه اذا بعث فقراء يعين لهم مقدمهم والايام التي يغيبون فيها، واين يبيتون الى يـوم يرجعون ، وقلما يتخطى ذلك .

ومما ادب به الشيخ اصحابه، كثرة الاطراق حتى انه كان يقـول لهم ، الفقير الذي هو الفقير، من كان لا يسأل في السيـاحة عن القرية التي يخرج منهـا ، ولا عن القريـة التـى

يدخل اليها ، فتأدب كثيرون منهم بذلك ، فلا يكاد احدهم يستحضر اسماء القرى التي كانوا فيها الا البعض منهم ، وهذا كله لجمع الهمة فيما كانوا بصدده ، ولهذا نجدوا نجاحا عظيما لم ينجح مثله اقرانهم من اصحاب المشايخ الاخرين ، فقد حدثني كثيرون من الفقراء، انهم يومرون في اوقات الزرع ان لايمشوا الا في الطريق الخاص ، يمشي احدهم عقب سابقه ، خوف ان يدوسوا الزرع بارجلهم ، فهكذا يعلمهم ادب الجلوس . وادب المشي في الطرق .

كان الشيخ يربي اصحابه دائما بكل امعان تام على مراعاة الشريعة في كل شيء، حتى انطبعوا بذلك ، واستوى فيه عالمهم واميهم ، وانما يختلفون بحسب العلم فقط ، وقد كان للشيخ من مراعاة الشريعة واسبابها مكانة، فقد كان يتعاطى الاسباب دائما ، ولا يميل مع الحقيقة الفارغة والتوكل الزائف ، بل كان يأخذ بالحزم ، فقد كان في عام كثر فيه اللصوص في طريق تمانارات ، وقد كان اشترى للزاوية بندقيات القرطاس امنية اخرى(1) فكان يسلح بها من كانوا القوا السلاح من الفقراء ، فيمشون مع قافلة الزاوية الى تامانارت ذهابا وايابا ، فيهرب منهم كل من يراهم ، ويخاف منهم اللصوص ، وكذلك كان يوما مشى مع بغال ، فأراد أن يسرع الى الامام والمحل مخوف، فتناول من فوق البغال الاخرى مما يخاف عليه فوضعه امامه احتياطا ، وهذا يدل على كماله وتمكنه في طريق القوم، لانهم يقولون، ان العارف الكبير هو الذي يزن مقامه بميزان الشريعة ، لا بميزان الحقيقة ، لان الشريعة للظواهر وللاسباب ، والحقيقة للقلوب وللمعتقدات ، وكل من تغلب عليه الحقيقة فان مقامه ناقص ، وليراجع رائية الشريشي المشهورة من اراد ، فانها قطب التربية الصوفية الاصطلاحية عند القوم ، فان من جهلها لا يعرف قدر تربية الشيخ ، ولا يعلم مقدار تربيته بين اقرانه فمنها :

ومن لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر

ومن مظاهره في ذلك المقام، كثرة مداراته للعوام من جيران الزاوية ، فكان يقودهم كما يريد ببركة ما يسلكه معهم على حسب الشريعة ، فلا يتكل على همته ، ولا على ما يعهد من جهلة الصوفية من انتظار السطوة الغيبية لتدرأ عنهم ، فتاتي له بذلك ان يؤدي حق التربية العامة لهم أيضا بما كان يسربه اليهم اثناء المجالسات معه ، ومثل هذا بعينه وقع له مع بعض علماء في تلك الجهة ابتعدوا عن معرفة ما انتصب له بقدر مايقربون منه ، وهكذا امثاله لا يزالون رحمة عامة مرسلة على كل الناس ادانيهم واباعدهم، معتقديهم ومنتقديهم ، ومما نفع به اهل قريته، قطعه للالعاب التي تجمع بين الجنسين ، فقد كانوا مرة في ملعبهم وقد نزل الفقيه سيدي علي بن عبد الله مع الشيخ من داره الى الزاوية ليلا ، فمال اليهم الشيخ منفعلا ، وهو يقول ، ما هذا المنكر ؟ قال الفقيه فتبعته ، ولكن

1) الجهاد

لم اتجاسر على الدخول مدخله ، فاذا به وسط الملعب ، فلم يكد المجتمعون يرونه حتى شردوا كلهم كالنعام هيبة وخوفا ، فبقي اناس لا حياء في وجوههم من أهل مجاط ، فقدمهم الشيخ بملاطفة الى زاويته فباتوا عنده ، وفي الصباح امرهم ان ينادوا هم انفسهم بأن كل من اقام بعد اليوم هذا الملعب الشيطاني في دوكادير يغرم ما كان يغرمه في عرف القبائل كل من انتهك حرمة هذه الزاوية ، فبسبب ذلك، انقطع ذلك اللعب الشيطاني الى حين ، ثم لم يرجع الا بعد وفاته ، وذكر لي أن أناسا آخرين اقاموا مثل ذلك ليلة في القرية العليا فطلع الشيخ الى الفقيه ابن عبد الله ليلة مصيف فحفزه فثار بدوره فشردهم كل مشرد ، فرحم الله الجميع ، ومن تاثير تربيته في قريته السليمانية انهم كانوا يزفون العروس نهارا في الضحى ، فأمرهم ان يزفوها ليلا فبقي حالهم على ذلك الى الان .

ومما يتعلق بتربية الشيخ للعامة ، وكونه يحرص على ان يميل بهم دائما الى ربهم، انه لما تطلب الشيخ والعلماء من وليتة ان يجيبوا للكيلولى فيدعنوا . فقالوا له كيف نجيبه ؟ فقال لهم قولوا له اننا تائبون ، واقصدوا انكم تبتم حقا مما اجترحتموه بينكم وبين ربكم في حياتكم ، فذلك اولى لكم عند ربكم ، اولا ترى ان الشيخ لم يكن ينسى اداء رسالته حتى في هذا الموقف ؟

كذلك كانت تربيته جامعة لكل من اليه سواء كان من اصحابه ام لا ، وما قدران يقوم بكل ذلك الا بالنصيحة التامة العامة ، للخاصة والعامة ، وقد كان لاولاده من تربيته نصيب وافر ، فقد كان علق في وتد لا يزال معروفا الى الان حبلا ، فكان كلما آنس من الولدان خروجا عن الطريق ، يجمعهم ويهز الحبل فوق رؤوسهم هز تخويف ، ولم يكن ممن يرتاح كثيرا الى مضاحكة اولاده الا بمقدار خاص ، ولم يكن يوا كلهم الا فينة بعد فينة ، وليس ذلك بالعادة الدائمة ، وقد تربت بين يديه بنات له ، فصرن عابدات قانتات ، وقد اختار لكبراهن زوجا فقيها زفها اليه ليلة من غير ان يتقدم ذلك ما يتقدم الاعراس في العادة ، بل لم يكن زوّجها خطبها ، وانما اختاره لها الشيخ مع مسكنته وعدم ثروته ، فلذلك صار كبراء اغنياء في الغ يتناجون بذلك ، وقد كانوا يتمنون السيدة لاحد اولادهم ، ليتشرفوا بالشيخ ، ولكن للشيخ نظرات غير نظرات الاغنياء .

ومجمل القول في كيفية تربية الشيخ العامة، هو النصح التام ، والموعظة الحسنة، لا يمل منها ولا يفتر ، ويحرص على ان يسمعها لكل احد باية كيفية تيسرت ، ولو بالمجابهة التي تنفر منها بعض النفوس ، فقد كان عنده في الزاوية الفقيه سيدي سعيد الاعضيائي السملالى مع آخرين ، فقال له الشيخ، ان حق اولادك قد اضعته بتركك لهم ، وبملازمة الجلوس في الغ ، لانه كان قلما يتفرغ للوصول الى اهله من مجالس الغ العلمية في حضرة الفقيه ابن عبد الله ، فلما سمع ذلك من الشيخ استنكف من قوله ، وقال له اوكنت اجلس عندك ، او اقتات على مائدتك ، فاعرض عنه الشيخ ولم يجبه ، واما التربية الصوفية لاتباعه فانها مبنية

على الاخذ بالحزم وترك الهويني ، والاقبال بالهمة ، وحين كان عدم الاعتنا* بالمظاهر يعين على الاعتنا* بالباطن غالبا ، كان يميل بهم الى عدم الاعتنا* بالمظاهر . فقد أخبرني سيدي مولود ان الشيخ كثيرا ما يعلوه الفرح ان شاهد من أحد الفقرا* ظهور الذلة والمسكنة والحاجة، قال وكأنني ارى الشيخ يعلوه بشر ظاهر وهو ينظر الى سيدي ابراهيم الطاطائي المتجرد، وقد كان هذا يحب الكسوة الفاخرة ، لكنه آل به الحال بين الفقرا* حتى لم يجد الا ما يستتر به ، وهكذا كان الشيخ يواخذ من كانت نفوسهم في مقامات الزهو قبل كالفقها* والرؤسا* بخرق العادة بين الناس ، ليستشعروا في بواطنهم الذلة، وقد امر بذلك الاستاذ سيدى محمد بن مسعود ، كما امر به سيدي سعيد التناني - وقد بينا قبل كيفية خرق العادة عند القوم ومقاصدهم به - ولهذا الملحظ ايضا كان الشيخ اذا نزل في السويرة او في مراكش، يواصل بالفقرا* الليل مع النهار في الذكر الجامع ، ولم يكن يترك لهم وقتا قد يتفرغ فيه بعضهم الى ارتياد المدينة ، لئلا يقع على ما يرتكس به في سيره ، حتى انه لايطعمهم ما داموا في المدن الا الخبز والزيت فقط ، وما يسوقه الناس اليه من مختلف الاطعمة من الطواجن وغيرها يقدمه لمن يحضرون من فقرا* المدينة ، ويكونون حوله عشرات بل مئات ، خصوصا في مراكش او السويرة، حيث تنقلب اليه المدينة ان دخلها ، لانه وان كان ينزل في زاوية القصورالدرقاوية بمراكش،يقوم به خليفة باشا المدينة الحاج عبدالسلام الورزازي فيتسابق الى الشيخ اغنيا* المدينة ، فيمضي هناك عشرة ايام ينسال فيها اصحابه ما ينالهم من التعب الشديد ، وقد قام بمؤونته ليلة اهل حومة باب دكالة اثر بنائه الزاوية في الرميلة ، فجمعوا في الجامع الكبير زها* خمسمائة مائدة كانت كلها من نصيب أهل الحضر ، وما نال منها الفقرا* الا قليلا ضئيلا .

حدثني سيدي مولود قال، اوصاني الشيخ يوما وقد قدمني على فقرا* السياحة ، فقال الحزم والعزم ، فان بعض النفوس قلما تنساق الى الخير الا بالقهر ، فواخذ الفقرا* بالعزيمة التامة ، فان النفوس متى آنست سهولة مالت الى الهويني ، فعلى هذا محور تربية الشيخ لاصحابه ، فيظهر منه ذلك قولا وفعلا وحالا ، وقد اعانه ما تكون عليه عادته مع اصحابه في السياحات من الجهر بالاذكار ، فإن عادتهم اذا اقبلوا على قرية ان يفتتحوا الذكر الخاص لذلك، وهو (الله الله لا اله الا الله)، يقولونه بغنة واحدة عجيبة موثرة بسكون وباحلاق صيتة تتداوله الطائفة وهي منقسمة الى قسمين ، فيكون ذلك الذكر الموثر اول ما يهز افئدة اهل القرية ، فيستجيش من فيها ، فيرون هذا الجمع الكثير المنظم يمشي مثل مشية الجند بالتؤدة والترتيب ، وهم لا يلتفتون ولا يزدحمون ولا يتدافعون ، ثم يختمون الذكر امام المسجد ، فيدخلون بذلك الذكر بعينه اكن على غنة اخرى ، ثم يصطفون في المصلى فيذكرون ذكر العمارة بالسماع ثم يجلسون ويتبعونه ذكرا آخر يقول فيه اهل السماع بيتا معناه (سلام عليكم ورحمة اللة ، هل تقبلون من جا*كم يزوركم لله) وذلك اعلان لاهل القرية انه لا مقصود

الا الله لا جمع الدنيا واموالها ، وعلى هذه الكيفية يدخلون فيدعون، وعند الخروج من القرية يصطفون أمام المسجد وفي ايديهم عكاكيزهم وعلى اكتافهم متاعهم مما ذكرنا انه يكون لكل فقير، ثم يفتتح الهيللة من كان منصوبا لافتتاحها، فيتداولونها حتى يخرج الشيخ، وقد استجاش ثانيا أهل القرية التي يرون من الشيخ في الليلة ما يرون من الوعظ والارشاد والاستنابة، فيركب الشيخ على بغلته فيصطف الفقراء امامه، ثم يهز ثانيا القلوب بمواعظه، فيقول وعاظه من قصائدهم الوعظية ويتم هو بكلامه حتى يستثير المشاعر وتنهل المدامع، ويعلو نشيج البكاء من الرجال والنساء، فاذ ذاك يعلن الشيخ الدعاء لاهل القرية، فيدعو بالبركة لاموالهم واولادهم وبالهداية التامة للجميع، فلا يكاد يمسح وجهه بيديه بعد الدعاء حتى يفتتح الفقراء ثانيا ذلك الذكر الذى دخلوا به القرية بتأثيره العجيب، فيمشون في الطريق وهم يتداولونه فرقتين باصوات شجية، فلا تسأل عما يقع اذ ذاك في الناس، وقد حضرت وأنا صغير هذا الموقف امام مسجد قرية إفريان بهشتوكة، فلم يزل عن ذاكرتي الى الان. ومما يزيد في التأثير في العامة اذ ذاك عند الوداع، ترك الشيخ التعرض لاموالهم، على عكس ما هو مألوف من المرابطين الذين يتقرون القرى مثل الشيخ، وربما صبوا المال في حجر الشيخ. فيقوم وينتثر، ولا يبالي به، وقع ذلك منه كثيرا.

وأما تأديب الشيخ ادب الظاهر لاصحابه وهو المظهر الاعظم لتاثير تربيته ، فإنه بحيث يتعجب منه العمال اصحاب المخزنية القديمة، فقد نزل الشيخ مرة في محلة مولاي عرفة بشياوة في منزل القائد عبد الملك المتوكي 1322 هـ فنصب القائد خزائن للفقراء، ونزل الشيخ في خزانة القائد الخاصة، فاذا بعون من اعوان القائد يقول له، ان الفقراء ابوا من شرب الاتاي، وذكروا انهم لا يشربونه، فقال القائد للشيخ، لا بد ان تدخلوا علينا السرور اليوم بشربه عندنا. فامر الشيخ العون ان يذهب ويستدعي له من بين الفقراء سيدي سعيداً التناني فجاء سيدي سعيد فوقف حيث يراه الشيخ خارج الخزانة وقد رأى الشيخ والقائد في حديث بينهما ، ولم يرد ان يتقدم الى الشيخ الا باذن آخر، وفي ذلك الوقت ولج عون من اعوان القائد لحاجة يطلبها من القائد فحادثه فيما جاء من اجله فآنس القائد من سيدي سعيد هذا الادب الذي لم يؤنسه من عونه. فبعد ما استدعاه الشيخ وقال له، قل للفقراء يشربون الاتاي قال القائد، ارايت الفرق بين أدبنا وادبكم ؟ فلم نزل نجلد اصحابنا دائما على الادب، لكنهم لا يفهمون كيف الادب فكيف تفعلون انتم حتى يتادب اصحابكم هذا الادب العجيب، فقال له الشيخ اننا نعنى بتاديب قلوبهم اولا. والقلب من الجوارح بمنزلة الرئيس فاذا صلح القلب صلح الجسد كله، واذا فسد فسد الجسد كله. وانتم لاتشتغلون بالقلوب فوقعتم فيما وقعتم فيه، وقد كان سيدي بكريم الشركي خادم الشيخ من الادب والحذق بمثابة عجيبة فقد كان يفهم عن الشيخ دائما بادنى إشارة ، ويفهم منه الشيخ كذلك بمثلها وقد حدث المذكور انه كثيرا ما يسمع من الشيخ دمدمة بلسانه فيقع في قلبه المراد بها فيصنعه فيكون كذلك

وينسب ذلك الى كرامات الشيخ وسمعت سيدي ابا بكر بن عمر يقول كثيرا ما تعجب اهل المخزن من حال سيدي بكريمٌ فان الشيخ لايعيد كلمة قالها له سرا او يمجمجها لـه ثم لايبينها له بين الحاضرين، ولكنه كان يفهم بسرعة وهكذا كان كل اصحاب الشيخ ادبا فانـك ترى المجلس وفيه الفان وثلاثة آلاف امام الشيخ والكل مطرق ، لا نحنحة ولا تمخط ولاحركة ، وهذا ما استحضره انا بنفسي عن موسم 1327 هـ وقد اجتمع فيه من الفقراء خاصة ازيد من ثلاثة الاف كما حدثني به سيدي الحسين التأمكونسي الذي ارسل من يحصى الانية وقت الطعام ، ولم اقف قط على ادب يحكي ما يذكر عن ادب الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم الا من اصحاب الشيخ وامثاله من الصوفية فجلوسهم جلوس التحية ، ولا يعرفون التربع غالبا، كما انه لا يغلب عليهم اللهو ولا اللغو في الحديث، وان كانوا ينبسطون احيانا انبساطا لا يخل بالادب اذا خلوا وحدهم وربما اقرهم الشيخ على ذلك او شاركهم فيه ، فقد حكى الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح انه كان مرة في سياحة مع الشيخ فوصلوا بسيطا قرب ايمنتانوت فصار الفقراء يتسابقون اثنين اثنين، قال فانكرت ذلك عليهم، وقلت او نحن في لعب الصبيان ؟ فلما وصل الشيخ وهو راكب على فرس ذلك البسيط، اطلق ايضا الفرس وفعل كما فعله الفقراء، قال فرجعت على نفسي باللوم وقلت ها انذا وحدي قد خالفت الفقراء في فعلهم، وقد كان الشيخ يوصي دائما الفقير ان لا يخرج عن الجماعة وان لايفارقهم فالخير بينهم دائما، ويشدد على من يفعل ذلك، وكان يقول ان من انكسر من جهة الشيخ قد يجبره الفقراء، واما من انكسر من جهة الفقراء فانه لا ينجبر ابدا، ومن لا يحرص على موافقة جماعته فانه قد يكون منبوذا منها ويوشك من نبذ من عين اهل الله ان ينبذ من عين الله .

ومن مظهر تاديب الشيخ لاصحابه اننا لم نر منهم كثيرين ممن يحاول التظاهر بالمشيخة كما نراه من كثيرين من اصحاب المشايخ الاخرين، حتى الذين كانوا حقا بهذه المثابة فانهم لا يرضون لانفسهم هذا المظهر لما يؤنسونه من عدم جمعهم للصفات التى كانوا يرون عليها الشيخ، ولم يشذ عن ذلك الا قليلون لا يتجاوزون عدة الاصابع، مع ان لغالب اصحاب الشيخ اهلية كبرى، ومقدرة لارشاد العباد، الا ان الخمول الذي رباهم عليه الشيخ يغلب عليهم فلا يمكن ان ترى من احدهم اي دعوى، وقد شهد لهم الشيخ بذلك، وكان يقول ان جميع انواع الاولياء موجودون في طائفتي، ويقول ايضا معنى الحديث المروى، اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم، وقد صدق الخبر في ذلك الخبر وما راء كمن سمع .

حكى لى سيدي ابو بكر بن عمر قال كان الشيخ في الوقت الذي التحقت به ، وذلك في سنة 1313 هـ كما اظن لايضع الدراهم التي تكون عنده الا في كوة في مجلس الفقراء يراها كل احد، ثم لاينظر اليها احد، وفي ذلك من التربية من ناحية اخرى ما فيه، فتتربى الامانة وعدم الالتفات الى الدنيا وزهرتها، وان كانت موجودة في مجالات الايدي .

وحكى لي آخر ان عادة الشيخ ان يستكثر من الطعام لمن في الزاوية في اوقات المسغبة لئلا تميل نفوس الفقراء عما هم فيه ، وليعتز الفقراء بما تحتوي عليه زاويتهم من الخيرات، وهكذا كان الشيخ يضع دائما الاشياء في محلها، فيمسك لله ويبذل لله، فلا تهزه الاهواء، ولا يملكه لا فقر ولا ثراء، ومن كان لله كان الله له، وقد كان يتحين المساغب فيفيض فيها بما عنده، ويوصي على ذلك اتباعه فقد قال لفقيره في إغشان بأناثر في مسغبة ان الجنة يسهل الان نيلها بالصدقة .

كان حال الشيخ جلالي الظاهر، جمالي الباطن، قال سيدي ابوبكر بن عمر كنا في عهد الشيخ في الجلال في الظاهر، وفي الجمال في الباطن، ثم انعكس الحال بعده، ويعنون بالجلال الضيق والمشقة، وبالجمال السعة والانبساط، ولاريب ان التربية بمثل هذا الحال تكون دائما مجدية وقلما تخيب، ولا سيما من امثال الشيخ الذي لا يعرف الا الصراحة، والقول بكل ما اوتيه من قوة، حتى انه لا يغادر زلة بدون تربية ما دام الفقير يستصغر الزلة واما اذا استعظمها وخاف من الشيخ فانه لا يكلمه فيها، حكى لي ذلك سيدي ابوبكر بن عمر ، وقال هذه عادة الشيخ حتى فيما يقول المريد انني احسنت فيه فانه يذمه له. لتنكسر نفسه، قال فكثيرا ما اقول انني احسنت غسل ثيابه، فيرميني بها، فيأمرني ان القيها في الماء ثانيا وقد انقضى الصابون فتعود دكناء فيمدحها حينئذ، وكان يؤدبهم حتى على صفة الاكل، وقد تذكرت ان الشيخ جلس يوما على مراقي المركع في زاويته بالغ، وفي المركع فقراء من درعة كانوا يأكلون بالخبز سمنا وعسلا فارادوا على عادتهم في بلادهم ان يأتوا على الجميع مع ان العادة في بلادنا هذه عدم الامعان في السمن والعسل لقلتهما، فصار الشيخ يصرح لهم بان ما يفعلون مما لا خير فيه، ويجب على الفقير ان لا يتبع شهواته، فثلث للطعام ، وثلث للشراب، وثلث للنفس، كان يقول لهم ذلك بصوته الجهوري، فانكفوا عما ينوونه وربما قال يجب على الفقير ان لا يأكل من ادام في بلد الا اذا كان ذلك الادام يوجد بكثرة في البلد، فان ذلك ادعى ان تطيب نفس صاحبه به، والا فإنه لا يأكل الا الحرام وهكذا الشيخ يربي اصحابه حتى على الاكل، وحدث سيدي احمد الفقيه انه صاحب احد رؤساء الجلاليين الى الزاوية، فاستدعاه اليه الشيخ، فقدم اليه مائدة فيها سمن وعسل، فصار يجرف بالخبز كانما يجرف الطين بالمسحاة، فصار الشيخ ينظر الى سيدي احمد الفقيه ويجمجم بالشلحة نحو سيدي احمد يخاصمه على عدم تأديبه وتربيته من بعيد، وبينما يقول له ذلك بالشلحة كان يلتفت احيانا الى الرئيس ويقول له بالعربية كل انت كل ياسيدي الحاج، وذكر الموذن سيدي محمد بن بلعيد ان الشيخ كثيرا ما يخاصمنا ان ابطانا على الاكل، كما يخاصمنا ان ابطأنا على الذكر الراتب الخاص المعدود صباحا ومساء في سبحاتنا. ويقول ان الفقير هو الذي لايفارقه الجد في كل اموره عادة او عبادة، وقد كان حال الشيخ المجد دائما هو المثل الاعلى لاصحابه، حتى انه في الوضوء كان من اسرع الناس فيه ، فقد اقيمت

الصلاة مرة ثم تذكر انه لم يتوضأ فسال الى الوضوء ثم صلى بتلك الاقامة لخفة وضوئه الى الغاية ، وحتى الصلاة في الجماعة فانها لا تطول غالبا، بل تميل الى التوسط، نعم ان كان يتنفل وحده فانه يطيل كما هو السنة، فقد كان وقافا مع السنة ، محتاطا في كل اموره، الا ما كان من احوال التصوف التي اخذها عن شيخه فانه يبقيها كما اخذها كما انه ايضا يحتاط للديانة ، فقد ربى نساءه على الاحتياط لفضلات المراضع ، فيفرشن جلدا مدبوغا مسبوتا على حجورهن، ثم ان اصابهن شيء بعد ذلك فمعفو عنه، وهذا هو عين الفقه الراجح عند المالكية .

ومما يواخذ عليه الشيخ اصحابه ويربيهم عليه خدمة اهل الله بانفسهم واموالهم وكل ما لهم، وهذا اصل من اصول التصوف، حتى انهم يقولون، بقدر ما ينصح المريد في خدمة اهل الله يسرع اليه الفتح، ويقول سيدي عبد العزيز الدباغ، ان المقصود من خدمة المشايخ هو التعرض للنفحات التي يجريها الله على ايديهم لعباده، فسر التصوف هو في اخذ خواطر المشايخ والانقياد لهم، حتى تتفق نظرة ينظرها الشيخ الى المريد فيتكون بها على صغرها ما يتكون من ملاقاة الذكر بالانثى من الحمل فالولادة ولهذا يخدم المريدون اشياخهم بانفسهم وهذا مغزى ما كنت استحضره من معنى كلامه، ولم يكن الشيخ يقول لاصحابه هبوا لي اموالكم، لانني شيخكم فانه اعز نفسا واعظم زهدا ، وابرع حكمة من ان ينزل نفسه تلك المنزلة، وهو ذلك الزاهد العزوف الخاشع المنيب الناصح لله ولعباده لوجه الله لا لحظ من حظوظ النفس، بل انما يربي ذلك من اصحابه بحاله وبمغزى مقالاته ان كان يريهم اقرب الطرق الى نيل الحظوة في طريق القوم، وقد كان حاله الذي عرف به ، الزهد التام من اموال الفقراء الا ما قدموه لزاويتهم عن طيب نفس، تقربا الى الله وخدمة الصالح العام في الاقامة بالامر الجامع للفقراء ، وقد كان يحثهم في هذا على الاخلاص التام ، فلا يستحيي الفقير ان يقدم القليل فان الوقوف مع ذلك انما هو من رعونات النفس، ويقول ليس بفقير صادق من لايقدر ان يضيف كل طائفة الفقراء بخبزة واحدة، ثم ان لم يجد ما ينزلهم فيه الا مربط بقرته فانه يكفي، ولهذا تربى في اصحابه من الاخوة والمشاركة في ذات اليد ما يذكرنا باحوال الصحابة بعد ان آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم كما هو معلوم في السيرة النبوية، وذلك اصل من اصول طريقة القوم، ومن امثالهم لامال مقسوم، ولاسر مكتوم، واذ كانوا هكذا بينهم فقد كانوا بينهم وبين شيخهم اشد ايثارا ، فقد كان لفقير منهم عجلة فذهب بها الى السوق فباعها. فمر بالشيخ فخطرله ان يخرج عنها لله. فمكن الثمن للشيخ لينفقه على الزاوية وعلى الفقراء. فلما طرق باب داره عند رجوعه وقفت امه وراء الباب، فسألته قبل ان تفتح له، ما ذا صنعت بثمن العجلة ؟ فذكر لها ما صنع، فقالت والله لم تكن لتدخل علي لو لم تصنع ذلك هذا مع انهما لا يملكان الا العجلة من البهائم، ويسمى هذا سيدي موسى الساعنونتي - وهكذا تخرج محبة الدنيا من القلوب ان دخلت اليها محبة الله، وأمثال هذه الحكايات كثيرة .

وقد جرب الفقرا' ان الله يخلف عليهم بسرعة كل ما أهدوه الى الشيخ ، فحملهم ذلك على الانفاق الكثير عليه وعلى من معه ، ومن أقوال بعض المشائخ الكبار وهو الشيخ سيدي ابو عمرو المراكشي ، ان من اتى بها كلها ذهب بها كلها ، فنهم المقصود بعض اصحابه ، وهو سيدي محمد بن مبارك التستاوتي، فساق الى الشيخ كل مايملكه في داره حتى القدر التي يطبخ فيها، فكان ذلك هو سبب رجوعه بكل ما عند شيخه، وللصوفية أحوال ونظرات يستغربها غيرهم حين لا يعرف مقاصدهم ولا يلحظ ملاحظهم ، وربما يستدل لهم بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجوا كم صدقة) والمنسوخ منها انما هو الوجوب فقط ، وايا كان ، فهذا حال اتفق الصوفية على أن له تأثيرا كبيرا في حوز ما يسمونه السر الاكبر، وهم ادرى بأحوالهم ، وأعرف بمقاصدهم ، ويكفينا أن نعرف أن لهم مقاصد حسنة دائما ، وقد كان سيدي الحاج الحسن التملي من أكابر أصحاب الشيخ يبيع من حر املاكه فيأتي بالثمن فيلقى السرة ليلا من وسط الزاوية الى سطح دار الشيخ، تشددا في الاخلاص وامعانا فيه، وقد عرفنا كثيرين نالوا ما نالوا من الشيخ بهذا الحال، فمنهم من اتى بكل ما يملك، ومنهم من اتى بما يعز عليه من نفائس ماله، وما ذلك الا بتأثير محبة الشيخ في قلوبهم ولولا انه استولى على قلوبهم، ما استولى على جيوبهم.

ومما يربي عليه الشيخ ايضا اصحابه الخدمة في مصالح الزاوية، فكان كل من يرد عليها من المتسببين يشارك المتجردين في خدمتها، ويقول الصوفية في مثل هذه الخدمة ما يقولون في الانفاق المتقدم وبالاخص في الخدمة، فبها عندهم يقضي المريد حاجته بسرعة ويقول الشيخ ان كل من اختاره الله لخدمة اهل الله، فقد اختاره لمقام عظيم، ولهذا نعرف من اكابر اصحاب الشيخ من الفقها' واكابر قومهم كسيدي الحاج الحسن التيملي، وسيدي عبد الله بن القاضي الفقيه، وسيدي ابراهيم بن صالح وامثالهم معاناة الخدمة في الزاوية وقد كان سيدي ابراهيم بن صالح ينقل احجار البنا' يوما على كتفه، فيريد من يناوله ان يقللوا عليه فيستزيدهم، وكان الفقيران الفقيهان المتجردان سيدي سعيد التناني وسيدي الحسن الماسي يوما في محل لم يستدعهما الشيخ للخدمة مع الفقرا' في عمل يعملونه طلبا من الله ان لا يحرمهما من حظهما ، فاذا بالشيخ يناديهما فامرهما ان ينقيا مربطا للبغال فصارا ينقلان ما هناك بالقفاف وهما فرحان، وهكذا كل المتجردين وكثير من المتسببين، يزاولون الخدمة كلما وردوا الى الزاوية، فاذا كان طلبة العلم في سوس يجعلون في سوس في خدمة اساتذتهم من السر والبركة مايجعلون،وهم انما يعتنون بالمظاهرا ولا يراعون مايراعيه الصوفية من الحقائق والرقائق والدقائق، فكيف لايعمل الصوفية هذا العمل،ويرتبون عليه مايرتبون، وهي ارقى همة وابعد نظرة وقد كان الشيخ من خدام شيخه المعدري فربح منه، فكذلك يربح منه كل من خدمه لما اقامه الله في ذلك المقام، والكل بيد الله، الا ان لله سنة معلومة في كل شي' فباتباع السنة في ذلك تحصل تلك الاشيا' ولكل شي' سنته الخاصة وقد تقدم لنا ان سيدي سعيد بن همو قال لاصحابه

يوما وقد رآهم في خدمة فادحة المشقة : لو علمت طريقا يوصلكم الى ما تريدون اقرب من هذا العمل لما جشمتكم ما انتم فيه، وذكر عن سيدي احمد بن موسى انه كان يستخدم الفقراء في سقي اشجار اركان، ويقول انهم كانوا من عداد اهل النار فانتقلوا بهذه الخدمة الى عداد أهل السعادة ، او كما قال ، وقد كان بعض الفقراء المتجردين يتكاسل احياناً عن الخدمة في الزاوية ، فيصيبه مرض عضال يتمنى لو لم يكن تكاسل عن العمل، فقد اخبرني المؤذن سيدي محمد بن بلعيد ان الشيخ خرج من الدار يوما فناداني فأمرني ان استدعي له سيدي الحسن الواعظ الاميتتانوتي، ثم لما ذهبت ناداني فقال اتدري أين هو ؟ انه اختبأ في المحل الفلاني لئلا يراه احد ، فذهبت فوجدته هناك ، ولم اكن لاعثر عليه هناك لولا الشيخ ، فأمره ان يذهب للحصاد مع الفقراء الذين يحصدون ، وعاتبه على تخلفه عنهم ، فاذا به لم يذهب فسقط مريضا ، فورمت ركبتاه وارجله كلها ، فبقي شهورا ، وقد خرج ليذهب مع الفقراء الى السياحة ، وإن كان على ما هو عليه ، فقال له الشيخ ، بل ابق انت في الذي تختاره لنفسك ، فلم يبرأ حتى تاب الى الله تعالى ونوى ان لا يعود ، وحدثت ان الفقراء اذا كانوا يجدون المشقة في الخدمة يتحدثون بينهم بأن ذلك ربما كان حظهم من العذاب (وإن منكم الا واردها) ولهذا يكون لهم جد في الخدمة ، وربما فرقوا حقول الحصاد على عددهم ، وقد فعلوا ذلك مرة في حصاد محروث للزاوية متسع في وسط الغ ، فبقي بعض الفقراء متأخرين عن اتمام ما عين لهم ، فوصل اليهم الشيخ ، فأشار اليهم ان يتعاونوا في كل شيء ليستعين الضعيف بالقوى ، ثم قال قد كنا في عهد شيخنا بالمعدر فرقنا مكانا هكذا للحصاد فسبقنا نحن المجدين في العمل فبقي فقراء كسالى لم يتموا ما لهم ، فوسوس لهم الشيطان فاضرموا النار في الذي بقي لهم ، وقد كان للفقراء اذكار خاصة يذكرونها في الحصاد وهم في صف مستطيل ، واخرى في وقت التذرية في البيادر، وهي (يالله يالله يا عزيز ياربي) ، وذلك كله لئلا تزال السنتهم رطبة بذكر الله، الا انهم قد يروحون عن انفسهم بالمذاكرة ، وحكايات الصالحين احيانا .

هذا على ان هذه الخدمة انما هي لصالح الزاوية التي هي للفقراء لا للشيخ، فمنفعتهم لهم لا لشيخهم الا تبعا ، فصارت مثل العمل في الخندق الذي كان الرسول يعمل فيه مع الصحابة، وكبناء مسجده ، فافهم ووسع حوصلتك ايها القارىء الكريم .

ومما يربي الشيخ عليه أصحابه المثابرة على الاجتماع للمذاكرة وللذكر ، ويقول ان الفقير لا يجلس الا الى الفقراء ، فان نظرة من العوام تضر بالفقير ، كما انه يلزمهم الحضور في المواسم الالغية ، ويقول اننا نسامح في كل شيء لنا فيه حق الا هذا الحضور ، وربما يعلو بكاؤه اثناء المذاكرة في ذلك ، فيقول اننا نزوركم ونستزيركم في حياتنا ، فليت شعري هل تقومون بهذا الحق بعدنا ؟ ويقول ان الاشواق التي تفور من الشيخ الى الى مريده الصادق اكثر واعظم احيانا من اشواق المريد الى شيخه ، لان انتفاع الاجتماع

قد يكون منه للشيخ اكثر مما يكون للمريد ، وكان يحث علي ان يتخطى الفقير كل القواطع والموانع الى الحضور في الموسم ، ويقول ان كل شغل تتركه لله في هذا الحضور لابد ان يقضيه الله وزيادة (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) وكان لا يقبل اي عذر الا مالا تمكن معه الحركة للفقير ، وقد ارسل اليه الفقيه سيدي علي السباعي الكسيمي في سنة يعتذر عن الحضور ، ويقول ان القلب هناك ، فأجابه اترك القلب في دارك ، وائت بقالبك ، ولكننا نحن الذين نعتذر لك فيما اختصصنا به دونك في هذا الاجتماع الحافل ، ووقع لبعض الفقرا' من اداوزيكي انه ذهب الى موسم الشيخ وترك حقله بلا سقي ، وقد قرب يوم نوبته في الما' ، فلما لم يجد من ينوب عنه ترك حقله لله ، معتمدا على ما قال الشيخ فيمن ذهب الى موسمه ، فاذا بأحد اعدائه غلط فسقى حقله من حيث لا يشعر ، وهكذا تكون العناية من الله ، وكان الفقرا' يرون من انوار القلوب ، ورفرفة الهمم الى الله في الموسم ما لا يمكن معه التخلف من كل من ذاق ذلك المذاق ، ولو كان يأتيه حبوا، وقد وقع مرة للرجل الصالح صاحب الروحانية القوية الغريبة سيدي محمد بن حمو التناني ان مرض مرضا شديدا ، فلم يجي' مع الفقرا' حتى كاد الموسم يفوته، فلم يصبر عما كان يراه هنالك، فتجشم المسير على مرضه من مسيرة ايام، فصابر وراح الى الزاوية يوم الثلاثا' فاراه الله ما كاد يفوته لو كان تخلف بالكلية ، وذكر رؤيا في حكاية عن تفصيل ذلك ، وقد ذكر سيدي علي الكرسيفي الامشرائي ان الشيخ قال له يوم افتراق الموسم 1327 ه سلم مني على الشيخ سيدي احمد بن موسى ، وقل له ان اضيافا شرفا' من درعة وتافيلالت منعوني في حضور موسمه هذا العام ، فليعذرني لان بيني وبينه عهدا على ان يحضر كل واحد منا موسم الاخر، فقال له سيدي علي ، ومن اين لي ان اتكلم مع سيدي احمد بن موسى ؟ فقال له قف على ضريحه وقل له ذلك . ثم لا عليك فيما ورا' ذلك وسيدي علي هذا فيه نوع تعقل وبله ، وهذا مما يدل على ان ذلك الموسم مجتمع الروحانيات القوية العظيمة ، وكيف لا يكون مثله منبع الاسرار والانوار ، ومثل هذا لا يستبعده الا من لايصدق امثال هؤلا' الصوفية ، او يستبعد ذلك من قدرة الله ، وقد كان الشيخ يقول ان هذه التربية التي في ايدينا قد انقطعت عن سوس ورا' جبل درن منذ عهد سيدي احمد بن موسى الى ان رجعت على ايدينا ، والصلحا' والاوليا' وأهل الله لا ينقطعون، ولكن هذا المعنى شي' آخر اجل وأسمى، لانه لايدور الا على معرفة الله وحدها، اوكما كان يقول، وقد كان الشيخ يفسح الرجا' لاصحابه ، فيحملهم على ان تتعالى هممهم الى المعالي فلا يستحقرون انفسهم فيزهدون فيما عند الله. فان فضل الله لا ينحصر، وهو اليوم هو هو كما كان في عصور امثال مولاي عبد القادر الجيلالي، والحاتمي، والدسوقي، والتباع ، والجزولي ، ولهذا السبب كان يأمر ان تدلل المقامات والاحوال الحسنة في موسمه، فيتزايد على امثال : السعادة العامة دنيا واخرى، ومحبة الله ورسوله، والمال الطيب، وصلاح الاولاد ،

ونور القلب الدائم، الى نظائرها، فتنزل على آخر زائد فيصرف ما تجمع من ذلك في كسوة المتجردين، وقد كان هذا حال الصوفية من قديم والمقصود بعث الرجاء في المريدين الذين حسنت منهم النيات، والعجيب الغريب انه جرب ان كل من اشترى من ذلك ما يمكن ان يظهر تمامه في عالم الحس، كان يتم حتى يراه كل الناس، ولهذا كان كثيرون يتحينونه لشراء ما يريدون من منافع الدنيا والاخرى، ومدار كل ما عند الصوفية على حسن الظن وعدم الشك في ذلك وقد اشترى الشيخ في آخر عمره صلاح الاولاد. وقد كنا قرأنا عن مجتمع الصوفية في رباط شاكر بقبيلة حمر في القرن الثامن في كتاب (انس الفقير) عجائب من شفاء ذوي العاهات، حين يحضرون بين المجلس حين يحتدم الذكر. فيخرج احد الفقراء في عرض المجلس فيأخذ بيد الزمنى فيقومون على شفاء تام، اقول وقع مثل هذا مرة في مجلس اصحاب الشيخ فقام زمن على تمام الشفاء، كما كنا قرأنا ايضا عجائب عن السبتي يأخذ عنها المال فتقع ، وللروحانيات القوية خصوصا بالذكر عجائب لا يستبعدها الا من لا يخالط اربابها فيحمل كل ما يسمع من ذلك على التدجيل والشعوذة ، ولكنه معذور على كل حال ، لانه لم يخالط الصادقين من ارباب الشأن ولا عرف مقدار زهد هؤلاء الصادقين منهم كالشيخ الالغي هذا، ومن جهل شيئا عاداه ، ولهذا يسمع عما يفعل في موسم الشيخ مما تقدم ممن لم يذوقوا مذاق القوم ان المقصود هو جمع الدنيا فقط ، ولم يدر ان لجمع الدنيا اذا كان هو المقصود طرقا اخفى واكثر سدادا من هذه الطريقة التي تفضح اهلها عن عجل، اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

كان الشيخ يقيم موسمه اولا في شهر شتنبر ، ثم صار يقيمه في شهر غشت ، ليسلك الفقراء طريق موسم تازاروالت. وقد كان اذ ذاك مأمونا لايقدر احد ان يمس الآتين اليه، خوفا من آل سيدي الحسين بن هاشم ، وهذا الموسم الالغي مختص بالفقراء فقط لا يأذن الشيخ ان يجيء اليه غيرهم ، بل يأمر من يفتش فيخرج من حوالى الزاوية من ليس بفقير ، ويقول : ان المجالس الخاصة للفقراء كالمجالس الخاصة حول العروس لا تطيب الا باقصاء من لا يذوق مذاقها ولايكدر صفاءها وكذلك ينهى في الموسم عن التجارة ، ولايستبشر لحضور النساء فيه من بعيد ، وان كن انما يجلسن في دار على حدة ، ولو كن من الفقيرات. ولم يأذن الا لفقيرات قليلات معلومات، كذلك موسم الشيخ ، وكان يدخل اليه الفقراء يوم الاحد دائما قبل يوم الخميس الذي يعمر فيه موسم تازاروالت، ويخرجون منه يوم الاربعاء ، ومن عادتهم ان يجتمع الفقراء في آيت وفقا وفي اغشان من كل ناحية صباح يوم الاحد ، ثم يدخلون بالنظام ما بين الظهر الى الاصفرار طائفة طائفة، وفي كل طائفة ما بين المائتين الى ثلاثمائة فاكثر الى خمسمائة، فيجتمع فقراء القبائل حتى يتم عدد الطائفة ، ثم تتجمع طائفة اخرى وراءها ، فتتربص كل طائفة قدرما يتلقى الشيخ الطائفة قبلها فيقدمها الشيخ مع من في الزاوية بالذكر الذي ذكرناه بكيفيته في دخولهم للقرى في السياحات ، فان ختم

معهم الذكر وسط الزاوية ويدعون يسمع ذكر الطائفة التي تليها يملأ ذكرها ثانيا جو الغ على تلك الغنة، فيخرج ثانيا الشيخ ووراءه الفقراء كلهم فيتلقى الطائفة كذلك بكل شوق فائض ، ودمع مسترسل والفقراء المتجردون يقفون صفا دون الشيخ لئلا يصدمه الفقراء الثائرون أشواقا كالابل الهيم العطاش ان اقبلت على مواردها ، وهكذا تتوالى الطوائف من وقت الظهر الى الاصيل حتى يتم عددها وقد تكون اكثر من عشرة ، فلا تسل عما يقع من القلوب في حين اللقاء وهذا امر دقناه بنفوسنا فلا تملك العيون دموعها، ولولا الضلوع لاحترقت الافئدة في الجوانح فترفرف مما عراها وكثيرا ما يقول الفقراء وربما نسبوه للشيخ ان ما يحصل في الموسم يحصل وقت اللقاء ووقت الوداع وقد كان الشيخ من عادته ان يفرق المتجردين ثلاثة واربعة وخمسة بعد تمام الحصاد الى كل القبائل التى فيها الفقراء ليتهيأ للموسم، فيسيح المتجردون على المتسببين ويقودونهم الى الموسم ويتعهدونهم بالتربية في الطريق على عادة الشيخ في سياحاته وهؤلاء المتجردون بين المتسببين كالضباط في الجيش مع مطلق الجنود وقد كان الفقراء يجمعون دائما في هذا الوقت ربع ريال حسني يسمونه احسان الزاوية ، يواخذون به كل فقير، ثم كل مع همته في الزيادة عليه ، وقد كان سيدي سعيد التنساني من اكابر اصحاب الشيخ هو الذي وقف حتى عين الفقراء ذلك بينهم من غير اذن الشيخ وذلك حين رأى الزاوية في مبادئ قيامها محتاجة الى الدراهم في شؤونها والشيخ لزهده لا يبالي ولم يكن منه الا العزوف عن اموال اصحابه شأن من يجعلون همهم في ارشاد العباد لوجهه الكريم بلا اجر ولا منفعة، ويفوض لله في تيسر ما وراء ذلك وقد كان سيدي سعيد يتقدم دائما الى امثال هذه الامور فهو الذي وقف من غير اذن الشيخ حتى صنعت السقوف المزوقة لبيت الاضياف في الزاوية وقد تهدم اليوم هذا البيت وبعض سقوفه يوجد اليوم في البيت الغربي من رياض اخينا سيدنا الخليفة المبني حديثا 1356 ه كما انه وقف ايضا حتى جمع من عند الفقراء ثمن أمة كان يريد ان تعين الشيخ في الدخول والخروج بالاواني بين الدار والزاوية ولكن الشيخ باعها ولم يرض ان يملك العبيد ويقول ان الدار السعيدة هي التي لا مسعود فيها ولا مسعودة، ومن العادة تسمية العبيد بمسعود ومسعودة، كما انه وقف ايضا حتى اشترى اول فرس ملكتها الزاوية لركوب الشيخ وقد كان الشيخ قبل ربما يسيح على رجله تعففا عن بغلة اهله التي يرصدونها للشغل ثم يقبل الشيخ ما يفعله الفقراء وقد فهم عن الله.

ومما ربى عليه الشيخ اصحابه جمع همتهم في شيخهم وحده ، ولا يلتفتون الى شيخ آخر كيفما كان مع التسليم للجميع ومحبتهم وتعظيمهم لكل ذي مقام ويقول الصوفية ان هذا هو الشرط الاساسي للتلميذ وقد يتوسع بعضهم فيرضى لمريده بعد تمكنه ان يصاحب غيره، ويشتد بعضهم ويضيق على اصحابه حتى لا يلتفتوا ادنى التفات في كل حياتهم، ومن هؤلاء كان الشيخ فان له غيرة عجيبة لها سور من حديد فلا يقبل من مريديه ان يلتفتوا الى غيره ،

ويقول يمكن ان يكون للزوجة زوجان ولا يمكن ان يكون للمريد الذي يريد الوصول على شرط ما عند القوم شيخان، وهو في هذا الحال كشيخ زروق الشهير الذي هدم عليه بيتا كاد يهلكه به حين رآه التفت الى غيره، ويقول الصوفية ان والدك هو ابوك فاقنع به كيفما كان لتتصل بسلسلة الجدود، فانك ان اعرضت عن أبيك الذي ولدك واحتقرته،وانتسبت الى غيره ممن يتراءى لك انه اولى من ابيك الحقيقي فانك قدقطعت سلسلة نسبك بيديك،فكذلك الشيخ الذي ذقت على يده الكأس الاولى،فانك ان لازمته وقنعت به وجمعت همتك في الذي عنده تنال كل ما تريد، ولا يضرك فوات شيخ آخر وان كان مقامه اعلى من شيخك، ويقولون أيضا إن الطرق الى الله على أيدي المشائخ كالطرق الى السوق، فأي طريق لازمته تصل الى السوق، فان كنت تنتقل من هذا الطريق الى ذاك، فان ذلك يؤخرك عن السوق او يعوقك عن الوصول الى السوق او يضلك عنها بالكلية، وهذا كله في الشيخ الحي المربي ان لاقاه المريد ، وأما غيره من اعتناق طريقة ما عن شيخ غير حي فإنما ذلك طريق تبرك لا غير ، وكثيرا ما يغلط من كان شيخهم في حياتهم يواخذهم بهذا الشرط ، ثم صار من بعد موت شيخه يلزم كل من يلاقيه من أصحابه بذلك الشرط فيريد تعميمه حتى في الذين ينخرطون في تلك الطريقة بعد موت ذلك الشيخ تبركا ، ويقول الصوفية أيضا ان هناك فرقا بين من تلقنت منه وردا من رؤساء الطرق الصالحين المتبرك بهم ، وبين من اعطاه الله مقام المشيخة والتربية، خصوصا التربية الاصطلاحية ، وعلى هذا المقام كانت طريقة الشيخ سيدي الحاج علي ، فانه من اولئك الاشياخ الكبار الكمل كما يقول اهل عصره ، وبذلك يراه اصحابه وذلك هو الذي دلت عليه كل احواله ، فان من علامة الشيخ الكامل عندهم ان يكون له اذن خاص في تربية المريدين التربية الاصطلاحية ، وهي التي ذكرها صاحب الرائية الشريشية، وان تكون له قوة روحانية يقدر بها ان يربي المريدين وان يتفقدهم في القرب والبعد وأن يمدهم بالامداد الربانية ، وهذا كله متوفر في الشيخ وقد يصدر منه، النوع المسمى بالشطحات على قلة ذلك منه، فقد حكى انه قيل له في تلك الليلة التي ذكرنا فيما تقدم انه باتها في مسجد اسكيوار، ان مقامك فوق مقام مولاي عبد القادر الجيلالي، وذكر ايضا في بعض رسائله ان الله اعطاه القطبانية، بل ذكر ايضا انه هو الغوث الذي لايشاركه احد في مقامه حياته، وكان ربما قال ان اقتضاه المقام أن الله اعطاه كل ما اعطى للمشائخ المتقدمين، الا ان همم المريدين في هذا العصر هي القاصرة وقال ايضا في مجلس خاص بين المتجردين فقط، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان كل من رآك او رأى من يراك الى السبعة يدخل الجنة ، ومثل هذه المقالة كان تكلم بها احد شيوخ مشائخ الشيخ ابن ناصر ، وتكلم الشيخ اليوسي حولها في كتابه «المحاضرات» وقال ان لها مخرجا من السنة، والمخرج اللائق بتلك الرؤية ، هي لزوم المنهاج ، والوقوف مع الشريعة ، وقد كان الشيخ يقول ان كل من لا يعمل مثل ما نعمل فلا يطمعن في رفقتنا وان سلخ جلودنا ولبسها . وقال ايضا

يوما لبعض اهل تيوت بالغ انك ان سلكت الطريق فنحن دائما مترافقون ، وان عسفت وخرجت عن الطريق فاننا لانراك ولا ترانا ، وفضل الله اوسع وافيح (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء) ومراد الشيخ ان الانتفاع بهذه الرؤية ينبعث من المريد المخلص لا من الشيخ، والمقصود ان الشيخ وان كانت امثال هذه المقالات تفرط منه في قليل من الاحيان ، فانه لا يجعلها اس تربيته ، بل يحسب من اصحابه العمل الصالح الدائم ، وكان يقول لاصحابه، ان الاولى ان يقوم الفقير بنفسه حتى يحوز هو الغنيمة في غيره يوم القيامة ، لا انه يكون غنيمة لغيره ، وانما سقنا نحن تلك المقالات التي يبين بها الشيخ ما اعطاه الله تحدثا بما انعم عليه به ربه ، ليدرك القاريء ان ما يريده من اصحابه من الوقوف معه وحده بين المشائخ ليتأتى بذلك لهم بالسرعة الفتح المبين مبني على اساس صوفي اتفق عليه مشائخ الصوفية الكمل منهم ، والشيخ هو من هؤلاء المشائخ الكمل على ما يراه به اصحابه، وتلك الاحوال الباهرة التي عرفناها عنه وشاهدها منه اصحابه ، وتلك الهمة العلية التي يزيل بها الجبال تؤيد ما كان ينسبه لنفسه من كل تلك المقامات ثم لا ينسب مثل هذه المقامات لنفسه الا اذا غلب عليه الحال ، او اقتضته المصلحة ، والا فإنه ليس من الذين لايزالون يتغنون بأناشيد مديحهم في كل وقت لتمكنه ولكونه جبلا راسخا ، ولتضلعه من الشريعة التي لا تؤسس على امثال تلك الشطحات ، وذلك هو المعروف من حاله ، هذا وقد وقع له مع بعض فقراء حصل منهم التفات الى غيره نظير ما حصل من نظرائه من المشائخ اهل الغيرة ، وسترى بعض كراماته في ذلك في الفصل الذي نعقده لكراماته الخاصة ، ومن اجل تربية الشيخ اصحابه هذه على عدم الالتفات الى غيره وعلى ما له من مقامات الكبار ، كانوا لا يريدون به بديلا ، وما كانوا يقرنونه الا بافذاذ المشائخ المتقدمين ، ولعمري ان كل من امعن النظر فيما صدر منه ، ووزن بالقسطاس المستقيم وانصف وسلك طريق الحكم السديد ، ليجدن الشيخ قليل النظير لابين المشائخ المتأخرين فقط، بل وبين المشائخ المتقدمين أيضا ، حكى سيدي احمد الفقيه انه كان سمع من الشيخ ان مقامه فوق مقام مولاي عبد القادر الجيلالي، اخبره بذلك يوم مسارة، ثم قال في نفسه يوما آخر ، ليت شعري ما مقام الشيخ اليوم ؟ فاذا بالشيخ يقول يا اهل يثرب لا مقام لكم - والحكاية ابسط من هذا - وبهذا كان كبار اصحاب الشيخ كسيدي سعيد التناني وسيدي محمد بن مسعود وسيدي احمد بن مسعود وسيدي احمد الفقيه يصفونه فيما ذكروه عنه في احاديثهم او كتبوه عنه بأقلامهم ، ولما لهم من ذلك المشرب الصوفي الصافي الخالص يوخذ كلامهم في شيخهم اخذا مقبولا ، فهم أدرى بأحواله، واعرف الناس بجولاته، واما امثالنا نحن من المتطلبين الغافلين اصحاب الرعونات والمظاهر، فأنى لنا أن ندرك مقامات اصحاب الارواح العلية الا تخمينا وقياسا واستنتاجا، ولكننا لا ننفق الا مما عندنا، وحسبنا التسليم، وقد قال الشاذلي، التصديق بطريقنا هذه ولاية ، ولا ريب انه لايستبعد امثال هذه الامور الا الجاهل الذي لا يالف الا

عالم الحس، حتى انه كان بصدد ان ينكر حتى عالم الرؤيا لولا انه يرى هو بنفسه في المنامات ما يرى، والا من يستبعد ان ينال المتأخرون ما كان يناله المتقدمون، او ما يعلو فوقهم ، فيجحد فضل الله بجهله العميق ، والا من يعجز قدرة الله تعالى، وينكر اتساع فضله ، وتلك غباوة ظاهرة لا يلتفت اليها ، والا متفقه يالف كتب الفقه والنحو واللغة والعلوم الجامدة حتى تجمد فكره ، وضاق نطاقه، فلم يتسع في علم الحديث والقرآن ، ولا في علم الارواح، وما سطره العلماء عنها قديما وحديثا ، وليس له من طريق القوم نصيب ، فأحد هؤلاء هو الذي يستبعد وحده ما ذكرناه آنفا ، والا فان الواجب ان ينشد من لا يدرك حقيقة شيء من الاشياء :

حكمت بعجزي عن مدارك كل ما   يقال فان العجز من خير اعذاري

قبل ان ينشد له غيره :

فاذا لم تر الهلال فسلم   لاناس رأوه بالابصار

وانا لا ازال اعلن انني صفر من هذا المعنى الذي عند القوم، الا انني اسلم لهم واحبهم وانقل كل ما يقولونه كمؤرخ يؤدي الامانة في نقوله ثم لا علي بعد ذلك

ومما يربي عليه الشيخ اصحابه كثرة تعظيم كل من انتسب الى الله من الاحياء ومن الاموات وعدم ازدرائهم واستحقار مقاماتهم، ولهذا كان زوارا للاحياء والاموات في سياحاته دائما، فلا يمر برجل صالح ولا بضريح صالح الا زاره، سمعت سيدي مولودا يقول، انني لاعجب دائما من الشيخ كيف كان مع علو كعبه ومع ما اعطاه الله لا يزال يستزيد بالتوجه التام الى اضرحة الصالحين فيجلس دائما بتادب، ويطيل جلوسه وقد رأيته يوما وقد نزلنا معه في مشهد ابن ساسي بجوار مراكش جلس في مقابلة قبره ما شاء الله فكان يلاقي كل من يجيء اليه ويصرفه عنه ثم يرجع الى حاله وهكذا ديدنه مع اضرحة الصالحين ، فكانما كان يناجيهم في قبورهم او يناجونه .

كذلك لم يكن يمر بصالح يذكر في الاحياء الا زاره ان كان من الصادقين،وقد يتوجه بكل اصحابه اليه فقد توجه بهم اجمعين الى ملاقاة الشيخ ماء العينين بتزنيت فحصل بينهما لقي عجيب، ثم قال بعد ذلك اللقي الشيخ ماء العينين رضي الله عنه مقالته المشهورة : ان لهذا الشيخ روحانية قوية خارقة، لو اطلع عليها الناس لما تبعنا احد، وكان كذلك يزور من يظهرون بمراكش ان كان فيها فقد حدثني ابو الاسعاد الفاسي ان الشيخ الالغي كان زار اخاه الشيخ لما اتى به المولى عبد العزيز الى مراكش ولا يزال الى الان حيا في مراكش شيخ ذو شهرة ذهب اليه الشيخ فاختبأ منه ، ثم احتال عليه الشيخ حتى لاقاه فكان ذلك السيد يقول بعد ، لم ار من يجرؤ بحاله ولا يخاف على سره مثل سيدي الحاج علي وانه لا بد من الاسود وانما قال المذكور ذلك لانه ممن يخافون ان يغيض مما عنده ان

لاقى احد الرجال الكبار فيستولى على ما عنده (1) وبهذا يعرف مقام الشيخ ومقام ذلك السيد الذي له اليوم شهرة دائمة وهو سوسي الاصل وهو على غير طريقة الشيخ الالغي .

ويشبه هذه الحكاية ما وقع بين الشيخ التاموديزتي وبين سيدي محمد التيلضي الحاحي فقد كان الاول يزوه دائما فقال له الاخر يوما اتعتني بزيارتي مع انك درقاوي وانا تيجاني فقال له التاموديزتي لا نطلب نحن الا الفضة الصافية كيفما كان الطابع الذي عليها فمن هنا تعرف مكانة الرجلين، وقد اشتهر مشائخ الدرقاويين السوسيين بعدم التحيز عن غيرهم وان كان غيرهم ينفرون منهم دائما الا ما كان من الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني واتباعه فانهم برآء من هذه الحالة المشنوءة وهذا الفرع التيجاني هو السائد على جزولة في عهد الشيخ فانتفى النفور بين الطريقتين وسادت اخوة الاسلام بين الجميع كما ينبغي فالازهار الوان والماء الذي يسقيها واحد

كان الشيخ يربي اصحابه على الاشتغال بأنفسهم فلا يفرق صالح ولا طالح بينهم وبين ربهم، وليسلموا لجميع عباد الله وليقبلوا علي المراد منهم وما عهد منه قط ان ذكر لاصحابه غيرهم من اهل الطرق الاخرى ولم تكن له فلتة قط من ذلك بل كان الشيخ ازم الناس لسانه فلم تذكر عنه ادنى كلمة في عرض غيره وقد سمعت سيدي سعيدا التناني يقول لم ار ولم اسمع من صان لسانه في الوقيعة في الناس صونا ابديا مستمرا الا الشيخ فقد لازمناه حضرا وسفرا، وعجمنا عوده في الفرح والغضب فكان اكبر كرامة رأيناها منه صون لسانه فلا احسب ان الملائكة كتبت عنه غيبة قط فلم يكن يذكر اقرانه ولا غيرهم لا من العلماء ولا من رؤساء الطرق ولا الاعادي الذين لا يزالون يمضغون الزاوية واهلها ويجعلون ذلك هجيراهم وديدنهم في جميع المجالس الا بخير ان عن ذكرهم.

على ذلك ربى الشيخ اصحابه بحاله ومقاله فراينا منهم تسامحا غريبا وابتعادا عما يعهد من اصحاب المشايخ الاخرين، ولعمرى انه لو لم يكن لهم الا هذا الخلق لكفى

والحاصل فيما يتعلق بتربية الشيخ لاصحابه أنه كان يعتني بكل واحد واحد منهم تعليما وتهذيبا وترقية للمدارك وتصفية للنفس وجلاء للقلب وتصفية لمرآة الذهن وامعانا في تمكين جذور الاخلاص فى اعمالهم لا يزال يحرص على ذلك اتم الحرص ولم يكن يتكل في غالب اصول ذلك الا على نفسه وعلى عمل يده لا على معاونين من كبار اصحابه ولذلك كان يتولى بنفسه مسألة كل واحد واحد منهم على حدة فى كل وقت ليدرك اين بلغ ويمده بفضل الله بما يحتاج اليه من علم وعمل، كما انه كان لا يغادر السؤال عن اي منتسب اليه متى رجع فقير من سياحة من جهة من الجهات عرف الشيخ بذلك كله ولما له من الفراسة التامة والالمعية التي خصه الله بها، كان يندب كل واحد الى الناحية التى ينتج فيها، فهذا

1) هو الشيخ النظيفي رحمه الله .

للعبادة فقط وذاك للخدمة فقط وهذا للعلم وذاك للعمل وهذا للامانة وذاك للبريد بينه وبين الفقرا‌ء فتبين من كل واحد النتيجة الباهرة من الناحية التي وجهه الشيخ اليها

حكي لي ان الشيخ بعث سيدي الحاج محمد بن عدي الواعظ في مبدإ امره سارحا لثيران الزاوية في وادي نون، فقال له جليس معه من اصحاب سيدي سعيد بن همو اليس انه يليق بهذا الفقير المبتدي‌ء ملازمة الفقرا‌ء حتى يتعلم العقيدة ، ومبادي‌ء ما يراد منه . فأطرق الشيخ هنيهة ثم رفع رأسه فقال : لم يظهر لي الان مكان يليق به الا هذا ، ثم بعثه فوقعت له كرامة سنذكرها فيما ياتي، فنال بها ما نال، فلم ينشب ان كان من الافذاذ.

وحكى لي سيدي محمد الزكري انه كان مع الشيخ اول 1305 ه في مفتتح انقطاعه الى الشيخ ، قال فكان بعض اصحاب سيدي سعيد يرونني مجدا في الذكر، الا ان الشيخ كان يامرني بمزاولة خدمة بهائم الفقرا‌ء، فقال احدهم بمثل هذا ننكر على سيدي علي ابن احمد ، فقد عمد الى فقير ذاكر فشغله في الحمر، فقال له آخر لا يليق لهذا المقام غيره ، لانه لاتشغله الخدمة على الذكر، فيذكر لسانه وقلبه وهو يربط الحمر، ثم لم يزل الزكري في الخدمة كل حياته مع الشيخ وبعده، فظهر له مقام عظيم تتذبذب دونه مقامات الفحول ولا يزال الى الان على حاله العجيب مع ملازمته لهذه الخدمة .

والشيخ المربي هو الذي يربي كل واحد على ناحية ، ولا يجعل الناس سواسية . فيربي الغني في غناه ، والفقير في فقره ، والرئيس في رياسته ، والمدرس في تدريسه . والا فإن كان لا يعرف الا لونا واحدا من التربية فانه ليس من اهل التربية الافذاذ .

ومما يربي عليه ايضا اصحابه ويواخذهم به مواخذة دائما بأقواله ، كما يربيهم عليه بأفعاله واحواله ، الاعتقاد الجازم بان الفاعل حقيقة ومجازا هو الله تعالى، فهو بنفسه لم يكن ينسب لنفسه اي فعل خارق للعادة ، بل يقول ان الله هو فاعل ذلك بنا ، او يقول ان الله استنهض الهمة ، او ما اشبه ذلك، وكلما طلب منه فعل شي‌ء يتعلق بالغيب كالاولاد ، او رجوع غائب او الوقوع على ضالة، يقول اننا نطلب من الله ذلك ، ونضرع اليه، وكذلك لم يكن يالف لسانه عند الاستغاثة الا الاستغاثة بالله ، ولم يسمع منه قط انه استغاث بشيخه المعدري ولا بغيره، اشتهر بهذا كل الاشتهار، ولهذا تربى اصحابه على هذا النمط ، فلم يكن يصدر عن السنتهم عند العثرات الا الاستغاثة بالله دائما، ومتى راى احدهم يستغيث باسمه او باسم غيره من الاوليا‌ء ينهره، فقد حكى لي الاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي انه كان مرة مع الشيخ من ايت باها الى سيدي ابي السحاب في قبيلة ماسكينة والشيخ على بغلة وقد اردف ورا‌ءه احد اصحابه، والفقرا‌ء كثيرون منتشرون، فعثرت البغلة بالشيخ وبرفيقه، فاستغاث الرفيق باسم الشيخ ، فنهره الشيخ وامره بالنزول، وقال له ادلك على الله وتريد انت ان تجعلني الاهك، اتعثر البهيمة بشيخك نفسه، وتريد ان ينفعك فيما لم ينفع به نفسه ؟ ووقع مثل ذلك للشيخ سيدي ابراهيم بن صالح التازروالتي فقد رافق الشيخ يوما وهو على بغلة

تعثرت به بغلته فاستغاث بسيدي احمد بن موسى جده على عادة اهله، فقال له الشيخ ، احمد ابن موسى هو الذي ادلك عليه ام الله الذي خلقك وخلق احمد بن موسى (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره) وانما الذي عرف عن الشيخ واصحابه ما هو توسل الى الله بالاولياء حضورا او غيبة، فقد ذكر ان من استحضره هو من اصحابه وهو في شدة وتوجه به الى الله، فإنه يرى الفرج قريبا، وكذلك ذكر مثل ذلك في الذي يتوقف على سؤاله عن مشكل، فانه يستحضر ذاته بقلبه بعد صلاة ركعتين، فيسأله ، فانه يجد الجواب في قلبه في الحين، ولم يكن يحتاج الى المناداة باسمه ، وقد وقع لسيدي الحاج الحسن التيملي انه لاقى انسانا ينتسب الى مولاي عبد القادر ، فوقف على حجر ينادي باسم مولاي عبد القادر ، ثم قال لسيدي الحاج الحسن بماذا فاق شيخكم سيدي الحاج علي مولاي عبد القادر وانتم تذكرون انه اعلى منه مقاما، فقال له، انك لاتجاب من مولاي عبد القادر الا بالنداء، وشيخنا يجيب بلا نداء ان توسلت به الى الله في حاجة بقلبك .

اقول، هناك فرق عظيم بين الاستغاثة وبين التوسل، فان في التوسل مندوحة للاختلاف الموجود فيه بين العلماء الذين الفوا في الموضوع، وممن ذهب الى جوازه بغير عمل الانسان ، الحافظ الشوكاني وابن السبكي وكل الصوفية، بخلاف الاستغاثة التي لم تؤول الى معنى يجعلها كالتوسل فان جميع ما في القرآن والحديث يردها ، والله اعلم ، وايا كان فلم يعرف عن الشيخ وعن اصحابه الاستهتار بأسماء الاولياء في عثراتهم، كما هو معهود عند غيرهم،بل لايتجاوزون اسماء الله تعالى، وتلك لعمري منقبة لهم خالدة تكفيهم بين المناقب الكثيرة التي لهم (ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض، االه مع الله قليلا ما تذكرون).

ومما يربي ايضا عليه اصحابه عدم المماراة بالطرق، وكان يقول دائما ان الطرق الى الله بعدد انفاس المخلوقات ويربي كل شيخ على حسب ما عنده اصحابه، وقد سئل مرة اي الطرق الصوفية التي تروج اليوم افضل ؟ فقال اذا كان الفقير يقوم بالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج ويتقي الله في امتثال اوامره وفي اجتناب نواهيه ، فانه يربح في اي طريق تلقنها ان لاقى فيها من يأخذ بيده، والسر في الاشياخ لا في الاذكار، ولما للشيخ من الفراسة التامة لم يكن يحرص على تربية كل من يلاقيه التربية الصوفية الا اذا تراءى له منه الاستعداد لذلك، والا فانه لا يجاريه في ذلك الا بقدر النصح العام الذي ذكرنا انه كان يقوم به لكل من يلاقيه ايا كان وقد يلقنه ذكرا ولكنه لا يعتني بتربيته لما يتفرس فيه من انه ليس له في يده شيء، قال الحاتمي، لا يصلح للتربية من المشائخ الكاملين الا من عنده هذه الفراسة التامة الخاصة النافذة فيعرف من اول نظرة استعداد جليسه وكيف يتربى واي طريق تصلح له، وهذا المقام صح للشيخ الالغي وقد كان ربما يتلاقى مع انسان دائما، فلا يفاتحه في الذي يتصدر له من تلقين ورده حتى انه ليتعجب من يعرف منه ذلك الحرص

حين يراه يعرض عن مفاتحته في ذلك وقد كان الاستاذ سيدي علي بن الله يقول دائما، ما رأيت انصح من الشيخ فانه ما عرض علي قط الانخراط في طريقته بل هو الذي امرني ان اتلقن الطريقة الاحمدية في مراكش عن بعض المقدمين فيها يوم نقلنا الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الى الغ وقد قال له مرة مجاطي لماذا ياسيدي لا تعتني بنشر الطريقة في مجاط مع اعتنائك بنشرها في غيرها لعلهم يذوقون من هذا الخير الذي يذوقه الناس من يدك فقال له اننا تركنا مجاط لسيدي ابراهيم بن صالح التازاروالتي ثم بعد تصدر هذا بعد وفاة الشيخ بكثير، انثال اليه المجاطيون، فعد اصحابه هناك سنة 1356 هـ بنحو 1800 مريدا، حدثني بذلك سيدي بلعيد الصوابي عن الشيخ، وكثيرا ما يقول الشيخ ان وردنا الذي ينتفع به الناس من تلقن منا ومن لم يتلقن، انما هو المحبة، فكل من احب ما نحن فيه من الدلالة على الله فانه من اصحابنا وان لم يأخذ وردنا - او كما قال -

ومما يربي عليه الشيخ اصحابه جهلهم لتلك الالفاظ الطنانة التي يولع بها المتفقرة في الحواضر في مجالس مذاكراتهم كالفرق والجمع والقبض والبسط وما اليها كما في نحو الرسالة القشيرية، فان الشيخ يحب ان تتكيف احوال اصحابه بذلك لا السنتهم سمعت سيدي سعيدا التناني يقول امرني الشيخ لما خلفني على اصحابه بمراكش ان لا اجاذب فقراء زوايا اهل الحضر في اقوالهم التي ذلقوا فيها، وقال استنهضوهم بالحال واما المقال فان السنتهم اذلق واحد وعباراتهم اكثر طنطنة وجعجعة ولهذا تجد كبار اصحاب الشيخ يجهلون تلك المقالات مع ان الشيخ اذا كان بين متفقرة الحواضر يجاريهم في ذلك فيكون كأحدهم وانما يزوي الشيخ اصحابه عن ذلك لئلا يغتروا كما يغتر الاخرون فتراهم في حين طقطقتهم بتلك المقالات علماء صوفية مدققين في الدقائق الا ان نفوسهم لا تزال كنفوس العامة تعاظما وزهوا فلا يقدر احدهم ان يخالف نفسه في شربة ماء فضلا عن ان يهيب نفسه وماله لله

وكان الشيخ يمنع اصحابه من مطالعة كتاب (المنن) للشعراني (والذهب الابريز) (والمدخل) فأما الاول فانه يورث الزهو بالمقامات والاحوال، واما الثاني فانه يعد به الفقير الاطلاع على الغيب من اكبر المقامات ، واما الثالث فانه يفتح للفقير وضع الميزان على اعمال الناس سنة وبدعة ، والشيخ لم يحب لاصحابه كل ذلك ، لان مسلكه في تربيته لهم يخالف كل ما تدل عليه تلك الكتب ، ولكل شيخ نظر خاص فيما يربي عليه اصحابه . ولم يكن يربي فيهم الا المعرفة بالله، والعبودية المحضة، والعبادة الى ان ياتيهم اليقين ، هذا ولم يكن الشيخ يذاكر بالفتوحات والفصوص والانسان الكامل وامثالها بين اصحابه وان كان يملكها ، ولم يكن ينحو الى ما فيها ، فسلموا من اعتقاد بعض ما يذكر فيها من الاتحاد ووحدة الوجود ، فطهرت السنتهم من الخوض فيها .

هذه نظرات حول تربية الشيخ ارجو ان تفي بما له في ذلك من التدقيق والاحتياط وسمو المدارك، فرحمه الله ورضي عنه.ثم إنني لاأزال أكرر أنني أكتب كل ما اكتب للتاريخ عن أناس صاحبوا الشيخ ولا مقصود عندي إلا أن أجمع ما هنالك سواء ادركت معناه او سلمت فيه لاصحابه انظارهم الخاصة .

الفصل الرابع والعشرون فى بعض مقالات الشيخ التى تجري منه فى اثناء مجالسه

اعلم ان لسان الشيخ كان غواصا في بحر المعاني ، فكان يملأ كل مذاكراته بمقالات لو جمعت كلها او جلها لكان لها مقام عظيم بين مقالات الصوفية الكبار، فقلما تلقى أحد اصحابه الا وتسمعه يذكر من اقوال الشيخ الكثير الطيب، ولو كانت جمعت كلها وحررت للخلف، لنفعت الخلف كما نفعت السلف، ولم يكونوا يميلون الى جمعها ، مع ان الشيخ كان اشار بذلك على سيدي محمد بن مسعود، فجمع قليلا مما سمعه عنه، على أنه لم يكن اولى بجمع ذلك الا مثل سعيد التناني صاحب العقل العقول لكثرة مصاحبته للشيخ ، ولم يكن ينسى من كل ما كان يقول شيئا، الا انه لم يكن معتنيا الا بجمع رسائل من رسائله، وقد كانت مقالات الشيخ تصدر منه بحسب المقام، فكانت كلها حكما ، وقد ذهب غالبها ، وقد حرصت من سنوات ان اقيد ما اتصل الي منها في كناش، ثم ضاع مني، فراجعت التقييد في رمضان 1363 هـ فأخذت عن الثقة سيدي مواود ما سمعه من الشيخ بأذنه ، او أخذه عن ثقات الفقراء الذين عاشروا الشيخ قبله، فضممت ذلك الى ما ذكره سيدي محمد بن مسعود المعدري، والى ما كنت حفظته عن غيرهما، فحررت ذلك مع سيدي مولود ، فتكون من الجميع زهاء مائة ونيف وخمسين مقالة، نعا كها كما كنا قيدناها بلا ترتيب بحسب ما تدل عليه، واتمنى لو تيسر لي ان اجمع منها مجموعة على حدة، لينتفع بها الاخوان، والله ييسر ولا يعسر ، وكلام الشيخ بالشلحة، ونحن نترجمه بالمعنى الى العربية الفصحى مع التبيين والايضاح :

1) قال رضي الله عنه :

ان الحياة الدنيا لم يخلقها الله الا للشغل، فأولى ما يشتغل به الفقير، ما يعود عليه نفعه وتطيب عاقبته، ولا يجتمع هذان الا في الاشتغال بالله، ولذلك لا ينفعك الا من يدلك على الله لا على غيره.

2) وقال ايضا رضي الله عنه :

ليست الصعوبة في الضالين بين الظلمات، وانما الصعوبة كل الصعوبة في الذين يضلون في الانوار، فمن ضل في الظلمة فقد يهتدي بالنور، واما من ضل في النور فبماذا يهتدي بعد؟

3) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان التقى اهل الخير في مكان الخير في وقت الخير، فلا بد بفضل الله ان يكون الخير، لان ذلك امارة وجود الخير، ولكل شيء امارة.

4) وقال ايضا رضي الله عنه :

لايتم كمال ولي من الاولياء حتى يشهد له بالكمال وبالخصوصية الكافة والعامة ، واما

شهادة الخاصة فقط فلا تدل على كماله، يعني لا يتم كماله حتى يعلنه الله على ألسنة العامة اي غالبهم وا كثرهم ، وألسنة الخلق اقلام الحق ، انتم شهدا" الله في ارضه .

5) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يكمل العارف بالله حتى ينظر الى العامة بعين الكمال، ويراهم مظهرا عظيما من مظاهر ارادة الربوبية ، وما دام الفقير يستحقر امر العامة ولا يراهم شيئا، فإنه لا يزال ناقصا وبينه وبين المدى المطلوب مسافات بعيدة ، فليذكر ربه حتى يتجلى له هذا المقام ، وينكشف له المقصود بهذا الكلام .

6) وقال ايضا رضي الله عنه :

في المكان الذي يربح فيه الرابحون ، يخسر كذلك الخاسرون ، ولا ينشأ الربح ولا الخسران الا من محل واحد، فلا يظن ان مكان الربح العظيم ليس مكان الخسر العظيم، بل منبعهما معا متحد اتحاد الشي" الواحد، فبين اهل الله المعرفة التامة بالله، وبينهم ايضا ينشأ للمغبون المحروم الجهل الكثيف بالله ان لم يرد الله به خيرا، ففي عالم الجنة صار ابليس من المطرودين، كما صار آدم فيه من المحبوبين، وقد قال تعالى (يا نسا" النبي لستن كأحد من النسا" ان اتقين) الى ان قال (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين) وقال في عكس هذا (يا نسا" النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) كان الحال كذلك مع ان الحضرة النبوية واحدة .

7) وقال ايضا رضي الله عنه :

بقدر علو الهمة يدرك الفقير ، فلا يقولن فقير في نفسه تواضعا انه لا يليق لمقامة من المقامات وان علت ، فان الفقير ما تصدر بالسير والسلوك الا ليكون مقامه في معرفة الله اعلى من مقامات سيدي احمد بن موسى، ومولاي عبد القادر الجيلالى ، فالله يعطي العبد على قدر همته، فمن كان اعلى همة كان اعلى مقاما ، والله المعطي هو هو لم يتغير، ويده سحا" لا تغيض أبدا ، وهو عند ظن عبده به .

8) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يمكن ان ينال الفقير ادنى شي" الا بالعزيمة التامة ، فمن يتململ ويتردد ولا يصمد بنيته الى المقصود ، ولا يحرر مرامه بين الفقرا" ، فانه لا ينال شيئا ، ولا يحصل على نقير ثم ينشد قول الشلحي :

أبو سوسو أركيمر تـل متعنين

اي ان من كان ديدنه التردد ، ويقول لا ادري هل ادرك هذا ؟ ويشك في ادراكه ولا يعزم ولا ينهض بالهمة الى ادراكه ، لا يدرك المعالي ولا المراتب التى تمتنع عن امثاله

9) وقال ايضا رضي الله عنه :

ليس هناك الا فضل الله الذي يوتيه من يشا" ، فليحسن الفقير ظنه بربه ، فان الله

عند ظن عبده به ، فليظن به ما شاء ، فحسن الخاتمة التي تهم العارفين، ليس في يد الفقير امامها الا الالتجاء الى ربه وحده ، قال ذلك لسيدي ابراهيم بن صالح التازاروالتى ، وقد راجعه بعد مذاكرة حول الخاتمة ، لان الشيخ كان ذاكر الفقراء فيها، وحكى لهم حكايات مشايخ ختم عليهم بعد نيل مقامات التربية بسوء الخاتمة (والعياذ بالله) لئلا يجد الغرور اليهم سبيلا ، فلا يغترون باذواق ولا بعبادة ولا بحال (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) والمرء قد يعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها كما في الحديث .

10) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل شيء كيفما كان، يمكن ان يمل منه الفقير حتى يمل من ذكر الله ، ولكنه على كل حال يجب عليه ان لا يزال عاضا بالنواجذ على الشريعة ، فيلازم منهاجها لا يحيد عنها قيد شبر وان بلغ به الملل ما بلغ، فان الشريعة رأس مال الفقير، والشريعة تجتمع جذورها في القيام بفرائض الدين المعلومة عند كل احد .

11) وقال ايضا رضي الله عنه :

الصغائر والكبائر امام جناب عظمة الله تعالى سواء، وانما تعتبر الصغائر والكبائر عندنا نحن، واما عند الله، فان من يهفو أقل صغيرة في جانبه يكون حاله عنده كمن يجترح الكبيرة، فلا يقولن فقير هذه صغيرة فيسهل عليه ارتكابها، فان عظمة الله وكبرياءه وجلاله تعظم بقدرها الصغائر ، فادنى سوء ادب مع الملك يوازي سوء الادب العظيم مع عبد من عبيد الملك ، فليفهم المريد المقصود ، وما هو الا ان لا يزال يرفع جانب ربه بالتعظيم الدائم ويقدره حق قدره العظيم .

12) وقال ايضا رضي الله عنه :

الواجب على الفقير ان يقبل على الذكر اقبالا كليا ممعنا كل الاقبال ، حتى يمتزج الذكر بانفاسه طلوعا وهبوطا ، بشعوره او بلا شعوره ، قال الحاكي للمقالة ، قد شاهدت الشيخ لا يزال يشتغل بذكر الاسم (الله) مدأ مع كونه يحادث جليسه ، وذلك منه خفية فكأن هذا الامتزاج الذي حصل للشيخ بين انفاسه وذكره، هو الذي يحب ان يحصل لكل اصحابه.

13) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يحرص الفقير ان يسلم الناس كلهم لشيخه ، ولكنه يجتهد وحده ، فان من وقع على كنز فانه يستخفي من الناس حتى يحوزه ، ولا ينادي الناس معلنا .

14) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يحصر المريد شيخه في مقام من المقامات ، بل يتركه مطلقا بلا تقييد ، يعني ان المقامات ليس لكل واحدة منها مستقر ثابت دائما للمشايخ الذين يزدادون كل حين ترقيا فقد يوصفون بمقام في لحظة ، ولكنهم في اللحظة التالية ينتقلون الى مقام آخر اعلى ، او

لعله يعني ان المريد لا يجب عليه الا ان يكبر مقام شيخه ، ولكنه لا يؤديه ذلك الى ان يقول فيه القطب او الغوث مثلا ، لان ذلك غيب لا يطلع عليه الا الله . فيكون الشيخ حذر من ان يعرف المريد بما لا يعرف ، فيقع في الكذب، واما اكبار مقام الشيخ في عين المريد فهذا لابد منه ، لانه لا يحصل له من الشيخ شيء الا بذلك ، والله اعلم .

15) وقال ايضا رضي الله عنه :

يمكن ان يكون لزوجة زوجان اثنان في حين واحد ، ولا يمكن ان يكون للمريد في حال السير والسلوك شيخان فان سر التربية من الاشياخ لا يمكن ان يحصل الا للفقير الذي يفرد له شيخا واحدا ، لا يشرك معه غيره من المشايخ الاخرين (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فروح التوحيد سار في كل اكوان الله تعالى (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

16) وقال ايضا رضي الله عنه :

ليس هناك الا الزيادة ، فالفترات التي تعترى المريد ما دام متوجها بهمته ليست نقصانا بل هي زيادة ، وقد يكون النقصان في جهة العمل وتكون الزيادة في جهة الفكر وقد تكون الفترة سببا لاستجماع الهمة لوثبة ربانية اخرى يستدرك بها اكثر مما كان يحصل لو دام على سيره الاول .

17) وقال ايضا رضي الله عنه :

من زل ثم بادر الى التوبة فذلك دليل على صدقه ولو كان يعثر مائة مرة ان كان لا يصر فله اجر المجاهد الذي لا يزال مرابطا ، لانه لا يزال في العراك مع نفسه فمن يكبو به فرسه في الميدان ولم تدسه الخيل ثم بادر وقام فكأنه لم يسقط ، وانما ازداد فروسية بما وقع له .

18) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا ينتقض الورد الا متى نفض المريد يده من شيخه نفض الاعراض التام، ولم يره بعد في عينه من اهل الله الدالين على الله، الصادقين في الله واما من ترك الورد فانما يجب عليه ان يقضيه او يراجعه على الاقل تائبا .

19) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يليق بالفقير اذا ساقته الاقدار الى ديار الجبابرة من القواد والسلاطين وأهل الدنيا المغمورين بالغفلة الكثيفة، الا ان يجمع همته في ذكر ربه، من حين يدخل حتى يخرج ، فانه ان فعل ذلك ربما يخرج سالما، والسعيد من خرج منها كفافا لا عليه ولا له، فان اصاب الفقير مشقة حين يجمع همته في وسط تلك الغفلة الكثيفة، فان ذلك حظه من عذاب جهنم، ومن نسى ربه في جهنم يكون من الهالكين، فقد اجمع الصوفية وارباب القلوب على ان وجود الفقير في تلك الامكنة ان ساقته اليها الاقدار هو حظه من عذاب النار (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) فليتشبث الفقير بربه ليكون من الناجين من العذاب.

20) وقال ايضا رضي الله عنه :

ليس في الوجود اتعب ولا اكثر عناء ممن يزاول العباد، ويربيهم ويهذبهم ، هذا ان صلحوا فكيف بهم ان كانوا غير صالحين .

21) وقال ايضا رضي الله عنه :

هذا المعنى الذي نزاوله اليوم بأيدينا في بلادنا هذه كان عهده بسوس من زمان سيدي احمد بن موسى ، وما اكثر الاولياء والصالحين، واهل الخير والارشاد في سوس من ذلك العهد ، ولكن هذا المعنى معنى خاص، وليس كل معنى معنى خاصا ، فان المعرفة بالله التي في ايدي العارفين معنى آخر غير ما هو معهود في ايدي كثيرين من الاولياء المرشدين الى الخير والدين، فان للمعرفة بالله شأنا اجل واعظم واكبر، لا يقاس به غيرها من الخير الذي يظهر على ايدي كثيرين من الاولياء والصالحين، من عهد سيدي احمد ابن موسى الى الان في سوسنا هذا .

22) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يتم علم في سوس ولا ولاية الا لمن كان يختلف ما شاء الله الى الغرب ، يعني الى مراكش فما وراءها .

23) وقال ايضا رضي الله عنه :

لولا الموت المنتظر وان امره محقق بلا ريب، لانفطرت افئدة العارفين بالله من هذه الدار، ولذابوا شوقا الى لقاء الله تعالى ، والى النظر في وجهه الكريم.

24) وقال ايضا رضي الله عنه :

اقرب ما يشاهد فيه العبد ربه، ويبدو له فيه الحق راي عيان، ما كان اقرب اليه تناسبا، فلهذا امر الله بتعظيم الكعبة والمساجد والانبياء وائمة الدين ، لان هذه مخلوقات يتجلى فيها من الله ما يحب ان يتجلى لعباده منه ، وهذا ايضا حكمة بعث الرسل من الانبياء لا من الملائكة، فليعرف المريد ربه من جهة شيخه اولا ، ثم لا يزال شيخه يترقى به حتى يصل به الى حضرة القدس حتى لا يشاهد الا الله وحده (وان الى ربك المنتهى).

25) وقال أيضا رضي الله عنه :

من اطلع بغتة من فوق جبل على دار السلطان، فأول ما يتذكره هو السلطان نفسه، مثل ذلك مثل كل المخلوقات بالنسبة الى الله تعالى، فمن عرف ربه يعرفه في كل شيء ويذكره له كل ما يراه مما تقع عليه حواسه ، وهذا رمز ما يقولون من معرفة الله في الجبال والسماوات والارضين والاحجار والاشجار وفي كل شيء، فالله تعالى مباين لمخلوقاته، ولكنها دالة على وجوده الحقيقي اتم دلالة، وان كان وجود الله تعالى لو فنيت اكوانه كلها هو عين وجوده في حالة بقائها .

26) وقال ايضا رضي الله عنه :

الادب التام ظاهرا وباطنا اصل هذا الشأن، وأس هذه الطريقة، وروح السير والسلوك، فلابد للفقير ان يراعي من الادب ما يدعو اليه كل وقت وقت، فهذا هو السبب حتى ابى سيدنا ابوبكر رضى الله عنه من ان يتم الصلاة امام النبي صلى الله عليه وسلم مع انه امره بذلك، فقدم الادب على الامتثال، ومثل ذلك وقع ايضا لسيدنا علي حين أمره النبي صلى الله عليه وسلم بمحو اسمه في كتاب يوما، لان كفار قريش تطلبوا منه ذلك فأبى تأدبا، وكل فقير يتخطى الادب ظاهرا وباطنا مع ربه او مع شيخه، فقد تعرض للهلاك، وخصوصا ان غلب على شيخه البسط، فيغتر فيهلك في الهالكين. ومن سوء الادب مع الشيخ امتحانه بتطلب الكرامة، وبعيد ان يسلم من فعل ذلك الابحفظ من الله، لان خرق العادة بيد الله لابيد مخلوق ، ولا نقصان في المخلوق العاجز عن مثل ذلك .

27) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير يجب عليه ان يذكر ربه ذكرا دائما ، حتى يرتوي بالذكر، فيكون مثل زند البندقية، فإنه يرى دائما بالشرر حتى قدحته، ولو كان بقي في الطين المبتل ازمانا ، فالقلب الذي يرق بذكر الله، لا يغلط بغفلة عرضت له، كما لا يصدأ بزلة فرطت منه عن قدر سابق في الكتاب، فالفقير الذي اقبل بكليته على الذكر حتى دبغ به ، فانه سرعان ما ينفض عنه غبار الغفلة، وذلة المعصية التي ساقه اليها القدر غلبة ونفوذا لما في الازل، وانما الذي يميت القلب هو الغفلة الدائمة، والمعاصي المتراكمة (نعوذ بالله) ونفض اليد من اهل الله نفض الاعراض التام .

28) وقال ايضا رضي الله عنه :

يحصل في التجليات التي تقع للفقير اتحاد بكل ما ينظر اليه ، فربما يجول بفكره في شيء فينظره عين ذاته، وما ذلك الا ان حضرة الشيخ تنجذب الى نفسه بفكره، فيراها عين نفسه ، فيرى مثلا الكرسي عين نفسه متى فكر في كرسي الرحمان، وقد يرى عين الحق جل جلاله عين نفسه متى فني في حضرة الحق، وذلك مما يتعرض للمريد في مقام من مقامات سيره وسلوكه، فليذكر ربه بهمة حتى يفنى الله نفسه في حضرته تعالى، ثم يبقيه في نفسه فيجمع بين الفناء والبقاء في حين واحد فيكون كاملا، ومتى وصل ذلك فإنه لاتلتبس له الاشياء في التجليات، بل يرى كل شيء ازاء شيء آخر كبحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، ولهذا لا يصح السير الا لمريد يقتدي بشيخ من كمل المشائخ حي يقيه طرق المهالك بتربيته، وكل صلاة لا امامة فيها فإن فضل الجماعة لا يحصل فيها .

29) وقال ايضا رضي الله عنه :

مدار طريقتنا هذه معرفة الله، فهي الاساس وهي الثمرة ، وهي المقصود في السير والسلوك ، والجوع والصمت والذكر والعزلة هذه الاربعة هي الشروط التي ينفتح بها الباب

ويزول الحجاب، وبها تتصل الارواح برب الارباب، وما حرموا الوصول، الا لتضييعهم الاصول، وكيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد ؟ (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (واذكر ربك حتى ياتيك اليقين)

30) وقال ايضا رضي الله عنه :

اجل الاذكار هو استحضار عظمة الله تعالى ومعابته ، وفخامة شأنه في كل شيء من الاشياء ، واستحضار عظمته عز وجل اقرب الطرق الى مشاهدته تعالى مشاهدة تجمع بين وصف عبودية العبد والوهية الله تبارك وتعالى ، وهي الحق التي هي الالوهية المطلقة التى تعنو لها كل وجوه العبيد .

31) وقال ايضا رضي الله عنه :

وردنا هو المحبة ، وطريقنا الى الله هو المحبة ، فمن سار الى ربه في طريق المحبة فانه ينسى كل ما كان سلف منه في عهد الغفلة في جانب مولاه، فيحسن ظنه به ، ويتلهف الى مشاهدته ، كما يتلهف العاشق الولهان الى مشاهدة محبوبه ومن سار في غير طريق المحبة ولا ينسى ما سلف له من الهفوات والمعاصي، فلا يزال يخاف فيسيء ظنه بربه ، وسوء الظن بعد التوبة ذنب آخر، فالعارفون يقابلون مريديهم بالصفح متى فاضت فيهم محبتهم ، فليفرح المريد لشيخه وليتلقه بالمحبة الفائرة وليظهر له ذلك علنا فان ذلك ادعى الى الربح التام فمن احب العارفين فهو مريدهم وان لم يذكر وردهم وما فائدة اتصال بين المريد وشيخه ان لم تغمرهما المحبة الدائمة ؟

32) وقال ايضا رضي الله عنه :

اكبر عيب في المريدين اشتغالهم بعيوبهم ونقصانهم عن الاسباب التي تغنيهم في ربهم، فليجمع الفقير همته ، وليستأنف عزيمته ثم ينسى ما تقدم فانه لولا فضل الله ما زكا احد من الناس، فلا دواء الا في الالتجاء التام اليه والفناء فيه، والله عند ظن عبده به، والمقصود ان يسير الفقير مسير المرادين المحبوبين بصورة المريدين المحبين ، بدافع المحبة والشوق لا بسوط الخوف والفزع .

33) وقال ايضا رضي الله عنه :

الغفلات للقلوب مثل الغابات للسائرين المسافرين ، فكما ان من ضل في الغابات يفقد الطريق ويعتسف ولا يجد معلما يهتدي به الا مصادفة، كذلك القلب الذي استولت عليه الغفلة فانه يظلم وتعمى بصيرته ويذهب نوره، وما لم ينره الذكر فكيف يستنير ؟ (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فجلاء الظلمة النور، وجلاء الضلال الاهتداء ، وجلاء الغفلة ذكر الله ، ولكل شيء جلاء، وجلاء القلوب ذكر الله تعالى .

34) وقال ايضا رضي عنه :

اطرح عنك العوالم واعتزل عنها ، ولا تصاحب الا من يستمد منه قلبك من اخوانك ،

حتى يصير الكون كله شيخك ، فتجتلي من الجميع نور الله عيانا ، ويمدك الكل بما يقربك من مولاك ، فلا تزال تترقى بعين شيخك الذي يسلك بك حتى تقع على كنزك الذي كان تحت جدارك ، وما ذلك الكنز الا معرفة الله التي كانت حصلت لك من عالم الذر يوم قال الله اذ اخذ من ظهورهم ذرياتهم : (ألست بربكم قالوا بلى)

35) وقال ايضا رضي الله عنه :

اهل الله الذين يقومون بهذا الشأن لا يزالون موجودين ، يقع عليهم من يريد الوصول الى ربه ، ومن يجد في البحث عنهم يجدهم .

36) وقال ايضا رضي الله عنه :

العارفون بالله الكمال تفيض عليهم الامدادات الالهية من كل جهة، ويسقون بيمين الرحمن وكلتا يديه يمين، ويستوى الفوقي والتحتي عندهم لان الله اسبل على عبوديتهم بفضله من وصفه ، والجهات كلها مستوية بل لا جهة له اصلا ، فليس كمثله شيء .

العبد عبد وان تعالى   والرب رب وان تنازل

37) وقال ايضا رضي عنه :

كم عارف عارف بالله كان بحرا من المعارف الربانية تزخر بامواجها روحه ، ولكنه في الظاهر لا يكاد يبين فيحسبه الجاهل جاهلا مثله ولو كشف له عن الواقع لرأى عجبا عجابا (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) .

38) وقال ايضا رضي الله عنه :

في تفسير هذه الاية بتفسير الاشارة ، المشكاة من قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء) الاية المشكاة هي القطب الغوث في كل عصر ، والمصباح نور الالوهية ، والزجاجة حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والشجرة المباركة حضرة الاحدية التي لا يدرك وصفها ولا يعرف كنهها ، نور على نور وهو سنا الفيضان ، يهدي الله لنوره من يشاء من عباده ، فيراه في الاكوان عيانا دون كيف ولا اين ولا زمان ولا اتحاد ولا حلول .

39) وقال ايضا رضي الله عنه :

يلقي الفقير وراء ظهره ما سوى ربه ومن السوى، اعماله التي يظن انها خالصة من كل شائبة، فهذا سيدنا ابراهيم خليل الرحمان تبرأ من القمرين اذ كانا من الافلين ، وقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) فكذلك يعد الفقير من السوى كل ما يعترضه في سيره من الاذواق والفهوم والعلوم والكشوفات والكرامات والمنامات وتخيلات الفناء وامثاله حتى يتحقق بقاءه بربه الباقي ، فكل ذلك غير ربه الذي هو المقصود. ولا بقاء الا له (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

40) وقال ايضا رضي الله عنه :

كثيرا ما يتشوف بعض المريدين الى الاطلاع على الغيب، كأن ذلك هو المقصود عند اهل هذا الشان، او كأن الله يخفف بذلك عنه الاعباء والاثقال بالتكاليف فما للمريد وللغيوب فكل ما يكون غدا فان الله يكون له (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء).

41) وقال ايضا رضي الله عنه :

للقوي دائما تاثير على الضعيف حسا ومعنى، فكما ان الذاكر القوي له تاثير في الغافل فكذلك الغافل القوي يؤثر في الذاكر الضعيف الذي لا يذكر بهمة، ولا يكون له حال دافع فلذلك يجب على الفقير ان يكون مثل المرأة، فلا يلاقي بالمحبة الفائرة وانفتاح الصدر والانشراح الظاهر والباطن الا اخوانه الذاكرين الذين يعينونه فيما هو بصدده فانه ان كان لا يحترز قد يصادف غافلا قويا من ابناء الغفلة الكثيفة، فيؤثر فيه بالنظرة فنظرة المسلوب بالدنيا تؤثر في الفقير الضعيف . كما تؤثر نظرة العارف بالله الذي كان يذكر ربه قويا في الغافل الضعيف ، وتلك سنة الله ان يغلب القوي الضعيف . (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فالكون مع الصادقين الاقوياء بالصدق من تمام التقوى .

42) وقال ايضا رضي الله عنه :

بقدر ما يحتاج اليه المريدون من اشياخهم يفاض على الشيخ في علم السير والسلوك وفي العلوم الظاهرة المتعلقة بآداب الشريعة واومرها ونواهيها ، فكلما ازداد احتياج المريدين ازداد الفيض الرباني على مشايخهم من فضل الله ، كالضرع ينبعث منه الحليب بقدر احتياج الرضيع، ولو انقطع الرضيع عن الرضاع لانقطع الحليب عن الضرع ، وكأصول الشجر فانها تمتص بعروقها من الماء تحتها بقدر ما تحتاج اليه فروعها ولو بلغت الفروع في الكثرة ما بلغت ، حتى لو ترقى المريد الى مقام هو فوق مقام شيخه ، واحتاج الى شيخه ان يمده فيه فان الله يرقى شيخه الى ذلك المقام ايضا حتى يستبصر فيه فيمدفيه تلميذه فهذا ينتفع الاشياخ بمريديهم ايضا ، ولذلك تراهم يحنون اليهم ويشتاقون الى لقائهم اشتياقا عظيما اكثر في بعض الاحيان من اشتياق مريديهم اليهم ، وما ذلك الا مما يفيضه الله عليهم من وصفه في محبته لعبيده الذين رضي عنهم اولا ثم رضوا عنه ثانيا ويحبهم ويحبونه ولولا محبة الله تعالى لعبيده لما كان منه افضال بالايجاد ثم بالامداد .

43) وقال ايضا رضي الله عنه :

من لم يأخذ سر الاخلاص عن أربابه العارفين لدقائق عيوب النفس ، المختصين غاية الاختصاص بابعاد الهوى والرياء الخفي عن الاعمال، ولم يصاحبهم ولم يتهذب بهم فانه سيجيء غدا وقد صفرت يداه من الاعمال التي بها تثقل موازين القسط يوم القيامة وبها يسلك

طريق النجاة ولكل قوم من العلوم ما يختصون به وعلم الاخلاص هو علم الصوفية الذي انفردوا به ، فانى يراه من لا يصاحبهم ؟ وان كان قد يتوهم انه قد حصل عليه

44) وقال ايضا رضي الله عنه :

العارفون بالله مؤيدون يسددهم ربهم الى الخير، فلا تطمعن ان تتخذ لك معهم ميزانا خاصا تزن به ما يصدر عنهم ، فان افعالهم تتزن بفضل الله بلا قصد كالآى التي وردت في القرآن موزونة على وفق بحور العروض فان القرآن اجل واسمى من ان يكون شعرا ولكن ذلك الاتزان وقع فيه عرضا فمن كان بالله وفي الله وعن الله فان العقل البشرى يقصر عن ادراك حاله الحقيقي ، لانه وراء مجالات العقول فلينظر المريد الصادق الى شيخه العارف بالله الكامل بجمعه للعلم الظاهر الى الباطن بهذه النظرة ليقرب اليه مقصوده وتطوى له المسافات ولا ريب ان العارف لا يكون عارفا كاملا حتى يكون جبلا راسخا في الشريعة والحقيقة يدور معهما كيفما دارتا :

اذا لم يكن علم لديه بظاهر ولاباطن فاضرب به لجج البحر

ويبين مغزى هذا ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية من هدنة كفار قريش ، فان سيدنا ابا بكر الذي له اعلى مقام بين الصحابة ، سلم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم لم ينشب غيره من الصحابة ان عرفوا حكمة ما فعله الله بنبيه الذي كان الله متولي كل اموره (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

45) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان الله اذا اراد امرا حملني من غير شعور مني على فعله او على النطق به ، والله على ما نقول وكيل .

46) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يأتي بالاخبار السيئة الا الرجل السيء فمن اراد ان ينال الشفوف في الطريقة فليلمح اخوانه في الله بل وكل عباد الله بعين الرضا فيتغافل عن المساوي وينشر عنهم المحاسن فلا يكون كالزق الذي يرشح بغير الطيب فيدل رشحه على ان ما فيه غير طيب (وكل اناء بالذي فيه يرشح) فلا ينكر الا بلسان الشريعة فقط .

47) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يقل احدكم ان الفقير سرق ، بل يقول انه احتاج الى شيء فأخذه فان المال يستوي فيه الفقراء كافة وان كان في ملك واحد منهم فلا مال مقسوم ، ولا سر مكتوم ، وهو قانون القوم في طريقهم .

48) وقال أيضا رضي الله عنه :

اعظم الناس ذنبا من يولع بكشف الستر عمن ستره الله في حال معصية، فالفقير لا

يفتح عليه حتى ينطبع على كتمان السر الذي هو من المحاسن، فكيف بالسر الذي هو لباب المساوي* ولا يزول الحجاب دون اعمال الناس الباطنة الا لمن فيه قوة على ان يجعلهم حيث يجعلهم ربهم تحت الستر الدائم، اقام الشيخ وهو يدير المذاكرة حول هذا المعنى اسبوعا متصلا، وفيه يذا كر اصحابه كلما جلس الى مجلسه، وذلك لان المتجردين طردوا فقيرا من بينهم اتهموه بشي* تهمة لا بينة عليها، فثار غضب الشيخ لذلك، فصار يقرعهم على ذلك اسبوعا متصلا، حتى قال سيدي سعيد التناني لم ينقطع ذلك من الشيخ حتى اعتزمت على انني اغطى بردائي من اجده يقع في معصية، ولا انهره خوف ان يؤدي قولي الى فضيحته وكشف الستر عنه، وفي الحديث من ستر على مومن في الدنيا ستره الله يوم القيامة، اقول يدل لهذا ما روي ان ابا بكر دخل عليه المسجد وهو يخطب في الناس رجل ثائر فتلقاه عمر فسأله عن سبب ثورته، فذكر ان ضيفا نزل عليه فوجده على منكر مع احد اهله، فلطمه عمر فقال له هلا سترت على اهلك وضيفك.

49) وقال ايضا رضي الله عنه:

الشيخ المربي كالمرضع التي تحضن ولدها، فلا تستنكف من قذارة ولدها، بل مقصود الشيخ اجل واسمى، لان المرضع تنتظر من ولدها ان يحيا هذه الحياة الدنيا، ويعرف الاكوان والشيخ ينتظر من مريديه ان يحيا الحياة الدائمة، ويعرف مكون الاكوان، فبين المقامين بون بعيد، كما ان بين الشيخ والمرضع فروقا شتى طبعا وعرفانا، فلهذا يجب ان ينسى الفقير ما تاب منه فلا يستحيين به من شيخه وان كان يعرفه قبل، فان شيخه ينساه أيضا بتوبته كما تنسى المرضع ما كانت رأته من ولدها في صغره، والتوبة تجب ما قبلها.

50) وقال ايضا رضي الله عنه:

لا تعرف منزلة الفقير في الرسوخ حتى تنتقل به الاحوال فيخالط جماعات مختلفة فان ثبت ورسخ ولم يتزلزل ولم يتحلحل ولم تفتر همته عن ربه فانه لفقير ثابت وان زلت به القدم متى فارق الجماعة التي اقلته سفينتها فانه هبا* منثور تلعب به الرياح والمصباح الذي هو المصباح هو الذي يضي* بين الرياح، لا الذي لا يضي* الا بين جدران البيوت.

سوف ترى اذا انجلى الغبار   افرس تحتك ام حمار

51) وقال ايضا رضي الله عنه:

المحبة في هذا الشأن مثلها مثل المستودع الكبير الذي يوجد في السفن ويضم كل الآلات التي يقع بها اصلاح السفينة ان وقع فيها فساد ما ويوشك ان تأتي المحبة يوم القيامة فتقيم المحب الغافل من بين زمرة الغافلين فتقول له انك لست من الغافلين لمحبتك للذاكرين وانما نظمتك القدرة معهم (والمر* مع من احب وان لم يعمل بعمله) كما تقيم ايضا محب الغافلين من بين زمرة الذاكرين لانه بمحبتهم يكون معهم والمقصود بالمحبة

المحبة الذاتية لا الوصفية ، فالذاتية هي الثابتة وان تغيرت الاوصاف والوصفية هي التي تدور مع الاوصاف فمتى زال الوصف الذي علقت به زالت المحبة ، والمحبة الذاتية هي المغناطيس التي ان قابلت قلبا من القلوب تجذبه الى قلب صاحبها ، واهل هذه المحبة هم الذين يقال فيهم اهل المحبة طاروا واهل المجاهدة ساروا (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) .

52) وقال ايضا رضي الله عنه :

تنبت عروق المحبة في المريد بسبب الذكر فبالذكر تنبع محبة الشيخ من قلب المريد وبه تنبع محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه تنبع محبة الله التي هي المقصود ، وسبحان من جعل ذكر الله منبعا لجميعها . ولا تطمئن القلوب الا به (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

53) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يغتر الفقير من نفسه بالانقياد الى الطاعة فيفتر عن مجاهدتها ورياضتها فان للنفس دسائس عجيبة غريبة وكل من اطلع عليها لا يأمن ابدا من نفسه فلا يزال يراعيها ويكبحها ويجاهد فيها ، وناهيك بشيء جعل الجهاد فيه هو الجهاد الاكبر :

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

ولا دواء الا في الالتجاء الى الله والفناء فيه دائما بلا فتور حتى يفنى الفقير في ربه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها فتتزن حينئذ افعاله بالله من غير قصد ، وتتكيف نفسه لطاعة الله من غير مشقة ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنته كما في رواية من الحديث .

54) وقال ايضا رضي الله عنه .

ما كان قليلا في جانب غير الله لا يكون قليلا في جانب الله العظيم فان جانب الله متصف بالعظمة التي لا تتناهى فكذلك كل ما اليه فكل ما فعلته في جانب الله فانه لا يكون قليلا وان كان قليلا في غير ذلك المقام فالساعة التي تقضيها فى التوجه الى الله ولو كانت قليلة لا تعد قليلة فالساعة مع الغني تغني ، وكذلك نعمه فهي كلها عظيمة :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

فلا يستقلن الفقير كل ما فعله في جانب ربه من كل شيء من صدقة او طاعة او مراقبة، فالبذرة التي قد تكون على قدر الذرة قد تعود سرحة عظيمة ، يقيل تحتها مئات من الناس (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم) والانفاق يكون بالمال وبالنفس وبالوقت وبكل شيء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) اتقوا النار ولو بشق تمرة ردوا السائل ولو بظلف محرق .

55) وقال أيضا رضي الله عنه :

المريد الصادق هو الذي لا يزال كمن يمد بندقيته الى الهدف، فلا تزايل عينه ممر النظر المستقيم من البندقية الى الهدف ، فلا يزالن دائما مثابرا على المجاهدة والمراقبة لربه، ويزداد بالقرب اشتياقا الى قرب آخر، فلا يغترن بما يراه من انوار الذكر التي تعترض المجاهدة، فضلا عن فتح يقع له، فهذا سيد المرسلين يقول وقد تهجد حتى ورمت قدماه، افلا اكون عبدا شكورا (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ومن فتر زاعما انه مفتوح عليه فقد سقط في الهوة.

56) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان الشيوخ المربين الكمال لا يزالون يربون من تعلق بهم وان فرق الموت بينهم ، فان مات مريد قبل ان يستتم معناه، فان الشيخ يربيه ويتم معناه في عالم الارواح، وان مات الشيخ قبل ان يستتم مريده معناه فإنه كذلك لا يزال به من ذلك العالم تربية حتى يتم معناه ، وليس بالرجل من تحول قفة من التراب بينه وبين اصحابه ، وليس كل ذلك بمحال الا عند من لا يعرف كيف الارواح ولا قوتها عند العارفين المربين الكمال ، وهذا الحال ليس عند كل من يظهرون من الاشياخ ، بل انما هو عند بعض المشائخ الكمال، خصهم الله به فضلا منه ومنة، وسواء حضورهم وغيبتهم وحياتهم ومماتهم ، ونحمد الله على ان اعطانا بفضله ومنته هذا المقام ، (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء) (فما يقال لفضل الله ذا بكم) ، ولم يكن ذلك الا لامثال الجيلالي والحاتمي ونظرائهما ، فالحمد لله الذي نسقنا في سمطهم بفضل منه، لا بحول منا ولا قوة (واما بنعمة ربك فحدث) .

57) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان كل من تبعنا وتعلق بنا نقف له عند الغرغرة ، حتى يختم الله عليه بالحسنى وعند السؤال حتى يجيب بالايمان التام، وعند تطاير الصحف حتى يتوصل بكتابه بيمينه ، وعند الميزان حتى ترجح حسناته على سيئاته، وعند الصراط حتى يجوز سالما، وهذه عندي انما هي بفضل الله لا بقوتي ولا بحولي كمس رأسي هكذا ، فمسح رأسه بيده ، ولكن الذي نريده من اصحابنا ان يجتهدوا ليحوزوا الغنيمة ، لا ان يكونوا غنيمة لغيرهم، ويثقلوا ميزانه يوم القيامة .

58) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل من تعلق قلبه بنا فإننا نحوطه اينما كان .

59) وقال ايضا رضي الله عنه :

كثيرا ما كنا نكنى ونشير للعباد الى ما في ايدينا من ربحهم ، حتى اذا لم يفهموا اعلنا ذلك بالصراحة التامة نصحا للعباد لا غير، والله شهيد .

60) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل ما يذكر عن الجيلالي والجزولي والغزواني اعطاه الله لنا وأكثر، ولكن ايـن الرجال الذين يحرصون على حوز الغنيمة ، ويتبعون آثارنا كما نحب الاتباع ونريده، والسر في الانقياد لا في الدلالة .

61) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان من تبع اقدامنا في الشريعة، وسلك مسلكنا في السنة، ووقف مع الحدود لا نزال نرافقه، ومن عسف عن الطريق وتلف في الغابة ، فإننا لا نراه ولا هو يرانا .

62) وقال ايضا رضي الله عنه :

اتدري انك لو سلخت عليا ولبست جلده لما انتفعت بذلك بشيء ما لم تسلك مسلكه وتلزم محجة الدين التي يحرص دائما على سلوكها ، قال ذلك لمن قال له لا تجاوزني يوم القيامة ، واراد ان يتكل على ذلك توكل الجهال على من ينتسبون اليهم من اشياخهم . فأراه الشيخ انه لا ينتفع به الا من سلك مسلكه في الدين ، فعلمنا ان الشيخ يسد هنا الباب دون اصحابه وقلما تصدر منه امثال هذه المقالات الا قليلا نادرا تحمل على هذا الحمل والله اعلم وقد ذكر الشعراني وغيره ان كبار المشائخ يقفون لاصحابهم الذين يقتدون بهم في الدين حتى ينجوا في تلك المواقف فهذا امر معلوم عند الصوفية من قديم فليس قول الشيخ هذا فيه ببدع ، فليعرف ذلك (ونحن اتينا بكل ذلك امانة للنقل)

63) وقال ايضا رضي الله عنه :

وقف علي النبي صلى الله عليه وسلم آنفا فقال لي ان كل من رآك او رأى من رآك الى سبعة يدخلون الجنة قال الشيخ ذلك مرة في اكادير إيغير وقد امر باجتماع المتجردين خاصة ثم سألهم افيكم غيركم؟ فشدد في ذلك، ثم قال او ثوب لغيركم فنظر احدهم الى نعل اجنبي عنهم فرماها خارجا ، ثم قال لهم ذلك ، فعرا الفقراء من فورة القلوب شيء عجيب . اقول ان مثل هذه المقالة صدرت من احد شيوخ مشيخة الشيخ ابن ناصر ، ودافع عنها اليوسي في محاضراته، ورد على من انكروها من الفقهاء. ونقل مثلها او ما يقاربها عن كثيرين ، منهم الشيخ التيجاني رضي الله عنه ، ومنهم الحضيكي وفضل الله لا يحجر، الا ان الرؤية ينبغي ان تفسر برؤية خاصة، لان النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الخلق قال الله في بعض من ينظرون اليه (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) وقد اثر عن غير واحد انه غفر لاهل عصره بسببه ، وامثال هذه الامور لا تظهر الا في الاخرة، وليس في السنة ما يردها بالكلية، بل ربما كان فيها بعض ظواهر تؤيدها، ومن كثر علمه قل انكاره واما نحن فنقول : الله اعلم .

ثم يجب ان نكرر ان امثال هذه المقالات لا تفرط من الشيخ الا في اوقات قليلة جدا ، وكل هذه المقالات انما صح عندي انه قالها مرة او مرتين بنقل الثقات، ولم يكن

يولع بتكرارها لئلا يفتر الفقراء ، وليس من عادته ان يربي اصحابه بما يفترون به، وان كان يفتح لهم ابواب الرجاء في بعض الاوقات .

64) وقال ايضا رضي الله عنه :

الشيخ المربي الكامل هو الذي يكون في استطاعته باذن الله ان لا يزال يربي تلميذه ويمده بالقوة الروحانية من اول قدم يرفعها في طريق القوم حتى يوصله ويقول له ها انتذا وربك ، وليست الصعوبة في الولادة ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة في التربية الدائمة حتى يستغني الانسان بنفسه ، فكذلك ليست الصعوبة في أن يهز شيخ غافلا حتى ينبهه من غفلته، ويستميل وجهته الى ربه ويلقنه الورد ، بل الصعوبة كل الصعوبة في تعهده تعهدا دائما بكل ما يحتاج اليه في العلمين الظاهر والباطن ، وبكل ما يحوطه من مزالق المقامات العديدة التى لا يزال يترقى فيها من اول خطوة يخطوها في طريق القوم ، لان لكل مقام مقام مزلقا ان زلق فيه المريد يكون من الهالكين، فلا بد اذن من شيخ كامل له بصيرة تامة وعلم متمكن وهمة تحضر ولا تغيب عن مريديه دائما حضرا وسفرا ، قربا وبعدا ، فلا يزال بمريده يربيه على وفق استعداده الخاص حتى يصل الى مقام مأمون ، فيقول له ها انتذا وربك ، وكثير من المتمشيخين يضرون المريدين اكثر مما ينفعونهم (ولا ينبئك مثل خبير) .

65) وقال ايضا رضي الله عنه:

الجماعة الجماعة ، فيد الله مع الجماعة دائما ، والجماعة تقوم مقام الشيخ ان لم يحضر الشيخ ومتى وقع اختلاف بين الجماعة يجب على الذين يتيقنون انهم على صواب ان يحرصوا كل الحرص على عدم الافتراق ، فيجارون الاخرين ان ابوا ان يرجعوا اليهم حتى يدرك المخطئون انهم قد اخطأوا ، كما اذا اعترض طريقان للفقراء في سياحتهم ، فقال كل فريق هذا هو الطريق ، فيجب على الذين عرفوا الطريق حق اليقين ، وانها هي التي توصلهم الى مقصدهم، ان لا يوقعوا التفرقة بين طائفة الفقراء، فيتبعون الاخرين، ولا يفارقونهم حتى يقعوا في خطإهم، ويدركوا ذلك بأعينهم ، فبذلك تكون الجماعة دائما مؤتلفة ائتلافا لا يمكن معه اي تفرق ، فليحرص الفقير دائما على جماعة اخوانه ، فخطأه معهم افضل من صوابه وحده ان فارق جماعتهم ، (. . . ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم) .

66) وقال ايضا رضي الله عنه :

سر الجماعة في الاستماع والاتباع ويؤم القوم افضلهم ومن خرج من وراء الامام فان صلاته باطلة فمن لا يقتدي بجماعة اخوانه ويتقدمهم فليس منهم .

67) وقال ايضا رضي الله عنه :

المريد الذي يقول انه تجرد عن كل العوائق التي تعوقه عن الوصول الى ربه يجب

عليه ان يتفرغ لما هو بصدده، فبفراغ الظاهر يتقوى الباطن، ولا تمكن للفقير قبل ان يتمكن القوة من الجهتين ولا يستحقرن ادنى التفات وقع منه ظاهرا او باطنا الى غير ما هو فيه حتى ان سار في طريق فلا يلتفت الى يمين الطريق ولا الى يساره ، ولا يسأل عن اسم القرية التي خرج منها في سياحته مع الفقراء ولا عن اسم التي يقصدها ، فمن مسجد الى مسجد ، فانه ان فعل ذلك فانه في خلوة ولو كان بين الناس فللخلوة في الجلوة من التأثير ما ليس في خلوة على حدة ، فان الفقير المتجرد يكون دائما كالصياد الذي يتربص للصيد فلا يهتم الا به ، فلا يكثر الالتفات الى غير الجهة التي ينتظر منها الصيد، بل لا يكثر الحركة ، فقد ينفر عنه الصيد بادنى حركة ، ومن عرف ما طلب هان عليه ما بذل (ودون اجتلاء النحل ما جنت النحل)

ومن لم يجد في حب نعمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

68) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يستحقرن الفقير رأس ماله فينبذه ظهريا، ورأس مال الفقير هو توجهه الى حضرة ربه ومخالطته لاهل الله وكونه يعد منهم فلا يستحقرن ذلك ان لم ير لنفسه ما لهم فيؤديه ذلك الى الياس حتى ينقض بيديه ما هو فيه فقليل يكون في يده ولا بقاء يده بلا شيء اصلا فلا يقع له كالبقرة التى ربطت برباط رقيق رث فلم تزل به حتى قطعته فبقيت هملا . فالارتباط بادنى شيء اولى من عدم ارتباط بأي شيء بالكلية فما كان يتعرف به الفقير الى ربه والى اهل الله من خدمة او مزاولة اية مهنة لهم او اي عمل كيفما كان يقع له به ادنى انتساب ، اولى من الوقوف في براح من الغفلة عن جانب ربه فان كل ما يتقرب به الفقير الى ربه من الطاعات ولو ضئيلة هو رأس ماله ، فلا يفرطن في رأس ماله . فإنه إن ثابر عليه وشكره قد يؤديه الى ما هو اعلى واكثر ربحا ، فمن رزق يدا في الصوم القليل ، او التنفل القليل اوملازمة الفرائض فقط ، او كان يخدم اهل الله ويحبهم او يكرمهم بماله، فلا يستحقرن ما اعطاه الله على قلته، فليشكره وليثابر عليه، فأدنى عمل يذوق الفقير حلاوته في قلبه افضل من العمل الكثير الذي لا حلاوة له، وباب الشكر لادنى عمل اعطاه الله للفقير افضل ما يدخل فيه الفقير الذي يتحسر على ما يفوته ، فلا تغره نفسه بالوسوسة ، وليكن عبد ربه يستخدمه كيف شاء في اي عمل شاء كثيرا او قليلا . فالشكر يضمن الزيادة ، واقرب الطرق الى الله طريق الشكر وطريق المحبة ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون (وقليل من عبادي الشكور) .

69) وقال ايضا رضي الله :

من خدم الله كفاه كل ما سواه ، ومن خاف كلاب الدار فليصطحب مع رب الدار فان الكلاب لا تحوم حوله بعد ان تراه معه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (اليس الله بكاف عبده) .

70) وقال ايضا رضي الله عنه :

من فتح له في الذكر فانه يتنوع في الاذكار ، وفي كيفيات الاذكار ، كما يتنوع في النعم من دخل الجنة التي وعد المتقون (فيها انهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات)

71) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير يكون كقفة الحداد فيتنوع في انواع الاعمال حتى يكون له من كل نوع في صحيفته فكما يوجد في قفة الحداد كل انواع المسامير الكبيرة والصغيرة والوسطى على اختلاف اشكالها غلظا ورقة طولا وقصرا ، كذلك يكون له في صحيفته من كل انواع الاعمال فرائض ونوافل وصلاة وصوما وحجا، وانواع الصدقات سرية وجهرية، واماطة الاذى عن الطريق والاصلاح بين الناس ، والرفق بالناس وبكل مخلوقات الله وقضاء الحاجات واستنباط المياه والغرس والتعليم والارشاد وتربية الاولاد والانفاق عليهم وغير ذلك فان من يتعرض للربح من التجار وفيه الطمع الكثير لا يغادر كل سلعة كيفما كانت يمكن له منها ادنى ربح متى امكن له عرضها في دكانه. فالزهد محمود الا في هذا الباب فهذا سيد الاولياء والاصفياء ابو بكر رضي الله عنه يدعى من كل ابواب الجنة وما ذلك الا لان له عملا يختص بكل باب من تلك الابواب واما من لا يتنوع في الاعمال فلا يدخل الا من باب العمل الذي عنده ، فهكذا ينبغي للفقير ان يتعرض دائما لنفحات ربه في القرب التي يترقب بها اليه (الا ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها)

72) وقال ايضا رضي الله عنه :

ما يستخدمك فيه شيخك وما يشغلك فيه هو ذكرك الذي به تصل الى ربك ، فقف حيث جعلك ولا تقل لمه فمن قال لشيخه لمه لايفلح ابدا كما يقول الصوفية من قديم .

73) وقال ايضا رضي الله عنه :

احمد الله واشكره حين يقبلك اهل الله كخديم بين ايديهم فلا تنظر الى تلك الخدمة بل انظر الى منتهم عليك حين قبلوك واستخدموك فبخدمتك لهم تكون سيدا،و(سيد القوم خادمهم)

74) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا افراط ولا تفريط او كلما قيل لكم سووا الحمل على البهيمة تدفعون الحمل من جهة الى الجهة الاخرى بقوة وعنف اكثر مما ينبغي فتلقون الحمل عن البهيمة او كلما قيل لكم ايها الفقراء اشحذوا عزائم الذين يتهاونون منكم تلحون عليهم في ذلك الحاحا متجاوزا للحد المطلوب حتى تضعضعوهم بالقمع العنيف فخير الامور الوسط في كل شيء فعليكم من العمل ما تطيقون ويطيقه ضعفاؤكم وسيروا بسير ضعفائكم فيما تستوي فيه الجماعة، فان المنبت لا ظهرا ابقى ولا ارضا قطع ، والراعي هو الذي يريح الى الحظيرة من غنمه العرجاء والعجفاء واما القوية فقد حملت نفسها برجلها، ولها قوة تفعل بها ما تريد.

قال ذلك يوما للمتجردين، وقد كان سن لهم الضرب بالعصا لكل من لم يصل في الصف حتى انه جلد كل الطائفة يوما في الموضع المسمى تكوكا في جبل درن الا ثلاثة منها فقط ثم امر بالعزم ففهم اصحابه منه الاذن في الجلد ، فصاروا يؤدبون به في كل هفوة ، حتى اكثروا في ذلك وتجاوزوا الحد ، فردهم عن الجلد بالعصا في الهفوات وقطعه بينهم من ذلك النهار فلم يكن يستعمله بعد الا لبعض العامة يخفقه بطرف عصا يحملها بعض الفقرا' دائما من اجل ذلك، وقد جرب العامة ان كل من خفقه بها يتوب توبة نصوحا، ثم قطع ذلك كله اخيرا ويقول اصحاب الشيخ ان الشيخ اتسع في آخر عمره ولم يكن يؤاخذ بما كان يؤاخذ عليه قبل.

75) وقال ايضا رضي الله عنه :

من لا يتجلى في كل مقام بادبه الخاص فليس بفقير وانما الفقير من يقدر ان يسير على البيض ثم لم ينكسر البيض تحت اقدامه لمعرفته كيف يصنع فلكل مقام ادبه الخاص ، فادب الذكر غير ادب وقت الشغل، والادب مع الله غير الادبُ مع الشيخ، والادب مع الشيخ غير الاب مع الفقرا' ، والادب مع الخاصة غير الادب مع العامة ، والادب مع المنتقد غير الادب مع المعتقد ، والادب مع الهين اللين غير الادب مع الجبار العنيف ، والادب مع اهل الانسان غير ادبه مع غيرهم ، والادب في مجلس الذكر غير الادب في السوق ، والادب في مقام البسط غير الادب في مقام القبض ، والادب في كل مقام بحسبه ، ولا بد من الادب دائما في كل مقام فمن لا يفرق بين آداب المقامات ويخلط بين ادب مقام ومقام فانه غيرمرب ولامهذب بل غير عاقل ولا مميز ، والتخليط عند القوم وفي عرفهم فسق ، سوا' التخليط بين العامة والخاصة ، والتخليط بين المقامات نفسها ولكن التمييز بين آداب المقامات انما هو نور يقذفه الله في قلب من رباه الرجال (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)، والذي ينتج الادب العام هو الادب مع الله ، والذي ينتج الادب مع الله هو الادب مع الشيخ ومع الفقرا' ، فليجعل الفقير ادبه طعاما وعمله ملحا ، فيعطي للادب اكثر مما يعطي للعمل .

والقـوم بالادب حقـا سادوا   به استفاد القوم ما استفادوا

76) وقال ايضا رضي الله عنه :

متى حصل للفقير الفنا' فانه حق ، سوا' وقع له في اليقظة او في المنام فان القلب اذا كان حيا بالذكر لا ينام وان نام الجسد والفنا' والبقا' من احوال القلب لا من احوال الجسد

77) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل من يطلب منا غير الله فقد ظلمنا وظلم نفسه فلكل قوم حرفة يعرفون بها ، ويقصدون من اجلها ، ويطلب منهم نيل ثمرتها، وحرفتنا نحن تعريف الله لعباده وتوجيههم العبيد الى ربهم ، ونحمد الله على هذا (ومن احسن قولا ممن دعا الله وعمل صالحا وقال انني من المسلين) وقد وضع الله بفضله ومنته قدمنا في الدلالة على الله على قدم مولاي عبد القادر الجيلاني والغزالي والجزولي وامثالهم.

78) وقال ايضا رضي الله عنه :

عملنا نحن في الاصلاح بين العبيد وبين مولاهم ، لا في صرف اعمارنا كل وقت في الاصلاح بين المتشاغبين في الفتن ، فمن ارادنا لهذا المقام فانه مقامنا الذي خلقنا لاجله وفي ميدانه فتح لنا، واما السعي الدائم بين المتشاغبين الذين يظلون ويبيتون في الحروب والمشاكسات فلم يكن دائما من شأننا فان من وضع نفسه اليوم في ذلك الباب مثله مثل من يجتهد دائما ان يفرق بين الكلاب التي من عادتها ان لا تزال في المهارشة في الازقة والدروب فكلما فرق بين كلبين في درب وجدهما في درب آخر عادا الى تهارشهما فيعاود التفرقة بينهما ثانيا وهكذا دواليك ، فلا يزال بين الكلاب المتهارشة، قال ذلك لسيدي الحاج احمد الجشتيمي لما طلب منه ان يمتني بالاصلاح بين القبائل .

79) وقال ايضا رضي الله عنه :

نحن الذين يرون الناس منابع الايمان لا منابع الماء، وقد علم كل اناس مشربهم (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) قال ذلك لما طلب منه اناس ان يريهم منبع ماء يحفرونه .

80) وقال ايضا رضي الله عنه :

الاقتصاد في كل الامور هو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا امت، فالفقير الذي يقتصد دائما في كل أعماله هو الفقير، فالاقتصاد مطلوب حتى في المجاهدة ورياضة النفس، تعليكم من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وقليل من يتفطن لهذا من الفقراء في سيرهم وسلوكهم بالمجاهدة ، فمجاوزة حد الاقتصاد في المجاهدة لابد ان يرجع على الفقير بما لاتحمد عقباه، فقد يرتكس ويرجع الى وراء اشواطا من حيث لايشعر، والربح القليل الذي يتعرض صاحبه لمصادفة الخسران الكثير كلا ربح، ودفع الضرر اولى واسبق من جلب المنفعة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر، ويقوم وينام ، وهو أخشانا لله ، واعرفنا بربه، (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) فارفعوا على انفسكم ايها الفقراء، فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ، ولا تطلبون الا كريما يألف دائما الافضال على عباده ، ولا يمل حتى يمل عبيده .

يقول مثل ذلك لاصحابه ان آنس منهم الغلو والافراط في المجاهدة ورياضة النفس ، فانه كان يجعل لكل مقام مقالا ، ولكل علة مرهما خاصا .

81) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان اعمال زاويتنا قائمة بالله ، ومن ظن انه هو الذي يقوم بها ، ويظن انها لا تقوم الا به ، فليتخل عنها ليرى كيف تقوم بالله ، قال ذلك لمن احسن منهم منة في نفع الزاوية بعمل عملوه لها .

82) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان الفقير ينشر آذان قلبه للاستماع لا آذان راسه ، فمن لا تسمع آذان قلبه فكيف ينتفع بما سمعته آذان رأسه، قال ذلك وقد كان يستمع اليه بعضهم ويقول في نفسه اريد ان اسمع ما يقول هذا الشيخ .

83) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان ازمة اصحابي جعلها الله في يدي ، وإنما يطول حبلها كثيرا احيانا ، فمن ظن انه افلت من حضرتنا وذهب عنا فانه لا يلبث ان نهز له الزمام فنقوده به من بعيد كالصياد الذي له شمة حبلها طويل فانه قد يرخي حبلها الطويل لسمكة التقمت الشمة ، فتجول في البحر بعيدا ، وتظن انها ناجية ، ولكن لاتلبث ان يجذب الصياد الحبل ، فيجرها من بعيد.

قال الشيخ ذلك في فقرا' كانوا خرجوا من عنده من بين المتجردين ، وقد ملوا مما يواخذهم به ، فغابوا ما غابوا فاذا بهم يتراجعون من محلات بعيدة ، فتعجب الفقرا' مما وقع لهم فقال الشيخ ذلك .

84) وقال ايضا رضي الله عنه :

بدن الانسان لم يخلقه الله في هذه الحياة الا للخدمة ، كما ان المال لم يكن الا للانفاق، فلا يمكن ان يبقى بدن بلا خدمة ، او مال بلا انفاق، فمن ابى ان يخدم جانب الله واهل الله ببدنه ، وأبى ان ينفق في ذلك من ماله ، فانه لابد ان يخدم في جانب غير الله ببدنه، وان ينفق فيه من ماله، فمن خدم اهل اللهوانفق عليهم، فان الله يحفظه من غيرهم فلا يخدمهم ولا ينفق عليهم ، ومن لا يفعل ذلك فإنه يخدم المنافقين الغافلين وينفق عليهم ثم لايشكر ولا يحمد ولا تطيب عقباه، فيكون من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ، ومن سود جيش قوم فهو منهم ، فمن تيسرت له معرفة اهل الله فليشكر ذلك شكرا جما، فما ذلك الا من علامات سعادته (فكل ميسر لما خلق له) . فانه لا يطلع على ما عند اهل الله الا من اهله الله للخير، فسبحان من لم يجعل الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه كما يقول ابن عطا' الله .

85) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يصح ان يحكم على مراتب العارفين الا من سلك مراتبهم ، وشرب من كأسهم ، افمن لم يعرف كيف الجذب ؟ ولا كيف الفنا'؟ ولا كيف السلوك؟ ولا كيف البقا' يتصدر للحكم بأن فلانا مجذوب ، وان فلانا سالك ، فمن اين يعلم ما يقول (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) فأعظم المشائخ من سلك كل المقامات، وجمع بين البقا' والفنا' ، وبين الصحو والجذب ، فيكون بعد ذلك سالكا كاملا ، ومثله ان كان له الاذن التام يتصدر للتربية في طريق القوم، فينفع الله به عباده .

قال ذلك لما قال بعض اصحاب سيدي الحسن التيملي ان شيخنا سالك ، وسيدي الحاج علي مجذوب .

86) وقال ايضا رضي الله عنه :

انني والحمد لله استفتي النبي صلى الله عليه وسلم في كل مشكل عن لي، فإنه يحضر فيجيبني يقظة ، قال ذلك يوما وقد عرضت مقالة الشيخ ابي العباس المرسى التي تتضمن انه لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مقالة مشهورة عنه، والاجتماع بروح النبي صلى الله عليه وسلم يقظة متواتر عن الصوفية ، وقد صرح الشيخ الالغي كما ترى انه من اهل هذا المقام، وقداشتهر عنه ذلك، وقد اخبرني كثيرون من افذاذ اصحابه انهم يجتمعون به كذلك يقظة ، بل اخبرني الصدوق سيدي محمد الزكري ، انه في مرض عضال اصابه، دخل عليه الشيخ وشيخه المعدري مع النبي صلى الله عليه وسلم ، رآهم يقظة لا يمتري في ذلك، وقد رأى سيدي محمد بن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ازاء الشيخ في ترنيت في مجلس ذكر يقظة ، كما رآه آخرون كذلك ، والحاصل ان الارواح حية لاتفنى وهي بلا ريب تتجسم تجسما لطيفا في عالم المثال، وهؤلاء ثقات عدول لا يكذبون، افيوخذ بقول جاهل غليظ الحجاب في رد ذلك ؟ نعم ان الشريعة قد تمت ، والسنة معروفة ، الا ان للارواح مقام الاعانة للارواح الاخرى، فبأي دليل يرد ذلك ؟ الا ان من ليس لهم في علم الارواح يد يهرفون بما لا يعرفون ، ولكن الكذابين في ادعاء امثال هذه الرؤية مما يدعو ايضا الى سد هذا الباب ان كانت الشريعة لا تصان الا بسده .

87) وقال ايضا رضي الله عنه :

الاشتياق من الفقير الى شيخه والى اخوانه الفقراء علامة على تمكنه في الطريقة ، ومتى طار الشوق من الفقير فليطر عن عجل اليهم ولاينتظر اي شيء ، وليصنع كالزوجة الناشز من دار زوجها ، فانها متى ثار غضبها ، وفارت سورتها تذهب في الحين الى اهلها ، ولا تنتظر ان تجمع متاعها ، ولا ان تلبس لباسها ولا حليها ، فالشوق متى فار من المريد الى شيخه يجب عليه ان يبادر للتلقيح بالسر من شيخه ، فان التلقيح على الشوق من المريد يكون كالتلقيح بين الذكر والانثى متى فارت شهوة الانثى الى الذكر ، فسرعان ما يجدي التلقيح فالقلب المتفتح بالشوق هو الذي يتلقى الاسرار الربانية تلقيا يثمر بسرعة عجيبة ، ثم لا يزال يوتي دائما اكله كل حين من فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

88) وقال ايضا رضي الله عنه :

والله والله والله لولا مراعاة اداء الحقوق للاولاد الذين طوقنا بحقوقهم، ما فينا عرق يرجع عن السياحة مع الفقراء ، ولا قلب يسخو بفراق الاحباب ، ولا قوة تقدر على وداع الاخوان والله ما ظهر لنا على وجه البسيطة من يفضل اهل الله ولا من يساويهم ، فالحياة معهم دائما هي الحياة ، فما لذة العيش الا صحبة الفقراء ، وهم عند اهل القلوب السلاطين حقا

حقت لنا حقت لنا كل البشر حتى ابن سالم النؤوم قد ابتكر
حتى ابن سالم الذى لم يبتكر ، من قبل قط ولا رءاه ذو بصر
الله أكبر انني متفائل ان يستدير الى السرور بنا القدر
يا ليت شعرى هل درى ما فاته من فاته ننح الصبا بين البكر

مع سيدي مصطفى المشرفي

استدعاء

وكتبت الى الاخ سيدى مصطفى المشرفى عشية الاربعاء 10 شعبان ما نصه :

يا مصطفى هل أنت فى سعة كيما نجاذب الاحاديثا
فان تيسر نجىء عاجلا كأنما تحث حثيثا
فانني وحدى فثن ، و لا تجعل لنا بالغير تثليثا

مع سيدي محمد بن عبد القادر

القصيبي

تعزية

وفي الخميس 11 شعبان وصل الخبر بأن قرينة الرجل الصالح سيدى محمد بن عبد القادر القصيبي صارت الى رحمة الله ، وخلفت خمس بنات صغار في عيلة ، ولا داخل ولا خارج ، فكان المصاب جسيما ، فجرت على قلمي هذه الابيات تعزية له ، جاءت من غير ترو كثير :

العارفون بالله ، ومنه تتدفق كل البحار التي يسبح فيها المشايخ الكمل من اولهم الى الان، وهذا الاسم وحده هو باب الجمع بلا تخصيص واتوا البيوت ايها الطلاب، يفتح لكم البواب.

93) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان الساجدين لله حق السجود هم من وحدوا الله حق توحيده ، ومراتبهم تختلف بحسب ايقانهم في التوحيد .

94) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير يعمد الى مقصوده توا فلا ينتظر فراغ البال او صفو الزمان فان الصياد لايصطاد الا بين الامواج ومن قال انه لا يصطاد حتى يهدأ البحر وتسكن امواجه فانه لن يصطاد ابدا. ومن قال انه لايشتغل بما يعرفه بربه وبما يقربه الى الوصول اليه حتى يصفو له الوقت ويزول عنه كدر اشغال الدنيا ، ويتيسر له كل ما يريد ، وتزول العوائق والعلائق فانه يكون من المحرومين ابدا فلا يرى للفلاح وجها ، ولا لطيبه نشرا فان العجلة الى الله سبب رضاه (وعجلت اليك رب لترضى)

فسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـــبطالة ان اخرت عزما لصحة

95) وقال ايضا رضى الله عنه :

هذا زمن السرعة والعجلة ، فكل ما لم تفعله بسرعة وعجلة فلا تطمع ان تفعله ، وبهذا تجلى الله في هذا العصر الذي نحن فيه، فمن تعجل قضى اموره ، ومن توانى حرم مقاصده ، ولا يفوز الا المقدام الجسور:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجســور

اقول كان الشيخ يقول هذا قبل ظهور السيارة والطيارة ، وانما كان عنده علم بالقطار وحده ، فقد رآه في سنة حجته 1305 ه فكان ذلك كالكشف الناصع لما كان عليه حال هذا العصر المسرع المجول ، الذي تقارب فيه الزمان ، كما ورد في حديث ، والزمان اخو المكان .

96) وقال ايضا رضى الله عنه :

ان الناس يقولون ان القرن الرابع عشر قرن خلا من الخير ، ولم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، لكننا نحن نقول انه لنا قرن خير وربح ، فقد ربحنا فيه واربحنا فيه بفضل الله .

97)و قال ايضا رضي الله عنه :

الدواء الوحيد للاعياء والملل في الهمة هو استجماع القوة استجماعا جديدا ، واستنعاش العزيمة ثانيا حتى تنهض وتستجمع قوتها ، فان لم تبكوا فتباكوا ، وانما الحلم بالتحلم، والعلم

بالتعلم ، والوجد بالتواجد ، فلا يعن الفقير الفتور الذي يحس به في همته بالازدياد في التراخي ، بل ان لم يجد الا لسانه فليظهر به الهمة والنهوض والعزيمة ، ويكرر ذلك حتى يسري في جميعه فاذن يتقوى من جديد ، فرحم الله من اظهر من ضعفه قوة ، فمن عثر فلا ينبطحن مع الارض ويتدبكل جوارحه. بل يتماسك بما امكن ويتجلد حتى يقف ثانيا على رجليه فانه لا تضر العثرة ، وانما يضر الاسترخاء التام بعدها والامتداد على الارض كالموتى .

98) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان القصد بالصلاة هو ذكر الله ، وذكر الله هو صلاة العارفين فان كنت منهم فانضح البر بالبحر واعتزل عن غير الله واهل الله حتى يكون الكون كله شيخك تجتلى منه نور الله راي عيان فتستمد من الكل بعد اتحادك بهمة شيخك الذي يسير بك حتى يقع بك على المقصود ، فتكون بالله ومن الله وعن الله، وليس هناك الا الله بلا جهة.

99) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل فقير صحت منه محبة الله ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة شيخه فانه حصل على رأس ماله الدائم ، فليس عنده بعد ذلك الا الزيادة ابدا ، والربح الدائم سرمدا حتى لو نام او فتر عن النوافل فانه ملك المغناطيس الذي به يجذب السر من ربه ومن نبيه ومن شيخه فان المدد انما يحصل بهذا المغناطيس لا غير وهو من جهة المريد لا من جهة الشيخ فافهم ، ولذلك كانت المحبة هي الورد الصحيح عند القوم .

100) وقال ايضا رضي الله عنه :

خدمة انسي واحد خير لك واجدى وانفع من خدمة مائة جني قال ذلك لرجل تنائي اولع باستخدام الجن وتسخيره فطلب من الشيخ ان يدعو ان يسخر الله له الجن فقال له ذلك ولم يكن الشيخ يقول بمثل ذلك ولا يترك عليه اصحابه فلا ترى منهم على كثرتهم من يعرف العزائم ولا من يولع بها .

101) وقال ايضا رضي الله عنه :

اين من يطيب نفسا ان فقد شيئا من الاشياء ؟ فان المقصود برياضة الفقير نفسه ومنعها من الشهوات الحاضرة ان لا تسترسل في حب اللذات فتطيب نفسا يوم تفقدها ، فالفقير لا يتعلق بالمفقود ولايترامى على النعام الموجود .

102) وقال ايضا رضي الله عنه :

نعم عندنا الاكسير الحقيقي الصحيح الذي لا شبهة فيه ، وهو مجرب لا يخيب ولكن الناس يابونه ولا يريدونه، وهو (الله) ، فانه حجر هذا الاكسير ، تضعه على جبال الذنوب فتعود كلها جبال حسنات في الحين ، وعلى الغفلة الكثيرة الكثيفة في القلب فتعود في الحين ذكرا ونورا .

قال الشيخ ذلك لرجل تطلب منه ان يعلمه الاكسير وقد كان الجهال يحسبون الشيخ من اهل علم الكيميا ، لما يرونه من الانفاق الكثير من يده على الجم الغفير ، ولم يكن الشيخ قط ليقبل مثل ذلك العلم الذي هو علم اهل البطالة فان من يزهد فيما يتحصل له كيف يتطاول الى تحصيل غيره ، وكثيرا ما كان المعاصرون للمشايخ الكبار يتهمونهم بعلم الكيميا.

103) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان ليلة الجوع عند الصوفية هي ليلة غراء من ليالي فصل الربيع يتملون فيها بالانوار الى الصباح .

قال الشيخ ذلك للفقيه سيدي سعيد العنترى الديملي المشهور المشهد في قبيلة اولاد ديلم بحوز مراكش وقد بات عنده الشيخ مع اصحابه المتجردين وهم كثيرون في توجههم من مراكش الى اسفي اول 1323 هـ وقد كان العام عام جدب فقال له الفقيه ان العام كما ترى ، فكيف يكون الفقراء ان كانوا يبيتون على الطوى في البلاد ؟ فأجابه بذلك .

104) وقال ايضا رضي الله عنه :

كم من فقير كان معنا يقوم ويقعد وهو لم يكن معنا ، وكم من فقير غائب عنا وهو معنا دائما يقوم بقيامنا ويقعد بقعودنا، فمن كان معنا بقلبه فهو معنا وان لم يكن معنا جسمه ومن لم يكن معنا بقلبه فانه ليس معنا وان كان معنا جسمه .

105) وقال ايضا رضي الله عنه :

من قالت له نفسه لم تكن شيئا، فليقل لها (الله) ومن قالت له نفسه كنت وكنت فليقل لها (الله) وليشتغل بربه وليعرض عن سفاسف وساوس نفسه ، فان النفس لا يهمها ربح صاحبها وانما يهمها الجرى وراء هواها فقط فان حرمت منه لم تزل تتطلب بكل دسائسها الرجوع اليه والمقصود من الفقير ان يكون عبدا فيستخدمه مولاه كيف شاء ومتى شاء وفيما شاء .

106) وقال ايضا رضي الله عنه :

كم عارف بالله تربط الدواب على قبره لم يعرفه الناس لا في حياته ولا في مماته

107) وقال ايضا رضي الله عنه :

علم الظاهر ان ارتوى صاحبه من علم الباطن ايضا يكون لصاحبه حجابا وحفظا من آفات كثيرة تعترى ارباب هذا الشأن فمثل علم الظاهر وعلم الباطن الذي ينبعث من قلب الفقير مثل الفنار الصافي الزجاج يحفظ الشمعة من الرياح ويزيد نورها اشراقا ولمعانا بصفاء الزجاج ، فالفنار بمنزلة علم الظاهر ونور الشمعة بمنزلة الذي يستنير به القلب من آثار الذكر والتوجه الى الله ، فلولا الفنار لانطفأت الشمعة بالرياح ، وكذلك لولا علم الظاهر الذي هو علم الشريعة لما بقي نور القلوب فلا كمال الا لمن يجمع بين العلمين فمن فتح عليه بنور القلب وليس عنده من علم الشريعة ما يحفظ به ما في قلبه فاما ان يضمحل بسرعة واما ان تتلاعب

به رياح الاهواء من غير شعور منه ، حتى ان ايد وبقى محفوظا بالعناية ، فلا بد له من نقص دائم وضيق وتضييق على نفسه وعلى الناس، واما الذي يجمع بين علم الظاهر وعلم الباطن فانه يهتدي دائما ولا تلتبس امامه الطرق ولا الاشياء ولا تتشابه بين عينيه الاحوال لان في يده ميزان الشريعة وهو الذي يصح وزنه دائما ، واما من حرم من علم الظاهر فانه لا يكتفي بعلم الباطن ، لانه خطرات وامواج والوان وعوالم فعوالم لا تنضبط ، ولهذا اتفق الصوفية على عدم قبول ما يكون نكتة في القلب ما لم يشهد له شاهد عدل وهما الكتاب والسنة وكثيرا ما يرى المفتوح عليه امورا تشكل عليه ، فلا يدري كيف يفهمها ، ولا كيف يفسرها ولا كيف يعبر عنها ، وهنا تجيء الشطحات من بعض الصوفية الذين لم يتمكنوا في العلمين معا ، فان من لم يتعذب تعبيره على طابع الشريعة ربما يعبر بما تدفعه الشريعة وان كان ما يقوله صحيحا وانما افسده سوء التعبير فمن ليس له علم الظاهر لا عبارة له وان كان مفتوحا عليه الا ان كان يتكلم على نواح لم يتكلم فيها الشرع وشأن علم الظاهر جليل (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) فالعارف بالله الجامع بين العلمين هو الذي تنطبع دائما اقواله وافعاله واحواله بالشريعة ، ولذلك لا يغلط في التعبير .

108) وقال ايضا رضي الله عنه :

مثل المفتوح عليه الجاهل بعلم الظاهر مثل من عنده معادن مصفاة من الذهب الابريز الا انه ليس عنده طابع يطبع به السكة ولا القالب الذي تسبك فيه فبقى ذلك الذهب عنده مخزونا لا ينتفع به ، لانه ليس بسكة فيتعامل بها الناس بخلاف من عنده القالب والطابع فانه يسك للناس السكة من ذهبه فتروج بينهم فيقع بها النفع العام لان الناس لا يقبلون الا التعامل بالسكة المتواطأ عليها .

109) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفريضة الفريضة ايها الفقراء فانها قطب الصفا وجلاء القلوب ومطهرة النفس ، فليجعلها الفقير عماد ما يتقرب به الى الله وليجتهد في حضور قلبه فيها ، فان من يجد قلبه في النوافل ولا يجده في الفرائض ، ثم لا يحرص ولا يجاهد نفسه على ذلك مخذول مطرود فانه لا يتقرب الى الله باحب مما افترضه على عباده كما في الحديث القدسي، وتضييع حق الفرائض يؤثر في مرايا القلوب نكتا عميقة لا يمحيها الا التوبة النصوح ، فالكثير من الفقراء يحصل لهم حضور القلب في الذكر وغيبته في الصلاة وذلك نقص كبير .

110) وقال ايضا رضي الله عنه :

دلوا الناس على الله بالعزم ، واستنهضوهم بالهمة فان الله فتح على ايدينا والحمد لله باب الوصول اليه بسرعة فقد اتقد القران ، فكل ما القيتموه فيه من الحوت ينضج في الحين بفضل الله .

قال ذلك لاصحابه المتجردين وقد بعثهم في سياحة ساحوها دونه يحثهم على الدعوة الى الله وعلى العزيمة فى ذلك ، ويدلهم على ان يقبلوا كل من صادقوه كيفما كان ولا يقولون انه من اللصوص او من الجبابرة مثلا او من الذين من عادتهم ان ينهمكوا فلا يرتدعون . وقد صدق هذا الحال من الشيخ حتى كان كل من اتصل به من اللصوص وامثالهم يعود من العارفين الكبار .

111) وقال ايضا رضي الله عنه :

يكفيني انا من الانسان ان منعته من ابليس ساعة ولو قليلة وان يذكر الله ولو مرة واحدة ، قال ذلك لمن عاتبه على انه لا يزال حريصا في ارشاده وتلقين ورده حتى للرعاة ورعاع الناس وقد كان من عادته ان يميل بوعظه وارشاده الى من يستحقرهم الناس ولا يكره ان يجلس اليهم ويرشدهم الى ربهم (ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يوتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما في انفسهم اني اذن لمن الظالمين) .

112) وقال ايضا رضي الله عنه :

نحن نزرع والله هو الذي ينبت ، فعلينا العمل ، وعلى الله الكمال .

قال ذلك يوما آخر لمن لامه ايضا على انه يلقن الورد لكل انسان لاقاه من قبل ان تصح منه التوبة ، وتنهض همته الى ربه ولذلك قال الشيخ التاموديزتي ان الشيخ سيدي الحاج علي له اصحاب من كل طبقات الناس .

113) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقراء المنتسبون على ثلاثة اقسام، فقير الشيخ، فلا يعرف الا الشيخ ولا يبالي بالفقراء ومقامه ادون المقامات ، وفقير الفقراء المتجردين فلا يبالي بالفقراء المتسببين ، وهو اعلى مقاما عمن قبله، وادون ممن بعده، وفقير الله الذي يملكه الشعور بالله وبكل اهل الله . فيستنهضه الجميع ، فيستمد من الجميع ، فهذا هو الفقير حقا فهو عبد الله لا عبد الناس ، ولا عبد الدينار والدرهم، ولا عبد الخبيصة ولا عبد الخميصة (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وهذه الاقسام الثلاثة توجد في كل طائفة لا في اصحابنا فقط ، فقسم يكون قصده الوحيد هو الله وحده ، وهو كالكبريت الاحمر في كل طائفة ، وقد يكون واحدا من الالف، وقسم يكون قصده مزدوجا من قصد المعرفة بالله ونيل دنيا ونيل المقامات والاسرار والظهور، وان لا يتوقف على شيء من الدنيا فيعوزه ، وحال هذا القسم وسط ، والقسم الثالث من لا قصد له في الطريقة الا صلاح ظاهره والجاه والقبول ، وهو احط الاقسام الثلاثة . فسبحان من قسم مقاصد عبيده ، فمنهم ظالم لنفسه وهو القسم الاخير، ومنهم مقتصد وهو القسم الوسط، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ، وهو القسم الاول الفائز .

114) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان مقامات اهل الله كمثل المدن الكبرى التي فيها من كل سلعة، فكل من قصدهم لشيء كيفما كان دنيويا او اخرويا ، او كان أعلى من ذلك ، فانه ينال مقصوده بلا ريب فانهم اهل الله ، ومقامهم هو حضرة الله (من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب) والعاقل من لايتطلب من حضرات الملوك الا الاشياء الغالية كالياقوت والذهب والحرير ، والفقير من يكون قصده من بين اهل الله معرفة الله وحدها نفيها انطوت جميع الحاجات ، ماذا وجد من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟

115) وقال ايضا رضي الله عنه :

يكفي ان تموت في اثر اهل الله حين عجزت عن الجري معهم في حلباتهم ان كنت تحبهم وتجالسهم ، فأولئك قوم لا يشقى جليسهم .

قال ذلك لبعض الرؤساء من اداوزكري، اعتذر الى الشيخ بأنه لا يقدر ان يسيح كالفقراء وان يكون في مثل مجاهدتهم .

116) وقال ايضا رضي الله عنه :

اهل الله هم الغير في الحقيقة على اصحابهم ، فلا يدركهم احد في الغيرة، ويتملكهم الاحسان فيقف لهم عار المحسنين ، فيهتمون حتى تقضى حاجتهم اية كانت، ويلاقون العنت من الدفاع عن محبيهم وعن المحسنين اليهم بشيء من متاع الدنيا ، والله لا يكلف بعباده ظاهرا وباطنا الا من يهتم بحاجاتهم كما يهتم بها اربابها او اشد ، ويرون العار في ضياع من ينتسب اليهم .

وعار على راعي الحمى وهو قادر   اذا ضاع في البيد اعقال بعير

ولهذا يتحملون بانفسهم كثيرا من البلايا التي تتداعى الى اصحابهم ، فقد يمرض احد اصحاب هذا الحال مرضا شديدا من اجل تحمله بلاءا عظيما كان يقصد الى احد اصحابه او الى اهل عصره قاطبة فيصبر من اجل كل ذلك لتقر عينه بسلامة من ينتسب اليه بصحبة او بمعاصرة ، ولهذا ورد في الحديث (اشد الناس بلاء الانبياء فالامثل والامثل) .

117) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا احب لاصحابي ان يختلوا الخلوة الصوفية المشهورة، فان كان ولابد فايام يسيرة، فان النفحات التي يجب على الفقير ان يتعرض لها دائما ينبغي ان يتعرض لها بين الجماعة لا في حالة الوحدة ، فللجماعة التي لا تغفل عن الله كجماعة الفقراء بركة عظيمة ، وهذا سيد الرسل بعد ان بعث بالتشريع لم يكن يعهد منه الانتباذ عن الجماعة ايماما كثيرة ، حتى اعتكافاته لا تكون الا في المساجد حيث الجماعة متوفرة دائما ، وخلوة الفقير في الاختلاء بربه بباطنه لا بظاهره فخلوة في جلوة خير من خلوة على حدة ، ويد الله دائما مع الجماعة

ولا ياكل الذئب من الغنم الا القاصية ، واغلاق باب القلب عن الالتفات الى غير الله هو خلوة الفقير ، وهي اقرب للاخلاص ، وابعد من همزات الشياطين ، ومن خلا قلبه عن غير الله فانه في خلوة ولو كان بين الناس، ومن لم يخل قلبه من غير الله فانه ليس في خلوة وان كان منفردا وحده في مغارة او في قمة جبل، وقلما تكون خلوة الانفراد مفيدة الا في احوال نادرة يعرفها العارفون الكمل .

118) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا ارضى لاصحابي مقام الجذب ، بل اختار لهم مقام السلوك دائما ، وهذا المقام لابد ان يمر به المريد في ترقيه بين المقامات ، ولكن لا احب ان يتصف به اصحابي ظاهرا وان كانوا كلهم لا يخلون من الجذب باطنا ، فقد يفور عليهم الجذب ولكن لا يتملكهم، ومهمة الشيخ الكامل ان يداوي اصحابه من فورة الجذب فورا قبل ان يتمكن في المريد ، فلا يترك هذه المهمة لاصحابه، فيفعلون باخيهم مثل ما فعله بي فقراء شيخنا سيدي سعيد حين عراني حال الجذب في اول قدم رفعتها في الطريقة ، فتولى اصحابه معالجتي فصاروا يغطسونني في نطفية من الماء البارد ، فكادوا يهلكونني لولا لطف الله ، ثم قال الشيخ الا ان شيخنا اذ ذاك معذور ، قال الحاكي ، فصار الشيخ يومىء الى ان شيخه لم يكن له اذ ذاك مقام يقدر به ان يسلك المجذوب ، ولم يصرح بذلك ادبا مع شيخه، وانما اومأ ايماء ففهمنا منه ذلك ، قال الحاكي، وقد رأيت الشيخ يمس بيده قلوب من يعتريهم الجذب من اصحابه في المجلس فيبرأون في الحين ، ولهذا لم يعهد من اصحاب الشيخ ولو مجذوب واحد دائم الجذب مع أنهم آلاف مؤلفة .

119) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير لا يفضي بأسرار اخوانه الى العامة ، كما لا يفضي الى اخوانه في مجالسهم بأخبار العامة، فان المجالس بالامانات، وقد صدق احد الفقراء رجع من موسم للفقراء فسأله احد المستهزئين من اهل بلده، ما هو السر الذي رأيته في موسم شيخك وفي ملاقاة الفقراء فقال له ، اولست انك سميت ذلك سرا ؟ فهل يحل لي ان افشي لك السر؟ فكذلك لايضع الفقير الجواهر بين العميان ، فاجهل الناس من ينثر الدر النفيس على الغنم ، فسر ما بين اهل الله كالسر ما بين الزوجين لا يفشى :

يقولون خبرنا فانت امينها   وما انا ان خبرتهم بامين

120) وقال ايضا رضى الله عنه :

المريد اذا كان لا يزال تحت نظر شيخه في السير والسلوك ، انما هو بضعة من شيخه فكل ما ارسله اليه شيخه فتيسر على وفق المراد بعادة او بخرق عادة ، فانما كان ذلك بهمة شيخه التي تخللت المريد ، فلا يغترن المريد فيظن انه وقع له ذلك بهمته هو فيهلك في الهالكين . ومن ظن ذلك واستغوته نفسه فليتنح عن امور زاوية شيخه وليشتغل بأمر

من امور نفسه ليرى ان كانت لا تزال باقية في يده تلك القوة، وهذا مما يغتر به كثيرون من المريدين ، فيتزببون قبل ان ان يتحصرموا ، ومن ادب المريد مع شيخه ان كان شيخه لم يطلقه بعد من رفقته ان لا يرى عملا صالحا انصدر منه الا ببركة شيخه وبهمته وبقوته التي تتخلل المريدين (فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

121) وقال ايضا رضي الله عنه :

من يتصدر لارشاد الناس ثم لا يقدر ان يستنقذ من الشيطان ولو واحدا او اثنين فانه مفلول الهمة ، ليست له عزيمة مؤثرة ، ولا يزال يحتاج الى شيخ حي يسن سيفه ويمضي همته فان الفقير انما هو همته الفعالة المؤثرة ، ومن لا همة له فعالة فانه لا يصلح لارشاد العباد ولا لاستنقاذهم من امواج الغفلات التي هم فيها غارقون، ومن لا يعرف السباحة كيف يستنقذ الغرقى.

122) وقال ايضا رضي الله عنه :

انما يحث اهل الله على ان لا يبطئ الفقير عن اخوانه ليسترجع قوته من بينهم لان من لم يتمكن حاله ، فانه لا يزال يعتريه الفتور بعد مفارقتهم شيئا فشيئا فان لم يسترجع قوته من بينهم فسيخاف عليه من موت القلب ، فهذا هو سر الاجتماع ، ولذلك شرعه الله في الصلوات وفي الجمع وفي الاعياد وفي الحج الاكبر ، وللاجتماع سر دائم لا ينبغي للمنتهي فضلا عن المبتدي ان يتركه .

قال ذلك لسيدي محمد بن مسعود وقد اشتكى عليه بأنه لا يزال بعد مفارقة الفقراء في تناقص من تلك الحرارة التي تتقد في قلبه من بينهم، ثم لايزال في الميل الى الخمود حتى يراجع الفقراء .

123) وقال ايضا رضي الله عنه :

هم العارفين المتصدرين لاستنقاذ العباد من الغفلة، لاتعرف يأسا من استنقاذ اي انسان وان بلغ من الغفلة ما بلغ فكما ان الشيطان لا ييأس حتى من الولي الكامل الذي صار غوث عصره كذلك العارف بالله الدال على الله لا ييأس من غافل سادر في المعاصي ولو بلغ ما بلغ في دركات العصيان .

124) وقال ايضا رضي الله عنه :

لايقبل احسان الذين يحسنون لانسان من اجل غرض من الاغراض، الا من كانت له قدرة على ان يقضي الغرض المطلوب ولذلك لا يقبل الاشياخ ما يأتي به مريدوهم حتى كانت لهم بفضل الله قدرة على قضاء اغراض الناس على اختلافها. فتقضي اغراض الدنيا وحاجات الاخرة وانوار القلوب ان كان ذلك هو المقصود واما ان كان المقصود ما انتصبوا له فهو زبد بعسل الا انه المعرفة بالله تعالى،ثم قال لفقير خان في شيء بعثه معه بعض اصحاب الشيخ ان كانت لك

الا فاستغل العيش ما دمت فرهدا ودع ذلك المهذار مختبطا خبطا
أمن كان فى اللهو المباح يلام ان يهتك بلهو من تزمتكم مرطا
على أن هذا كله قد جرى لنا به قدر قد خط فينا الذي خطا
فما قولكم من بعد ام تحسبون ، ان جهلنا فما في الدين ندرى ولو نقطا
سكوتا سكوتا يابني الشيب واتركوا من النشىء من اعطاهم الله ما أعطى

تهكم بمدخن

وفي صبيحة الثلاثاء 23 شعبان ، خاطبت متهكما بعضهم ممن يكبون على التدخين ، مع كون غالب المعتقلين صاروا ينقطعون عنه ، : قلت ذاك بديهة :

يا من يدخن مرة دخن أمامي الف مرة
دخن ودخن لا تبال وأعلن التدخين جهرة
دخن فربتما غاطت فخلت ذاك المسك بعرة
ان الدخان وان تطول لن يحطك قيد شعرة
انشق به ارج الرياض وما ينسى كل زهرة
لا لا لجاج ان أرى التدخين بعضهم مضرة
من ذا ينازع راى من يحجو دخينته مسرة
دخن وعش حرا فيا طيب الحياة تدوم حرة
ان الدخان لذاذة عظمى لمن قدروه قدره
ايلوم ذو عقل وذو ميز على التدخين غيره
حاشا وانى من عجمت الجهر منه وجست سره
دخن ودخن لا تخف من أخيك اليوم أمره
لا لا تكن كالغير يتركه لطب او لغيرة
فالحر لا يرتد عن أمر وان واراه قبره
هل فى النصيحة من شفوف فى سواها الف حسرة

فالانبيا' وهم صفوة الخلق لا يعلمون من الغيب الا بالوحي، وهم يتبرأون من الاطلاع عليه افيجعل بالفقير ان يتطلع لكي يتصف بما يتبرأ منه الانبيا' (قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا مايوحى الي) (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك) (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير)

127) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يمنعن الانسان من العمل خوفه من الريا' ، فان النفس لا تتطلب من صاحبها الا ان تتسبب حتى يريحها من العمل وقد يكون ترك العمل خوفا لريا' من دسائسها ، فمتى كان عمل دائم عادة الفقير فلا يقطعه من اجل هذا ، بل يعمل ويطلب من الله ان يحول بينه وبين الريا' بفضله فنحن نحتاج الى فقرا' يعملون حتى يألفوا العمل ويتمرنوا عليه اكثر من فقرا' لا عمل لهم من اجل مانع من الموانع ، ودوا' الريا' سهل لمن وفقه الله فما هو الا ان يثابر على فعله في كل حال من الاحوال حضورا وغيبة مع الاعتماد على الله في دفعه عنه ، ومتى خطر للفقير تركه لداع من الدواعي فليتهمن نفسه لانها لا تزال بصاحبها حتى ينقطع عن العمل ، فتارة تقول دعه من خوف الريا' ، وتارة تأمره بالاكثار منه حتى يمل منه الانسان فينقطع عنه وللعمل الدائم بركة ومنافع فقد يصدر من انسان عمل بريا' اليوم ، ولكنه قد يزول الريا' وتبقى المرونة على العمل ، وقد يستنهض العامل غيره فتعود عليه بركته لانه سبب عمله وقد يكون لهذا العامل الثاني دعا' مستجاب فيعود نفعه على ذلك العامل وأيا كان فللعمل دائما بركة نعم ان العمل الذي كان كله ريا' وسمعة ولا وجه له صحيح يحذر منه الفقير وليجتهد على ان يعمله ولا بد مع تصحيح النية ، فان استولى عليه الوسواس فليتلفظ بالنية متوكلا على الله وليعمل عمله فانه حينئذ ليس بعمل الريا' الخالص والعمل الدائم في كل حال جماعة وانفرادا يبتعد عنه الريا' بلا ريب ، ولا تضر خطرات الوهم في ذلك فليجتهد الفقير من عدم الوسوسة ، فان الوسوسة اذا استولت على الانسان اتعبته

128) وقال ايضا رضي الله عنه :

خير الصدقات ما كان سببا لصدقة اخرى فالفقرا' اذا ساحوا وباتوا في قرية فان اهل القرية قد ينزعون من بين ايدي اولادهم طعاما فيتصدقون به على الفقرا' اوليس الافضل للفقرا' من باب المروءة وعلو الهمة والفتوة ان يستنهضهم حال اولئك الموثرين بكل ما عندهم عليهم فيزهدون هم ايضا في ذلك الطعام فلا يأخذون منه الا القليل الذي لا ينقصه ، ثم يتصدقون به على اولئك الاولاد الصغار فان الفقير الذي هو فقير حقيقة يستنهضه الى معالي الامور كل ما يصادفه من احوال الناس فهؤلا' زهدوا فآثروا بما عندهم وتصدقوا به ، افلا يقر عين الفقير ويهز فؤاده فعلهم هذا ؟ فيزهد في ذلك الطعام ايضا ،ويوثر به ويتصدق بكله او جله على اولئك العيال فخير الزهد ما انتج زهداً آخر ، افيرضى الفقير الذي انتصب

ليكون المثل الاعلى للناس زهدا وفتوة وايثارا، ان يكون العوام في القرى اعلى منه منزلة واكبر منه مقاما ؟ فمن منعه بطنه الذي هو شبر في شبر من المعالي فكيف يستحق جنة عرضها السماوت والارض ؟

129) وقال ايضا رضي الله عنه :

المريد الذي لا يزال في طريق السير والسلوك تحت نظر شيخه ولم يكلفه الله بعد بعباده ، يجب عليه ان يدفن نفسه في ارض الخمول دفنا عميقا يخفى منه كل شيء حتى يشك فيه الايزال فقيرا من الفقراء ام لا ؟ من شدة اشتغاله بخويصة نفسه ، فيقبل على نفسه ويعرض عن الخاصة فضلا عن العامة ، الا من يجد منه اعانة في سيره ، ولكن قلما يجد من يليق به في ذلك الحال ، لانه قد يمر على المريد حال غريب لا يليق به الا الوحدة المندفنة في الخمول فلا يبالي بصالح ولا طالح .

130) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا ينسب الفقير كل كمال او صلاح صدر منه او اليه الا لربه وحده ، فالواجب على الفقير ان نسب اليه شيء من ذلك، ان يبادر الى نسبته الى ربه ، وليتعود ذلك دائما ، متبرأ من الدعوى بمقاله وبحاله ، لان ذلك هو الحق الصراح ، فمن اكرمه الله بهذا المقام فقد اكرمه بمقام عظيم في الشريعة ، فلا ينسب الا لله ، ولا يستغيث الا بالله ، ولا يرى كل شيء الا من الله ، فذلك ميزان الحقيقة والشريعة معا ، وانني لاحمد الله الذي جبلني على هذا منذ الصغر ، فكل من اراد ان يغلط وينسب الي شيئا ارد عليه في الحين فانسبه لله ، لانني لا ارى كل اخبار بغيب او اغاثة في شدة او كرامة الا منه حقيقة، اذا اراد ان يفضل عليك، خلق ونسب اليك، وقد جبلت كذلك ان انسب كل اكرام وقع من الغيب الى الله ، فقد جرى لما دخلنا فاسا وجلسنا امام قبر مولاي ادريس انه قال لنا يقظة لا مناما : انتم اضيافي، فبادرت وانا فان في الله فقلت، بل نحن اضياف الله ، ثم فتح الله لنا فكنا هناك اضيافا مكرمين عند بعض من ساقه الله الينا من مشايخ الطريقة نيفا وعشرين يوما من غير سابق معرفة باحد من اهل فاس، ولا كانت لنا نية المقام هناك ذلك القدر ، فاحب من اصحابي ان ينطبعوا بهذا الطابع، فمن عثرت رجله او بغلته فليستغث بالله وحده، فذلك هو ادب القرآن وهو الشريعة وهو الحقيقة (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجيكم الى البر اعرضتم) فمن سال فليسأل الله وحده ومن استعان فليستعن بالله وحده .

131) وقال ايضا رضي الله عنه :

لو وقف الخضر على الفقير وقال له انا الخضر الذي تسمع به، فلا يشتغل به، بل يشتغل بربه، فإن من اراده الله لحضرته، لا تصح ارادته حتى لا يبالي بصالح ولا بطالح، فكم فقير

حط رحله في الطريقة من ازمان، لكنه لايزال يشتغل بالصالحين عن ربه، ولم يتجاوز بعد ذلك المقام، مع ان المطلوب من المريد الذي له شيخ حي يسير به في الطريقة، ان يجعله وحده قبلته، ثم يعرض عن غيره بقلبه فيتوجه الى ربه حتى تعمر معرفة ربه كل جوانب قلبه، فاذا صح له ذلك المقام، فلا بأس ان ينزل حينئذ الصالحين في منازلهم، لانه عرف مشربه الخاص (قد علم كل اناس مشربهم) فلا يخاف عليه اختلاف الطرق وتسلط الوساوس، ولكنه مع كل هذا يحترم كل الصالحين وجميع المنتسبين الى اهل الله كيفما كانوا، وانما المقصود جمع همته بقلبه حتى يتكون تكونا خاصا ثم لا يضره بعد ذلك ان يخالط غيره.

132) وقال ايضا رضي الله عنه:

تريد النفس الراحة في الدنيا، وربما تميل احيانا همة الفقير الى الدعة، فهل خلقت هذه الدار للراحة والدعة؟ فكيف تكون دار التكاليف دار راحة؟ وهي دار المشقة لكل احد كيفما كان، عالما او جاهلا فقيرا او عاميا، يقولون، من ذلك على العمل فقد اتعبك، لكن العمل لابد منه، الا انه وسيلة لا مقصود بالذات، وللعمل حلاوة وثمرة في القلوب. والمجاهدات المؤسسة على الصدق لا تنتج الا استطابة التكاليف الشرعية، حتى يتمنى القلب ان لاتزال تلك التكاليف مسترسلة ليتملى من المشاهدة الربانية التي تحصل له فيها حين يزاولها فيزداد بالقرب اشتياقا الى قرب آخر، فالتاجر الذي ذاق الربح يتمنى او كان يبيع ويشتري ليل نهار، وكذلك الفقير في مجاهدة نفسه (واذكر ربك حتى ياتيك اليقين) (ارحنا بها يابلال).

133) وقال ايضا رضي الله عنه:

كل من يقبله اهل الله ويصاحبونه فانه ملحوظ بالعناية، وله حياة قلبية كثيرة او قليلة، فإن أهل الله مثلهم مثل البحر، فالميت لا يمكن ان يبقى في البحر، بل يلفظه الى ساحله، فياسعد من يقبلهم اهل الله ويقبلون مصاحبتهم، فان مغناطيسهم كمغناطيس الحديد لايجذب الا من فيه صفا" وحياة، كما ان مغناطيس الحديد لا يجذب الا الحديد وحده دون انواع المعادن الاخرى.

134) وقال ايضا رضي الله عنه:

ليس بالرجل من يقبل ولا يدفع، وليس بالشيخ الكامل من لا يميز بين من يمرون بين يديه فيعرف من يقبل ويعرف من يرد، فعلى هذه النظرة اساس نجاح التربية الصوفية الاصطلاحية.

135) وقال ايضا رضي الله عنه:

مثل العارف بالله مثل البحر الثجاج، ومن جاوره فكأنما جاور البحر الثجاج، فكما ان للبحر منافع لمجاوريه فلا تشتد عليهم الحرارة في الصيف، ولا البرودة في الشتا"، والعيش

يسهل عليهم دائما نيله منه اما بصيد واما بما يلقيه البحر الى الخارج، كذلك للعارفين منافع عظمى لمن يصاحبهم او يجاورهم، فيشرق عليهم من انوار العارف ما يزول به ظلام الغفلة او يقل على الاقل ، ولا يعدمون دائما في مجاورته عارفة ربانية ، او عطفة الاهية تشملهم رحمتها العامة ، فان لوجود العارف في مكان ، بركة عظيمة تعم اهل ذلك المكان من حيث يشعرون اولا يشعرون ، وهذه البركة تتصدر من العارف ولو كان خاملا مجهولا لا يعرفه احد، فكم بلاء يبتعد بسببه عن اهل جهته ، وكم عقاب يستحقه مستحقون، ما تأخر الا ببركة ذلك العارف فقط ، وهذا المقام موروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال له الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم).

136) وقال ايضا رضى الله عنه :

كذلك فليعمل المخلصون الذين يعملون لوجه الله فلا يتعلقون بكثير ، ولا يستنكفون عن قليل، ويبذلون كل ما تيسر من غير خجل ولا خوف معرفة ولا نكرة ، فما كان لله مقبول وان لم يكن الا ذرة ، فقد يسبق درهم مائة الف درهم كما في الحديث .

قال ذلك يوما وقد استدعته مع طائفته الكثيرة فقيرة من صواحبه بهشتوكة الى دارها فبعد ان ذكروا ما شاء الله في الدار، اخرجت اليهم سويقا ملتوتا في اناء فصاروا يتداولونه شربة شربة ، فكاد الشيخ يطير فرحا وبنى على فعلها مذاكرة طويلة ذلك مضمنها .

137) وقال ايضا رضي الله عنه :

استعداد الفقير بما يظهر بسببه الفرح الذي يستحقه اهل الله من منزل وفراش ومطعم على قدر وسعه هو نصف المعنى ، وانما ينقصه النصف الاخر الذي سيأتي به الله من المدد حين يؤوي اليه الفقراء متى نزلوا لديه، ومن تعرض للنفحات فان ذلك علامة على انها ستصيبه بادنى مباشرة. كالانثى اذا حدثت فيها الشهوة الى الفحل ، فبمجرد ما تلاقيه على تلك الحالة الخاصة تلتقح فيأتي الولد باذن الله ، فيجب على الفقير ان يتعرض لنفحات ربه بكل ما في وسعه، فلا يبخل بالموجود، ولا يتعلق بالمفقود، فذلك ادب هذا المقام، فان من يتعرض للنفحات بالادب، جدير ان لا يفتلها دائما، لان الادب هو الجامع لكل جهة، فالصيادون ينظرون الى كل جهة يمكن ان يأتي منها الصيد فيحتاطون، والادب هو الاحتياط التام لمن يريد ان يصطاد النفحات الربانية .

138) وقال ايضا رضي الله عنه :

الحس هو المعنى ، فسر المعنى الباطن انما يظهر وجوده للناس من الفقير في حسه الظاهر، فمن كان ينسى الاستيثار بما يملكه ان عرض له محل الانفاق المشروع فيسخو به ، فان ذلك دليل على ان عنده المعنى ، وكذلك من كان يعوزه المعنى وعنده الحس فاسهل طريق يسلكه الى اكتساب المعنى هو انفاق الحس (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ويعني الصوفية بالحس المال وبالمعنى نور القلب .

139) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان نفحات الله ليس لها زمان ولا مكان ، فكما ان النفحة التي حصلت في بدر فشملت كل من حضر هناك وان لم يكن من المستميتين الكبار فكان من المغفور لهم وان عمل بعد ذلك ما عمل، تكون ايضا النفحات التي تهب في بعض الاحيان حتى في عصرنا هذا الذي يزعم فيه الزاعمون انه ليس بعصر النور ، ففضل الله لا نهاية له ولا حصر ولا علة ، وانما نفحاته من فضله الذي يوتيه من يشا" في اي وقت يشا" وفي اي مكان يشا" ، ولكونها من فضل الله دائما، يجب على الفقير ان لا يزال يتعرض لها بالنية وبالاعمال الصالحة، حتى النوم الشرعي الحاصل بنية التقوية المطلوبة شرعا هو من الاعمال الصالحة، وانما الاعمال بالنيات .

140) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير الصادق هو الذي تكون فيه قابلية الانتفاع من كل احد بالادب الظاهر والباطن وبالتسليم من غير ان يتجاوز بوجهته شيخه، كالنحلة ترعى من مختلف الازهار في النهار ثم تروح العشية الى خليتها .

141) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يسلس الفقير القياد لنفسه، وليكن منها دائما على حذر ، كما يكون مع من يتحقق عداوته وانه لا يريد له الخير وانه لايزال يتربص به الفرص والدوائر ، فالنفس تاتي الفقير من كل جهة ، وكذلك الفقير يجب عليه ان لا يزال يحترس منها من كل جهة . وقد تانف من اكل الطعام وتقترح الوصال، فليخالفها الفقير ولو بقليل من الطعام كما هو السنة في الصوم ، فإنه ان فعل بها ذلك تنكسر حدتها وتفتر سورتها ، فقد يكون مقصودها ان تتباهى بالوصال ، وانها بلغت مبلغا عظيما من العبادة ، والسور الدائم الذي يتحصن به الفقير من نفسه هو عدم الانقياد لها حتى في احل الحلال الا بالمقدار الذي يحبذه الشرع، فان لم يجد الا ان يتباطأ عنها في شربة الما" البارد ان عطش، فليبطي" عنها قليلا (افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم) ،

142) وقال ايضا رضي الله عنه :

متى صفا القلب، فان وارداته تجي" على وفق الكتاب والسنة، ومن قيدها بالكتابة فقد صانها ليتقوى بها القلب ثانيا متى وقع له فتور ما، فمتى جال استنباط في تلك الواردات فان القلب يلتذ بها كالتذاذ السامع برنات المثاني والمثالث .

143) وقال ايضا رضي الله عنه :

بقدر ما يذكر العارف بالله ربه في حياته، يرفع الله له الذكر والشهرة في العالمين بعد مماته ، والجزا" من جنس العمل ، وبقدر ما يقمع نفسه ويذبحها على ارض شهواتها تجد الذبائح على قبره (هل جزا" الاحسان الا الاحسان) . فكل ما يذبح على ضريح الشيخ

سيدي احمد بن موسى منذ عهده الى ان ينقضي الذبح عليه ، انما هو بقدر ما كان يخالف نفسه في شهواتها حال حياته ، والمرء مجزي بعمله .

144) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يتم كمال الانسان حتى ياتيه كرم ربه على ايدي اعدائه ، كما ياتيه على ايدي احبابه، فكما ان الخير ما شهدت به الاعداء، كذلك الكرم ما ياتي على أيدي الاعداء، ومن كان لله كان الله له ، ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

145) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفرار الى الله من الواجبات، فقد قال تعالى (ففروا الى الله) فليفر الفقير من صديقه كما يفر من عدوه، فلا يشغله عن مولاه صديق كما لا يشغله عند عدو، وهذا هو السبب عند ارباب هذا الشان حتى اوجبوا على المريد ان يكتفي من الخلق بشيخه الذي يوصله الى ربه، فيذر غيره مع محبة جميع اهل الله والتسليم لهم ، فمن لازم بابا واحدا تفتح له الابواب، ومن خضع لرقبة واحدة تخضع له الرقاب، فالاشتغال عن الله بالصالحين، مثل اشتغاله عنه بالطالحين، اذ الاشتغال واحد (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) (قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا). (افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) .

الله قل وذر الوجود وما حوى ... ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته ... عدم على التفصيل والاجمال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ... شيئا سوى المتكبر المتعالي

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ... فى الحال والماضى والاستقبال

146) وقال ايضا رضي الله عنه :

لا يحرص الفقير على صحبة احد من اخوانه الا على من كان على لونه من الفقراء، فان الفقراء وان كانوا اخذوا كلهم عن شيخ واحد ، لا بد ان تكون لهم مشارب مختلفة ، ولهذا يربي الشيخ كل واحد منهم تربية خاصة، فلا يليق للفقير ان يجالس ولا ان يماشي ولا ان يحاذى في مجلس الذكر ولا في وقت شغل من الاشغال، الا من يوافق مشربه مشربه، ويستقي من مذاكراته قلبه ، ويتقوى بصحبته حاله ، فالفقراء كالازهار المختلفة الالوان ، (صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .

147) وقال ايضا رضي الله عنه :

الذكر والباس لا يجتمعان على الانسان ، فمن اراد ان لا يرى باسا في قلبه ولا فى كل ما عنده، فلا ينسين ربه اما بالذكر التام، وهو الذكر بالقلب واللسان، واما بالقلب فقط

وهو التفكير في جلال الله وعظمته واتساع قدرته في مختلف مخلوقاته ، او باللسان فقط على الاقل، وفي الحديث القدسي، لا اله الا الله حصني، فمن دخل حصني امن من عذابي. والباس الاعظم هو الغفلة ، والذكر الاكبر هو ان لا تزال تذكر الله على كل احوالك ، اي لاتنساه بالكائنات، بل تذكره بكل شيء تلبست به ، فبهذا الذكر تتغطى من الشيطان الذي يقود اليك الباس دائما (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) فمن اراد ان يعرف مقامه عند الله، فلينظر مقام الله عنده .

148) وقال ايضا رضي الله عنه :

يكتفي الفقير من اصحابه الذين يصاحبهم للدنيا بان يصلحوا له وحده، فليرض بذلك، وليعرف ان ذلك كرامة من ربه، ولا ينتظر ان يصلحوا للناس اجمعين (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) (وقليل ماهم)

149) وقال ايضا رضي الله عنه :

افضل ما يتطلبه العبد من ربه في اوقات الاجابة، وفي الامكنة التي تظن فيها الاجابة، رضوان الله الاكبر ، فان الله اذا رضى عن عبده لا يسخط عنه ابدا ، فقد وقع لنا حين واجهنا القبر الشريف في المدينة المنورة، اننا كنا نطلب الاستقامة في الامور كلها، فسمعت بأذني هاتين ـ والله على ما نقول وكيل ـ الخطاب النبوي يقول لي ان هذا المقال عظيم، فلا تطلبن فيه الا الشيء الذي لا اعظم منه ، فعلمت انني اخطأت فسألته عما اطلبه فأمرني بطلب رضى الله الاكبر، ثم تذكرت قوله تعالى (ورضوان من الله اكبر) فوجدته اصح دليل لذلك .

150) وقال ايضا رضي الله عنه :

يريد بعض الناس المعالي ببذل المحقرات ، كأنه لا يدري ان الذهب ثمنه غير ثمن النحاس ، فكيف ينال الفقير الرتبة العليا باللفت اليابس ان كان له ما ينفق منه سواه والله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) واقبح القبيح، صوفي شحيح.

151) وقال ايضا رضي الله عنه :

تفتحت الخزائن في هذا العصر ، خزائن الخير وخزائن الشر، فتيسر العلم والجهل معا فقد كثرت الكتب وانتشر العلم ، كما كثرت اسباب الجهل، ودواعي البطالة ، فلم يبق فيه باب من ابواب الخير ولا باب من ابواب الشر مغلقا ، فقد استخرجت النعم المتنوعة كنوزها، وأرخت فيه المصائب عزاليها ، فكما تكثر فيه الغواية ، تكثر فيه الطاف العناية ، فنحن نحمد الله على وجودنا فيه، فان كان غيرنا لم يكن ينال فيما مضى الا بالاعمال الكثيرة فالفتح متيسر اليوم ، ولا يشترط فيه الان الا صدق التوجه، فمن صدق في عمله ينال كل

ربح في الحين ، فبينما هو من الجاهلين الغافلين ، اذا به هو من العلماء العارفين :

لكن سر الله في صدق الطلب   كم ريء في أصحابه من العجب

152) وقال ايضا رضي الله عنه :

هذا زمان غريب الاطوار . فقد خرج فيه ما كان مخصوصا بيوم الحساب من الاهوال ، وتراكم اعمال تكون غريبة عن الانسان ، لا يدري كيف سقطت عليه ، ولا كيف اندفع اليها ، وهو الزمان الذي قيل فيه ، سياتي على الناس زمان، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، (ومن يهد الله فما له من مضل) وللفقير الصادق دائما مخرج من كل هذه الاهوال ما دام ينحاش الى الله تعالى ويتحقق بقول (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

153) وقال ايضا رضي الله عنه :

الفقير هو الذي يملك حاله لا الذي يملكه حاله ، فيكون كالجبل الراسخ الذي تتفجر فيه عيون الماء ، وتصطدم به العواصف وهو ثابت لا يتحرك.

154) وقال ايضا رضي الله عنه :

كل من اقامه الله في مقام ترضى عنه الشريعة، يجب عليه ان يرضى به ، فلا يتطلب الانتقال عنه حتى يكون الله هو الذي يتولى نقله ، فكل ميسر لما خلق له ، فان للنفس دسائس في حب الانتقال ولو من مقام يظهر لك انه اسفل، الى مقام يظهر انه اعلى، ففوض لربك فان مقامك حيث اقامك .

155) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان كل من حصل منا من اصحابنا، يصلح للاقتداء به وان اختلفت المشارب وتفاوتت المراتب، فالماء الصافي ماء واحد وان اختلفت منابعه، فكيف به اذا اتحد منبعه.

156) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان كل المقامات التي تذكر للاولياء توجد كلها في طائفتي بفضل الله .

157) وقال ايضا رضي الله عنه :

لم يسلم لك من لم يسلم لاصحابك ، ولم يراعك من لم يكن ذا مراعاة لكل من اليك

158) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان كل من لاقانا وشرب من شرابنا فقد امتلأ وطبه، فان اراد بعد ذلك ان يزيد على ما في الوطب من عند غيرنا فانما يريق ما فيه ، وان اريق مما فيه لا يمكن ان يمتلىء ثانيا وان اجتمع اولياء المشرق والمغرب .

159) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان اصحابنا كحلنا اعينهم بالكحل الذي يحد ابصارهم ، فلا يمكن ان تتمشى عليهم حيل من يكذب في الطريقة ، او يدخل في باب الله بالمظاهر المزيفة .

160) وقال ايضا رضي الله عنه :

انني فتح علي في هذا البيت :

من كان منكم لكم عبدا علا شرفا   من لم يكن عبدكم والله لم يسد

لعله يعني انه ما فتح عليه الا بخدمة اهل الله والتواضع لهم واعتقاد انه تراب نعلهم

161) وقال ايضا رضى الله عنه :

كم من فقير نرفعه من سبعين قامة تلقيه انت وامثالك في مهواة يبعد قعرها بأكثر من سبعين قامة .

قال ذلك لفقير من المتجردين لا يتعفف عن المتسببين ويتطلب منهم متاع الدنيا، ومثل ذلك يستثير غضب الشيخ كثيرا .

162) وقال ايضا رضي الله عنه :

حقا ان الذي قلناه امس هو الذي نقوله اليوم وهو الذي سنقوله ايضا غدا الى ان نموت ، هو لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقرب اليهما قلوب العباد، فذلك لا يبلى ولا يخلق على ألسنتنا، كما ان الفاظ الدلال في السوق لا تبلى ولا تخلق على لسانه في كل يوم ، لان عمله في البيوعات واحد .

قال ذلك في مجلس حضر فيه انسان كان سمع من الشيخ قبل في مجلس آخر مثل الذي سمعه منه في هذا المجلس ، فقال في نفسه ، سبحان الله ان الشيخ لايدور كلامه الا في مقام واحد ، ولم يقل ذلك في قلبه حتى سمع الشيخ يقول ما تقدم ، فعلم انه كوشف عما في ضميره فعراه الخجل ، فتاب الى الله .

163) وقال ايضا رضي الله عنه :

ان الارتباط بين البشرية والروح، هو السبب في تأثر الذات بما يعرض للنفس الناطقة من الاعراض المعنوية كالفرح والحزن والخوف وغير ذلك فيظهر اثره في الحين .

164) وقال ايضا رضي الله عنه :

ليس هناك لاهل الخصوصية دائما الا السير والزيادة ، فان حصل توقف او نقص في الظاهر، فما ذلك الا للسير والزيادة في الباطن من القوة النورانية، اذ لا تكون القوة من جهتين غالبا في حين واحد .

165) وقال ايضا رضي الله عنه :

حسن العوائد ينتج الفوائد ، والعوائد التي يطلب خرقها بين العوائد ، هي عوائد الغفلة، لا عوائد الخير التى هي مدرجة الوصول، فلا يقطع عوائد الاذكار، الا من لاشعور له بما تمده به من الاسرار .

تلك هي مقالات الشيخ التي تيسر لي جمعها، وقد اخذت غالبها عن سيدي مولود عن الشيخ، والبعض الاخر عن غيره من الفقراء وقد حرصت جهدي على امانة النقل فيها ، ثم حررت الجميع مع المذكور ، وقد عانيت ما عانيت لاؤدي بالعربية المعاني التي في لغة الشلحة ، لان لكل لغة خصائص لا توجد في غيرها ، وكثيرا ما يضرب الشيخ الإمثال كما رأيت ، كما أنه كثيرا ما يستدل بالقرآن والحديث والابيات وكلام العطائية واقوال الصوفية، كما مر بين يديك، قال سيدي محمد بن مسعود انني اتأمل كلام العارفين خصوصا كلام الشيخ فاجده ينبع من معاني القرآن والحديث ، عرف ذلك العلماء وجهله الجهال ، وقد تقدم عن الشيخ ان القلوب إذا صفت توافق وارادتها الكتاب والسنة.

(الفصل الخامس والعشرون في بعض كرامات الشيخ الباهرة)

اعلم ان من الاعاجيب التي وقفت عليها استبحار كرامات الشيخ وكشوفاته استبحارا عظيما ، حتى ظننت انه لو تصدى اليها من يجمعها لكانت تبلغ مجلدات، فما من فقير كنت الحادثه حول الشيخ الا وجدته يحكي فيما رأى منه من الكرامات والكشف الشيء الكثير جدا وقد تتبعت تقييد ذلك عن بعضهم في كتابي «من افواه الرجال» فكنت اجمع عن كل واحد شيئا كثيرا ، وحين كان اصحاب الشيخ الذين يصاحبونه دائما او في بعض الاحوال زهاء عشرين الفا وكان كل واحد منهم يعرف له ولو كرامة واحدة وقعت بينه وبينه، تبلغ كراماته آلافا مؤلفة، هذا مع ان ذلك لم يكن يصدر من الشيخ كإرادة منه ولم يكن من النوع الذي يظهره بعض المشائخ لاصحابه عيانا ولم يكن الشيخ ممن يحتبل بالكرامات ولا ممن يربي اصحابه على اكبار شأنها ، بل كان يقول دائما ان الكرامات لا تكثر الا من الذين لم يصلوا بعد ، وغالب نوع الكرامات الصادرة من الشيخ انما هو من باب ما يستنهض المريد او ينقذه من وحلة ينتشب فيها ، او من التكلم على الخواطر وذلك منه كثير جدا جدا ، حتى كان ذلك معتادا من اصحابه لا يستغربونه ، فلنذكر من الكرامات ما تيسر لنا الان ونجتهد ان نختصر كما اشترطناه في الكتاب .

الكرامة الاولى

اخذ عنه انسان من اداوزيكي وكان من المجان ، فعزم ان يعاود ما كان يألفه فاختلى بأجنبية . وهم بها والمصباح يضيء، اذا بالشيخ معه في وسط البيت . فقال له ماذا تصنع ؟

فأهوى الشيخ بيده الى المصباح فأطفأه ، فصار الرجل خجلا هنيهة ، ثم استفاق فأخرج عنه المراة فلم يرها من ذلك النهار .

الثانيـــــة

ارسل الشيخ سيدي الحاج محمد بن عدي الواعظ في اول اعتنائه لطريقته ولا يزال شابا كما صام سنتين يسرح ثيرانا للزاوية في وادي نون فكان يجتمع في المسرح مع اعرابية جميلة صارت تترامى عليه وهو يجتهد ان يسلم منها، فدفع عنه المعصية اياما حتى غلبته نفسه وقال : لئن لم يغثني الشيخ بهمته الى العشية غدا لابلغن مرادي ، ولم تكد العشية تقرب حتى وصل اليه الرسول من الشيخ بعجلة شديدة ، وقد بعثه الشيخ من الزاوية الالغية من مسيرة يومين للمجد او اكثر، فأمره بأن يسرع حتى يصله ، فقال له بمجرد ما تصله اذهب بالثيران وبعها واقدم معه ، فان وصلت عشية فلا تنتظر الصباح ، وان وصلت صباحا فلا تنتظر العشية ، وهاتان الكرامتان تدلان على مراعاة الشيخ لمريديه من الغيب وقد حكى مثل ذلك عن سيدي احمد بن موسى في بعض مريديه .

الثالثـــــة

حدث سيدي محمد الزكري قال كان الشيخ استنقذ من بحبوحة المعاصي سيدي الحسين اولكود البعمراني واصحابه حتى تابوا من الالعاب الشيطانية التي اولعوا بها ، فكانوا من اصحاب الشيخ ، ثم لما رجعنا من عندهم وسحنا الى جهة القبلة، استدعاني الشيخ يوما فأمرني ان اذهب مسرعا الى بعمرانة ، وان اجد السير قدر ما يمكن لازور اولئك الفقراء. فذهبت مسرعا ، فبعد ايام وصلتهم فوجدتهم راجعوا ما كانوا فيه اولا ، فانخرطوا ثانيا في ملاعب احواش بسبب فقيه افراني ناصري الطريقة ورد عليهم بعد الشيخ ، فصار يعيب الشيخ وطريقته المتشددة وكل ما يلزمه للناس ان يتركوه ، حتى إنه صار يامرهم هو لبضاد الشيخ بملعب احواش، فصار ينادي ان كل شابة احتجبت ستقع في هلاك، والناس دائما اسرع الى ميادين الهوى ، فسرعان ما اصاخ له الناس ، ومن بينهم اولئك الفقراء الذين تابوا على يدي الشيخ ، قال الحاكي فلما وجدتهم على تلك الحال عرفت حينئذ لماذا بعثني الشيخ فذهبت الى الملعب ، وآخذ منه بأيدي الفقراء ، فينقادون لي وهم مستحيون ، وعلى رؤوسهم اضغاث الحبق على عادة المجان في الملعب، ثم صرت اعذلهم وأؤنبهم فيما وقعوا فيه، ثم ذهبت الى ذلك الفقيه فناظرته مناظرة علمية حججته بها ، الا انني لا ادري ما أقول له ولا كيف يخرج ذلك العلم مني ، فعلمت ان الشيخ هو الذي يتكلم عن لساني بما لا اعرفه ، ولا يمكن ان يعرفه امي مثلي ، فأحيا الله اولئك الفقراء فصاروا بعد من العارفين

الرابعـــــة

كنا نرى من سيدي مبارك أزكوك الامي تلاوة كثير من آي القرآن وسوق كثير

من الحديث فحدثني ان سبب معرفته للقرآن والحديث ما وقع له مرة في مراكش وذلك ان الشيخ ترك فقراء من اصحابه عناك سنة 1328 ﻫ ومعهم سيدي سعيد التناني، قال سيدي مبارك فاستدعاني سيدي سعيد يوما انا وسيدى احمد المتلاني فدفع لكل واحد منا ربع ريال ، وامرنا ان نخرج ليشترى كل واحد منا ما يشتهي ، فرجع سيدي احمد بثوب ابيض شفاف رقيق؛ ورجعت انا بعنقود من العنب، فسأل سيدي سعيد كل واحد منا لماذا اخترت هذا الذي اشتريته، فقال له سيدي احمد انني احب ان البس الثوب واتجمل به احيانا ، وقلت له انا : ان العنب الان كما بدأ في الطيب وهذا العنقود هو اول عنقود عرض في السوق ، فأردت ان اشتريه لك لانك عارف بالله، لتأكله قبل ان يفوز به يهودي كافر بالله ثم صرف سيدي احمد فقال لي ان مقصودي ان اعرف ايكما يصلح ان تظهر فيه روح الشيخ ، لان علماء كبارا من اهل المدينة سيجيئون الان لاختبارنا ، ولا اريد ان يجيبهم الا من لا تظن منه الاجابة ، ليكون كرامة للشيخ الذي يريد هؤلاء ان يختبروه باختبار اصحابه والان انهم سيدخلون فتول انت المذاكرة معهم ، ودع لسانك يقول ولا تبال، فان الشيخ هو الذي سيتكلم عن لسانك، وبعد قليل دخل العلماء فابتدأوا المذاكرة فابتدرت اليهم ، فرأيتني حينئذ كأنني احفظ كل القرآن والحديث وعلوم الاولين والاخرين فصلت عليهم صولة بهرتهم حتى اقروا بالعجز، ثم طال عجبهم لما علموا انني امي، فاعلنوا انهم يسلمون للشيخ ولاصحابه ، ومن ذلك الوقت صار ما حفظته يتناقص يوما فيوما الى الان، فما كنت احفظه في السنة الماضية ينقص عنه ما بقى لي في هذه السنة .

هاتان الكرامتان تدلان على ان روحانية الشيخ تتقمص بعض اصحابه لتدافع عن حوزة اصحابه بالغيرة العجيبة التي عرف بها دائما ، وقد تقدم عن سيدي مولود انه راى عيانا يوما الشيخ انطوى في سيدى سعيد التناني ويتكلم بلسانه ، وفي علم الارواح اليوم الذي يزاول عيانا ما يشهد بمثل هذه الوقائع من تقمص انسان روح آخر .

الخامسة

وحدثني سيدي محمد بن علي التادلي نزيل الجديدة ، وقد كان انقطع الى الشيخ في الزاوية الالغية 1317 ﻫ حينا الا انه لم يستطع مجاراة الفقراء في العادات ولا في العبادات فذهب عن الشيخ وهو مبهور بكل ما رآه من الشيخ، فكان لا يزال يجعله قطب احاديثه في المجالس بين الحضريين قال، زرت يوما الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني في داره بفاس ابان عنفوان الاقبال عليه، فرأيت بسطة في الجمال الذاتي ، وتوسعا في التعبير، وتدفقا باقوال اهل التصوف، مع انبساط في الفراش والمأكل وعدم التضييق ، وكثرة الاقبال من الناس، وهم ينزلون عند الشيخ في ارفع الضيافات ، فقلت في نفسي هذا والله هو الشيخ، وهو الذي يليق بامثالنا اهل الحضر ، فاننا لا نقدر على شظف العيش وعلى ما

فيه الشيخ الالغي واصحابه، فلما خرجت من دار الشيخ الكتاني ، ومشيت خطوات تمثل لي الشيخ الالغي اراه بعيني هاتين، ثم مشى الي حتى واجهني فبصق في وجهي ببصاق كثير وهو يقول (تفو)، ثم غاب عني، فعلمت ان الشيخ غار حين فضلت عليه الشيخ الكتاني ، فتبت لله من ذلك .

السادســـــة

وحدثني الفقيه سيدي الحسن الماسي الذي كان تجرد بين يدي الشيخ سنون عديدة انه كان في مبادئه بعدما اخذ عن الشيخ جلس الى ضريح الشيخ سيدي مسعود أفلوس بادا كنيضوف ، قال وبينما انا اواجهه اذا بالشيخ جلس بيني وبين قبره ، فأطرقت حياء ، ثم ذهب عني ، فكان ذلك احد الاسباب حتى انقطعت اليه .

السابعــــــة

وحدثني سيدي ابوبكر بن عمر عن سيدي احمد الفقيه انه ضيف مرة فقراء من اهل الطريقة التيجانية ، فجلسوا يذكرون الوظيفة ، قال وانا منتبذ عنهم ، فالتفت فشاهدت الشيخ متربعا فوقهم في الهواء ، فاستولى علي حال شديد اجهشت به بكاء ، فقلت ان الشيخ الى الان لم يزل يتخوف ان انقض عهده ، وان يستميلني غيره ، وحين رأى اولئك بكائي ظنوا انني ابكى تأثرا بما هم فيه ، فصاروا يرفعون اصواتهم في قراءة الوظيفة ، ويزيدون غنتهم رنة ، وقد رأى المذكور الشيخ مرات اخرى كذلك، منها جلوسه بينه وبين دربوز قبر الشيخ سيدي محمد بن ناصر في تامكروت ، وقد جلس اليه سيدي احمد الفقيه يوما يزور منه، ووقف عليه مرة اخرى وهو في شدة ، فقال له لاتخف، يراه في كل ذلك عيانا

الثامنـــــة

وحدثني سيدي مولود ان احد الفقراء من رأس الوادي اخبره انه كان قبل ان ينخرط في طريقة الشيخ معدودا من اصحاب الشيخ سيدي الحسن التيملي الايرازاني ، قال ثم لما عرف اصحابه بانني انخرطت في الذي انا فيه عقدوا مجلسا عاما فصاروا يلومونني ، وبعض جهال ربما نووا ان يضربوني ، فلما اكثروا علي رأيت الشيخ جالسا بينهم اراه عيانا فلم ينشبوا ان افتتح احدهم الذكر فاشتغلوا به ، فنسوني فنجوت منهم ببركة الشيخ الذي اراه أنا ولا يرونه هم .

هذه كلها تدل على غيرته الطافحة . وعلى كونه لا يحب من اصحابه ادنى التفات وهذا يصدق ما كان يقوله ، من ان الاشياخ لا يغيب عنهم من اصحابهم بفضل الله شيء وان ارواحهم لا تزال ترعاهم اينما كانوا .

التاسعة

وحدثني سيدي مولود : قال كنت دخلت يوما الى تاكموت فوافقت فيها دخول جيش القائد محمد بن ابراهيم التيوتي ، وقد دهم بشدة ، فخفت ان يفتك بالناس ، فعراني حال عظيم خوفا على الناس ورحمة بالضعفا ، فتوجهت منفردا بهمتي بعد عصر يوم فاذا بالشيخ امامي جالسا ، فلم اكد اراه حتى انكشف ما بي وذلك عند اصفرار الشمس ، فوجدت برد التسليم للقدر ، فكان ما كان ، وهذه الرؤية وقعت للمذكور بعد وفاة الشيخ وهذا مختصر من حكاية .

العاشرة

قال شاهدت يوما عجبا من الشيخ فقد كنت امشي وراءه في اداوتنان وهو على بغلته والفقراء منتشرون ، فلم ألبث ان رأيت البغلة مشت بالشيخ وقصدت به تحت شجرة كبيرة معرشة انحدرت جذوعها الكبيرة الى الارض ، فاخذني الدهش فصرت ارى ، فاذا بالشيخ صاح (الله)، واذا به مع البغلة وراء الشجرة وقد تعلقت عمامته باشواك الشجرة فلا ادري كيف تخلص الشيخ من تحتها مع اعتقادي ان ذلك خرق عادة ، وانه لا يمكن ان تمشي البغلة تحت الشجرة عادة ، فايقنت ان ذلك من باب خرق العادة .

الحادية عشرة

وحدثني ايضا انه جلس الى ضريح الشيخ يوما يشكو اليه ما يلاقيه من التعب مع الناس في التطبب الذي اشتهر به عند كل احد ، فلا يزال بين المرضى وذوي العاهات متنقلا،قال فأجابني الشيخ من القبر بأن ذلك هو مقامك، فالله يجعل الشفاء في يدك، وقد ذكر انه كان كثير ما يوجه الاسئلة الى الشيخ من بعيد في حياته وبعد مماته ، فيجيبه اما بآية واما بحديث ، قال ولا ينصدر منه الجواب الا بهذين ،

الثانية عشرة

وحدثني المولى احمد الدرعي الضرير ، قال اضر بي الجن كثيرا في داري ، وأنا اقرأ القرآن، فاذا بالشيخ اراه بعيني جلس الي فعافاني الله مما كنت اجده ، هذا وحضور الشيخ عند المرضى من اصحابه كثير جدا ، يحضر اليهم بذاته يرونه عيانا ، وسترى ذلك في كلام سيدي محمد بن مسعود .

الثالثة عشرة

وحدثني سيدي ابوبكر بن عمر الايليغي قال حدثني سيدي احمد بن باها الالغي ،

وهو القيم على حرث الزاوية وعلى الحصاد ، وكـان يلازم دائما زاوية الشيخ مع قرينته فى كل الصلوات وقد شهد له الشيخ بمقام يوازي مقام سيدي احمد بن موسى قال ضاع ولد لبعض حراطين دوكديير وهو صغير اسود ، ففتش عنه فى كل محل، ولم يشك ان اللصوص سرقوه ليبيعوه على عادتهم اذ ذاك في امثاله ، فجاء الى الشيخ يبكي عليه بكاء مرا ، فقال له الشيخ هل فتشت عنه فى هذه الحقول ؟ وأشار الى الحقول امام الزاوية ، ثم خرج معه الشيخ من المركع الى الباب ، فقال له وهو يمد يده : انظر اليس شخص يستبين هناك ، وأشار الى مسيل الماء عند اشجار التين ، فذهب اليه الحرطانى فاذا بولده بعينه .

الرابعــــة عشرة

وحدثني سيدي محمد الزكري قال كنا مرة مع الشيخ عند اهل بورايس في قبيلة آيت يحيا حول تارودانت فضيفوا الشيخ والفقراء ضيافة استمرت اياما ثم تطلبوا من الشيخ ان ترجع لهم امة سرقت لهم ، فقال لهم الشيخ نطلبها من الله ثم من هناك الى زاوية الشيخ سيدي الحسن التملي الايرازاني ، قال وبينما نحن في مجلس الشكر صباحا ، اذا بامة دخلت فصارت تتخطى الفقراء حتى وصلت واحدا من اهل بورايس فا كبت عليه فاذا بها هي تلك الامة والرجل سيدها ، فسئلت من اين أتت؟ فقالت لا أدري وعمن اتى بها فقالت لا أعرفه الا ان انسانا اوقفني في الباب وقال لي ، ادخل الى هذا المكـان ، فان فيه سيدك . فكانت كرامة شهدها كل من حضر في موسم سيدي الحسن .

الخامسة عشرة

وحدثني سيدي مولود قال: لاقينا احد من تلقنوا طريقة الشيخ في تافيلالت لما زرناها بعد الشيخ، فصار يحكي لنا عن صفات الشيخ، ثم قال انني اعرفه معرفة تامة، وذلك انني تناولت رسالة من رسائل الشيخ التي يكتبها الى شرفاء تافيلالت ، فرأيت وجه الشيخ تجلى لي في صفحة الرسالة ، فصار يصفه كما هو .

السادسة عشرة

وحدثني احد الفاسيين الصادقين وهو مولاي الطاهر المنجرة قال : رأيت من ابيك عجبا ، وذلك انني دخلت مراكش 1327 هـ فصرت اسمع بأن الشيخ سيدي الحاج علي متوجه الى مراكش ، ثم اخبرت انه نزل في زاوية حومة القصور الدرقاوية، فذهبت اليها فوجدتها مكتظة بالفقراء ، ثم لم اكـد ارى الشيخ حتى تبين لي انني طالما اجتمعت معه فى قبة مولاي ادريس بفاس، لا اشك فى ذلك ولا ارتاب، وكنت احسبه احد اهل فاس دائما ، ثم عرفت ان الشيخ لم ير فاسا منذ ان الم بها سنة 1299 هـ.

السابعة عشرة

وحدثني سيدي مولود قال: حدثني مجاطي انه كان في فاس فذهب ليزور من مولاي ادريس فجلس في القبة ، قال فاذا بالشيخ سيدي الحاج علي دخل فزار وخرج ، تحققته كما اعرفه من بلدنا ، فظننت انه ورد من سوس الى فاس بأصحابه على عادته في السياحة ، فلما خرجت من القبة صرت اسأل اين نزل هو وطائفته ، وبحثت فلم اجد الخبر عند احد من اهل بلادنا هناك ، قال سيدي مولود ، كان هذا الانسان يطيل العجب لانه لا يعرف الشيخ ولا كراماته ، فليس من الفقراء اصحابه الذين يعرفون احواله .

الثامنة عشرة

وحدثني سيدي مولود ايضا قال: حدثتنا الفقيرة الصوفية الذاكرة السيدة ايجو الامسرائية، قالت مرضت في زمن حتى بلغ المرض مبلغا عظيما الى ان غبت عن شعوري، فإذا بالشيخ اقبل الي يمرضني حتى استفقت فلازمني وانا اراه عيانا وهو يطبني فشافاني الله ، ثم غاب عني، وكانت تحدث بذلك دائما ، ومثل هذه ذكرها سيدي محمد بن مسعود عن بعضهم انه رأى الشيخ عاده في مرضه فبريء - في حكاية .

التاسعة عشرة

واخبرني ايضا هو وغيره عن الفقير سيدي احمد بن سعيد من آل مري الرؤساء الزكريين انه كان مرة في حرب بين قبيلة اداوزكري وبين قبيلة ايسافن ، فبينما هو يمشي مع اناس اذا بهم وقعوا في كمين من اعاديهم فجرح في رجله فاذا هو يرى الشيخ عيانا يقوده ومن معه نحو تلمة ، حتى نجوا بخرق عادة من الذين كمنوا لهم ، وكادوا يهلكونهم كلهم اجمعين .

العشـــــرون

واخبرني فقير تملي اعمى كان يقطن في قرية البكارة بالشياظمة ازاء أحد درا ، قال وردت الى السويرة فصادفت امام باب المدينة في رجوعي بنتا تتكفف، فأعطيتها ما تيسر ثم سألتها عن اهلها، فزعمت انها يتيمة، فطلبت منها أن تأوى الي لاقوم بها، ففرحت بذلك فذهبت بها ، وبعد ايام صارت تبكي وتطلب ابويها ، فقلت الم تزعمي انك وحيدة ؟ فصارت تصرخ فذهبت بها واطلقتها امام باب المدينة ، ثم دخلت المدينة اقضي مآربي، فاذا بها مع رجل في سوق أقا فترامى على الرجل ، فصار يصرخ وينادي في الناس، ان هذا سرق بنتي فاجتمع علينا الناس وهم في ضوضاء وانا ابين له الحقيقة ، ولكن اين من ينصت لي ؟ وهو آخذ بتلابيبي، فلما اشتد علي الحال استحضرت الشيخ في قلبي اذا به وقف علي عيانا

بردائه المعهود ، فلكمني في صدري، وقال ان من لا فائدة له في شيء فكيف يشتغل به ثم وسع الزحام عني فخرجت .

الحادية والعشرون

وحدثني كثيرون منهم سيدي مولود قال : حدثنا الفقير الملقب باسكاتي من قرية إداولصطان بالنائجة قال ، تعرض لي يوما لصوص في طريق فاشتد علي الخوف فرأيت الشيخ بعيني كما كنت اعرفه ، وبيده بندقية فقال سر بنا ، فمررنا باللصوص ولم يحركوا ساكنا ، فصاحبني حتى وصلت قريتي آمنا ، ثم غاب عني .

الثانية والعشرون

حكى المذكور ان المتجردين خرجوا يوما من مصلى الزاوية الى المركع في الصيف فسألهم الشيخ عن سبب خروجهم، فذكروا كثرة البق، فصار الشيخ يقول انحن الساكنون أم البق ؟ فصار يكرر ذلك ما شاء الله فرجع الفقراء الى المكان باذن الشيخ ، ثم انقطع البق في الحين هناك ولم نره في تلك السنة .

الثالثة والعشرون

واخبرني سيدي ابراهيم البصير النزيل بقبيلة بني عياط بتادلة الان ان فقيرا كان معه في يوم الحريق الذي استطير بالبارود في موسم غوشت عند مشهد سيدي احمد بن موسى سنة 1327 ه وقد سماه باسمه ولا اعرفه انا قال انه اخبرهم ان اندفاع البارود طار به الى السماء فالقاه بعيدا ، وقد تلقاه الشيخ الذي كان يعرفه حق المعرفة ، فسلمه اللهببركته وقد رآه عيانا في الهواء حين تلقاه بيديه .

الرابعة والعشرون

واخبرني الفقير سيدي ابراهيم العروم ، الساكن في قرية تيزملالين بقبيلة متوكة انه حضر في موسم الشيخ سنة ، فحين صليت العشاء ، وقد علا الشيخ فوق منبره ، والفقراء اكتظت بهم الزاوية وهو يبدي ويعيد في الوعظ والمذاكرة ، خطر لي ان انفتل من المجلس لانظر بغلتي فأزيل عنها المخلاة ، وقد كنت بحيث يمكن لي ان اتسلل من غير ان اتخطى الرقاب وحين وصلت مرابط البهائم وراء الزاوية اذا بالشيخ وهو بردائه وعمامته يستدير بالبهائم ، فحين قربت منه وعرفته ناداني ، ماذا تصنع هنا ؟ اذهب الى المجلس فرجعت في الحين ، فوجدت الشيخ على المنبر ، فقلت لمن كانوا إزائي هل قام الشيخ من مكانه الان ثم رجع اليه ، فقالوا انه في محله منذ جلس ، فعرفت ان ذلك كرامة من الشيخ اكرمني الله بها ، فاستنهضتني الى ربي .

الخامسة والعشرون

وحدثني المؤذن سيدي محمد بن بلعيد التناني قال اخبرني الواعظ سيدي الحاج محمد بن عدي ان الله ازال له الحجاب يوما في آخر مجلس للشيخ في احد مواسمه صبيحة يوم الاربعاء ، والفقراء يسلمون عليه لينصرفوا ، وذلك في المركع قال فرأيت للشيخ ذاتين انفصلتا امامي، فبقيت احداهما واقفة تودع الفقراء، والاخرى صارت تمشي متوجهة الى الدار فطلعت من المراقي فدخلت الى الدار .

السادسة والعشرون

وحدثني الفقير المتجرد سيدي علي التاكيامتي النزيل الان في الرحامنة قال كنت يوما خارج الزاوية الالغية، فأردت ان ادخل من بابها، فاذا بالشيخ استند في مكان في الممر كان يستند فيه احيانا، فاستحييت من المرور به ، فرجعت وقصدت الباب الكبير الذي تدخل فيه الجمال والبغال ، فاذا به ايضا واقفا يتمشى ، وانما اراه بعيني هاتين والوقت نهار ، فرجعت الى الباب الاخر فاذا به لا يزال في مكانه فكذبت عيني فرجعت الى الباب الكبير ثانيا فاذا به لا يزال يتمشى ، فترددت حتى عرفت ان ذلك كرامة من الشيخ فدخلت عليه من الباب الاول الذي استند فيه فقبلت رأسه ، فلكمني بلكمة وقال انك يابهيمة لا تزال تدور هكذا وهكذا .

السابعة والعشرون

وحكى لي سيدي مولود قال : رفع الله الحجاب لي عن الشيخ يوما وهو واقف في سطح الزاوية وهو كما رأى هلال رمضان ، فرأيته يتمنطق بمنطقة ثم بأخرى على هيأة العامل المجد الذي يعزم ان يقبل على عمله بالجد الكثير، فعلمت ان الله اراني الهمة التي عزم الشيخ ان يقابل بها هذا الشهر المبارك .

الثامنة والعشرون

وحدثني سيدي احمد بن الطيب الزكري قال : اقترح علي الشيخ يوما اثر اختتام المجلس في سياحة بقبيلتنا ان ابيت معه ، وانا لا اقدر على ذلك اكبارا لمقامه واستحياء منه ، الا انه ألزمني ذلك إلزاما ، فحين جلسنا في المحل واستند الشيخ وقد تلوى في ردائه والمحل فيه نور من القمر ، جلست انا منتبذا لا يحوم بعيني النوم ، فبعد برهة من الليل التفت فرأيت رداء الشيخ وحده على الارض وليس فيه الشيخ، فصرت احقق بعيني حتى تحققت ذلك بلا ريب ولا شك، فبقيت ساكنا ما شاء الله ثم التفت الى الرداء ، فإذا بالشيخ فيه كما كان اولا وهو يتحرك ، فلم انم الى الصباح .

التاسعة والعشـرون

وحدثني سيدي مولود عن الحاج محمد الادزوراثي الزكـري قال ، كنا في شـدة في وسط البحر لما ذهبنا الى الحج فكاد المركب يغرق ، فرأيت الشيخ بسلهامه المعهود مثله للجزوليين حاضرا معنا يعاوننا حتى انجانا الله .

الثلاثــــــــون

وحدثني المؤذن سيدي محمد الدرعى ابو الركيك قال : حدثنا الفقير سيدي بلعيد التاكموتى انه سمع الشيخ وهو عندهم في تاكموت يقول في المجلس، ان من لا يقدر ان يضيف الفقراء بخبزة واحدة ، وان يؤويهم الى مربط بقرته لا يزال بعيدا من الاخلاص ـ او كما قال ـ قال، فذهبت فكنست محل البقرة، وفرشت فيهحصيرة هى كلما عندي، كما ان مربط البقرة هو الذي املكه في المسكن ، ثم طلبت من الشيخ ان يبعث الفقراء الى داري وأن يكون معهم فأذن لهم فصار الفقراء يدخلون حتى اكتض المكان الى مدار الباب ، فجاء الشيخ فوقف بالباب ولم يجد مدخلا ولا مجلسا يجلس فيه، فقال لي ما هذا، فقلت انك الذي قلت كذا وكذا ، ولم يتيسر لي الا ما فعلته ، فقال ايه اذن تتسع دارك الى هنا والى هنا هنا والى هنا فأشار الى الجهات الاربع ، قال ثم لم تستدر السنة حتى تهيأ لي بفضل الله ما حزت به كل الديار التي تجاورني في الجهات الاربع.

الحادية والثلاثون

واخبرني كثيرون ان الفقير التاجر الواعظ سيدي محمد أجدي الازيارى التناني كان يذبح كثيرا من غنم له حين كان الفقراء يبنون زاوية ازيار ، ثم ساح الشيخ الى تلك الجهة ، فأصاب الفقراء جوع شديد ، فوصلوا أزيار فبادر المذكور فهيأ من اللحم والخبز ما سد به خلة الفقراء ، فكان الشيخ يدور على ذلك الطعام لما تهيأ ، فصار يقول في نفسه ويكرره : حازها اجدى ، ذهب بها اجدى ، فـأفلت منه بعض كلامه فاستوعبه من حوله فلم يلبث المذكور ان فتح عليه في الدنيا حتى عاد تاجرا كبيرا ، ولا يزال حيا الى الان 1364هـ وهو من الذاكرين الواعظين الحائزين لنور القلب ، وقد عرفت عنه كرامات.

الثانية والثـلاثون

حدثني سيدي ابو بكر بن عمر وغيره ان سيدى الحاج محمداً التواتي كان يحدثهم بان السبب في اتصاله بالشيخ، انه كان ذا همة كبيرة في التطلع الى الشيخ الحي ليأخذ بيده ويوصله الى ربه، وقد علم من كتب القوم ان ذلك لايقع الا على يد شيخ حي من المشايخ الكبار ، فقيل له ان اردت استجابة دعائك ، فالزم اختتام دلائل الخيرات كل يوم الى

اربعين يوما ، قال فذهبت الى بستان لي في قريتنا باقليم توات فانقطعت فيه لذلك ، ففي الوقت الذي اتممت فيه ذلك العدد. وقف امامي رجل امعنت فيه النظر حتى تحققت اوصافه فصار ينقر لي جبهته بسبابته ، كأنه يقول لي انا صاحب حاجتك ، ثم ذهب عني شخصه ، فعولت على التفتيش عنه، وقد وافق ذلك احتلال بلدنا بالنصارى، وقد كنت ذا بيت وصيت ومال ، فحاولوا ان يقدموني رئيسا ، فهربت منهم الى جهة تافيلالت ثم درعة ، ثم لاقيت بعض اصحاب الشيخ، ثم عزمت على زيارته، فرأيت شيئا كقوس قزح ممتدا من امامي الى جهة سوس فسافرت مع فقرا" ، ولم يزل ذلك امامنا حتى وصلنا باب الزاوية، فوجدت رأس تلك القوس ممتدا من امام الباب ، فما وقفنا حتى خرج الشيخ ، فإذا به هو ذلك الشخص الذي رأيته في البستان بعينه .

الثالثة والثلاثون

وحدثني سيدي احمد بن الطيب ، قال حدثني الفقيه سيدي المدني التيمكدشتي قال حدثني القائد عبد المالك المتوكي فاه لفي ، قال تحامل علي القواد الذين كانوا معنا في وقعة فصاروا يشون بي للسلطان فخفت على نفسي ، فجمعت من اثق بهم من اصحابي فأمرتهم بآلاف من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حثثتهم ان يقصوا علي ما يرونه في المنامات . فأخبرني احدهم ان قائلا قال له : قل للقائد لا بأس عليك فلم اقتنع بذلك فزدتهم على ذلك العدد ، فقص ذلك الرجل ايضا علي مثل ذلك، فأمرتهم بالزيادة ايضا على ذلك العدد ، فذكر لي ذلك الرائي أنه راى الرجل وعرف صفته ، وقد امره ان يقول للقائد يتهيأ للرحيل في الوقت الفلاني فإنه لا يخاف شيئا ، وليذهب الى حال سبيله قال ففعلنا ذلك فنجونا بأنفسنا ، ثم قلت لذلك الرائي يجب عليك ان تذهب الى سوس لعلك تجد الرجل فإنه صاحب الوقت ، فتسوق موسم سيدي احمد بن موسى ، فصار يلاقي الصالحين فلما لاقى الشيخ سيدي الحاج علي اذا به هو ذلك الرجل بعينه، فطلب منه ان يصل الى القائد فوعده بذلك ، ثم اتصل الشيخ به كثيرا ، فكان ممن يتبرك بهم القائد ويعتقد فيهم خيرا .

الرابعة والثلاثون

وحدث مولاي محمد الشرقاوي الافراني من كبار اصحاب الشيخ قال ، خطب فقيه مني بنتا فلم ارد ان اقطع في امرها شيئا حتى اشاور الشيخ ، فلما شاورته سكت مليا ، ثم قال نعم الصهر القبر ، فلم تمض الا ايام قليلة حتى مرضت فماتت ، وقد عرفت ان ذلك هو مآلها منذ سمعت الشيخ يقول ما يقول .

الخامسة والثلاثون

وحدثني سيدي محمد العيساوي التزنيتي قال . بات الشيخ ليلة عندي في داري ، فتركت عنده طرفا صغيرا من شمعة فذهبت عنه فصرت اتردد طوال الليل الى ما حوالى البيت ، فاسمع الشيخ يتنفل . وارى الضوء كما كان ، ترددت مرارا الى ان اتيت بالوضوء سحرا فوجدت الشمعة على حالها لم ينقص منها شيء .

السادسة والثلاثون

حدثني اناس متعددون عن الفقير ابن الاشكر الرسموكي قال ؛ استعرت مركوبة الى الزاوية في موسم من مواسم الشيخ فأصابها مرض عضال هلكت به حتى لا نفس فيها ، فانتفخت اطرافها ، فذهبت فبكيت على الشيخ ، فأتاها الشيخ وهي جيفة فهزها برجله ، فلم نزل عن مقامنا حتى قامت تتنفس كانما نشطت من عقال .

السابعة والثلاثون

ووقع مثلها لمركوب انسان آخر في رفقة سيدي احمد الفقيه من أهل القبيلة ، قال اتينا بالحبال لنجر البغلة وهي ميتة قطعا ، فاذا بالشيخ اتانا فقال كلا انها غير ميتة ، ثم صار يستديرها ويركلها برجله حتى قامت ، وكان سيدي احمد الفقيه يقول : يحسب الشيخ اننا بله لا نعرف الميت من الحي ، فأراد ان يخفي الكرامة عنا .

الثامنة والثلاثون

وحدثني ايضا كثيرون عن فقير سموه في امسرا ، ذبح للشيخ ـ وقد بات هناك مع الفقراء ـ ديكا ، وفي السحر سمعه هو وقرينته يصبح في مكانه ، فدام على ذلك حتى افشوا السر ففقدوه .

التاسعة والثلاثون

وحدثني ايضا كثيرون ان الشيخ بات في قرية تادرارت بيعمرانة حيث الفقيه سيدي الزبير ، فاتى الى الشيخ بمائدة فيها سكرجة كبيرة من العسل مع خبز ، فحين اخرجت المائدة من عند الشيخ قال احد الفقراء اليعمرانيين للاضياف كلو كل ما في المائدة فلم يزالوا بها حتى لحسوا ما فيها ثم تفقد الشيخ المائدة فاذا هي كجراب ام موسى فارغة . ولم تبق فيها بقية من عسل، ولم تكن العادة ان يوكل الادام هكذا ، فخاصم الشيخ، ثم امر بالمائدة فتركت في محل قعوده ، فلما جاء خادم الفقيه ليرجع بالمائدة دخل احد الفقراء من اهل البلد واخرج المائدة وهي ثقيلة ، فازال غطاءها فاذا بالاناء يفيض عسلا . فقال للفقراء

ان الشيخ ملأ من عنده الاناء بالعسل ، وكان يظن أن الشيخ يحمل معه الادام ، فقالوا له يا أبله يكفيك انت ستر عورة الفقراء امام الفقيه، لئلا يقول ان الفقراء لا يعرفون الادب واما العسل فقد عرفنا من اين جاء، فما هو الا همة الشيخ وكرامته ، والا فمتى تكون زقاق العسل بين امتعة الشيخ .

الاربعـــــون

وحدثني سيدي عمر الحوزي قال : صحبتنا الفقيرة الصالحة السيدة فاطمة ام هادوز الى موسم الشيخ وهي قصيرة مسنة ضعيفة ، ولها حمار قصير قلما تبقى فوقه ، فصرنا نتناوب على حفظها ، فقلنا بيننا لا ندري ما الذي يجشم الفقيرة هذا التعب في المشي ، مع انها معلومة بالخطوة ، وفي قدرتها ان تاتي الموسم في لحظة ، فكوشفت بما قلنا ، فقالت ان حالي في الخطوة يقبله مني كل اصحاب الوقت من الاشياخ ، الا شيخكم سيدي الحاج علي فانني خطوت الى موسمه مرة فتلقاني امام زاويته ورماني بيده في داري، فقال اياك ان تاتينا مرة اخرى الا كما ياتي غيرك، فلولا ذلك لما عانيت هذا المشي ، فقد كنت الج على سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ومولاي احمد في مضاجعهما فيقبلان حالي ولا يأباه علي الا شيخكم وحده .

الواحدة والاربعون

وسمعت شيخي سيدي سعيدا التناني يقول: تبعت الشيخ في صبيحة اليوم الذي اخذت فيه الورد عنه ، وهو راكب وأنا راجل ، فصرت اقول في نفسي : ليت شعري متى تحصل لي المعرفة بالله التامة حتى اعرف الله في الاحجار والاشجار والاكوان كلها ، ولم يجل ذلك في خاطري حتى التفت الي ، وقال : ان كنت تمشي ثم اطلعت فجأة من ثنية على دار السلطان اتتذكر السلطان في تلك اللحظة ام تنساه ؟ فقلت بل اتذكره ، فقال كذلك اذا وصل الفقير ان يذكره كل ما يراه من الاحجار والاشجار والاكوان كلها الله، فقد عرف الله فيها ، قال فقرب الى مقصود الصوفية بهذه العبارة ، وذلك اول كشف رأيته من الشيخ .

الثانية والاربعون

قال : كنت في مبادئ التجريد عند الشيخ اتأمل في قوله تعالى (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) فقلت ، أما معناه المقصود فانه ظاهر ، وليت شعري بماذا يفسره الصوفية بالتفسير الذي يسمونه تفسير اشارة ؟ وهو تفسير آخر يفهمونه بالذوق ، ولكن بشرط ان لا يخالف تفسير اهل الظاهر ، قال فراجعت ما امكن من التفسير وفي العشية ونحن جالسون

بين العشاءين كان الشيخ يذاكر الفقراء على عادته في كتاب فارسلت اليه السؤال بقلبي فقلت له ، ان كنت من الاشياخ الكاملين الذين يتكلمون على ما في القلوب ففسر لي هذه الاية الان تفسير اشارة ، قال وبمجرد ما قلت ذلك في باطني وانا على جانب من جوانب المجلس، اذا بالشيخ طوى الكتاب ، فالتفت الى جهتي فقرأ الاية ثم قال ان تفسيرها بالاشارة هو انه لا يستوي من وقع لهم الفتح الرباني بعد المجاهدة ورياضة النفس مع الذين فتح عليهم توا بلا مجاهدة ، فاولئك اعلى مقاما وراسخ قدما ، وان كان للاخرين ايضا مقام لا ينكر ، ثم اطنب في ذلك على عادته في التبيين والتوضيح ، ثم رجع الى الجلسة التي كان فيها اولا ، وفتح الكتاب فبنى مذاكرة الفقراء ثانيا على ما كان فيه قبل ان يواجهني، فعراني خجل شديد لسوء الادب العظيم الذي وقعت فيه ، لان اختبار الاشياخ هو من سوء الادب الكبير عند القوم، وقلما يسلم من يختبر شيخه الا بحفظ من الله وبعناية خاصة هكذا سمعت من سيدي سعيد وجها لوجه .

الثالثة والاربعون

حدث سيدي الحسين التامكونسي قال عزمنا على زيارة الشيخ فجمعنا اداما ، فلم نجد من يعيرنا حملا لنحمل فيه الادام على البهيمة ، فتجردت من قميص صوف غليظ لبسته ، فجعلته حملا ، فبمجرد ما سلمنا على الشيخ قبل ان يرى ما اتينا به قال، كذلك يكون الفقير، فانه يقضي الحاجة بما تيسر ولو بقميصه .

الرابعة والاربعون

كان فتاك مجان من عوام دوكدير نهبوا متاع بعض اصحاب الشيخ وهو معه في سياحة، ثم سار احدهم مع الشيخ يوما الى بعض المجامع، فصار الشيخ يعظه والاخر يستهزيء به ، ويقول اننا لا نتكفل لك الا بان ننهب متاع فقرائك ان ساحوا معك، فاحد اليه الشيخ بصره ، فقال له، والله والله والله ان لم تفارق اصحابي لا تضربن بالرصاص الا هنا وأشار الى صدغه ، وفي اليوم الثاني بلا تأخير وقع ذلك الماجن في كمين اعده له من يريدون له الهلاك ، فضرب برصاصة في صدغه فهلك .

الخامسة والاربعون

وحدثني سيدي محمد بن بلعيد التناني قال : كنت مرة مع سيدي احمد التيمولائي في بهائم الزاوية بمعدر درعة نرعاها واللصوص كثيرون، فكنا نلقى المشقة والعنت في الحراسة، فأخذتني سنة ليلة، فرأيت قبة من نور بين السماء والارض، فإذا فيها الشيخ فنزل الي ثم زالت السنة ، فأرى الشيخ عيانا وهو يقول اظننتم انكم الحارسون ، بل عناية الله هي التي تحرس

بهائم الزاوية ؟ قال فقلت ذلك لرفيقي فاسترحنا من التعب فصرنا ننام ثم لا نحرس الا بقدرما تامر به الشريعة .

السادسة والاربعون

وحدثني سيدي محمد البصير الزكري قال : كان الشيخ يجعلني على حراسة الزاوية في سياحاته ويوصي بعض الفقراء المجاطيين ايضا بذلك ، ولم يكن يفرط دائما في الحراسة قياما مع الشريعة ووقوفا مع الاسباب ، وفي ليلة احسست بانسان جاء من جهة ايت وفقا ، فصار يخفف الخطو حتى وقف تحت جدار الزاوية ، فسكت عنه ما شاء الله ، ثم ناديته فلم يجب ، فقلت له ان المكحلة ممتدة اليك ، فان لم تذهب الى حال سبيلك لترين ما يقع بك. فذهب ثم مضى ما مضى وقد نسيت الواقعة ولم اعتبرها ولا ذكرتها لاحد ، فلما قدم الشيخ من السياحة ، صار يسألني عن كل ما وقع في الزاوية، ويمعن في السؤال على عادته حين لا يترك شاذة ولا فاذة ، فلم اخبره بالواقعة لنسياني لها ، فلم يزل حتى ذكرها بنفسه، وقال الم تر ليلة كذا رجلا جاء الى الزاوية ؟ فتذكرت ، فقال اتحسبون انكم الحارسون؟ فالله هو الذي يحرس مكان اهل الله .

اقول، لم يقع قط ان وقع اللصوص على الزاوية منذ اسست، مع ان الناس اذ ذاك قد تكون مجاعات لا يحترمون فيها احدا ، وكذلك كان كل مال الزاوية يحفظ بفضل الله دائما الا ما كان من تعدي لصوص على الغنم مرة سنة 1317 ، ثم استرد غالبها، والمقدر لا بد ان يكون لا يدفعه احد لا ملك مقرب ، ولا نبي مجتبى ، ولا ولي موفق .

السابعة والاربعون

حدثني سيدي محمد الزكري قال : وقع علينا انكار كثير من فقهاء تانكارت في سياحة الشيخ الاولى الى تلك الجهة سنة 1307 هـ، فقال لهم الفقير سيدي الحسين أوبكي انني سأترصدهم لكم ان باتوا في دار ولدي محمد الذي كان معهم ، فآتيكم بما هم عليه فتتخذه حجة عليهم ، وبينما نحن في دار سيدي محمد ابن الفقير سيدي الحسين وقد قطعنا غالب الليل بالذكر ؛ وبينما نحن في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ابطأنا في الصلاة عليه زمنا مديدا ، اذا بالفقير هجم علينا من باب المكان وهو يصرخ ويهدر وله بكاء شديد وهيجان ، فوضع راسه في حجر الشيخ فصار الشيخ يهدئه ، فلما هدأ قليلا شرع يحكي ما وقع له ، قال اختبأت خارج هذا الباب اصيخ لكم واتتبع كل ما انتم فيه حتى شرعتم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فعراني حال ارتفع به هذا الجدار، فصرت ارى النبي صلى الله عليه وسلم بينكم ، وكؤوس من نور تدار عليكم ، فقيل هل شربوا جميعا ؟ فقيل قد شربوا كلهم الا ذاك ، واشير الي ، فقيل انه ليس منهم ، فشار اذ ذاك

ثاثري ، فعرفت ما انتم فيه فلم املك نفسي حتى هجمت عليكم ، قال، ثم انه ذبح كبشا واوقد فران الخبز فعرض على الفقراء ، ولكن الشيخ لم يزد على ان دخلوا فذكروا ما شاء الله ثم خرجوا .

اقول ، كثيرا ما يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في مجلس الشيخ، فممن لا اتهمه ممن اخبر بذلك، الفقيه سيدي بريك بن عمر المجاطي ، قال قد رايته فيه مرتين عيانا ، وكذلك سيدي مولود ذكر ذلك ايضا ، والله على كل شيء قدير ، وصح مثل ذلك عن سيدي محمد بن مسعود في تزنيت كما في الكرامة الاتية ، وظهور الارواح في عالم المثال، كان معهودا عند القوم من قديم، ثم صار ظهورها في عالم المشاهدة ثابتا علميا اليوم، فبهذا يظهر صدق كل ما صح مما يقوله الصوفية وامثالهم (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) .

الثامنة والاربعون

حدثني سيدي ابوبكر بن عمر قال: حدثني الاستاذ سيدي محمد بن مسعود عن اخبار الفترة التي وقعت له، ثم انه لم يرجع الى الشيخ الا بما رآه في مجلس اقامه الشيخ في دار سيدي محمد بن احمد الطاحوني،وذلك ان سيدي ابراهيم التازاروالتي احتال على الاستاذ حتى اتى به الى الشيخ، فوافق ذلك المجلس فشاهد فيه النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ازاء الشيخ فاذ ذاك استافى الاستاذ ثانيا في صحبة الشيخ وذهب عنه تردده، وقد وقع في ذلك المجلس في القلوب شأن عجيب حتى كاد اصحاب القلوب الضعيفة يهلكون ، وقد شرب فيه كؤوس الجذب اناس لولا ان الشيخ استنقذهم لما استفاقوا دائما من تلك السكرة ، وقد حدثني ايضا عن هذا المجلس سيدي مولود ، وسيدي سعيد التناني ،

التاسعة والاربعون

حدثني سيدي مولود قال : كان فلان وسماه من فقراء تازموورت من ارباض تارودانت يموت كل اولاده في الصغر، فاجتمع عنده يوما اناس فختموا القرآن في الدار ، ثم نادى احدهم اننا دعونا سكان الدار من الجن الى الشيخ سيدي الحاج علي،فنحن ذاهبون الى موسمه ، فلما جاءوا الى الموسم بادرهم الشيخ ، وقال هل تواعدتم مع احد هنا ؟ فسكتوا ثم قال لرب الدار ان الذين يسكنون في دراك ادعوا انهم سبقوك اليها ، والان ابن دارا لك في محل آخر، فان اولادك سيعيشون بفضل الله تعالى ، ففعل ذلك فعاش اولاده في داره الجديدة ، ومثلها ما وقع لسيدي عمر السرغيني امام جامع باب دكالة بمراكش فان الاولاد لا يعيشون له حتى دعا له الشيخ فعاشوا .

حدثني بذلك فاه لفي رحمة الله ولا يزال ولده سيدي الحاج عبد الله العدل امام المسجد الكبير حيا الى الان، وكذلك كثيرون غيره منبثون في البلاد يحدثون بمثل هذا عن انفسهم

وحدثني سيدي محمد بن بلعيد المؤذن قال : وقفت قرب المغرب من عشية يوم الاحد الذي يدخل فيه الفقراء الى موسم الشيخ اترصد تحقق الغروب لأؤذن ، والشيخ واقف على السطح في قريب مني يتحدث مع فقير ، فاذا بالفقير التفت الى صوب بسيط الغ ففتح فاه مشدوها فقال ما هذه الطائفة الكثيرة العظيمة التي كان اولها عند هذه الاشجار وآخرها في تكال ؟ فالتفت الشيخ الى تلك الجهة فقال له اسكت انها طائفة اخوانكم الاخسرين ، ثم نزل الشيخ بسرعة وخرج ، فلم يمكن لي انا ان ألتفت اذ ذاك وقد اشتغلت بالاذان ثم رجع الشيخ وصلى الفقراء .

اقول ، ان كون الشيخ يربي الجن كما يربي الانس تواتر عند اصحابه حتى لا يشكوا فيه وقد تجمع عندي في ذلك حكايات منها ما حدثني به الفقير سيدي عبد الله السرغوتي المزوضي قال صليت الصبح مع الشيخ يوما فانفتلت ودخلت مكانا امتد فيه ريثما يقرأ الحزب فاحضر مجلس الذكر فاذا بانسان يطلع في مراق تحتي فمر بي، فتراءى لي تحت ضوء الصباح رجلا في عنقه سبحة غليظة وهو يقرأ القرآن فلما وصل الى كوة صغيرة تجمع فخرج فيها فقف شعرى فوثبت من مكاني فزعا فلما حكيت الحكاية لمن هم اكبر مني قالوا ان الشيخ هو الذي ارسله، اليك ليفزعك من اجل خروجك من المجلس، ومنها ما حكاه الزكرى قال كنا في سياحة اربعين ثم تعجب منا اناس خرجوا الينا بعد ان هربوا منا لكثرتنا فقالوا نراكم الان اربعين ، مع اننا نعدكم واحدا واحد حين كنتم تنحدرون من تلك الثنية فوجدناكم ثمانين فقال لهم الشيخ ما يدل على ان الذي عدوه حقيقة، وان فقراء الجن هم ايضا اربعون، ومنها ما قاله سيدي الحسين التامكونسي حين قيل له عني ان فلانا جمع اسماء الفقراء المتجردين في كتاب فقال ان وجد من يذكر له اسماء الفقراء المتجردين من الانس فمن له بمن يحصى له المتجردين من الجن ؟ ومنها ما ذكره سيدي علي التاكيامتي من انه يراهم دائما في المجلس امام الشيخ وقد قال الشيخ يوما لهم اما ان تاتوا بالادب واما ان تنقطعوا عنا، ومنها ما ترويه امرأة يظن بها الخير من المرابطين السليمانيين انها طالما رأت قوافل الجن تحط فى الزاوية ولا تزال ترى ذلك الى الان وتقول انها ترى ذلك رأي العين ، ومنها ما حدث به سيدي الحاج محمد البوطيبي انه كان يخالطهم ويلقن لهم الورد ويذكر عنه انه كان قيد حينا اسماء الفقراء منهم وقد سد الشيخ في اخريات عمره باب بيت متسع فى داخله بيت آخر ، وقد كان الباب منفتحا الى مجلس الفقراء العام ، وقال كثيرون ثقات انهم يسمعون من هناك اصواتا ويرون ان المكان خصه الشيخ بفقراء الجن، وهناك حكايات كثيرة كلها تتفق على ان الشيخ له اصحاب من الجن ايضا وذلك ليس بمحال وقد حدثني المؤذن سيدي محمد بن بلعيد التناني انه شهد مرة نقطا كثيرة من الدم

انتشرت في الزاوية نحكي عن الشيخ انه قال : ان ذلك من آثار حرب وقعت بين الجن الكفار وبين الجن المومنين . فقد غلبهم المومنون واخرجوهم من الزاوية وانما الذي اعرفه انا انني اسكن في دار بنيت في محل المجلس القديم الذي كان محل الذكر في الزاوية قبل ان يبنى هذا المحل الموجود الان فكثيرا ما اسمع فيه ركزا وحركة غير عادية في الليالي وربما طرق علينا الباب ان غلب علينا النوم في وقت الصلاة يتعدد ذلك كثيرا والله اعلم بعوالمه (وما يعلم جنود ربك الا هو) ولا بأس ان نذكر هنا حكاية وقعت امس امامي تتعلق بالموضوع وذلك ان اختا لي شقيقة ضعيفة المزاج ، كثيرا ما يتخبطها الجن ، اصابها صرع صبيحة الثلاثاء 20 من ربيع الثاني 1364 هـ وذلك انها توضأت بعد ما اتتنا الخادم بالوضوء متأخرا عن الفجر وقد قالت الخادم ان طارقا طرق عليها لما لم اقم في اول منبثق الفجر ، ثم بعد صلاة الصبح قرب الاسفار سقطت الاخت فصارت تقول وهي تهذي وعقلها غائب : انكم لم تقفلوا الباب فدخل صبيان من صبيان كفار الجن وهما اللذان اصابا المرأة وهما الان في زاوية امام الباب ثم صارت تقول اخرجوهما فقلت بماذا ؟ فقالت باسماء الله فذهبت فصرت اقرأ في زوايا المكان الذي عينته آية الكرسي اعتمادا على ما ورد في الحديث من انها مطردة للجن ، ثم لما رجعت والمراة لا تزال تحت لحافها على حالها بادرتني من غيران ترفع رأسها الي، وقالت انني اراك حين كنت تقرأ في كل زاوية هناك ولكنك كلما صرت تقرأ في مكان انتقلوا الى مكان آخر هذا مع انها لايمكن ان تراني هناك بالعين عادة ثم قالت : أأنت هذا يا ابي ، فمن هذه التي معك ، فهذا ما سمعناه ثم قالت ان الشيخ صار الان يطرد الجن هو والمرأة التي معه ، وها هو ذا اوصلهم الى خارج الباب ثم لما استفاقت اعادت علينا كل ما كانت تقوله لنا، وذكرت ان الشيخ قال لها لاتندهشي انك ستبرئين وتحيين بعد الان، قالت وقد سألته عن المرأة التي معه اهي امي، فقال لا، بل إنها جنية وهي التي أجعلها حارسة على أولادي ومما قالت الاخت لي حين اقرأ عليها المعوذتين وهي في تخبطها الشديد، إنك لم تكن الا لشغلك الذي تشتغل به من كتبك واما الجن فلم تجعل على اخراجه من أحد ، والذي ارصد لذلك هنا غيرك .

ذكرت هذه الواقعة لقرب عهدها ولها اتصال بالموضوع ، والعلم الحقيقي عند الله وحده (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)

ولنكتف الان في هذا الكتاب الوجيز بهذا القدر من كرامات الشيخ ، فما ذكرناه انما هو نقطة من بحر والشيوخ لا يعرفون بخرق العادات ، وإنما كمالهم في القدر الذي نفعوا الناس به، وفي الاستقامة الدائمة التي هي اكبر الكرامات عند القوم، وليست العصمة لاحد الا للملائكة وللانبياء ، وان كانت له الف كرامة وكرامة.

الفصل السادس والعشرون في ذكر بعض ما ذكره

سيدي محمد بن مسعود في الشيخ

كان للعلامة ابن مسعود اعتناء بأحوال شيخه هذا فكان يجمع من مقالاته ، ثم عن له ان يقول بين القصائد الكثيرة التي يقولها فيه قصيدة في ترجمته على روى النون ، وهي التي أحببنا أن نسوقها هنا لتكون اعظم برهان في التعريف بالشيخ في هذا الكتاب المخصوص به، وأما القصائد الاخرى فإنها مذكورة في غيره كلها، وهناك نونية اخرى صدرها بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وبمدح الشيخ ثم تتبع فيها رجال الطريقة بالسلسلة الدرقاوية وهي طويلة ، وقد شرح الاستاذ بعضها في مجلد لا يزال في مبيضته ، وجميع ما قيل في الشيخ من الامداح يوجد في كتاب (المعسول) .

يقول الاستاذ في تصديره للقصيدة النونية التي ترجمه فيها بقوله، ومن مبيضته الاصلية انقل : (الايماء الخفي، الى بعض التعريف بالقطب الالغي ، وبعض ما له من الهدي السني» رضي الله عنه وعنا به، وإن شئت قلت (عز الراية الجعفرية، ونشر النفحات العنبرية، في المنافحة عن الطريقة الالغية، بذكر بعض ما لها من المآثر السنية) .

يا صاح اصغ لسيرة الصمداني	قطب الورى الالغي غوث الان
في هديه الاسنى وباهر ما بدا	مـن حاله ومقاله النوراني
ضمنته كلما ينـم بعرفهـا	نشر الثنـا لامامنـا الرباني
من ذا لمثلي ان يقوم على سفا	له قدره بتراجم الاعيـان
لكنهم من ربهم بمكانة	ترقي خديمهم اعز مكـان
فيعود من بعد الجهالة عالما	لسنا يمد بسرهم في الشان
واعلم بأن النظم يحوج حاكيا	لتصرف او بسط او نقصان
وبنقل لفظ الشيخ في شرح ترى	عين المقال بلفظ او ببنان
ومتى اتيت بلفظ اي او ما يرا	دفها كيعني فهو شرح بيان
او لفظ تفريع على قول الاما	م الشيخ لاستخراج معنى ثان
فالشيخ يحفظه علينا الله كا	ن امام هذا العصر فى العرفان
يرقى بهمته الى أوج المعا	رف مستمدا في زمـان دان
ذو جذبة تحوي السلوك يحفها	سر البقاء تحوط من خذلان

ناهيك ما في خطه بل قاله متحدثا بالشكر للاخوان

قد قيل لى غيبا مقامك كان فو ق مقام عبد القادر الجيلالى

وشهادة الخصوص ان يك مخبرا عن نفسه حق بلا نكران

بل لا اجل شهادة منها فعن ذوق يخبر لا عن الحسبان

وسمعته يوما يقول رأيت فى زمن الرضى شيخي ابي عثمان

رؤيا أظن انا محمل امرها تمكينه اياه من البيان

فأتيته سحرا اقص عليه ذا ك وجئته بالنزر من احسان

فأجابني في الحال الان ملكت ما عندي يريد به سنا العرفان

وسمعت عن بعض الافاضل ان سيدنا سعيدا شيخه الربانى

قد قال ما ينبي برفعة قدره ووفور مبلغه لهذا الشان

اذ قال عن بعض الاكابر من تلا مذه بهي الحال ذلك سان

لكن فلان للامام الشيخ او سع نظرة اي في شهود عيان

اقول يعني الاستاذ ابن مسعود ببعض الاكابر من تلاميذ الشيخ سيدي سعيد المعدري الشيخ الجليل سيدي الحاج الحسن التاموديزتي جنيد وقته زهدا وعزوفا، فإنه لا يعرف عنه الا هذا المقام الذي بذ فيه الصوفية المتأخرين، فكان شيخه المذكور يفضل عليه قرنه الشيخ الالغي بما ترى من اتساع نظرته، وهذا الاتساع ظاهر في الالوان الكثيرة التي يتلاون بها الشيخ مع انواع الناس ليجذبهم اليه بخلاف الشيخ التاموديزتي، فلا يعرف عنه الا لونه الدائم الذي لازمه منذ ولى وجهته الى التصوف الى ان قضى نحبه، ولذلك لم يبلغ اصحابه كثرة اصحاب الشيخ ثم قال ابن مسعود:

والشيخ صرح بانفتاح الباب جدا والمراد به صريح بيان

اقول يعني بالشيخ سيدي سعيدا المعدري في حكايته يوم قال: اليوم انفتح باب الحضرة لسيدي علي وذلك يوم كان في جبالة، كما تقدم بيانه.

ثم قال ابن مسعود:

وسمعت بعض العارفين يقول فيه بأنه قطب من الاعيان

وسمعت عن بعض الافاضل انه من اكابر العرفان قبل الان

والبعض هذا من افاضل صحب سيدنا سعيد واضح اللمعان

قد كان يشهد فيه ان قد نال من معنى الحقيقة وهو ذو احسان

وجرى لدى ذا البعض ذكر مكاملا ت الاوليا من حضرة الرحمان
فابان ان الشيخ سيدنا له فيها التحقق قال دون فلان
يعني كبيرا من شيوخ العصر من اصحاب سيدنا أبى عثمان

اقول : ان هذا الشيخ يعني به والله أعلم الشيخ التاموديزتي ، لانه هو الشيخ الكبير من اصحاب سيدي سعيد، وأما البعض الاخر الذي ذكر عنه ما ذكر فلا أدري من يعني به ولعله مولاي احمد الوادنوني :

ثم قال :

ورأيته قد قال ضمن رسالة ابدى بها في السر بعض بيان
واشار ان له بحال العشق مذ هب ذي اتحاد مفرد حقاني
أنا بحمد الله في قدم يمـــــد به لقي الروح لا الجثمان
لولاه لم تتأت تربية المـر يد ومن يذقه دراه بالوجدان
واشار ان الحب وحده به فلذاك قد يتشابه الشبحان
فيرى المريد الذات منه تمثلت بالشيخ قلت للطفه الروحاني

اقول ان الابيات التي اشار اليها الاستاذ تقدمت ، ومطلعها (ولي مذهب في العشق منفردا به)

ثم قال :

وسمعت عن بعض الافاضل عنهما يبدي صراحة انه الصمداني
وسمعت منه اشارة ان كان في ذاك المقام وذاك بالاكنان
واشار ان مقامه يتعدد الا شخاص في سر به رباني

اقول : كتب الاستاذ على ضمير مقامه ، اي القطب فعرفنا ان مقصوده بالصمداني هو القطب وقد تقدم لنا ان كثيرين ذكروا عن الشيخ انه صرح مرارا بانه القطب الغوث في عصره ، بل تواتر عنه ذلك .

ثم قال :

اخذ العلوم الظاهرية عن محقـــــق عصره من غير ما نكران
من لا يشق غباره لذكائه ونفوذ فكرته وغوص جنان
الشيخ ذي التحقيق مولانا أبى عبد الاله ابن الرضى الرباني

اقول : هو الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي .

ثم قال يصف سيدي العربي والده :

العالم الثبت المشارك صالح الـــــعلماء قدوة سادة الاعيان

شيخ الشيوخ السيد العربي الادو　　زي الامام الحبر ذي الاتقان

كانت له في الفقه قوة رد جز　　ئياته لاساس اصل بان

ياتي هناك بما يروق ولا تكـــــلف في سلاسة لفظه النوراني

اما فروع النحو فهو إمامها　　يبدي بها عجبا من الاحسان

يستحضر التسهيل يورد منه في الـــــتدريس ما يحتاج في التبيان

متواضع بر سليم الصدر طا　　هره من الاحقاد والاضغان

يبكي ويخشع في استماع الوعظ ذو　　سمت مهيب في جلالة شان

وله تآليف كشرح خلاصة النـــــحو الشهير النفع في البلدان

وله تقاييد وأجوبة افـــــا　　دبها مع التحرير حسن بيان

وله المحبة في قلوب الناس وهـــــي نتيجة الاخلاص والايمان

والفاضل الشيخ ابنه المذكور عنـــــه وما له شيخ الدراية ثان

ولسيدي العربي مشائخ مثل الاســــمى احمد بن محمد الاكمناني

شيخ المشائخ قدوة الصلحاء ذي البـــــركات عمت سائر الاوطان

ولهم مشائخ منهم اتصل الطر　　يق به الى جسوس والبناني

وسواهما من جلة الاشياخ كا　　لدرعي ابن ناصر الرضا الرباني

وله كرامات وفتح في الكلا　　م على حديث المصطفى العدناني

يستخرج الجم الكثير من الفوا　　ئد منه مثل السادة الغران

ويقوم في افعاله وشؤونه　　بالسنة الغراء كالمرجاني

ويحض من يمني اليه على الصلا　　ة على النبي على مدى الازمان

ويحيلهم لنبيهم فسرت بهم　　نسمات ذاك المشرب النوراني

فتيسرت لهم مرائيه الشر　　يفة واغتذوا من شربه بلبان

هذا وكان الشيخ سيدنا المتر　　جم شيخنا الالغي قطب الان

اخذ الطريق وذاق منها وهو في | شرخ الشباب مطهر الادران
فجأته بعد لقيه بالشيخ عن | نزر من الايام نفحة دان
صدمته منها هيبة راحت به | في حالة المستهتر الحيران
دامت به كالشهر عاف بها لذ | يذ الحس من غلب السنا الروحاني
وردت به احلى الموارد واجتلى | منها جلال الله في احسان
صحبته منها حالة تبدو به | بمجالس الاذكار من فيضان

وجرى على سنن الهدى حتى استقل من النجابة في العلوم بشان

فغدا لصحبة شيخه متجردا | متبتلا للمقصد الحقاني
برياضة ومجاهدات عزائم | وثبات مرتسخ كما ثهلان
حتى اتته بجذبة افنته في | جمع الشهود عناية الرحمان
فسعى به الاستاذ حتى رده | لوجوده من بعد ما هو فان
واشار فيه بما يفيد مكانة | علياء في التوحيد والعرفان
وسمعت ان الشيخ سيدنا نحا | من بعد ذاك الى الخراب السافي
فاتى لسوق وهو يسأل واتزر | بحيصرة في هيأة العريان
فنما الى استاذه اذ كان في | بلد بعيد خبر هذا الشان
فاجابهم لم يبق محتاجا الى | ما كان من امر الخراب يعاني
يعني تمام الحال منه كأنه | يومي لحق النفس في الانسان
فاذا استقامت وانتفت اكدارها | وتهذبت فلها من الاحسان

اقول كتب الاستاذ على آخر البيت : أي لها حق من الاحسان ، اشارة الى حديث، ان لنفسك عليك حقا .

ثم قال :

والاقربون احق بالمعروف بل | منها بذاك الجري في الميدان
وهنا يقال على اشارتهم جزا الاحـ | ـسان احسان بلا كفران
وكأن سيدنا الامام جرى علي | جزم السلوك وخاف من طغيان

اقول كتب عليه الاستاذ : اي طغيان النفس لما فيها من البقايا ان كانت فيها بقية.

ثم قال :

فاحتاط مهتما الى ان يستبيـــــن بها صداقة خالص الخلان

ولما رآه من له التأهيل للا رشاد رشحه لهذا الشان

اعطاه اذنا ان يلقن ورده ورمى به الاقصى من البلدان

قد كان ارسله مقدم جلة من صحبه لزيارة الاخوان

وزيارة القطب الشهير الدرقوي الـــعربى شيخ طوائف العرفان

وصحابه وبنيه مثل الطيب الـــبدر القوي السر واللمعان

وكبير زمرته ووارث سره الـــشيخ المسلك عابد الرحمان

فبدا من الاستاذ سيدنا وفتـــيته رسوخ الحال والايقان

وجميع من زاروه يعجب منهم ويمده منهم سنا الايمان

ورآهم شيخ بزاوية وقد وجدوه فى ركن من الاركان

اقول هو الشيخ فلان خليفة سيدى الخضر الفاسي ، وذلك حين نزلوا بفاس كما ذكرناه في اول الكتاب .

ثم قال :

فرأى من اهبة جدهم ما راقه فاتوه للتسليم واللقيان

سألوه كيف الحال سيدنا فقا ل انا اعتزلت هنا لصمت لسان

للذكر ثم رأيتكم فذكرت من احوالكم صحب الرضا الصمدانى

اعنى الامام الدرقوي العربي كنـــت رأيتهم بمحجة الرضوان

ناهيك من حال يذكر حال صحــــب العارف المذكور قطب الان

فلقد رأى بعض مبشرة رأى فيها بحق سيد الاكوان

نبا بذلك مقسما : قال النــــبي له مقالا ليس بالهذيان

الله فضل امتي واختار منـــهم صحب هذا الدرقوي الربانى

فى (سلوة الانفاس) آخرها اتى ذكر الحكاية للمرضى الكتاني

ولقد رأيت رسالة للشيخ سيـــدنا الى استاذه الفردانى

اذ ذاك يخبره بحال القوم آ ل العارف العربي بحسن بيان

يصف التكرم والتودد منهم ووفور جودهم على الاخوان

ويقول كم من اخ فقير نازل بعياله غمروه بالاحسان

والوقت حينئذ تجلى القهر فيـــــه بجدب قحط غالب البلدان

اقول، كانت تلك السنة سنة 1299 ه المشهورة بالمسغبة المعلومة خصوصا في سوس .

ثم قال :

ورأيته وصف الامام الطيب المـــــذكور بالامداد والفيضان

اذ زاره بضريحه ويقول كد ت اذوب من نورهناك عراني

وابان في تلك الرسالة ما له في شيخه من شوق ذي هيمان

وصبابة وتعلق وغنى بما اسدى له من منة المنان

يومي بذاك لرفضه كل السوى وبه تتم ولادة العرفان

اقول، كتب عليه الاستاذ : أي سوى شيخه لفنائه به.

ثم قال :

تلك السيادة لا تلفت واهن متذبذب في سيره حيران

واذكر هناما كان انشد في الموا هب أو بشرحه للرضا الزرقاني

(ما كل من زار الحمى سمع الندا من اهله اهلا بمن وافاني)

هذا وبعد رجوعه وجد الاما م الشيخ مولانا ابا عثمان

لبى ندا مولاه فالتزم التجـــــرد وهو مرتبط مع الاخوان

اقول، توفي الشيخ سيدي سعيد المعدري في صفر 1300 ه.

ثم قال :

حتى اتاه الاذن في الارشاد مصـــــحوبا بتأييد من الرحمان

فبدا له مصداق صدق الحال من نفع العباد بسره النوران

فغدا لصحبته افاضل منهم وسرت به النفحات في البلدان

فبدا اماما من يلذ بجنابـــــه نال المنى بالروح والريحان

وغدا اماما من يلم بلبابه يحلله فورا فى مقام تهانى
وغدا الامام تفيض من جنباته الا نوار تلقي الصب فى العرفان
حركاته وسكونه في طيها سر يوصل نازح الاوطان
يلقي بها من لمحة في غطسة صمدية في بحره النوراني
ناهيك من شبح ترى مرءاته المـــجلوة الرحمان رأى عيان
والذات مرآة لمدركها فقل ما شئت في الذاتي من أعيان
في وجهه سر الجمال يفيض با لبرقراق والانوار واللمعان
وجلالة ومهابة من سطوة الـــجبروت لا تخفى على يقظان
ولذاك يدهش حاضروه ويطرقو ن خصوصا المتنور الرباني
ومدار مشربه وعمدته طريـــق الحب عن رفض لما هو فان
ويحض في شأن الرحيل بهمة علياء عن دنس وعن ادران
اعني التلفت بالقلوب الى الحطا م فذاك تثبيط من الليان
والى الجمال شهوده فلذاك يبســـطه الشهود بغالب الاحيان
والغمر يحسب عارفا في بسطه أن كان من طبع كذى الفرقان

اقول ، يعني انه يغلب البسط على الشيخ في غالب الاحيان ، وقد ذكرنا ان ذلك لا يظهر منه كمال الظهور الا اذا كان مع غير المتجردين كالمتسببين او كالعامة او كالفقهاء فاذ ذاك يحسبه الغمر كأنه لم يذق قط مذاقا للتصوف ، لما يسود على الناس من ان القبض هو المظهر الدائم لمن فيه رجوع الى ربه ولا يدرون ان العارف كالماء ولون الماء لون انائه

ثم قال :

وصحابه كلا يمد بمنزع ينساق منه لحضرة الاحسان
وكذا سياسة كمل الاشياخ يخــــتارون سير الطبع للانسان

اقول، اننا ذكرنا هذه الظاهرة الغريبة من الشيخ وأمثاله ، وهذه الخليقة تسود غالب خلائق الشيخ .

ثم قال :

وأموره فيما يعود الى التصر ف فى القلوب غريبة فى الشان

فترى ذوي الاضغان بعد تقاتل ... يرمي بهم في ألفة الخلان
في ساعة متناصحين وربما ... يبكون من ندم على الطغيان
وترى النفور متى توجه فيه لم ... يلبث ويأتيه على اذعان
ويوده بل لا يحب فراقه ... وتزول عنه وساوس الحرمان
كم فاجر القى له بقياده ... وغدا به في فتية الرحمان
ومتى توعد ظالما يأبى المتا ... ب فحاله للهلك والخسران
وله من الكشف الصحيح عجائب ... كالصبح تبصر ضوءه العينان
فاذا اشار اشارة فاعمل على ... ما قال لاترتب كما العميان
ويقول نحن مع الذين تعلقوا ... فينا نحوطهم بكل مكان
وحكوا لنا عن صادق حضر احتضا ... ر فقير من جملة الاخوان
ما كان يصحبهم ولكن كان يذ ... كر ورد هذا السيد الصمدانى
متدينا متمعشا بالحل قا ... ل سألته ليبين بعض الشان
هل انت منتسب لشيخ قال ذا ... شيخي الرضا الالغي مني دان
في كل ما جهة اراه لباسه ... متعدد الالوان من قفطان
ولسانه رطب بذكر الله وهـــــي بشارة عظمى لدي ايمان
لتمكن الكمال من تخليص ما ... ينمى لهم من ضغطة الحيران
من موطن فيه يحار اولو النهى ... بهبوب وسواس من الشيطان
وعواصف الشبه التي بهجومها ... تنحل فورا ربقة البرهان
ولقد سمعت عن احتضار جماعة ... نسبوا اليه امارة الايقان
اما الذين تبتلوا للذكر منـــــهم فالصدور بحلبة الاحسان
ظهرت كرامات وتصريف واحـــــوال بهم كالجلة الاعيان
اما المعارف والكلام على الحقا ... ئق عن مذاق القوم اهل الشان
فلهم يد بيضاء في حل العويـــــص ومنهم الامي ذو الاحسان
يبدي من العلم اللطيف غرائبا ... تنبيك عنه برتبة العرفان
وجميع ما حلوا به فكرامة ... للشيخ قطرة بحره النوراني

(والمرء في ميزانه اتباعه فاقدر بذا قدر النبي العدناني)

اما كرامات الامام الشيخ سيـ ـدنا فموج جل عن حسبان

فسمعت من ثقة من الاخوان ذي صدق يقول: مرضت مذ ازمان

من قرحة النار المخوفة والتزمـ ـت القرش بعد الكي بالنيران

فأتى الي الشيخ سيدنا الاما م وما غفوت ولست بالنعسان[1]

فغدا يمر على محل تألمي يده الكريمة ثم راح لشان

فأفقت ثم سألت اهل الدار عـ ـنه لنزلوه بموضع الضيفان

فتعجبوا ونطلبوه فما رأوا اثرا ولا سمعوا به في الان

وبلاده من بلدة الشيخ الاما م بعيدة من حي با عمران

فبدا به من ذلك الوقت الشفا ء وتلك عادته بهذا الشان

فإذا المريض رآه في نوم اتا ه الروح عن قرب من الرحمان

وجرى لآخر مثله قد كان من رؤساء بلدته من الاعيان

وتلقن الورد الشهير من الاما م وصار منتسبا من الاخوان

ونهاه عن عود لصحبته رؤو س قبيله حذرا من الطغيان

فدعوه بعد فجاءهم فاحس في فور هناك بعلة البطنسانى

فبقي بها في الدار محصور التـ ـغوط دائم الانكاد والاحزان

واظنه في نحو اسبوع ففي يوم اتاه امامنا الرباني

في غفوة فرآه يمسح ذاته فغدا معافى ياقظا في الان

وجرى لاخر مثله ورأيت من لزم الفراش اتاه في احيان

لعيادة من مطبق الحمى متى وافاه الفى خفة الرجفان

ومتى تأخر عنه عاد لحاله فغدا يسال توالي الاتيان

فادام سيدنا عيادته الى ان قام منتعشا من الرجفان

اقول ، اظن ان هذه الكرامة وقعت لسيدي محمد بن مسعود نفسه كما يظهر من فحوى الخطاب .

---

1) ذكروا انه لا يقال نعسان كما يقال وسنان فليبحث في ذلك .

ثم قال :

وسمعت بعض افاضل الاخوان قا ل جلست خلف الشيخ ذات زمان

فى مجلس التذكير ليلا مقمرا فجرى ببالى خاطر نفسانى

وجهت فيه له الخطاب وقلت ا ما كنت كالاسلاف من اعيان

فسر على نمط الاشارة آية الانفـــــاق قبل الفتح فى القرآن

فرنا الي وقد تلون وجهه فاتى بها في الحال بالتبيان

واشار ان القصد تفضيل السلو ك على انجذاب الغافل المتوانى

اقول ، قد تقدمت هذه الكرامة عن سيدي سعيد التناني ، فقد حكيتها عنه كما سمعتها من فيه لاذني .

ثم قال :

وحكوا عن آخر جاء في بعض من الا مصار دار إمارة السلطـــان

مع قائد فبدا لـه من بعـد مـا دخلوا ارادة قتلهم فى الان

فتضرع المحكي عنه بسره للشيخ يسأل غوثه اللهفان

فاتاه شخص آخذ بيمينـــه ونأى به فورا عن الخلان

ونجا به لنجاته من بعد ما سقط العشاء به على سرحان

ويقول يزجره فما لك داخلا كالظالمين مداخل الطغيان

اقول، حكى لي سيدي مولود وسيدي ابوبكر بن عمر ان الفقير سيدي محمد بن عبد الله من ايت كبن وكان يسكن بمراكش حكى لهم في المجلس العام ، انه وقع له بمراكش انه ذهب مع اهل حرفته ومع عريفهم الى دار المحتسب يوما ، وكانوا خرازين ، ولم يكن قصده هو الا ان يكرم معهم في دار المحتسب ، والا فليس له هناك من غرض ، وانما ذهب في غمار اهل بلدته الخرازين، قال ثم ما كدنا ندخل حتى صار اعوان المحتسب يعتقلوننا ، فاستحضرت الشيخ ، فاذا به عيانا كما اعرفه ، فأخذ بيدي وقال ، لماذا اتيت معهم يا بهيمة ؟ فوصل بي الابواب التي اغلقت دوننا ، فصارت تنفتح امامنا حتى خرجنا ، ثم غاب عني .

فإن كان الاستاذ اراد هذه الكرامة فانه اجمل فيها اجمالا ، ولم يستقصها على وجهها ، ولا يكون ذلك الا ممن يحكي له ، وإن كان اراد غيرها ، فان هذه مثلها .

ثم قال :

ورأوه وهو ببلدة في غيرها والبعد للابدال قـرب دان

اقول، قد تقدمت جملة كرامات رئي فيها الشيخ في محل غير الذي علم انه فيه .

ثم قال :

ورآه وهو مع النبي افاضل الفقـراء رؤيـة يقظـة وعيـان

ورآه فيما قال لي منهم فقيـــــــر وهو مع خير الورى المدناني

ورفيقه الصديق سيدنا ابي بكر خليفة منبع الايمان

جاءوا الى الفقراء في وقت الحصـــــاد فعاد مصطلما بذلك فان

وجرى لغيره مثل ذلك رأى انفتا ح انسقف اذ دخلا او الجدران

اقول، ان رؤية الشيخ للنبي صلى الله عليه وسلم توافرت حكايات انه تقع له ولبعض اصحابه يقظة وقد تقدم منها ما تيسر لنا، ومن بينها ما وقع للاستاذ ابن مسعود ، وربما كان المقصود بما في هذا البيت ما وقع له في ذلك المجلس بتزنيت ، وقد تقدم لنا ذكره وإنما كان الاستاذ يخفي نفسه لشدة كتمانه كما علم عنه ، ولم يكن الشيخ نفسه يعلن عن هذا الحال عنه ايضا ، غير ان اصحابه تقع لهم رؤيته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، الا ان الشيخ قال حينا : انه ان احتاج الى النبي صلى الله عليه وسلم يحضر فيسأله عما يريد وقد وقع في دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الفشاني انهم يتفاوضون في هذا المقام فقيل، هل يوجد في هذا العصر من تحصل له الرؤية النبوية يقظة ؟ فقال لهم سيدي الحاج احمد بن محمد اليزيدي الفقيه الصوفي، اين انتم من الشيخ سيدي الحاج علي الذي تعرفونه ففغروا افواههم عجبا ، وقال له احمد بن الحاج ابراهيم او هو هناك؟ وما كنا نحسبه الا دنيويا مثلنا ، فقال له الفقيه او تحسبون ان الناس الذين يتبعونه ويجيئون اليه من اقاصي البلاد حمقى مغفلون ؟ فلا عقل الا عندكم وحدكم الذين حجب مقامه عنكم بالمجاورة وقرب الدار ، فقال له الرئيس ، ولماذا ترانا دائما نطلق فيه وفي اصحابه السنتنا ولا تنهانا عن ذلك ؟ فقال ان الهداية بيد الله لا بيدي ، فقد علمت انه لم يقدر لكم على يده ربح فتركتكم وشأنكم ، فقال الرئيس اطووا عنا منذ اليوم التكلم في الشيخ ونستغفر الله فيما مضى ، وقع هذا اثر وفاة الشيخ بقليل .

هذا ورؤيا الاجساد او الارواح المتجسدة من غيب لا يستبعده عقلا وعادة الا من لم يلم بما وصل اليه اصحاب ما يسمونه اليوم عالم الارواح ، واما من الم بذلك فانه لا يستبعده ولا يحمل كل ما ورد في ذلك على الكذب او على التخيل والله اعلم .

ثم قال :

وحكوا لنا عن بعض اهل الله في — حق الامام الشيخ بعض بيان
حلاه بالعمرى من حيث المقا — م وذاك متضح بلا نكران
فالشيخ قوته بدين الله لا — تخفى على احد سوى العميان

اقول، حدثني سيدي مولود عن كثير من اصحاب الشيخ سيدي الحسن التيملي ثم الايرازاني عن شيخهم هذا انه كان يقول في الشيخ ، انه عمر هذه الطريقة .

ثم قال :

وراوا مراءى صالحات تقتضى — من نوره هرب العدا الشيطان
ما ذا يقول القائلون بمن غدا — مرءاه روح الدين والايمان
ويحس من يلقاه قبل لقيه — من قلبه بتوقد الايقان
وله من الاغلاظ في نهى المنا — كر ما يلائمها لدى الاعلان
يعطي الشريعة والحقيقة حقها — فتراه يزجر جاني العصيان
في شدة عن رأفة في باطن — وله على الضعفاء اي حنان
يأبى التجسس والتطلع للذي — يأتيه مقترفا على اكنان

اقول، تقدم لنا ما للشيخ من الشدة احيانا على اصحابه وعلى اهل المعاصي، حتى يقابل مثل القائد سعيد الشياظمي ، والرئيس شيخ قرية تارسلت بقبيلة منوكة ، والقائد عبد السلام الجراري ، والرؤساء ابناء القائد ابراهيم الديلمي حين نهاهم عن قطع الطريق بهشتوكة واغلظ لهم ، ثم قال، انما تخافون من الجوع فلا مناص لكم من الجوع ما حييتم ، فإن المسمى منهم الحسن الذي كان هو السبب في كل ذلك لا يزال حيا الى الان 1364 ه لا يجد ذواقا ، ويقول للناس خرجت في دعوة الشيخ سيدي الحاج علي ، فقد قابل هؤلاء وكثيرين امثالهم بالقهر ، حين لا ينفع فيهم اللين ، وقد ذكرنا ان له ايضا من اللين مسالك اخرى بحسب مقتضيات الاحوال .

وكذلك ذكرنا ما حكاه سيدي سعيد التناني من دوام الشيخ في عتاب اصحابه اسبوعا لما فضحوا فقيرا ستره الله في هفوة صدرت منه ولا بينة شرعية منها .

ثم قال :

متيقظ حذر من الاتباع في — تحسين ظن دائم الاحيان

ومتى تبدي بالقرائن غير ما تعطى دعاوي الخاتر الخوان
اعطى الظواهر حقها متحرزا بالمال والاديان من خسران

اقول، كان الشيخ في الحزم بمكانة ربما لا يصلها حتى ارباب الكياسة من المستهترين بالدنيا ، فقد حدثني بعض الثقات انه ارسل الى الشيخ دراهم مع فلان ، فزجره الشيخ عن ذلك ، مع ان ذلك الرسول ممن ينتمي الى الشيخ ، وكذلك لم يكن الشيخ يختار لكل ناحية الا امينا يعرفه من اول وهلة بالفراسة الربانية ، فلا تخطئ فيه ، وكان حاله تربى بالمثل المعلوم لاهل الدنيا، من الحزم سوء الظن بالناس ، وان كان هذا المقام ليس مقامه في التصوف المبنى على حسن الظن بعباد الله ، وقد تقدم ايضا انه يزيد على عدد الدراهم ان ارسلها مع بعض اصحابه الامناء لبجد ما ياخذه ان توقف على ذلك كما حكاه سيدي ابو بكر بن عمر المتجرد الايليغي .

ثم قال :

متثبت ما كان يغفل في الامو ر عن انقاء موارد الطغيان
ويرى من الامر الاهم على الفقيـــر تجنب التخليط والخسران
وتنكب الافضاء بالاسرار المـــفجار بل والاجانب العميان
وركونه بالقلب للاهواء والـــأعداء اهل الجحد والحرمان
واشار فيه الشيخ سيدنا ابو عثمان حال الجذب والهيمان
بما لـه لتيقظ وفطـــانة تنسي الرجال دها انوشروان
بلهانشكاف حقائق الاشياء من نظر البصيرة من سنا العرفان

اقول، حدثني الفاضل اخي في الله سيدي التهامي ابن سيدي احمد الفقيه رضي الله عنه ان والده هذا كان يقول في حال انبساطه، ان للشيخ ذكاء عجيبا، فكثيرا ما نسمعه يتكلم مع بعض الناس المتحذلقين ، فيتغافل له الشيخ ، ونقول ، ان الشيخ لبس ثانيا لباس المسافرين - يعني الطلبة الذين اشتهروا في سوس بالحذق والتلاعب بالمقول - فقد استطاع بذكائه ان يتستر عن جليسه هذا ، وان يرخي له العنان ، كأنه لا يدرك بذكائه ما وراء الاكمة حين تغافل ، ثم ان كل من امعن في الشيخ واحواله يجد ان الله اكرمه بما اكرمه به بعقل وحصافة ، وفطنة تلبس لكل حالة لبوسها ، ويقول الصوفية، ان الكامل هو الذي كمل من كل ناحية ، ولا اعلم الان من يصح له الكمال المطلق ان امكن المطلق لغير الله ، وإن نسبيا الا لهذا الشيخ العجيب ، فقد كنت ازن احواله بميزاني حتى كل

وزنى وبقي امامي اعجوبة (وما قلت الا بالذي علمت سعد) وانا من الذين يزعمون انه لا يقمقع لهم بالشنان ويقولون ما يعرفون عن آبائهم واصحابهم ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، مع التحرى وعدم التحيز ، والابتعاد عن التأثر بالبنوة لتلك الابوة .

ثم قال :

يأتي المصادر والموارد بالذي	تقضي به الاحوال عن اتقان
بسياسة نبوية يوتي بهـــــا	اهل الحقوق القسط بالميزان
هذا على ما كان فيه من انغما	س السر في الانوار والفيضان
فله على الجلوات من اسرار اهـــــ	ـل الله ما في خلوة الاعيان
ما كان يشغله مزاولة الشؤو	ن ورعي خلق عن شهود عيان
فتراه وهو بمجلس التذكير في	تدبير بعض مصالح الاخوان
ويقيم سوق الشوق في ذكر السما	ع وليس يغفل عن حقوق الان
يفني المهيم في توجه همة	ويغيث لهفة ضارع حيران

اقول : قد يعترض معترض على قول الاستاذ ، ما كان يشغله الخ بان الله يقول (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فنأتي نحن بما يقوله ابن القيم في كتابه (روضة المحبين) وهو امام في الحديث وفي العلوم الظاهرة ، كما كان ايضا اماما في التصوف الصافي الذي له فيه مؤلفات مثل (مدارج السالكين) قال بعد ما ذكر الخلاف هل يمكن ان يكون للقلب شغلان في وقت واحد :

(وقالت طائفة بل يمكن ان يكون له وجهتان فاكثر باعتبارين، فيتوجه الى احدهما ولا يشغله عن توجهه الى الاخر : قالوا : والقلب حمال فما حملته تحمل ، فاذا حملته الاثقال حملها ، وان استعجزته عجز عن حمل غير ما هو فيه فالقلب الواسع يجتمع فيه التوجه الى الله سبحانه والى امره والى مصالح عباده ، ولا يشغله واحد من ذلك عن الاخر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه متوجه في الصلاة الى ربه والى مراعاة احوال من يصلي خلفه ، وكان يسمع بكاء الصبي فيخفف الصلاة خشية ان يشق على امه افلا ترى قلبه الواسع الكريم كيف اتسع للامرين ؟ ولا يظن ان هذا من خصائص النبوة فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يجهز جيشه وهو في الصلاة فيتسع قلبه للصلاة والجهاد في آن واحد ـ الى ان قال ـ ونظير هذا اتساع قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لغناء الجويريتين اللتين تغنيان عند عائشة فلم يشغله ذلك عن ربه ـ الى ان قال ـ وهذا بحسب سعة القلب وضيقه وقوته وضعفه ، قالوا وكمال العبودية ان يتسع قلب العبد لشهود معبوده ،

ومراعاة آداب عبوديته ، فلا يشغله احد الامرين عن الاخر - الى ان قال - وكان شيخنا - يعني ابن تيمية - يميل الى هذا القول ، وهو كما ترى قوته وحجته ، انتهى .

ثم قال :

ويحض في رعى الفقير لما اقتضا　　ه الحال فالاداب اس الشان

ويقول منه ابى ابو بكر تما　　م امامة للمصطفى العدنان

مع انه وانته منه اشـــــارة　　ليتمها حذرا من الحرمـــــان

ورأى رعاية جانب الاداب بالا　　حجام آكد في رضا الرحمان

اي فهو مثل تعارض النصين في　　فن الاصول فمال المرجحان

وطريقه رفض السوى والذكر للمـــــ　　ـولى بجمعية مدى الازمان

ويقول ذكر الشيء عن ترك السوى　　يغنى به اي كيف بالمنـــــان

وشكا له يوما فقير زلة　　ورأى بها كالعيب من نقصان

لجماعة الفقرا ورام ظهورها　　ونكال مقترف لذا العصيان

فأجابه العيب اشتغالكم عن اســـــ　　ـباب الفنا في الله بالنقصان

اقول ، لعله اشار الى القضية التي ذكرتها فيما تقدم ، حين ثار الشيخ ثورته على المتجردين فعلا بمعاتبتهم اسبوعا .

ثم قال :

وكذا يحض على تقيد فكرة　　وتشخص اسم (الله) كل اون

ويحذر الغفلات يذكر انها　　للقلب كالغابات في الخسران

ويحض في تقييد ما تاتي به　　انواره من واردات معان

ويقول ان صفا القلوب يجيء وا　　ردها موافق سنة ومثان

هذا وفي تقييده صون وفى اســـــ　　ـتنباطه انس كعود مثانـــــي

يعني تقوى قلب صاحبه به　　فالقلب بالاقوات كالجثمان

ويقول ان الساجدين بطوعهم　　من وحدوا المولى على الايقان

كل برتبته يشير الى اختلا　　ف مراتب الايمان والاحسان

ويقول ان القصد بالصلوات ذكـــــ　　ـر الله فهو صلاة ذي العرفان

فانضح ببحرك كل بر واعتزل   عن غير اهل الذكر والاخوان
حتى يصير الكون شيخك تجتلي   في الكل نور الله رأي عيان
وتسير مرتقيا لربك كل ما   تلقى تمد به من الاكوان
بعد اتحادك بالمسلك اذ سرت   في الكون وحدته بلا فرقان
فهناك تظهر وحدة المولى ويعـ   ـني كنزك المدفون بالجدران
وله يشير حديث كنت الكنز فالـ   أكوان اصل شهود او برهان
كلا نمد فهؤلاء وهـؤلا   للفضل ما في الجود من حرمان
ولذا ترى الكمال منبع عينهم   فيه اتساع دائم الفيضان
يسقون باليمنى وباليسرى معا   كلتا يديه يمين هذا الشان
ويجيئهم مدد الاله من الجهـ   ـات ويستوى الفوقي والتحتاني
وطريقه في الذكر هيللة والاسـ   ـم الله او مدح النبي العدناني
بلسان عرب او بعذب البربر   ي منمقا متناسب الاوزان
واذا قرا بعض القصائد او جرى   انشاده في مجلس الاخوان
او بعض كتب القوم يظر سره   فيه فيحلولي بكل لسان
والغمر يحسب ذلك الامداد من   مقروه ويهيم في الحسبان
فلقد جرى في مجلس الشيخ ابن عبـ   ـد الله احمد فارس الميدان
ان بان من جلسائه استحسان ما   سمعوه من قول لذي عرفان
فاجاب ذا كالماء يعذب للذي   اكل المطاعم قبل لا الغرثان

المقصود بالشيخ احمد بن عبد الله صاحب زاوية المخفية بفاس ، تلميذ الشيخ سيدي قاسم الاخصاصي ، وهو الذي الف فيه كتاب (المقصد الاحمد) المطبوع .

ثم اقول، اخبرني سيدي ابوبكر بن عمر رئيس المسمعين الذين ينتظمون عن يمين مجلس الشيخ ويقربون من خمسة عشر، قال كنا مرة في مجلس بازاغار بعد وفاة الشيخ فجرت اشواق من ترنمات سماع استجدناه ، فقال الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الاكراري، اين الشيخ الذي كان هو وحده الذي يذوق ويشتاق، ويهزه ما يسمع فيطير الى الملكوت ؟ وقد كان من عادة الشيخ ان يختار بنفسه نوع القصيدة التي تنشد ، والكيفية التي تنشد بها يفتتح ذلك بصوته الرنان الجهوري ، ثم يتلقفه منه المسمعون، ثم لايزال يتنقل

من هذه القصيدة الى تلك ، ومن هذه الكيفية الى تلك الكيفية ، فتاتي تلك التلونات بما لا يوصف من اذواق لا يعرفها الا اهلها .

فقل للذي ينهى عن الوجد اهله   اذا لم تذق معنا شراب الهوى دعنا

ونحن ناتي هنا بكلام للغزالي يتعلق بالسماع والوجد عند القوم .

قال في كتاب «آداب السماع والوجد من الاحياء» :

السابع (من دواعي الغناء) سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه ، فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه ، فالسماع في حقه مهيج لشوقه ، وموكد لعشقه وحبه ، ومور زناد قلبه ، ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ، وينكرها من كل حسه عن ذوقها ، وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الاحوال اسباب الروادف وتوابع لها ، تحرق القلب بنيرانها ، وتنقيه من الكوارث كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ، ونهاية ثمرات القربات كلها» .

ثم قال في وصف الشيخ الالغي ايضا :

يسري بهمته من الامداد في الـــــجلاس ما يغني عن الاكوان

ويمد كلا بالذي يرقى به   من خوف او ندم من العصيان

وشهود توحيد وشوق صبابة   وتعلق بالواحد المنـــــان

فترى بناديه القلوب تصدعت   ما بين باك خاشع او فان

واذا سرى معنى النبوة في القلو   ب يبين فيه الوجد كالنشوان

اقول، ضمير فيه يرجع الى الشيخ .

ثم قال :

فيصيح بالصلوات والتسليم عن   جد وينهض نهضة التوقان

ويقوم كل الحاضرين لفعله   متوافقي الاصوات عن إعلان

اما سماع كلام اهل العشق كا   لحراق وابن الفارض الرباني

والششتري ونحوهم فهنا مخـــــيمه   ومركز سره الحقاني

وله كلام في مجالسه من الـــــنمط البديع يمد بالعرفان

لبروزه غضا طريا يانعــــا	متنورا من حضرة الرحمان
لكنه ما كان قيد منه ا	لا بعض نزر النزر في احيان
اذ لم تكن همم الالى صحبوه في الـــتقييد من ساداتنا الاخوان
الا رسائله وتأليفـــا لــه	يسمى وكان كالاسم (عقد جمان)

اقول، مما ينبغي ان يزاد فيما قيد من كلام الشيخ رضي الله عنه ، مترجمه للحكم العطائية فإنه لم يقتصر فيه على الترجمة فقط ، بل كان يزيد كثيرا من اقواله التي تشرب كل حكمة حكمة ، او يفسرها تفسيرا فيه تفاريع كثيرة، وفي ذلك علم كثير من علوم القلب

ثم قال :

يلقي الكلام فيستفيد جليسه	ما كان يضمره بلا اعلان
من مخرج لمضائق الانكاد او	رفع الشدائد او خلاص العاني
ولربما انفرد المعين للكلا	م بسمعه عن سائر الاخوان
ممن تقيظ لاستماع كلامه	لا غرو فالتصريف للسلطان

اقول، مر بنا ما ذكرناه عن سيدي سعيد التناني من ان هذا كثيرا مايقع في مواسم الشيخ وهو ممن يتقيظ لكلام الشيخ، ولكنه لا يسمع ما يحكي آخرون انهم سمعوه فتأيدما قاله بقول الاستاذ ابن مسعود ايضا كما ترى ، ومثل ابن مسعود اللبق الحاذق الملازم للشيخ كثيرا ممن يدركون ذلك حق الادراك .

ثم قال :

ما كان يسأم حاضروه متى يطـــــول كيف يضجر من رياض جنان
واذارأى استرسال من يقوى على اســـتمسا كه في وارد الفيضان
ينهاه عنه يشير ان تملكا	للحال اسلم من هوى نفساني
ومتى اقتضى الحال التواجد لم يعبــــه عليه كالتشنيط للكسلان

اقول ، مما ينبغي ان يعرف ان ابن القيم جبل السنة ممن يقول بالتواجد كما في كتابه « مدارج السالكين » وفي الحديث ان لم تبكوا فتباكوا وربما يكون هذا دليله القولي وان لم يوجد دليله الفعلي ان فسرنا التواجد بما يفسره به امثال الشيخ من الصوفية

ثم قال :

نبئت عن بعض من الاخوان ما	مضمونه ما جاء في التبيان

ان قال كنت بمجلس في الذكر لاســـم الله بالمعهود كالاخوان
من ذكره بالصدر والهز المنيـــر لجلب احوال على الامكان
فحسست كل الذات تذكره فقا ل الشيخ لي في الغيب عن اكنان
هذا مرادي في فقير ان يرى متمكنا في الحال ذا سلطان
وسمعت بعض افاضل الاخوان يذ كر عن فتى في حاله ولهان
قد كان منتسبا لورد الشيخ فاخـــتطفته حال الجذب من لقيان
بالشيخ قيل رآه في محراب مســـجد قرية معه النبي العدناني
فغدا به من ذاك ما افناه عن حس وراح به الى هيمان
فحكوا لسيدنا الامام الشيخ ما لحق الفتى من حال مارستان
حسبوه ان قد جن من كالصرع او خلط من السوداء ذي طغيان
فاستغرب الشيخ الجنون وقال ليـــس فقيرنا في الجذب بالولهان
وأظن ان الشيخ كان رآه بعـــد فقال ذا بصحيح حال فان
واظنه اذ كان لم يصحبه ما طاق احتمال الحال في ذا الان
لكنه من بعد ذاك صحا وعا د بصحوه في حالة الفرقان
وله من القرآن ورد في التهـــجد بله ما في الجمع في رمضان
قد كان يجمع في تراويح العشــــاء وما قبيل الفجر بالاخوان
بالخمسة الاحزاب غير عمارة الـــأ وقات بالمعهود كل زمان

اقول ، لم يعهد في بلادنا في التراويح الا ثلاث عشرة ركعة بعد العشاء بسور صغيرة من (الهاكم) الى آخر القرآن وقد انفرد الشيخ هناك بكونه يفعل كالحواضر كما ترى وقد كان التهجد بالقرآن ديدنه في غير رمضان ايضا كما ذكرنا ذلك في احواله ، وربما طلع فوق السطح نصف الليل في الصيف ، فيسمع الفقراء قراءته كما حكاه لي الاستاذ ابن الحبيب الجراري عن سيدي الطاهر الجراري الفقير المتجرد من انه سمعه كذلك ليلة اريحت عليه والدتي فكان ذلك موضع العجب فحتى ليلة العرس لم تفلت من ورد نوافله، فكان اعجب من بعضهم الذي لم يترك المطالعة الا ليلة عرسه - وهو ابن رشد الحفيد .

ثم قال :

ويديم بعد الظهر فيه قراءة لحديث طه المصطفى العدناني

فيه اي في رمضان الذي تقدم ذكره.

ثم قال :

ويحض في تعمير ذاك الشهر بالـــــأعمال مثل افاضل الازمان

وحكى لنا الاخوان عنه قراءة الـــــتفسير فى بعض من الاحيان

واشار للفضلاء منهم ان فيـــــه من البقا مدداً لمن هو فان

ويبين فيه على الاشارة في موا   ضع ما يمد السالك النوراني

وكذاك مجلسه يقرر فيه ما انــــساق الكلام له من القرآن

مما يروق ولو تقيد كان مجـــموعا نفيسا باهر اللمعـــــان

ورأيت في بعض الرسائل منه ما   القاه كالتدريب للـــولدان

ويشير ان كلامه فيها على   مقدار حاجة ذلك الانسان

اقول قرأت كثيرا من رسائله ، فأراه ينبع الى كل بما ينفعه خاصة ، فرسائله الى الاستاذ ابن مسعود نفسها غير نفس الرسائل التي كتبها الى سيدي ابراهيم بن صالح كما تخالف التي ارسلها الى غيرهما ، فكان ذلك مصداق ما قاله الاستاذ هنا ، فقد كان يعلى شان ابن مسعود وسيدي ابراهيم ولا يفعل ذلك في رسائل غيرهما ، فوافق ذلك ما حدثني به سيدي ابراهيم بن محمد التازروالتي ان الشيخ قال له يوما، ان سيدي محمد بن مسعود وسيدي ابراهيم بن صالح انما نحملهما هكذا وبسط كفه ، يعني نعاملهما باللين التام على عكس غالب الفقراء ، وبذلك اللين نالا ما نالا .

ثم قال :

ويقول ما معناه ان قد ينطوي   فى العارف العلم الغزير الشان

من حيث وجه الروح وهو تراه لا   يبدو بظاهره كبير بيان

قد قال في مشكاة نور الله هـــــي الغوث يعنى قطب كل زمان

مصباحها نور الالوهية انجلى   بزجاجة اي حضرة العدناني

اعنى النبوة وهو يوقد من مبا   ركة من الزيتون ذي الادهان

يعني بذلك حضرة الاحدية الـــــمنفي توصيف لها بلســـان

نور على نور يقول جميع ذا   نور يشير الى سنا الفيضان

يهدي الاله لنوره من شاءه   فيراه فى الاكوان رأى عيان

اي بالحقيقة دون ما كيف يكو   ن هناك او اين له وزمان

وله باخرى مثله يومى الى   ترك التلفت للذي هو فان

من نور اعمال يظن خلاصها — من كل شوب او لحال سان

واستنبط المعنى بما فعل الخليـــل من اختيار الكوكب النورانى

ورقيه لاجل منه وقوله — انى بريء اذ هوى القمران

وجهت وجهي للذي فطر السما — والارض منتزحا عن الاكوان

والوجه ظاهره وباطنه ونفـــي الشرك يشمل رتبة الايقان

لما رأى الاعمال يشملها السوى — طاحت لديه كما الهباء الفانى

ورأى سما" الروح والارض المشا — ر بها الى الاشباح بنية بان

فالذات والافعال فطرة باريء — متوحد في شأنه منان

هذا يشير له كلام الشيخ بالـــمعنى اثيب زيادة الرضوان

ومراده تنبيه ذا الانسان كي — ينجو من اوحال الاسير العاني

بعقال عقل نيط بالاعمال محـــجوب البصيرة بالغطا النوراني

وله مذاكرة بأحكام العبا — دة لانتفاع الجاهل المتواني

يبدي به التحرير للمنقول بالـــبحث الانيق كجلة الاعيان

ويشوبها حينا لرعي تباين الا — حوال بالتذكير للنسوان

او نحوهن يقيم منشد وصف نحـــو البعث والميزان والنيران

كلا يسوق بما يناسب حاله — شان الطبيب لعلة الجثمان

ويقول ان لجلة النسوان حـــقا في استماع مجالس الاخوان

ولذا بنى بيتا لهن حذاء زا — وية الرجال بلصقه متداني

ليفزن من علم الطريق بحظهـــن وعلم حق الله والعبدان

ويقول ما معناه توفية الحقو — ق على الفقير بمقتضى الامكان

لا بد من وعظ الاقارب جملة — والاهل اولاهم بهذا الشان

لا سيما شان الصلاة وقال لا — يكفي تبرؤه بنطق لسان

ممن يضيعها وما الغمر اكتفى — فيمن يضيع من حطام .فان

الا بما يقوى عليه مغاضبا — ومنكلا متواصل الاحزان

كلا حقوق الله اولى بالنكا — ل بزجر او ضرب او الهجران

ويحض في شأن الصلاة جماعة وتـأدب وزيـارة الاخـوان
ويشير من فحوى الكلام لمثل قو ل البعض لاتعشق سوى الرحمان
والحكم يشمل من توحد بالفقـــــبر بحاله في سيره النوراني
ويشير المشهور في التحذير من متفـقـري الاهـواء والخسـران
والشيخ افرغه مثالا قـال يـــــطلب في الفقير تحصن النسوان
ان لا يلاقي بالمحبة كل من يلقى يشير لآفة الفرقـــــان
فالجمع فرع الجمع قال كما تؤ ثر فيك نظرة كامل العرفان
فكذاك تسلب نظرة المسلوب بالـــــدنيا توجه سالك نـوراني
هذا قريب من عبارته ولم احفظ فراجعها بـ (عقد جمان)
ويقول اوجب ما يكون من التأ دب وامتثال الامر للاعـيـان
اعني الشيوخ لانهم يرعون في الـــــولـد انصلاح دنـاه والاديـان
فمتى توقف عنهالاستمداد فاســـــتعداده متزلزل الاركـــــان
ما دام فرعا مستعدا لا يرى الا ازديـاد السـر واللمعـان
والغش فيهم مستحيل مثل ما يسري ندى الاشجار للاغصان
وبفرض ميلهم اليه بطبعهم فالروح تقهره كما السلطان

اقول الضمير في تقهره راجع الى الطبع كما كتبه عليه الاستاذ

ثم قال في الروح :

فلها النزاهة والحقيقـة شربها والشرع مركزها بـلا طغيـان
نور على نور ويهدي ربنا من يصطفيه له بلا خذلان
هذا مفاد كلامه ويقـول ايـــــضا زاده المولى من الفيضان
وبقدر ما حملوا من الاعباء ير تزقون فـي الامـداد للخـلان
وكذا العلوم الظاهرية يمنحو ن بها بقدر تعلق العبدان
كالسقي للاشجار حفظ فروعها والـوالـدات تمـد بالالـبـان
ويقول ان السير فى هذا الطر يق بالاجتماع بسائر الاخـوان

وبالاستماع والاتباع ومن يشـــذ عن الجماعة فهو في شنآن
مثل الصلاة يؤم فيها القوم افـــضلهم ومن يخرج ففي بطلان
ومن استبد عن الجماعة ما احتظى بالنفع لا تجنح الى الخذلان
ويشير في بعض المرار الى ازديا د الشيخ من بعض من الولدان
بسمو همته عن الاكوان قا ل لذاك يشتاقون في احيان
للفرع اكثر منه للاصل الممـــد وذاك وصف الله فيهم سان
من حبه لعبيده ظهروا بوصـــف الله اذ نزلوا الى الفرقان
فالله جل جلاله في الحب لم يحبب سوى معناه في العبدان
ويقول ان القوم اهل الاختصا ص بسر الاخلاص الرفيع الشان
من لم يصاحبهم يجيء غدا وقد صفرت من الاعمال منه يدان
ويقول من يخرج لوجه الله يقـــصدنا فاهله في حصين امان
حتى يعود ومن له شيخ فلا يلحظ مخافة سائر الاكوان
وكأنه يعني بذلك نفسه اذ كان في التصريف فردا لان

اقول، قد تقدم لنا من الحكايات الصحيحة ما يظهر منه ان للشيخ هذا المقام فقد يظهر لاصحابه في مواقع الخوف ، وقد اخبرني الفقير سيدي محمد بن مبارك التيمزيي الامانوزي ان اباه وكان صاحب الشيخ كثيرا جاء يوما الى الزاوية ، فصادف امامه اناسا في بردة بينهم وبين اخيه دم ، فسقط في يده ، وظن ان اجله حاضر ، فلم يجد مناصا الا ان يزيد بمشيه الى الامام ، فلاقى اولئك الرجال وجها لوجه ، فلم يتكلموا معه ، كأنهم لم يروه ، فلما وصل باب الزاوية اذا بالشيخ خرج اليه متبسما ، وهو يقول له اخفت منهم ؟ لا والله لا يخافن من كانت همته متعلقة بالله وانتسب الينا ، وأخبرني آخرون بأمثالها ، الا ان ذلك لا يكون الا في احوال خاصة ، فأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خيار الناس ، مع انهم ليس لهم ذلك على الاطلاق .

ثم قال :

ويقول لا يزن المريد على المســـلك بل ليكسر صنجة الميزان
فأمور أهل الله هي وراء طو ر العقل كيف تقاس بالاوزان
من نعتهم من نعته وفعالهم بالله في نور الحقيقة فان

فالفعل متزن بلا قصد وعيـــــن الجمع مصدره بلا فرقان
ونظيره عند العروضي ما اتى بالوزن من آي من القـرآن
قلت استمع ما املح التنظير فهـــــو دقيقة صدرت من العرفان
فالذكر وهو منزه ان يشبه الا شعار مشتمل على اوزان
والعارف المخصوص كالايات ما يحوى بلا كسب ففي غفران
ولذا يقال اذا فنيت فلا تخف دركا وغرم جناية للجاني
اما الذي فعلوه عن اذن كما في (الكهف) عن خضرفوجه ثان
والصدق يا هذا خفير رفيقه وبه الخليل نجا من النيران

اقول، من كلام الصوفية من سبقت له العناية ، لم تضره الجناية .

ثم قال :

رجع وقال الشيخ ضمن رسالة لا زال في حلل من الرضوان
ان كنت تبغي نيل كل ملاحة فالمح مليح الوصف في الاخوان
وأنف القبيح وقال من ظن القبيـــــح فوصفه في القوم حقا راني
ويقول اهل الله مثل المرضعا ت فما كرهن قذارة الولدان
بل هم اجل فقاصد لله محــــــمول على ما فيه من ادران
ويشير قول الشيخ انهم اجـــــل الى افتراق الطبع والعرفان
فالطبع يمنع مقتضاه بمانع من مقتضاه كسورة الغضبان
تابى نفوذ حنانه بالطبع لا ما كان عن صفة من الرحمان
ويقول اهل الله ما زالوا ومن في الخير جد يجد بلا حرمان
ويشير في شأن النفوس الى القيا م على جهاد الجد في الازمان
فالحرب للاعدا سجال والقنو ط من النكوص واكبر العصيان
حتى تموت وبعض اهل الله و د حياتها لتدوم حرب طعان
ويقول ما معناه من يكب الجـوا د به وما داسوه في الميدان
لم يلق من سوء كان لم ينطرح فليجر من فور مع الفرسان

ما زاده الا فروسية ومن يصرع فيقتل باء بالخسران
خسر الحياة وما له من ربه بدل وباء بخيبة الحرمان
هذا المثال حكاه عن شيخ الطريق الدرقوي العربي قطب الان
ويقول: من يلحق بزلته المتاب فذا بصدقه شاهد البرهان
هب انه عثر المثين ولم يصر فذا مجاهد نفسه بسنان
ويقول: ان الاساس في سير الطريق هو اصطحاب الجوع في الاحيان
واشار في (عقد الجمان) الى بقيتها فعد الصمت في الاركان
في عزلة والذكر والبعض اقتفى سهرا وسيطا وهو خطب دان
ويحض في استحضار ما للحق من نعت المهابة وانفخام الشان
في كل ما شيء من الاشياء وهو اجل ذكر مناهج العرفان
اي فالحضور بهيبة التعظيم مع صفة العظيم نهاية الاحسان

اقول: يعني بصفة العظيم العظمة.

ثم قال:

فالجد اي صفة العظيم يعم ما للحق من نعت الكمال السائي
من كل ما وصف وفيه تعرض من فضله للروح والريحان
من فتحه باب المشاهدة التي هي مطمح الالباب للاعيان
اذ لحظه في الكون جمع بين وصف عبودة وألوهة الرحمان
والوصف كيف يزايل الموصوف فهو وسيلة لشهوده بعيان
وبذاك يجتمع الفنا مع البقا في لحظة السالك الرباني
فيراه منه ظاهرا ويراه فيه باطنا فتجمع الضدان
فظهوره نفس البطون فقد بدا فيما اختفى فأعجب له من شان
وهناك ينفذ لانكشاف الذات والا سماء والاوصاف بالايقان
ويرى فعال الخلق عين تجليات الحق خلف ستارة العبدان
ويرى قيام الخلق بالذات المقدس وهو توحيد الفعال السانى

وسمعت عنه ان هز الذات با سم الله يسري فيه باللمعان
يعني فيخرقه ويحرق عنه ما في الصدر من خبث الصدى النفساني
ويقول: فيه هناك اعطيت الذي اعطيت اي من مشرب الاعيان
ويقول: من يثقل عليه فمن غليـــظ حجابه عن حضرة المنان
هذا اشار له وعبر بانتفا ء تناسب اي للصدى والران
يعني انتفاء تناسب المحجوب من بعد عن المحجوب من حرمان
والبعض يامره بهيللة على جهر بهمة حازم يقظان
مستحضرا بالنفي نفي وجود غيـــر الحق وهو النهج للعرفان
في حافل الاسواق لا يلوى على تكليم معروف وذي نكران
متعريا بالرأس ليس يغض من طرف ويشهد باطن الاكوان
يعني قيام الخلق بالمولى وذا من فعله في حضرة الاحسان
وهي الصلاة حقيقة فكلامه فيها يعود عليه بالبطلان
والبعض يأمره بخرق عوائد بسؤاله للناس كالغرثان
في زي درويش يؤم به اطلا ع معارف الاهلين والجيران
ويقول: من رام العجيب بقوم با لأمر العجيب من الخراب الساني
وكلام طيفور بن عيسى عارف الا مصار معروف بهذا الشان
والبعض يأمره بلبس مرقع ويقول ذلك خرقة الاعيان
وهي التي اشتهر اللباس لها من الا شياخ بالاسناد للعدناني
ولهم كلام واسع فيها فشم شرح (المواهب) وهو للزرقاني

اقول ، انما يأمر الشيخ بالمرقعات غالبا بعض المتجردين واما غيرهم فلا يامرهم بشيء في لباسهم بل يذرهم على ما يعهدون ويألفون ، وكثيرا ما يحض الفقراء بينهم بالبقاء في الجبة بلا سلهام ولا رداء ولا عمامة ادبا مع الشيخ حكى لى سيدي ابراهيم بن محمد بن اليزيد التازاروالتي ، قال جئنا مرة الى الزاوية في طائفة من العلماء مع سيدي محمد بن مسعود ، فلما قاربنا الزاوية امرهم الاستاذ ان ينزعوا السلاهيم والاردية ففعلوا فاضربهم البرد قال فذكرت ذلك للشيخ ، فامرهم ان يرجعوا الى هيأتهم المعتادة وألزمهم ذلك ، هذه عادة الشيخ فلم يكن يواخذ غير بعض المتجردين بلباس خاص ثم صار لباسهم كلهم في آخر ايامه مطلقا

ثم قال :

ويقول ان تكثر جماعة زائريــــن تناوبوا ذكرا برفع لسان
وقت الدخول الى القرى في همة دفعا لشر وساوس الشيطان
والفرد يذكر دائما ومتى له حال تجدد عاد بالاعلان
يعني لهيللة كتلبية الحجيــــج لها التعاهد دائم الاحيان
وبشير اطوارا لتوحيد الفعا ل فانه باب عظيم الشان
منه الدخول الى سواه ترقيا منه لاوج الجمع عن فرقان
ويقول ما معناه اقرب ما به يبدو اليك الحق رأي عيان
ما كان اقرب نسبة وتناسبا في وصفه من حضرة الرحمان
يعني من الاشخاص بل وكذا البقا ع وسائر الاحوال والازمان
ولذاك كان المصطفى المجلى الاجــــل كوارثيه الجلة الاعيان
كل بنسبة قربه وكذلك الا برار ثمت فرقة الايمان
كل بنسبة قوة الايمان فيــــه ولا اعتبار بظاهر الاركان
فلذا ترى القدم الجهول يبره الا شياخ بالتقريب والاحسان
ببشاشة عن رأفة ومودة وتراه في الاعمال ذا طغيان
لكمون وصف صالح في قلبه كالحب والتفويض والتكلان
لمحوا به صفة القديم فصار مر آة نقر لهم بها العينان
وانظر الى مدد الصلاة والاجتما ع بمجلس الاذكار والقرآن
وكلام اهل الله يلبس كسوة من باطن متنور رباني
وانظر الى بقع المساجد والمشا هد واجتماع افاضل الاخوان
وانظر الى اشباح نحو مصاحف القــــرآن او كتب الحديث السائي
وكذاك خرزة سبحة الاذكار بل حجر التيمم فيه سر دان
وكذا الجسوم النيرات ومنه ما نظر الخليل وقد بدا القمران
وفراره بأفولها لتقيد الــــكفار بالمجلى من الاوثان
حتى التهاب النار يلمح من اضا ءته ظهور الحق في الاعيان
وانظر الى نبإ الكليم وقد رأى في ناره نور الهدى الحقاني

شملته في الوادي المقدس نفحة خلعت بنسمتها له النعلان
وكذا جمال الحس ايا كان واحـــــذر سرقة الطبع العدو الشاني
فمتى عليك بقية بقيت من الـــــطبع الكثيف غلقت في الاشطان
وصفاء تلك النظرة العلياء في محو الرسوم بموت من هوفان
فمتى فنيت ترى جمال الحق محـــــضا لا يكدره الهوى النفساني
وعناق امر الشرع في كل الامو ر به اهتداؤك فهو حصن امان
ويح النصارى والمجوس بجهلهم ركبوا البوار بسابق الحرمان
حادوا عن الرشد القويم وما اهتدوا بالنور كالمتفلس الظلماني
وبنزعة من شربهم ضل الالى هتكوا حجاب الشرع من خسران
هذا مراد الشيخ من ذاك الكلا م الموجز المتحرر النوراني
لا بل اشارته الى ما فرق لو بسط الكلام عليه حق بيان
في ضمنه لب الحقيقة والشر يعة ياله درا خطير الشان
ويقول: يحصل في التجلي الاتحا د بكل ما يرنو اليه الراني
ولذا متى بالفكر جال يرى المفـــــكر فيه عين النفس والاكوان
حتى يرى الكرسي عين الذات منـــــه وكل شيء كيف بالرحمان
ولذاك تنجذب الامور متى يهـــــم بها وتأتيه بلا عصيان
ويقول، قد قالوا الفقير كزندة الـــــمدفاع تبرز كامن النيران
فورا متى اعملتها هب انها مغموسة من قبل في الاطيان
يعني لرقته بنور الذكر لم تغلظ له حجب من العصيان
فوقوعه في الذنب عن كره من الا قدار فهو محقق الغفران
اذ لم يكن مسترسلا في غفلة تنبو به عن حضرة الاحسان
وعزا قريبا منه في طبقاته للباخلي العارف الشعراني
ويقول: ان طريقنا للحب اي لا نجح فيه لذي شكوك وان
يعني به ترك التلفت بعد تحـــــقيق المتاب لسالف العصيان
في جانب المولى كذا في حق قـــــدوته فسوء الظن ذنب ثان

ويشير ان العارفين يقابلو ن مريدهم بالظن والحسبان
يعني فظن الخير وارج الصفح لا ترهب فذاك محجة الرضوان
وكأنه كره انكماش المرء عن جزع وفيه الحب ذو اكنان
فليبد عن جلد من المكنون ما يرجو الرباح به بلا خسران
ويقول كونوا بالاله وشيخكم لا تعرفوا احدا سوى الاخوان
حيا يكون الشيخ او ميتا ويتـــبع الصغار كبارهم في الشان

اقول، قد ذكرنا مرارا ، وبينا ان المقصود بمثل هذا الكلام من الشيخ ليس هو ان يتنكر الفقير لغير اخوانه في الطريقة ، ويكرههم ويستحقرهم ، ولا يعدهم شيئا مذكورا بل المقصود ان يحب الجميع محبة الاخوة الاسلامية ويسلم لهم ولا يشتغل بهم ولا يتحرش بهم ولا يذكرهم الا بخير ، ثم يقبل على نفسه ويندغم في اخوانه اصحاب مشربه ويتيقن ان نجحه انما يكون بينهم ، ويستطيب ما فيه ويفرح به ، فمن قر عينا بعيشه نفعه ، فهذا هو المعروف عن الشيخ، وقد صرح به في الحكم العطائية في ترجمتها الى الشلحة ، وفي قول الاستاذ، لا تعرفوا احدا سوى اخوانكم مقصوده به غير ما يتبادر من مدلوله ، فافهم واعلم ان حال الشيخ الذي يربي به الفقراء غير احوال كثيرين من المتصدرين للطرق اليوم، فلم يعهد منه انه نبز طريقة ، او انه حض اصحابه على معاداة غيرهم ، الا انه يقول لهم دعوا الصالحين والطالحين ، واشتغلوا بأنفسكم ، فلا تطمعوا ان يعرف الناس ما تعرفونه ، فمن وجد كنزا فإنه ينكمش عليه وحده حتى يحوزه ، فلا ينادي الناس اليه علانية ، وهذه هي عبارة الشيخ بنفسها رحمه الله ورضي عنه ، فاعرفها وزن عليها غيرها .

ثم قال :

ويقول : ان جماعة الاخوان قا ئمة مقام الشيخ ذي العرفان
ويقول : ما قال الامام الشيخ زر وق لجمع الشمل كالاعيان
لا لحية من بعد ذي لكم وتلـــك نصيحة الابناء للولدان
يحمونه بالعلم عن تشتيتهم بتلفت يفضي الى الخسران
والكمل الاعلون في روضات جـــنات المعارف دائمو الفيضان
امدادهم كثمار دار الخلد لا مقطوعة ممنوعة للجاني
لا موت عندهم كما الشهدا لذا لبوا منـاديهم على اعلان
فمريدهم متقلب في سرهم ظهراً لبطن باهر اللمعان

ما دام منجمعا عليهم عاكفا في حبهم لم يخش من حرمان
ويحض في صبر خصوصا في الذي يبدو بحكم الطبع في الاخوان
وشهود ان الفعل من ملك الورى فيه استراحة صاحب الايقان

اقول ، ان غالب هذا الذي تأخر في هذه القصيدة سيراه القارئ في وصية الشيخ ، الاتية فان الاستاذ كان كتب القصيدة فى حياة الشيخ وختم غالبها في 10 رمضان سنة:1328 ه ، ثم زاد عليها بعد ذلك كثيرا ، والى هنا وقف قلم الاستاذ رضى الله عنه في هذه المنظومة التي اوجز فيها كثيرا من احوال الشيخ ولم اكن راجعتها ثانيا حين ابتدأت هذا الكتاب ، ثم لما وصلتها الان صرت احمد الله حين وجدت من احوال الشيخ المذكورة هنا شبها تاما او متقاربامع ما ذكرت، وقد تقدم ان للاستاذ قصائد متعددة في الشيخ وغالبها مدح، وسنوردها كلها في ترجمة الشيخ في كتاب (المعسول) الا انني خطر لي ان اقتبس منها ما هو وصف حقيقي للشيخ ليزداد القارئ يقينا باحوال الشيخ من قلم هذا الصوفي الجليل ولتكون كشاهد عدل لكل ما اتيت به ، لانني لم اعاشر الشيخ الا في الصبا ولا يعتمد الا كلام معاشريه حقيقة ، وهو الذي انقله عنهم في كل هذا الكتاب

قال من قصيدة مطلعها .

وافت اوصل الهائم الحيران من سفح مربعها الشذى النوراني

ما نصه :

وبك المعارف والحقائق تجتلى صرفا على رغم الحسود الشاني
قلدت اعناق الرجال ذوي النهى منها عقود الدر والعقيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا بجلالة التخصيص للاعيان
هذا الامام العارف الفاسي ابو زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من اهل الولاية واضح البرهان
بصحيح ما منحوا من السر الذي خص الاله به ذوى العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكم العارف الاسنى ابي عثمان
قد قال انك في مقام الشيخ غو ث زمانه الجمل الرضا العمراني
وسمعت من ثقة من أهل الكشف من اصحابه من نحوذا العنـــوان

وقال من قصيدة اخرى مطلعها :

قفا بالمطي في اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان

مـا نصـه :

فماشئت من معنى لطيف وحكمة   منضدة تزهو على عقد مرجان
ومن مدد يسري بنور محبة   كما سرت الصهباء في عقل نشوان
ومن كلمات يفلق الصم وعظها   ينيب بها لله كم من فتى جان
فيصبح من بعد الغواية واضح الـــزهادة موسوما ببهجة ايمان
على قدم التجريد للحق سالكا   بعزم وصدق في تبتل رهبـان
وعلم وإيثـار بمال ومهجـة   وحزم وجد عن بصيرة يقظان
(اناس من التوحيد صبغت نفوسهـم   فزرهم تر التوحيد فى شخص انسان)

وقال من قصيدة قالها مهنئا له بابلال من رمضان ، مطلعها :

ليهن الورى طرا بابلالك السعد   فقدعاد منه للعلا البخت والجـد

ما نصـه :

كسوت جميع العصر حلة همة   منمنمة ارقامها العزم والجـد
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم   مدارك ذوق خـالص ما له ند
فكم قرية ماتت فأحييتها بما   تفجره فيها مواعظك المد

اي ذات المد .

تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجى   بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
فتنقاد نحو السعد يقتادها جدى   يديك وتوفيق الاله لها يحدو
كذاك يكون الفخر بالرشد عند من   يربون يعلوهم من العصمة البند
وما عصمة الصوفي الا احتفاظه   على النفس الغالي ويكنفه السعد

وقال ايضا من اخرى مطلعها :

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى   وترى الهوى وسط المنى متلافا

ما نصـه :

لا يحسـب الشعـراء انى مثلهم   القي كلامي فى المديح جزافا
فالله يعلم والملائـكـة الـكرا   م ومن هم قد البسوا الا نصافا

وجميع من قد ابصروا ما كان في — الغ الهدى وعلى سناه اشافا
انى كمن يثنى على الدأماء في — امواجها ان تغمر الاسيافا
وكمن يطيل المدح في غيث همي — فالث حتى افعم الاكنافا

الى ان قال في الشيخ :

خواض كل تنوفة ركان كـ — ـل هواجر في عمره آلافـا
ما قصده الا انتشال الغافلين — وهزه بعظاته الاكتافا
كم من جهول غافل في اهله — جعل الهوى في جانبيه سلافا
لم يدر كيف الرشد اوكيف الهدى — ضخم الكرادس لا يميد معافى
سبقت سعادته فقيد لداره — شيخ المشائخ حاملا ألطافا
فيسميه رغما دواء شافيا — والطب يغدو تارة عنـ ـافا
من دأب تطبيب العياء بجنبه — يبصر طبيب عيائه كشافا
فاذا بذاك الغفل عاد كأنه — ما قط عاشر همدا اجـلافا
ادر العيون تر الالوف و كلهم — من هؤلاء تحولوا اشرافـا
عادوا رؤوس الدين بين هداته — من بعد ان كانوا هم الاظلافا

الى ان قال بعد وصف من ينقادون الى الشيخ بما ختمه بقوله :

فتراهم زمرا اذا ما يرضعو — ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا
يتواردون عليه هيما ثم يصـ — ـدر كلهم من جانبيه سلافا[1]
الله اكبر هكذا كنا سمعـ — ـنا عن مشائخ هذبوا الاسلافا
كالشاذلي ونجله المرسي ان — صقلا الفؤاد وساوماه ثقافا
لكن يفوقهما الامام الشيخ قطـ — ـب الوقت في اقصاده الاهدافا[2]
بعزيمة فعالـة قوالـة — نهاضة مثل البروق الافا
يلج البيوت على بني الغفلات رغـ — ـما ثم يكشف عنهم الاسدافا

---

1) السلاف بالضم الخمر اي يصدرهم بشرب الخمر الالهي

2) اقصد الرامي الهدف اي اصابه .

وقال من نونية اخرى طويلة مطلعها :

صدحت مطوقة بأثل البان ام نفحة وردت بريح البان

ما نصه يذكر همة الشيخ :

ذو همة فعالة وعزيمة صوالة كالسيف يوم طعان

سمعت سيدي ابا بكر بن عمر يقول ما رأيت تصرف همة الشيخ وعزائمه في الامور الا تذكرت قول سيدي محمد بن مسعود فيه فينشد البيت ويقول فيها أيضا :

وله الكرامات البواهر والتقى والعلم ليس الخبر مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا طر حاضريه فآية الرحمان
وله من التصريف امر واضح لمداخليه بدا على الاعيان
هذا على أدب يحيل به الامو ر على مشيئة ربه المنان
يهدي الى سنن السلوك يبين عن كيفية التجريد والايقان
وطريقه قفو الكتاب وسنة والذكر والذكرى مع الاخوان
والذل في كسر النفوس وطرحها في زي كل محقر ومهان
والترك للتدبير والدعوى وما يسم الفقير بوسمة الخسران
من منكر او بدعة وتهور في حال او لغو من الهذيان

هذه مقتطفات من بعض القصائد المسعودية تلائم ما ذكرناه من احوال الشيخ ، وانما اخترنا من القصائد المسعودية وحدها دون غيرها لانه ورع لا يعرف بما لا يعرف ، وليس من الشعراء الذين يلقون الكلام جزافا فلذلك يصلح كلامه للاستشهاد ، والا فإن هناك اقوال كثيرين كأقوال الاديب سيدي محمد بن علي الموذن السويري فان له في الشيخ عدة قصائد، كما كانت هناك قصائد آخرين الا انها ليس لها نفع في هذا الباب الذي لا يوزن فيه الا بالقسطاس المستقيم وكل ما قيل في الشيخ من القوافي يوجد في(المعسول) ثم ان ما ذكرته من مقالات الشيخ ونقلته عن ابن مسعود فانني وجدت بعضه منثورا فاسوقه كما هو وبعضه اخذته عن سيدي مولود بزيادة ما او نقصان ما ، سمعه ايضا من الشيخ فاداه بالمعنى ، والباقي اخذته مما في هذه القصيدة فلا يكون بينه منثورا وبين ما في القصيدة الا ما لا بد ان يكون بين القول المنثور وبين القول المنظوم .

الفصل السابع والعشرون في ذكر بعض مطالع القصائد التي يولع الشيخ واصحابه بانشادها في مجالس الذكر

تقدم في كلام الاستاذ ابن مسعود ان الشيخ كان ينشد كثيرا من كلام العشاق من الصوفية كالحراق وابن الفارض والششترى وابي مدين والبوصيرى والسهروردي والبراعي وسيدي محمد الشرقي وسيدي خالد الكرسيفي وعلى الوفائي ولا ريب اننا اذا عرفنا القصائد التي يحب الشيخ انشادها فاننا ندرك ناحية اخرى من ترجمة الشيخ رضي الله عنه ، لان الانسان لا يولع الا بما يوافق مشربه من كلام القوم ، وسنكتفي ببعض مطالع ما يروج من القصائد في مجالس الذكر عن البعض الاخر لان ذلك يدل على مرادنا .

فمما ينشد لابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم

قال المسمع سيدي ابوبكر بن عمر بهذه القصيدة افتتح لي الشيخ بيده لما اراد ان احفظ الشعر . وقدمني الى السماع .

ومنه لابن الفارض ايضا :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل

ومنه له ايضا :

ما بين معترك الاحداق والمهج انا القتيل بلا اثم ولا حرج

ومنه له ايضا :

سائق الاظعان يطوي البيد طي منعما عرج على كثبان طي

ومنه له أيضا :

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكاسي محيا من عن الحسن جلت

ومنه للحراق :

اتطلب ليلى وهي فيك تجلت وتحسبها غيرا وغيرك ليست

ومنه له أيضا :

واحسن احوالي وثوقي بفضلكم واني على ابوابكم اتملق

ومنه له ايضا :

سلوا الحب عني هل انا فيه مدعي ؟ فانه يـدرى في الصبابة موضعي

ومنه له ايضا :

ان طار عقل الذي قد شم رياك فكيف حال الذي قد نال رؤياك

ومنه له أيضا :

احبتنا ان الغرام اصابني وغيبني حتى تحيرت فيكم

ومنه له ايضا (وهو توشيح) :

جمعت في حسنك المطالب فما لنا للسـوى نظـــــر

ومنه له أيضا :

نحن في مذهب الغرام اذلة ان اقمنا على الحبيب ادلة

ومنه له ايضا :

ليس للغير ان ظهرت وجود واذا ما بطنت انت فريد

ومنه له ايضا :

بح بالغرام وبثه ترتـــــاح واشرح هواك فما عليك جناح

ومنه له ايضا :

اماطت عن محاسنها الخمارا فغادرت العقول بها حيارى

ومنه له ايضا :

اخاطر في محبتكم بروحي واهجر عاذلي لو كان اما

ومنه له ايضا :

نفحت نسمة من اهـوى علي فغدا الحب بها مني الي

ومنه له ايضا :

هم الاحبة ان جاروا وان عدلوا وليس لي معدل عنهم وان عذلوا

ومنه له ايضا :

قد زاد في حبك افتضاح ياراحتي في الهوى وراح

ومنه له ايضا :

من ذا يبشرني بيوم لقاء اعطيه من فرط السرور ردائي

ومنه (وهو توشيح)

من شدة الاشواق لبهجة الاوطان

امر في الاسواق وانني نشوان

ومنه (وهو توشيح ايضا) ؛

قلت ما نويت لما رأيت حبي وذاتي رأيت

ومنه (وهو توشيح ايضا) وهو من الملحون .

تجن الليل عليا ، حتى ظهرو لي كواكبو واطف ربي بيا ، ووفى لى المرغوب

ومنــــه :

ياليلة الوصل هل تعودي وتنجزي باللقا وعودي

ومنــــه :

ما دمت بين يديكم فالهنا مددي والبسط حالى والافراح طوع يدي

ومنه للششتري (وهو توشيح) .

كل وقت من حبيبي قدره كالف حجة

ومنه له ايضا وهو توشيح :

كلما قلت بقربــــي تنطفي نيران قلبــــي

ومنه له ايضا ؛

حرك الوجد في هواكم سكوني وعليكم عواذلى عنفونى

ومنه له ايضا ؛

قد سقانى لباس سقم وذلة حب غيداء بالجمال مدلة

ومنه لابي مدين الغوث ؛

تضيق بنا الدنيا اذا غبتم عنا وتذهل بالاشواق ارواحنا منا

ومنه له ايضا ؛

ما لذلة العيش الا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والامرا

ومنه له أيضا :

الله قل وذر الوجود وما حوى ‍‍ ان كنت مرتادا بلوغ كمال

ومنه له ايضا ؛

جمع اللـــه شتاتـــي ‍‍‍‍ وتـولـــى فـرحاتـــي

ومنه لليوسي :

جد في سيرها فلست تلام ‍‍‍ هذه طيبة وهذا المقام

ومنــه :

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة ‍ فما اسرع الغنا اذا صحح الفقر

ومنه للسهروردي :

ابـــدا تحن اليكم الارواح ‍ ووصالكم ريحانها والـــراح

ومنه وكثيرا ما يفتتح به المجلس ؛

سلام على اهل الحمى حيثما حلوا ‍ هنيئا لهم يا حبذا ما به حلوا

ومنه وكثيرا ما تنشد في مشاهد المزورين من المشايخ ؛

اولياء الاله اني مريض ‍ والدواء لديكم والشفاء

ومنــه :

لا تسل عن غرام قيس وايلى ‍ واستمع سورة الهوى كيف تتلى

ومنــه :

ايها العاشق معنى حسننا ‍ مهرنا غال لمن يخطبنا

ومنه (وهو توشيح) ؛

هزني شوقكم، يا ديار الملاح ‍ نرتجي وصلكم، وغدرني الجناح

ومنــه :

قلوب العارفين لها عيون ‍ ترى ما لا يرى للناظرينا

ومنــه :

انتم فروضي ونفلـــي ‍ انتم حديثي وشغلـــي

ومنــــه :

ليس في القلب والفؤاد جميعا موضع فارغ لغيـر الحبيب

ومنــــه :

يا حبيب القلوب ما لي سواك فارحم اليوم مذنبا قد اتاكا

ومنــــه :

كل وقت من حبيب قدره كـألـف حجة

ومنه لسيدي خالد الكرسيفي (وهو توشيح ملحون) .

الحمد لله ، يدوم لله بدوام الله ، لا اله الا الله

ومنه ، وانشاده محبب المشيخ كثيرا (وهو توشيح) :

اشرب شراب اهل الصبا تر العجائب مع رجال المعرفة والخمر طائب

ومنه ويكثر انشاده عند لقي الاحباب .

ان يوما جمع الشمل بكم لرخيص بنفيس العمر

ومنــــه :

الا يامعشر العشاق صلوا على خيرالورى الهادي محمد

ومنــــه :

ياسيد السادات جئتك قاصدا ابغي رضاك واحتمي بحماكا

ومنه لدعبل الخزاعي تلقفه الصوفية من قديم ، وينشد امام الشيخ عند افتتاح الذكر بعد الدخول :

كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج

ومنه، (وهو توشيح) وينشد ايضا اذ ذاك :

وقفنا في بابك يا مولى الموالي ترحمنا بفضلك على كل حال

ومنه، لسيدي محمد الشرقي التادلي (وهو توشيح ملحون) .

بسم الكريم بدينا . فضلو علينا ذكرو فرض علينا ، يا بابـــا

ومنه، ويعتريهم عند انشاده ما يعتريهم (وهو توشيح ملحون):

يامن لا ذاق سكر الخمرا لمحبا ولا ربى بذوق ولا تربـــــا

ويقطعونها بقولهم: المدد المدد ايا رسول الله

ومنه، (وهو توشيح ملحون) ايضا، يعتريهم به ما يعتريهم:

يامحمد يا جوهرة عقدي أيا هلال التمام، التمام

هذا ما استحضره الان مما ينشدونه، ولهم من الاناشيد اضعاف هذا لغير من ذكرناهم وغالب هذه الاناشيد معروفة في حلق الفقرا" في زوايا الحواضر، الا ان الفرق هو ان الحضريين يمدون الغنة، ويؤننون في غناتهم، بخلاف اصحاب الشيخ، فإنهم لم يتربوا عنده بمثل ذلك بل السماع المطلق، ولهم نغمات غير ما يعهد عند الحضريين عليها حلية البداوة وبساطتها ورونقها:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكثيرا ما ارى في كتاب الحريفشي مقطعات يتعهدونها بالسماع، هذا كله باللسان العربي، واما بالشلحة فانهم يحفظون قصائد كثيرة، من بينها القصيدة النبوية للبوشكري الطويلة ويختتمون بها دائما مجلس الصباح، كما يحفظون قصائد كثيرة اخرى للفقيهة السيدة فاطمة العلاوية الايلالنية المتوفاة 1207 ه ولشعرا" شلحيين، كما أنهم يحفظون للهوزالي كتاب (بحر الدموع) ومنظومة (الاصناكي)، وغيرهم مما لا احفظ اسما"هم الان، والقصائد الشلحية في المدح النبوي وفي الوعظ تاخذ شطرا كبيرا من مجالس الشيخ وأصحابه، لان الشلحة لسان القوم، فيريدون ان ينتنهضوا الناس بلسانهم (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم).

الفصل الثامن والعشرون في بيان القبائل التي كان الشيخ ينتابها كثيرا وفي ذكر امكنة زوايا اصحابه التى تأسست عن اذنه

يمكن ان يتتبع الانسان القبائل السوسية التي ما ألم بها الشيخ قط، فانها أقرب وأسهل سردا من القبائل التي كان زارها او كان يلم بها في كل وقت منذ اقبل على هذا الشان الى ان اغمض عينيه مغمضها.

كانت قبائل باعمرانة، وافران، ووادي نون، والساحل، وايت برايم، والاخصاص وايت جرار وأكلو والعوينة وتزنيت والمعدر ورسموكة السهلية وماسة وهشتوكة السهلية وكسيمة وماسكينة وهوارة واداوتنان واداوزيكي ووادي امينتانوت ومتوكة واولاد ابي السباع والقاهرة ومزوضة وكدميوة وفروكة ومجاط ومراكش والرحامنة والشياظمة

وحاحة الساحلية وتارودانت وسندالة وتيوت وإكلي في المنابهة ، وإيرازان وارحـالن وتاغولامت وسكتانة وتا كيامت وكل الفائجة وتيسناسامين والركن وإيليغ وأقيغان وتيزكوضين وتا كموت واداوكنسوس واداونضيف وإيلالن وادا كنضيف واداوزدوت وأملن وأيت صواب وتامانارت وإموكدير وادا كنا كمار بيعقيلة وتازروالت ومجاط واداوبعقيل وآيت حامد. وكان يلم احيانا بقبائل اد ابراهيم واداي وأقا ووادي ايسي وايسافن نيت هرون وجبل درن ووادي نفيس ومسفيوة والسويرة واسفي ومرا كش .

هذه هي الامكنة التي يسيح فيها الشيخ بنفسه ويرسل اليها اصحابه ، وهناك الوكوم وزكيض ودرعة وتافيلالت وبشار وبوكايس ومجالات قبائل دومنيع كان يرسل اليها اصحابه فقط ، ولم يكن زارها وانما ترد عليه منها الطوائف ، وكان الذي غرس طريقته هناك هو الرجل الصالح سيدي الحاج الحسن التملي مع خليفته من بعده سيدي عبد القادر، ثم سيدي محمد الشيخ الركائبي ثم الدرعي ، ثم سيدي احمد الفقيه الذي نشرها في جبال آيت عطا ثم ابنه سيدي التهامي الذي حاز سره فقد ركز راية الطريقة في نواح متعددة في قطر الجزائر واحواز وجدة كما انه انتشرت الطريقة الالغية ايضا في آخر حياة الشيخ في كل قبائل تادلة الى زعير على يد الشيخ سيدي ابراهيم البصير ثم ضربت اطنابها هناك بعد الشيخ كما انها انتشرت ايضا على يد اناس من الاخذين عن الشيخ في الصحراء بين الركائبات على يد سيدي محمد بن عبد الرحمان الركائبي وغيره وفي قمة جبل درن حوالي قبيلة اداومحمود انتشرت ايضا بواسطة سيدي الحسين التامكونسي فهذه هي القبائل التي امتدت اليها يد الطريقة الالغية الى الان واسست فيها الزوايا الكثيرة لكننا الان لا نتعرض الا للزوايا التي تأسست في عهد الشيخ لانها هي التي ينبغي ان تنسب له ، ثم لا نذكر الا مشاهيرها التي بنيت للجماعات .

منها، الزاوية الالغية الكبرى ، وزاوية تالات غزيفن بمجاط وفي ايمزوغن بادا ككمار وفي زاوية سيدي احمد بن موسى في قرية تيكدمين وفي قرية ادعلى الحاج باداوشقرا وفي قرية اكماض، وفي امسرا في افران، وكذلك في تيمولاي السفلى وفي تيمولاي العليا وفي قرية اولكود بإسك بيعمرانة ، وفي إد موسا كنة هناك ، وفي افردا بالساحل ، وفي أفود نتكيضا بأكلو ، وفي الارجام بايت برايم ، وفي تزنيت وفي ايت بوزيد بجرارة، وفي اغبالو بماسة ، وفي افريان بهشتوكة ، وفي ابن كامود ، وفي ايت بوالطيب، وفي تاكاض هناك ، وفي المزار ، وفي الدشيرة من كسيمة ، وفي أورير ، وفي الحصينات بإداوزنزم بحاحة، وفي تيزمـلالين بمتوكة ، وفي انساكا ، وفي ابلعاس هناك ، وفي الرميلة بمراكش وفي تيزكين بكدميوة وفي تيورار باحواز مراكش وفي المنابهة، وفي ادوار الحاج الراحل بالرحامنة وفي سراغوت بمزوضة، وفي امتنانوت وفي آيت خطاب، وفي بيكودوين ، وفي تاماكوست

وفي تيزي الحجاج، وفي امشيرن باداوزيكي، وفي اسيف ييك ، وفي ازيار باداوتنان ، وفي سيدي بوالحساب ، وفي تازمورت بسندالة، وفي تيوت ، وفي تاكضرانت ، وفي تيكمي نتالاغت من ارحالن، وفي تافراوت ، وفي اداي بأملن ، وفي ايت يحيا بايت صواب ، وفي المي بإيلان ، وفي إمحيلن بإداكنضيف ، وفي تامانارت ، وفي اموكادير ، وفي تيمولاي بإداوزكري واثنتان في تاكوت، وفي اداوزدوت في ايت موسى ، وفي تانفكغت بسكتانة، وفي تاكيامت ، وفي ايليغ ، وفي كونين ، وفي تيزكوموضين ، وفي الـوكوم وفي زكيض ، وفي ايت يحيا ، ثم زوايا درعة في قرية الطلحة ، وفي بونو ، وفي اولاد ادريس ، وفي خسوان ، وفي بني صبيح وفي ابن حيون ، وفي قصبة البروج ، وفي قصبة الشرفا ، وفي اودوافيل ، وفي مصراتة ، وفي القصر الجديد ، وفي الزاوية الدخلانية، وفي بني سمكيل ، وفي تاقشورت ، وفي الغلاط ، وفي اولاد يوسف ، وفي اولاد مولاي الحسين الشرفا ، وفي البليدة ، وفي الاقضية ، وفي القصر الكبير ، وفي الركبة ثم زوايا تانيلالت في اولاد مولاي عبد الرحمن في الغرفة ، وفي بوعام، وفي الشقرنة، وفي الكصيرة ثم زاوية بودنيب ، ثم زاوية بوكايس وغالبها لا يزال عامرا ، وبعضها قد اندثر باندثار الطريقة حواليها .

هذه هي الزوايا التي بنيت لجماعات الفقرا فيما علمناه الان ، وهناك كثيرات بنيت كذلك في دور الفقرا في نوحي اخرى ، ولها عند الفقرا حكم هذه ، وقد عددت الجميع مع سيدي ابي بكر بن عمر سنة 1339 ه فبلغت 105 زاوية في الجميع ، ثم كتبت عددها قبل اليوم فبلغ ما اعرف الان بعد ما نسيت بعضها باضافة الصغار الى الكبار 82 زاوية . هذه كلها مبنية في عهد الشيخ ، وربما غلطنا في بعض زوايا درعة فعددنا من بينها ما بني من بعده ، ولكن المقصود انما هو عد التي بنيت في عهد الشيخ واما لو اريد عد كل ما بني بعده مع ما تقدم لاناف الجميع عن 150زاوية لان للشيخ سيدي ابراهيم البصير عشرات اسسها بعضها في مدن تادلة وفي البيضا وفي قرى تادلة والسراغنة وغيرها الى زعير والشاوية

ثم اعلم ان الشيخ لم يكن يقصد ان يجعلها مراكز ثابتة لها أحياس وأملاك بل كان يقصد بها اجتماع الفقرا للذكر لا غير اذ ذاك ، وحين لم يكن ينظر الى غير ما كلف به في عهده لا يجعلها بمثابة الزوايا المعهودة لغيره، فلا يقصد زخرفتها بل يقصد ان تكون ساذجة بسيطة، وربما قصد ذلك ايضا حتى في الحاضرة ، فقد وهب له بعض اغنيا الرحامنة دارا كبيرة مزلجة في باب ايلان بمراكش لتكون زاوية فحين رآها لم يقبلها ، ثم ظهر بعد ذلك انها كانت لبعض العمال ثم نزعتها الحكومة منه فباعتها ، فلم يرضها للفقرا وكان الشيخ ينزل في المدن في زوايا مولاي العربي حتى صارت تسد امامه وامام اصحابه ، فأمر اصحابه حين اشتكوا عليه ان يؤسسوا زواياهم الخاصة ، وهذه السويرة لما كان اهلها

لا يسدونها امامهم لم يفكروا في تاسيس اخرى فيها ، بل هو الذي تسبب حتى بنيت الاقواس المستديرة في وسطها كما هو معروف مشهور، وقد كان الشيخ يعد زواياه مساجد ولذلك يقول في زاوية مراكش حين تبنى مثل ما في الحديث من بنى لله بيتا كأفحوص القطاة بنى الله له بيتا في الجنة ، وكان ايضا يامر الفقراء ان يلازموا الصلوات في المساجد وانما زواياهم لاذكارهم لا غير .

الفصل التاسع والعشرون في مرض الشيخ ووفاته ومراثيه

ساح الشيخ سياحته الاخيرة الى مراكش ، فقد كان دفن بنته الكبيرة السيدة خديجة زوجة الفقيه سيدي موسى بن الطيب ، فلحق الطائفة في هشتوكة ثم مر باداوزيكي فإمينتانوت فمزوضة فاولاد ابي السباع فكدميوة، وكان الاقبال العظيم يقع عليه في كل هذه الجهات ، ممن اخذوا عنه ومن غيرهم ، يتلقى بالخيل من القبائل ، كما يتلقاه فقهاء مدارس اولاد ابي السباع ومزوضة بكل طلبة مدارسهم من بعيد عن المدارس، وكان سيدي العربي السباعي وسيدي الحسن الرسموكي البوعانفيري وسيدي الحنفي المزوضي يعتقدون الشيخ ويتأدبون معه ويرون له اتم الشفوف ، ثم لما نزل في الزاوية في تزكين بكدميوة تدفق اليه الناس حتى كان يوما مشهودا ، ومن هناك الى سكتانة حيث دار القائد عمر السكتاني ثم الى اغمات ، فزار رجال اغمات ، ثم مر خارج مراكش، فنزل بابن ساسي قاصدا الرحامنة وقد قيل له انه اذا لم يزر الرحامنة اولا سينصبون عليه بمراكش رجالا ونساء ، فلم يرد ان يكون عليه ذلك الزحام الكثير في المدينة فتلاقاه الرحامنة برؤسائهم، فكان يبيت احيانا بما يقارب الالف وقد امر الناس بالتيمم لقلة الماء وابعد الابار، ولمشقة السقي، ثم دخل من باب دكالة صبيحة يوم في طائفة كبيرة جدا تناهز المائتين وقد اعلنوا كلهم بصوت واحد بقولهم (حسبنا الله ونعم الوكيل) يتداولونها ، فاهتزت الحومة كلها بصوتهم ، ولم يفعلوا قط مثل ذلك الا ذلك اليوم والا في يوم زيارة السبعة الرجال ، وقد كان معه جم غفير من اهل المدينة على بغالهم وكان يوما مشهودا من اجل الذين تبعوه من مئات من الناس ثم نزلوا في الزاوية التي وجدها كما تم بناؤها في الرميلة قبالة الجامع الكبير فكانوا يذكرون في الزاوية ويصلون مع الناس في المسجد ، ثم لما كثر اهل المدينة واجتمع اهل الحومة واقاموا له ضيافة عامة خرج الى المسجد وفيه ترقى المنبر فصار يعظ الناس وقد افعوعم المسجد وكثر الزحام وقد اضافه اهل الحومة بنحو 500 مائدة فكان يوما مشهودا لم ينسه اهل حومة باب دكالة ولا يزال من حضروا اذ ذاك يذكرونه الى الان ، وقد كان الشيخ يلبس لباس الحضر في الحضر ويتكلم بلسانهم فاقبلوا اليه اقبالا عظيما، حتى تخوف كثيرون من الصاغة الذين يحلقون عليه في المسجد من المراكشيين ان يؤدي هذا الاقبال العظيم الى ان تمتد الحكومة يدها الى الشيخ وقد وقع قريبا للشيخ ماء العينين ان رد الرد المعلوم

في التاريخ من تادلة مع اصحابه فركبوا جبل الاطلس حتى نزلوا في رأس الوادي بسوس فقيل ذلك للشيخ ، فقال علانية والناس يسمعون لا يخافن علينا احد، فانشا ما جئنا حتى حملنا اهل مراكش الاوليا" اصحاب الهمم والعزيمة والصولة على كواهلهم فاننا ندخل في امان ونخرج في امان الى كلام آخر قاله ثم خرج بعد نحو عشرة ايام على طريق (سيدي زوين) فالتحق بحاجة وهو يجد السير على عادته فمر بدار انفلوس القائد محمد الهالك 1356 هـ بمراكش بالوبا" ثم الى تمنار في يوم شديد الحرارة فتساقط الفقرا" في الطريق ، فلما وصل الشيخ دار القائد بتمنار سعى الناس لتلقى الفقرا" بالما" ثم من هناك الى ازيزارن ثم من هناك الى اورير وقد دخل رمضان فامر الفقرا" ان يفطروا تلك المرحلة الطويلة فنزلوا بزاوية اورير ثم الى اكادير عند مريده الحاج الحسن خليفة القائد مبارك في تمنار ثم الى كسيمة ، حيث آل الحاج العربي في قرية الدشيرة وهناك صف المتجردين امامه في قرية انزكان ، فقال لهم قفوا اتأملكم ، فكانت كلمة منه عجيبة ، لان مثلها لم يؤلف منه فصار يصوب فيهم طرفه ويحدره ما شا" الله ، ثم فرقهم جماعات الى البلدان ، فتوجه بثلة منهم فمر بنا ونحن نقرأ في قرية افريان ، فرجع بنا الى البلد ، فانطبع اذ ذاك في قلبي كل ما اراه منه ، وقد لفت بصري كثرة الناس وهيبته في القلوب ، وتاثير موعظته في السامعين الذين لا يملكون دموعهم، ثم بتنا في حمى الصوابي بأكدال المرزكوني ثم الى المعدر ، حيث لاقاه الاستاذ ابن مسعود وكثيرون معه، وهناك لما اراد ان يدعو امام الزاوية المعدرية قال كلمته المشهورة ، هنا افتتحنا السياحة وهنا اختتمناها ، فكان الحاضرون يظنون ان مقصوده تلك السياحة وحدها ، ولم يدروا مقصوده الا عند وفاته قريبا ، وقد وقعت منه اشارات كثيرة لقرب وفاته في هذه السياحة منها أنه لما ودع سيدي ابراهيم البصير الى تادلة قال له كلاما فهم منه انه الوداع الاخير ، وكذلك قال لسيدي سعيد التناني وقد تركه اذ ذاك بمراكش ، اعتكف هنا في رمضان ، ثم اذا خرج رمضان فإن امر يدك في نفسك فافعل ما تريد، ولم يكن يقول مثل ذلك الكلام للمتجردين، ثم انكشف الغيب على ان ذلك الاعتكاف هو آخر ما فعله المذكور بإذن الشيخ ثم تحرر من ربقة سلب الارادة بوفاة الشيخ فكان امره بيده، ومنها ان الشيخ جلس ليلة في قرية العليوات من الرحامنة ففتح الكتاب فصار يقول ، الموت الموت الموت ، يمد بها الصوت ما شا" الله ، الى ان قام بالناس من المجلس من غير ان يذكر لهم شيئا ، ومنها انه لم يكن يشتغل كثيرا في هذه السياحة الا بسرد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الذخيرة لسيدي المعطي بن صالح التادلي سردا خاليا من التفسير ومن المذاكرة ولم يكن ذلك عادته ، فكأن حب النبي صلى الله عليه وسلم هاجه لما حان لقا" الارواح في عوالمها بموت الشيخ ، ومنها ما حدثتني به والدتي رحمة الله عليها ، قالت استدعاني الشيخ قبل ان يتوجه الى سياحته الاخيرة. فجلسنا منفردين، فقال يا فلانة ، انك شريفة وحافظة لكتاب الله وابنة شيخنا ولا تزالين صغيرة،

فلك حقوق من اجل كل هذا ، فان كان لك غرض في زواج آخر فاخبريني الان لانظر في ذلك على سعة ، فانني ان رجعت من هذه السياحة سأذهب الى الحج او الى ما يريده الله ، قالت فاجهشت بالبكاء ولم اجبه فصار يحثني على الاجابة ويقول ان فلانة وفلانة لزوجيه الاخريين انني اوقن انهما لا تتطلعان الى الزواج ثانيا ، على عكسك انت الشابة الصغيرة ، قالت فلما اكثر علي وقد فهمت ان اجله قريب قلت له انه لا خير في الرجال بعدك، فانني صابرة على اولادي الى ان التحق بك قالت ولم ازل اترقب وفاته منذ ذلك اليوم قالت ثم عرفت انه كان يغار علي بعده فلم يرد ان اتزوج بغيره، ومنها ان الشيخ قال لما توفيت بنته الكبرى قبل هذه السياحة لم يكن بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بنته الا ستة اشهر ، فاذا به لم يكن كذلك بينه وبينها الا ما يقارب هذا الزمان بزيادة ما، الا ان النبي صلى الله عليه وسلم تقدم بنته فاطمة والشيخ بالعكس ومنها انه قال لبعض نساء من اقاربه لم يعزينه يوم توفيت بنته ، ثم جئن بعد معتذرات ، سياتي سبب آخر للتعزية اكبر من هذا فلا تتأخرن فيه ثانيا، ومنها ما قاله لسيدي الحسين الاموكديري ، لا تنزعجن وان سمعت عني ما سمعت فانني اودعك في يد الله تعالى الى غيرها من اشارات كثيرة سمعت منه في تلك السنة .

ثم وصل الشيخ بنا الى الزاوية بعد مرورنا بـادوز وذلك بعد ايام من رمضان وبعد العيد بلغه ان فقراء درعيين جاءوا الى الزاوية على طريق تامانارت فعدا عليهم الحاج احمد الابراهيمى اضارضور وآخرون فسلبوهم من متاع وبغل اتوا بهما الى الزاوية فذهب مع الاستاذ سيدي علي بن عبد الله الى تامانارت فوقف حتى استرد الجميع من الناهبين ومن بين ذلك ثياب واردية رقيقة ومئات من الريالات فاعجبه رداء من تلك الاردية فعزله فامر به ان يعزل حتى يوتى به خاصة الى الزاوية فاتفق ان كان كفنه، ويقال انه قال لمرآه لايصلح هذا الا لكفن، غير ان ذلك القول لم يصح عندي ، والناس مولعون بالكذب على امثال الشيخ وانما صح عندي ما تقدم، ثم طلع الشيخ من تامانارت فأضر به مرض في الطريق مرارا حتى انه ينزل وسط الطريق ليستريح مرارا ، ولم يكن معه الا رفيقه الذي يزاول بغلته وحده وهو الفقير مسعود التيمولائي الزكري ، فكان هو الذي يعينه على النزول ، لانه لا يقدر ان ينزل مستقلا ، ثم ظهر بعد وصوله ان مرضه كان مرض الحمى، فسقط على الفراش حتى انه لايخرج من داره ولايراه احد في غالب الايام الا انه يتكلف الاستناد وراء الباب المنفتح على المركع احيانا ليلاقي الفقراء الذين يتواردون من بعيد ليعودوه ، وممن عاده الاستاذ ابن مسعود مع فقراء من ازغار فوجدوا منه ابلالا ، فذلك هو سبب القصيدة الدالية التي قالها الاستاذ ، وقد مر بعضها او كان سببها ابلاله الاخير، وربما تحامل الشيخ على نفسه فجلس في المركع قبل ان يشتد به الحال كثيرا ليبايع الناس الذين كانوا يتواردون لبيع اراضيهم للزاوية ورهنها من اجل المسغبة السائدة اذ ذات، وقد ذكرنا قبل كيف كان يبايعهم، وقد كان الفقيه سيدي موسى

ابن الطيب هو الذي يكتب الرسوم على الناس، وقد زاره سيدي مولود في ثلة من الفقراء قال نافضى الي الشيخ بالشدة الفادحة التي عاناها في وعكته وقد كان مولعا بالخل شربا وتضميدا على كل اطرافه ورأسه، وكان الخل اذ ذاك قليلا في تلك النواحي ، فأتى به من السويرة، وفي أثناء ذلك كتب وصيته فأرسلها الى سيدي محمد بن مسعود ، فإذ ذاك ارسل الخليفة سيدي محمدا اخانا الاكبر الى الزاوية، فكان الشيخ يقدمه للصلاة وللدخول وللخروج وذلك قبل عيد الاضحى، وكان الوقت وقت الحرث ، وفي ثاني الاضحى ركب الشيخ على ما فيه الى الحاج ابراهيم من اجل مريده الفقير اباعا احطيو، لان هناك مؤامرة سرية من الحاج ابراهيم وامثاله حول املاكه لتباع منه بالبت، بسبب ولد له جنى جناية في حمى الشيخ سيدي علي بن احمد بزاوية دوكدير، فطلب منه مال كثير غرامة ، ويراد ان تباع عنه اراضيه مرغما بيعا باتا ، مع ان الشائع هو بيع الثنيا ، فقال الشيخ غرموه ما تريدون ، الا ان املاكه نحب ان لا ينقطع عنها طمعه فنحن ندفع لكم فيها ما يراد منه ، وتكون املاكه رهنا للزاوية الى ان يفتكها ، لان غالب املاكه كانت الزاوية تحرثها قبل، وبعد التي واللتيا ومعاودة الشيخ الذهاب ثانيا الى الحاج ابراهيم تم ذلك وفق ما اراد الشيخ بإعانة احمد بن الحاج ابراهيم على ابيه ، ولا يزال اباها يترحم على الشيخ الى الان لبقاء املاكه لانه استرجعها قريبا، وهكذا الشيخ لم يحل مرضه الشديد بينه وبين اسداء المعروف واعانة الملهوف، ثم في السادس والعشرين من ذي الحجة ظهرت منه خفة يرتجي بها الشفاء التام، حتى توافد المبشرون الى النواحي بابلاله ، وبقي كذلك في السابع والعشرين ، ثم عاوده ما فيه فلم يصل ما بين الظهرين يوم السبت الثامن والعشرين حتى كانت فيه الغرغرة ، فبقي كذلك حتى قضي نحبه في وقت صلاة العصر ، والفقراء يصلون ولم يحضر عنده الا نساؤه واولاده فقط ، ومحل خروج روحه معلوم في الغرفة العليا التى فيها الممر الى الدار ان طلع الطالع من مراقي المركح ، فرحمه الله رحمة واسعة وقد كانت الرسل من جهات تتوارد للاستفسار عنه كرسول الفقيه سيدي عمر الايكضيبي وغيره ، فرجعت الرسل بخبر الواقع (كل نفس ذائقة الموت) (فاذا جاءهم اجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون) واذ ذاك حمل الى مكان آخر حيث سجي ، وذهب رسول الى الفقراء الذين يحرثون في ادلكوش بمجاط فوصلوا وقت السحر يوم الاحد ثم اطلقت البنادق طلقتين طلقتين ، على عادة الناس اذ ذاك ان حدث امر مهم وذلك عند الاسفار فاجتمع الناس من القبائل المجاورة من إغشان وايت وفقا وامانوز ومجاط فتولى غسله سيدي علي بن عبد الله والموذن في الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التناني يناولهما الماء الفقير محمد بن بلقاسم السليماني ابن اخت الشيخ وهو والد الاستاذ سيدي بلقاسم المدرس بمدرسة ايمور الان حكى الموذن ان الفقيه سيدي علي بن عبد الله يكثر من الاسترجاع في وقت غسله ويقول ما ذهب الشيخ الا لي وحدى قال فقلت له بل ذهب

لجميع المسلمين الذين ينتفعون به من كل ناحية فتلقف كلامي فصار يكرره ويقول، صدقت صدقت، قد ذهب به ناصح كل المسلمين، ثم تشاور بعض الفقراء اين يدفنونه ؟ فقيل يدفن عند اهله في المقبرة العليا، وقيل في المركع، فتناول الفقير سيدي مسعود التيمولاءي خديم بغلته في السياحة مع سيدي احمد التيمولاءي بيديه المعول والقفة، فذهبا يحفران حيث قدر له ان يدفن وراء الدار، وحكى التيمولاءي انه كان رأى الشيخ خرج يوما اثناء مرضه فجلس في ذلك المحل ينكت فيه بعود، ففهم من ذلك انه محل قبره، وذلك زيادة على انه المحل الذي وضع فيه الشيخ منبره في موسم 1327 ه وهو الموسم الاخير في حياته، لانه لم يقمه 1328 ه للمسغبة العامة اذ ذاك، ولم يعتد الشيخ الجلوس هناك للفقراء قبل ذلك اليوم بل كان المحل يحرث ففهموا من جلوسه هناك لتشييع الفقراء صبيحة الاربعاء آخر ايام الموسم ما فهموا، فهذا هو السبب حتى دفن هناك، ثم تقدم للصلاة عليه في البيدر القديم الذي كان الشيخ بناه، الفقيه سيدي علي بن عبد الله، فصلى عليه كثيرون من بينهم سيدي الحاج احمد اليزيدي الفقيه والاستاذ سيدي بلقاسم التاجارمونتي والرئيس الحاج ابراهيم الغشاني وطلبة المدرسة وينيف المصلون على الف، ثم ادرج في قبره يوم الاحد نهارا قبل الزوال بما شاء الله، ففرق تمر كثير للناس، وختمت ختمات من القرآن، ثم تفرق الناس، فكذلك طويت تلك الصحيفة المفعمة بأعمال جسيمة، فبكى الناس ولكن ماذا يجدي البكاء وقد عرف الناس اذ ذاك من يفقدون، فقد نادى الاستاذ سيدي علي بن عبد الله حين دفنه في الناس اعلموا ايها الناس اننا دفنا هنا نصف الايمان او الايمان كله، كما انه كتب الى الفقيه سيدي علي بن احمد التملي الماراخسيني وهو يعزيه في الشيخ البيتين المشهورين :

لعمرك ما المصيبة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة موت حر يموت لموته بشر كثير

ثم توافد اواخر المحرم 1329 ه العلماء الى التعزية فاجتمع في دار الشيخ هؤلاء سيدي الطاهر الافراني، وسيدي العربي الساموكني، وسيدي بلقاسم التاجارمونتي، وسيدي موسى ابن الطيب، وسيدي احمد بن محمد اليزيدي، والاستاذ سيدي علي بن عبد الله، وشيخنا سيدي عبد الله بن محمد، والاديب سيدي البشير الناصري والاستاذ سيدي احمد بن صالح التانكرتي، والاديب سيدي محمد بن علي الالغي، فأقيم تابين ادبي للشيخ، فألقيت قصائد متعددة، قال شيخنا سيدي عبد الله بن محمد قصيدة مطلعها :

قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال
واعلن الدين الشكاة بما اصابه من ضر داء عضال

يقول فيها :

قالوا وما أودى به قلت مـا اودى به الا عيون الكمال

ويقول فيها أيضا :

قلت وقد عاينتـه علما يرفع من فوق رقاب الرجال
وازدحم الناس على نعشه حتى نقطعت شسوع النعال
والعين لا يرقا لها دمعها اما الشهيق فهو باد وعال
لا تعنقوا السير فقالوا اتئد فإنه يوم تسير الجبال

ويقول ايضا فيها :

يا هائل الترب عليه فإن تدفنه لم تدفن حسان الخلال
اقام في القبر وآثاره سيارة تتلى بكل مجال
وكيف لا وهو امام الورى وهو المهذب الغياث الثمال
مقصد أهل الله يهديهم معالم الذكر الوريف الظلال
مجدد دين الهدى بعد ما يكاد تعفوه عوادي اختلال
قد اوتي المنشور وهو التقى وهو الذي حاز سني الخصال

وقال شيخنا سيدي الطاهر قصيدة مطلعها :

امن حادث بكر ألم فأجزعا جزعت وحق ان تنوح وتجزعا

يقول فيها :

اقام يشيد الدين دهرا مجددا لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
الى ان انارت من سناه جوانب الـــبلاد وزال الجهل عنها وأقلعا

ويقول ايضا :

فمن ذا يرجي سائح متجرد ليهديه او من يجير المروعا
وأي طبيب للقلوب يلدها بدهن الرجا والخوف طرا لينجعا

وقال ابنه شيخنا سيدي محمد بن الطاهر، ولم يحضر ذلك المجلس قصيدة مطلعها :

قالوا قضى العلم الامام السيد عين المعارف والعلوم الامجد
فعفت ربوع المكرمات وقد زهت بسناه ازمانا تؤم وتقصد

قالوا ارثه باللذ علمت وانه — يفنى الكلام وصيته لاينفد
فأجبتهم كيف الرثاء لمن غدا — شمس الضحى تعشى الذي قد يجحد
ماذا يفيد لمجده قولي وقد — بلغت به اقصى البلاد الوخد
فاذا اختفت عنك الفضائل فاسألن — عنه الليالي اذ بها يتهجد
واسأل مساجده التي قد طالما — شهدت مواقفه اذا ما يعبد
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما — ارض يقيم بها الصلاة العبد
لايجحد الفضل المبين سوى الذي — طمست بصيرته وذاك المبعد

وقال الاستاذ الفقيه سيدي علي بن عبد الله قصيدة منها ؛

ما راعني والدهر حبلى مقرب — لابد من وضع بيومك او غد
والشمل مجتمع بمن احببته — والسعد يسعدني لعيش ارغد
الا النعي بموت شيخ ان تقل — مات الكمال به فغير مفند
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا — في عصره المدين خير مجدد
ماشئت من علم ومن عمل ومن — ادب يزيد وهمة لم تعهد
وديانة تنسى اذا عاينتها — غير الاله ورفعة لم تجحد
ونصيحة قد زانها اخلاصها — وصداقة في غيره لم تشهد
آه على تلك المحاسن انها — طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الاديب سيدي احمد بن محمد اليزيدي قصيدة مطلعها ؛

الدين يجزع والصدور توجع — والعين تدمع والقلوب تصدع

يقول فيها ؛

ان المصائب جمة لكنه — ما مثل رزء علي بن احمد مفجع

وقال الفقيه سيدي موسى بن الطيب قصيدة مطلعها ؛

مضى الاخيار وانقضت الدهور — وتم الخير واتصلت شرور

يقول فيها ؛

فياتربا حوى اشلاء شيخي — اتدري ما حوت منك القبور ؟

وهناك قواف اخرى لبعض المذكورين وغيرهم ورسائل في رثاء الشيخ وفي التعزية

فيه، ناتي بالجميع تاما ان شاء الله في ترجمة الشيخ في (المعسول) وانما مقصودنا هنا سوق نتف من هذه القصائد مما ينفعنا في الترجمة التي خصص الكتاب لتاديتها كما هي .

الفصل الثلاثون في وصية الشيخ وما قام به اصحابه بعده

كتب الشيخ وصيته في ذى القعدة، ولم يعلم بها أحد ، وإنما دفعها لسيدي بلعيد الصوابي الى الاستاذ سيدي محمد بن مسعود، فبقيت هناك تحت السر الى أن توفي الشيخ. وكل ما فعله الاستاذ انه ارسل سيدي محمد ابن الشيخ الى الزاوية ، وقد كان انقطع اليه للتعلم، وقد دفع له كفنا وقال له، ان قضى الشيخ نحبه فأدرجوه فيه، فانه من حلال خالص واوصاه بكتمان ذلك عن الاهل، فنفذ سيدي محمد كل ذلك ، فكان ذلك الكفن احد اكفان الشيخ، واما الوصية فهي هذه بنصها وفصها، وتحت ايدينا الان النص الاصلي بخط الشيخ رحمه الله ورضي عنه .

الوصية

وبعد فقد قبضني الله في مرضه ، ولا ادري ما يفعل بي، فهذه وصيتي وسلامي على جميع الاحباب ان يقوموا بدين الله ظاهرا وباطنا ، وان يكونوا على العهد في الحياة والممات ، فكل من اخذ عني الطريقة فليبق على عهده صغيرا وكبيرا ، ذكورا وإناثا عبيدا او احرارا، فلا ينظر الى سواي حياة ومماة، فكل فقير اعطاه الله كمالا وصلاحا فقد اذناه في التربية سواء قديما او حديثا ، فقد ظهروا ولم يخفوا كالشمس، فالكبراء منهم هم الذين يدلونهم على اقامة ذلك حسا ومعنى، وان يقوموا بجميع محسوساتنا بلدا وغيره ، وولدي محمد خليفتي في كل شيء شيء، وأنت ياسيدي محمد بن مسعود كن رجلا رجلا وسيدي سعيد التناني وسيدي فلان وفلان وفلان وفلان فأنتم اذناكم في التربية ، وسيدي احمد بن مسعود كذلك، كتبه علي بن احمد الالغي فالجماعة تقوم مقام الشيخ حياة ومماة، فقد الزمت اتباع الفقراء الفقراء الصغراء للكبراء ، ولا يفعلون مثل ما يفعل كذا من الفقراء، مثل فقراء سيدي سعيد، ومثل فقراء سيدي محمد العربي، فانترقوا عن محلهم فضلوا وأضلوا ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وكونوا بالله وبشيخكم حياة ومماة :

علي بن احمد الالغي امنه الله آمين .

تواردت طوائف الفقراء بعد وفاة الشيخ، وفي مقدمتهم الاستاذ سيدي محمد بن مسعود واخوه سيدي احمد ، وسيدي ابراهيم بن صالح وأمثالهم، فقرأوا الوصية ففرحوا بها غاية الفرح اذ هي رمز الاجتماع والالتئام ، فصافحوا خليفة الشيخ على العهد ، فصدرت بذلك رسائل كثيرة الى كل النواحي، فكتبت من الوصية مئات من النسخ طارت بها الرسل الى الحوز والى درعة وتافيلالت وما وراءها الى تادلة ، فتعاهد المتجردون على لزوم ما كانوا عليه من خدمة الزاوية والقيام بشؤونها ، وأن يكونوا عند اذن الخليفة كما كانوا عند اذن

الشيخ ، ولم يعتبروا صغره، بل قالوا اننا نعرف ان شيخنا لا يريد بنا الا كل خير ونصح ، وهو ادرى بحالنا ، وقد سلبنا من انفسنا الارادة ، وجعلناها في يده ، فلو امرنا ان نقتدي بأمة او عبد لفعلنا ناوين للخير ، فدار موسم الزاوية فتوارد الفقراء كما كانوا ، كأن الشيخ لا يزال حيا ، فظهر من الخليفة على صغره ما يبشر بمستقبل مبهج من الرزانة والصبر والقيام بالشؤون على ما يطيقه ابن خمس عشرة سنة ، ولم يبق الا ما لايؤخذ من الا التجارب ومزاولة الامور ، فذلك يتكفل به طول الزمن ، ثم جاء طول التجارب بعد ذلك بكل المراد .

كذلك خلف الشيخ زاويته في أيدي اصحابه وأهله ، ولم يجعل لاحد من غيرهم اليها من سبيل، فقد امتلأت الزاوية بالخيرات ، وكانت لها املاك ، وفيها من اولاد الشيخ تسعة ذكور صغار، اكبرهم له خمسة عشر عاما، كما كان فيها ست بنات ابكار، فإلى امثال هذه الامكنة تتحلب شفاه الطامعين الذين يألفون ان يأكلوا أموال اليتامى ظلما، ولكن الله اسبل الحفظ وستارة متينة على الزاوية ، فصينت من كل يد عادية منذ توفي الشيخ الى اليوم 1364 هـ

قال الفقيه سيدي علي بن عبد الله حين اقبر الشيخ والناس واقفون على القبر للحاج ابراهيم الغشاني : انك انت الذي تصير مقدم هؤلاء الايتام ، فسكت المخاطب، وبعد ساعة دخل بعض الفقراء الى مجمع فيه الفقيه والحاج ابراهيم وغيرهما، فقال لهم: ان الزاوية للفقراء وحدهم فهم الذين يقفون على ابناء الشيخ من كل جهة ، فلا تبالوا بأي شيء ، وإنما عليكم انتم ان تقوموا بمثل ما كنتم تقومون به في عهد الشيخ من الاعانة في الحرث والحصاد وحمل التمر من تامانارت ان طلب منكم الفقراء ذلك، فقال الحاج ابراهيم هذا هو الحق الصراح، فالزاوية زاوية الفقراء يفعلون بها ما ارادوا، فسكت الجميع وانقضى الامر ، واما بعض اقارب الشيخ الادنين جدا ، فإنه اقترح ان يطرد في الحين كل الفقراء ، وان يحصى كل ما في الزاوية، ويحب هو ان يتقدم على ما في الدار ليصون الجميع على زعمه من كل يد الا ان ماقاله ذلك الفقير، وحبذه الحاج ابراهيم وارتضاه الفقيه سيدي علي بن عبد الله، قد اتى على جذور نواياه، فسكت على مضض، ولم يكن هذا الفقير المتقدم يعرف اذ ذاك ما تدل عليه الوصية، وانما انطقه الله بذلك كما انطق به فقراء آخرين ممن حضروا في الزاوية إلهاما وتوفيقا .

وبعد فقد مضى خمس وثلاثون سنة على الزاوية وعلى ابناء الشيخ الذين كانوا ايتاما امس، فماذا ظهر من الزاوية واهلها ؟ وعلى اي سير يسير اولئك الصغار بعد ان صاروا رجالا كبارا ذوي اولاد؟ والى اي وجهة يتوجهون ؟ وكيف طريقة الشيخ واحوال اتباعها؟ الجواب عن كل هذه الاسئلة ينبغي ان ياتي من الذين يقولون لم يلد الا الشيخ سيدي الحاج علي وحده من بين الالغيين، ولم تعمر الا زاويته وحده في الغ بالاخلاق الطيبة وليس

في الغ رجل يعتمد عليه الانسان وهو متصف بكل المروءة والشرف والصبر والعهد وزم اللسان والقول الحق، والتزام الصدق وعدم التعدي على احد بلسانه وبيده الا سيدي محمد الدرقاوي وحده ، وهو هو عميد الزاوية ، هذا ما يقال الان 1364 هـ.

ذلك هو مصداق الوصية في اعين الذين لا ينظرون الا الى ظواهر الامور، ولا يعرفون ان يزنوا الناس الا بما يحسونه بأبصارهم واسماعهم ، أو ما يلمسونه بأيديهم والا فوصية الشيخ يدور محورها على قطب الباطن الذي فيه كل شيء شيء، ولكن اكثر الناس لا يعلمون وسيعلم الغد ان شاء الله كل ما اشار اليه الشيخ امس .

امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

الفصل الحادي والثلاثون في ازواج الشيخ وفي اولاده

اعلم ان للشيخ من الازواج ثلاثا، اولاهن السيدة فاطمة الالغية ، تزوجها الشيخ عاشر ذي الحجة سنة 1302 هـ وكانت سيدة ذاكرة رقيقة القلب ، رجعت آخر عمرها بكل همتها الى ربها، فطلقت كل ما يعرف عن العجائز، فلا تعرف الا القول المعروف، وإدمان الصدقات سرا وجهرا، وقد نفضت يدها من كل شيء فلا تبالي بشهوة ولا تسترعي عينها حلية، وقد عجبت كثيرا حين رايت منها هذا الحال العجيب، فكأنها ليست من نساء اهل البلد، فإن ديدنها التوجه الى الله بكليتها ، وقد فار شوقها الى الالتحاق بربها ، وكثيرا ما تقول متى الحق السابقين والسابقات تعني الشيخ وازواجه الاخريات، وقد ظهر منها ان لها مقامات من مقامات التصوف الكبرى، وقد شربت من مشرب الشيخ ، فكانت تهيم بالله شوقا ومحبة ، رضي الله عنها ونفعنا بها ، التحقت بالرفيق الاعلى بعد عصر السبت 19 ربيع الثاني 1357هـ ودفنت الى مدافن الشيخ وازواجه ، وقبرها هو الرابع من القبور ان ابتدات بقبر الشيخ الى الغرب وولادتها تكون في نحو 1287 هـ

والزوجة الثانية هي السيدة خديجة، وتعرف بخليجة ـ على عادة اهل بلادنا في النطق بهذا اللفظ ـ وهي بنت الفقيه سيدي عبد الله من محمد بن القاضي الايديكلي التيملي، كان والدها من اصحاب الشيخ، وله مقام كبير في محبته فعرض عليه بنته هذه ـ فيما سمعت ـ فقبلها منه الشيخ فأرسل اخاه سيدي ابراهيم بن احمد، فعقد عليها واتى بها، وذلك سنة 1312 هـ وكانت دينة صبورا لا تعرف مخاصمة ولا مللا من خدمة الزاوية ، وهي التي كانت تتولى كبر خدمة دار الشيخ وهي مسكينة في نفسها تعتقد الشيخ اعتقادا تاما حتى نالت منه درجات ظهرت عليها آثارها ، وكانت عزوفا مرتفعة الهمة عن الشهوات، فلا تبالي ما اكلت وان كانت شهوات اليد واليدين تدور امامها، وكانت ثقيلة الحركة ولذلك كثيرا ما تفوتها ركعة من الصلوات مع الامام ، فيقرصها الشيخ ـ على عادته ـ عشر قرصات، وكانت جبلا راسخا في الصبر، وصخرة صماء في الصمت، وقد تضعضعت صحتها اخيرا ، فلم تزل كذلك

حتى لحقت بربها 21 رجب سنة 1353 هـ وقبرها هو القبر الثالث وراء الشيخ ان ابتدأت بقبر الشيخ الى الغرب، والزوجة الثالثة هي السيدة رقية بنت الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي ، كان تزوج الشيخ بها على وجه خرق العادة، فقد كان والدها ممن لايقول بالشيخ ويكثر عليه الانكار ، ويقول في ذمه قصائد، ويطلق فيه اللسان في كل مجلس ويسامر بأن ينادى به في الاسواق على رؤوس الناس، خصوصا في موسم تازروالت، كل هذا كائن الا ان العجب كيف زوجه بنته ، ثم لم ينقطع عن ذمه فقد وقفت على قصيدة اخرى في ذم من يصاهر الدرقاويين بسوس ، قالها بعد التزوج ، وقد كنت اسال عن السبب في هذا الزواج، فأما الفقراء فحكوا عن الشيخ ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بتزوجها حين كان في خلوته بإلغ نحو سنة 1315 هـ واما السيدة فاطمة زوجة الشيخ الاولى فإنها حكت لي ان السبب هو ان الشيخ تشكى يوما من مكث عائشة وخديجة بنتيه بلا قراءة فقالت له السيدة حكة ـ وهي ام فاطمة الحاكية ـ انني سمعت لما زرت تاماشت في السنة الماضية ان للاستاذ سيدي محمد بن العربي بنتا حافظة للقرآن فلو اتيت بها لكفتك المؤونة ، فخطر في بالي من هذا عجب كيف تقترح الفقيرة حكة ان يتزوج الشيخ ضرة على بنتها، الا ان ذلك صحيح لان بنتها الصادقة هي التي حكت هذا، ثم علمت ايضا ان سيدي ابراهيم بن صالح هو الذي وقف مع قرينته حتى قبلت السيدة زينة بنت صالح زوجة الاستاذ ابن العربي ان تزوج بنتها للشيخ ، فلم يجد الاستاذ بعد ذلك ما يقول، ثم حدثني منذ سنتين القائد سعيد التيكزيريني الحاحي ان الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي الحاحي الكاتب عند القائد سعيد الكيلولي بتزنيت، اخبره بأن القائد سعيدا الكيلولي اقترح عليه يوما بتزنيت ان يفاوض الفقيه سيدي محمد بن العربي ان يزوجه بنته الحافظة للقرآن، قال، فقال سيدي محمد بن عبد الرحمان في نفسه ، كيف يسوغ لي ان اتسبب في هذه السيئة ، اذهب الى شريفة حافظة لكتاب الله، بنت عالم كبير وولي صالح، فأسوقها الى ما بين يدي جلف جبار عنيد امي، لا والله لا افعل ذلك ، قال فذهبت الى الاستاذ ابن العربي فذكرت له ما قال القائد ثم فاوضته بيني وبينه في التحيل على دفع هذا الامر ، وقلت له لا دواء الا ان تزوجها الآن قبل ان ارجع الى القائد من رجل عظيم كبير القدر، لا يقدر القائد ان يقول فيه شيئا، وقد كان الشيخ سيدي الحاج علي حاضرا اذ ذاك بتزنيت عند القائد ، وللقائد في الشيخ اعتقاد، فقلت للشيخ ما وقع ، فحثثته على ان يتزوج بها لنفسه ، فإن القائد لاينكف الا به وبأمثاله ، فقد كان للقائد ايضا في ذلك سياسة اخرى، فيريد ان تكون هذه المصاهرة ذريعة الى التمكن في الجبال، لما للفقيه ابن العربي من السمعة هناك، قال فقبل الشيخ ما قلت له ، ثم رجعت الى الفقيه سيدي محمد بن العربي، فذكرت له ما اتفقت عليه مع الشيخ فلم يجد ما يخلصه من ذلك المأزق في الحال الا ذلك، فزوج الشيخ وتم الامر ، فرجعت الى القائد فقلت له انني وجدت البنت تم فيها الامر للشيخ، فلم يجد القائد ما يقول .

لما اجتمع عندي كل هذا عرفت حينئذ ان هذا الزواج انما هو كرامة للشيخ فبعد أن اذن له من الحضرة النبوية فيه • ولا ريب انه لايمكن ذلك ظاهرا ، يسر له من بعيد سببا خاصا حمل الفقيه على قبوله ، ثم بعد ذلك اتخذ الشيخ الوساطة الى ام البنت ، كما يسر الله فانطق السيدة حكة بذلك الكلام المتقدم والا فكيف تشير امراة الى ضرة لتساتي ازاء بنتها، هذا مجمل ما نمي الي حول هذا الزواج .

امرها الشيخ ان تلازم تعليم البنات والولدان الصغار، ولم تكن تزاول شؤون الدار الا قليلا ، فقضت مع الشيخ من 19 ربيع الثاني 1317 ه الى ان توفي، ثم صبرت على اولادها وقد تحررت ايضا بإذن خليفة الشيخ مما كان ينوبها من الخدمة لو كانت تخدم، ولم تزل تدعوا له بذلك سرا وجهرا ، ثم في آخر عمرها صارت تقضي نهارها وليلها في تلاوة القرآن فتختم في كل اسبوع ختمة ، وتتحين ان تختمها يوم الجمعة كما حكت لي فاطمة بنتها التي تلازمها اذ ذاك، وكانت تقرأ الحزب دائما مع اهل الزاوية صباحا ومساء وراء الجدار ، وقد المت بها امراض شديدة اسرعت بها فلحقت بربها في عصر الاربعاء ثاني ربيع الاول سنة 1342 ه رحمها الله وقد دفنت ازاء قبر الشيخ غربيا ، هؤلاء ازواج الشيخ الثلاث، وقد حدثني سيدي مولود قال، سمعت الشيخ يقول ، ان واحدة من ازواجي كانت تحدثني بكل ما يقع لنا في السياحة، فلا تترك شاذة ولا فاذة الا اخبرت بها، ولم يبين الشيخ من هي منهن، وكل واحدة منهن لها مقام وشان ، ومشرب خاص، واتجاه تام الى الله تعالى، وقد تصافين وزال في اواخر اعمارهن كل ما كان يظهر بطبيعة البشر بين الضرائر، وسمعت سيدي محمد بن عبد الله الزيكي يقول، كان أحد الفقراء الذين يتجرأون على الشيخ سأله عن سبب تزوجه بثلاث مع ان ذلك ليس بعادة اهل تلك البلاد فقال له، اما الاولى فعلى السنة ، واما الثانية فلجبر خاطر والدها ، وأما الثالثة فبإذن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمعت ايضا الفقراء يقولون، ان اتى واحد منا بشيء مما يتعلق بالنساء، يقول لنا الشيخ من اتى بشيء من مثل هذا، فليجعله ثلاثا ، فإن عندنا خواطر ثلاثة ، وقد كان الشيخ آية من آيات الله في القسط بين نسائه ، ولم يعهد من واحدة منهن انها اشتكت بأن الشيخ ينقصها من حقها، وذلك هو المظنون بالشيخ الذي نعرف منه ما نعرف من ملازمة الصراط المستقيم وبلزوم العدل تعرف مقامات الرجال .

وكان للشيخ غيرة شديدة على نسائه ولذلك لا يتركهن يخالطن النساء الاجنبيات فضلا عن ان يتركن ان يتطلعن الى الرجال من خصاص الباب، او شقوق الجدران، وقد كان سيدي محمد بن ابراهيم السليماني المتجرد يقول، عجبا كيف ربى الشيخ اهله فلا نسمع ان كنا في السطوح ولو صوتا رقيقا، حتى الدخان لانراه حتى تخرج لنا قصاع الطعام، وحكى لي عن والدتي رحمة الله عليها قالت، والله ما عرفت قط وجه رجل منذ كنت عند الشيخ، ولا تطلعت قط وراء باب وراء باب لانظر الى الناس، تقول ذلك لابنتها تربيها بذلك، وكذلك ينبغي ان

يكون من رباه مثل الشيخ .

ومن عادة الشيخ، الزام نسائه الدار محتجبات، فلم يسمح لهن قط ان يزرن غيرهن من النساء الاخر حتى السطوح ليلا، فما عهد منهن الطلوع عليها ، ثم بقيت ازواجه على ذلك الى ان لقين الله، الا في حالة الاضطرار التام الى السطح العالي ليلا وذلك قليل جدا.

اما اولاد الشيخ، فالذين كبروا وعرفوا وأدركوا، تسعة من الذكور ، وسبع بنات غير من توفوا صغارا، وقد سمعت فقيرا اظنه سيدي بلعيدا يقول، كان الشيخ في اول حاله كثيرا ما يقول، ان رجلا طلب من الله ان لا يعيش له اولاد حتى يموت له ثلاث، نحن كان اولاد الشيخ الاولون يموتون، كنا نحسبه يعني نفسه ليصح له مضمون حديث من مات له ثلاثة اولاد كانوا له وقاية من النار او كما في الحديث فلنتتبع اولاد ازواج الشيخ بترتيب اولاد كل واحدة منهن .

فأما اولاد السيدة فاطمة، فالسيدة خديجة فقد ولدت نحو سنة 1311 ه تخمينا ، وقد حفظت ما شاء الله من القرآن، واستظهرت كثيرا من قصائد الوعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، وخدمت الفقراء ما شاء الله ، وكان الشيخ ربما لقبها بمباركة او بسعادة ، ويقول لها وللسيدة عائشة اخدمن اليوم لتخدمن غدا ، نعذه مبارك وتلك سعادة، فكن اماء الزاوية لتكون الحور العين في الجنة اماء لكن، وفي عشية يوم استدعى الشيخ الفقيه سيدي موسى ابن الطيب ابن اخته فزوجها به، فزفها اليه من غير اقامة هرج العرس، وذلك سنة 1327 ه فكانت تزور الزاوية في غالب العشايا بإذن من الشيخ فولدت ولدا درج قريبا ، ثم لم تنشب ان لحقت به في نحو ربيع الثاني 1328 ه ودفنت في المقبرة القاسمية ، وقد تحدث الشيخ انه رأى لها مقاما لم يكن يظنه لها .

والثاني سيدي محمد الخليفة ولد اصيل يوم عاشوراء 10 من المحرم 1314 ه وقد ذكرنا في ترجمته في «المعسول» كل ما تقلب فيه من الاطوار ، وهو الان في خير زائد ، صار يظهر منه ما كان اشار اليه الشيخ في الوصية ، وله مناقب عظيمة اتمنى لو اعطيت حتى بعضها ، فله مقام عظيم من الصبر حتى كأنه لا إحساس له ، مع ان له احساسا مرهفا الى الغاية، صبر لاخوانه وصبر لوداده، وصبر لاعدائه وصبر لخدامه، وصبر لاولاده، وصبر لازواجه وصبر في ذاته، فقد يبلغ به المرض مبلغا عظيما فلا تحس منه شكوى ، وصبر في ماله فما اغلط الذين يزعمون انه كز بل انه والله اجود من الريح المرسلة، الا انه لاخلاصه لايتظاهر بذلك، ويضع الاشياء في مواضعها بلا اسراف ولا تقتير، وهو في كل احواله صبر كله، ولمقام الصبر منزلة عظيمة، (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) كما له من مقام الخشوع الحقيقي ، فقد هبت عليه زوبعة عنيفة مالت به باطننا الى الله تعلى بالكلية ، وحكى لي انه قيل له ، انك صرت تميل اليوم كثيرا الى الواجهة الربانية اخفت من الموت ؟ فقال انا متنا منذ ولدنا ، وإنما نحمد الله الذي احيانا حتى عرفنا لماذا احيانا ، فقلت ايا أيها

المختار في نفسي ، اسمعت جواب العارفين بربهم ؟ وقد كره اليوم كل ما يميل الى لهو او باطل ، او تكلم في الناس او المشي في طريق الى ظلم، كل ذلك جاءه من ربه فضلا منه، مع تواضع غير مصطنع لا يتظاهر به ، فلا يمكن ان يسمع منه ما يدل على انه يعرف لنفسه هذه المنزلة التي وضعه الله تعلى فيها ، فإنه لا يبالي بالرياسة ولا يستميله ما يستميل الرؤساء الاخرين من اموال الناس ، فهاهو ذا يده جعلها الله هي العليا في إلخ ، فيعلم الله وملائكته انه لا يحركها الا في منفعة لكل الناس اودائه وأعدائه ، وقد اراد الله ان يحجب المناقب التي خصصه بها ، فقيض له من يولع ان يبدل حسناته سيئات ، وحاصل ما اطلعني الله عليه فيه ان له من الصبر وترك الامور لله تفويضا ، ومن تواضع الباطن، ومن الاخلاص العام في كل افعاله واقواله ، ومن صدق اللهجة والتعفف عن اموال الناس ومن الاعراض عن غير اهل جنسه ، ومن الكرم الخالص السري، ومن الانابة الباطنة ، ومن محبة الخير لكل الناس مقامات انفرد بها بين اهل هذا الجيل ، واشهد الله ان له وراء كل هذا ما لا يمكن ان يسطره القلم اليوم ، ولولا انني اريد ان يعرف التاريخ مصداق قول الشيخ فيه لكان ينبغي ان يطوى ذلك اليوم ، لان قول مثل هذا في مثله من مثلي يظن ان فيه تزلفا او تملقا او اشادة بقريب لحاجة في نفس يعقوب ، وانا اعوذ بالله من هذه السمة المشنوءة، واما نحن وان كنا اخوته فانه لنا اب ثان يشهد الله ، فقد صدق فيه ما كان يقوله فيه سيدي سعيد التناني ، انه لا بد ان تخرج منه بعد اليوم منفعة كاملة كل اخوانه، فها نحن اولاء عشنا حتى شاهدنا ذلك، واما مكانته من المعارف، فانه مثقف الثقافة العامة التي تتخللها حتى المعلومات العصرية ، وقد انفرد بذلك عن كل السوسيين ، وله في التاريخ يد طولى، وقد جعل الله البركة فيما اخذه من الدروس، ولو كان ما أخذه قليلا، قال سعيد اعترافي غم يوما من اجله حين كنت اعلمه، وقد رأيته لم يحصل ما له بال، فأخذتني سنة فقيل لي، لا يهمنك امره ، فان الله سيضع البركة فيما تعلمه ولو كان قليلا هذا وقد تربى له فهم وملكة يفهم بها التفسير والحديث ، وقد نفعه اكبابه على المطالعة ، ويتعهد القرآن خصوصا في رمضان ، ويتفهم معانيه وكثيرا ما يسالني عن بعض الايات يتوقف في معناها ، وله اذكار خاصة يسرها ولا يعرفها منه الا القليل، ولذلك لم يعرف بها عند عموم الناس ، وحاصل احواله انها في الباطن عجيبة غريبة ، وان عناية الله به لا تفتأ ترقيه من مقام الى مقام ، وهو الان في مقامات نسي بها كل ما تقدم اطال الله لنا عمره ووفقه ، واحيانا حتى نرى الناس كلهم يعرفون منه تلك الخصوصية التي وضعها الله فيه في هذا العصر، وقد اتفقت مرائي كثيرين من اهل الخير على أن له مقاما ذا شفوف عظيم، ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها(1).

1) كتب هذا 1364 هـ ثم انه لم يزل في رياسته الى ان وقعت ازمة العرش، فأبعده الله من ان يكون مع ابن عرفة ثم جاء الاستقلال فامتحن بألسنة من لا يتقون الله ولكن الله حفظه واراحه من تلك الرياسة الممقوتة، ثم ادى فريضة حجه فهو الان 1380 على حالة مغبوطة وفقنا الله وإياه.

والثالث السيدة حبيبة ولدت في ربيع الثاني سنة 1316 ه وهي التي تزوج بها علي بن الحاج ابراهيم الغشاني نحو 1332 ه واحوالها اليوم يرتجى منها الخير، ولا تزال حية في دارها مع اولادها وزوجها المذكور ، تعرف الكتابة وتقرأ المخطوط بالشلحة(1)

والرابع السيدة مريم ولدت في رجب 1319 ه لها ذكاء وحدة ذهن حفظت بعض القرآن، وكانت رقيقة القلب ، سريعة الدمعة ، صريحة بالقول الحق ، لا تحترم فيه احدا ، لها همة عالية ، وشفوف المقاصد ، تزوج بها سنة 1349 ه العابد الذاكر المفتوح عليه سيدي التهامي ابن سيدي احمد الفقيه الركني ، وذكر ان روحانية الشيخ زوجته بها قبل ان يعقد عليها ، وكذلك قال سيدي احمد بن الطيب الزكري الذي وقف حتى وقع الزفاف ويظن لها مقام محمود، ولا تزال حية الى الان في دارها بزاوية ايليغ بالفيجا ، ولها لسان جوال في الموعظة، وتقرأ جيدا المكتوب بالشلحة ، وهي عجيبة بذكائها وعلو همتها بين اخواتها ، كما انها تكتب بالشلحة(2)

والخامس السيد عبد الحميد ، ولد في جمادى الثانية سنة 1322 ه كان حفظ القرآن على يد سيدي عيسى الاكماري وسيدي احمد الحاحي ، ثم كان في بونعمان وفي ادوز ما شاء الله ، الا انه لم يقدر له ان يحصل في المعارف شيئا ، ثم استقر في البلد تحت كفالة صنوه سيدي محمد، فصارت احواله تتهذب بأحواله شيئا فشيئا، وهو الان يكفيه غالب الشؤون المتعلقة بالناس وباشغال الزاوية، كما يستنيبه في اعمال مخزنية، وبسببه تفرغ سيدي محمد حين كفاه الوقوف على كل الاشغال والشؤون فلازم المطالعة ، وقد كفاه هذا القيام وحده مقاما ، وهو ملازم لصلاته ولذكر يذكره، واحواله تزداد تحسنا كل عام لعام ، وهو رزين، وهو على ذلك الى الان(3)

هؤلاء اولاد الشيخ من السيدة فاطمة بنت محمد التيوتية من المرابطين السعيديين، واما اولاده من الزوجة الثانية السيدة خليجة التملية فهم :

السيدة عائشة ولدت جمادى الثانية سنة 1213 ه وهي السيدة الخاشعة العابدة الذاكرة اخت ربيعة العدوية في عصرنا هذا ، حفظت بعض القرآن، ثم حفظت كثيرا من اشعار العربية التي تسمعها من عند الفقراء في مجالسهم ، فكانت تذكر بها بين الفقيرات، كما حفظت ايضا بعض قصائد الشلحة في الوعظ والحكم ، وتقرأ وتكتب بالشلحة وقد ادركت الشيخ وعاصرته كثيرا ، وعرفت من احواله وتربت به وتهذبت، فتشربت حب الله تعالى وعشق التصوف، فكانت لا تلهج الا بذلك، تزوجها العارف بالله شيخنا سيدي سعيد التناني ، فبقي بها في الزاوية سنوات ، ثم رحل بها الى زاوية ازيار بإداوتنان 1338 ه ثم توفي عنها 1343 ه

---

1) لا تزال حية 1380

2) لا تزال كذلك حية 1380 ه

3) تولى رياسة اخوانه بعد انتقال شقيقه سيدي محمد الى اكلو ثم خرج منها بعد الاستقلال وهو الان القائم بالزاوية 1380 ه

سرحوه وتركوني ، وهل هناك فرق الله أعلم ، وسيأتيك بالاخبار من لم تزود وانشد الآن :

سلم الأمر تجدنا نحن أولى بك منكا
لا تدبر لك امرا فأولوا التدبير هلكى

الفرج التام اخيرا

مضى يوم الاربعاء المتقدم فيوم الخميس ، والقلب مطمئن والصدر منشرح والاهل والاحباء يتصلون بي ، ويأتونني بما أريد ، وقد سربت بعض الاثقال التي معي معهم تخفيفا ، وفي عشية الجمعة بعد العصر استدعاني المراقب على الشاوية الذي أنا في مركزه ، فافضى الي بأنني مسرح صباح الغد ، واذن لي ان اعلم أهلي ، ثم حادثني في كل ما يغلي به القطر ، فتجاهلت معرفة اي شيء بحجة انني جئت محروسا ثم بقيت هنا كذلك ، مع كوننا هنا في المعتقل لا صحف ولا اتصال ، فكيف اعرف أي حادثة ، فأفضى الي بالغليان الواقع فيه المغرب الآن ، قائلا انك وأمثالك من الاماثل يجب عليكم ان تفهموا الناس حتى تبرد دماؤهم ، أو كلما غضب انسان على آخر يفتك به او يحرق مزروعاته ، او يحول بينه وبين حريته ، فيمنعه مثلا التدخين ، أو يلزمه ما لا يريد كالزام النساء لباس الاردية عوض الجلابيب ، قال وان كان النساء لم يؤثر فيهن ذلك ، ثم زاد قائلا : أو كل هذا ينبغي ان يكون، مع اننا نحن الحكام أبوابنا مفتوحة ، وها أنذا اقتبل كل من طرق علي بابي كائنا من كان وكثيرا ما اترك للناس الحرية في الانتقاد لاعمالي ، فلا نزال متحاورين حتى أرجع اليهم او يرجعوا الي ، وها أنتذا منذ الآن ــ وقد تعارفنا ــ أصل بك الاسباب فكل ما تعرض لك في ايالتي فجيء الي ، وهكذا تركته يقول ما يريد باسهاب ولا أريد أن أدخل معه في اية مناقشة ، الا انني قلت له ، لو كان كل اخوانك يفتحون ابوابهم مثلك ، او يقبلون الانتقاد ، او يعيرون السمع للناصحين من الاهالي ، لما وصلت القضية الى ما تقول ، وها أنذا الآن

اليوم فقير ، ولا ريب ان الوصف بالفقير وصف عظيم من امثال الشيخ، وقال فيه أيضا ، ان عبد الله يكون لاهل عصره كالنور في النهار، فظهر مصداق كل ذلك فيه منذ عهد الصغر، فقد تهيأ له ان لازم سيدي سعيدا التناني وان خدمه سنين ، وهو الذي لقنه الورد في مرض موته وأذن له في مزاولة الناس ، فببركة ذلك الاذن يظهر نفعه ، وكان متواضعا لا يرى لنفسه مقاما ، كما انه في الكرم غاية الغايات ، حضرت له مرة سخا فيها دفعة واحدة لبعض اقاربه بما يساوي اذ ذاك ثمانية آلاف ريال . مع ان ذات يده قليلة، وهو محتاج اذ ذاك لكل ما بذله، الا انه آثر بما عنده ، وما ذلك الا لاخلاصه في اعماله ، وله تهجد دائم في الاسحار لا يغبه دائما . كما أنه يلازم كثيرا من النوافل والاذكار المختلفة ، وله همة عالية واندفاع في كل ما يزاوله . وكان يود استتمام تعلمه بعد ان تزوج وطوق بالاهل في زاوية ازيار بعد سيدي سعيد، فطلق داره ، فغاب عن اهله ولم يدروا اين يذهب ، فزار مولاي ابراهيم بكيك ثم سافر الى الخميسات فنوى ان يشارط هناك حتى يكتسب ما يقرأ به ، فلم يتيسر له ذلك، ثم ذهب الى وزان فمشهد مولاي عبد السلام بن مشيش ثم الى تطوان، وقد سار من وزان على رجليه، وأحب ان يذوق ما ذاق الصوفية في سياحاتهم على الارجل ، فبقي هناك في تطوان شهورا على قدم التوكل ، ثم بدا له في الرجوع ، فصحح بتلك السفرة مقاما عظيما لم يكن ليصح له لولاها ، ثم استقر في مكانه بازيار الى الان، وله وعظ موثر وحال قوي اخاذ بالقلوب ، وهو من غرر اهل جيلنا ، وقد اخبر سيدي محمد بن حمو التناني انه رأى اثر وفاة سيدي سعيد، الشيخ سيدي ابراهيم بن علي التناني يطلب من الشيخ الوالد في عالم الارواح من يعمر مقام سيدي سعيد بعده، فأعطى له ولده سيدي عبد الله هذا، ومن اذكاره ملازمة اسم الله العظيم الاعظم (الله) في الاسحار على الكيفية المعتادة عند القوم، وكان يلازم مجالس الذكر اينما كان، وتلاوة القرآن، وحاله على ذلك الى الان 1364 ه ويقوم بموسم كبير في زاوية اداوتنان كل سنة تحضره عوالم حفظه الله ، وله يد في العلم وهمة وعزوف عن اموال الناس ، وقد غلب عليه مرة هذا العزوف حتى طلب من الله ان لا يرزقه الا من عمل يده ، ولذلك حبب اليه التكسب بالحرث وما اليه ، وكذلك حبب اليه ان يترجم العربية الى الشلحة فترجم (رياض الصالحين) لليافعي في مجلدات و (نور اليقين) في السيرة النبوية في مجلدين، ولا يزال يشتغل بمثل ذلك، اعانه الله وقد ترجم في (المعسول)(1)

والسادس سيدي عبد الرحمان ولد يوم خميس في سنة 1327 ه وقد وفيناه حقه في (المعسول) وهو اليوم يقطن في الكريمات بالشياظمة ومشارط في مدرسة هناك وقد تزوج بنت القاضي سيدي مسعود الشياظمي، وله حال مع ربه حسن، وهو تلو اخيه سيدي عبد الله في اوصافه ، وله همة عالية في امور شخصه لباسا ومسكنا انيقا وفراشا ، وله قلب يميل

1) لا يزال حاله في ازدياد الى الان 1380 .

الى الخشوع، واحوال اكتسب بها مكانة حسنة، وهو يحب اهل الخير ويحبونه، ويقيم موسما نبويا للفقرا٬ في عيد المولد النبوي(1)

هؤلا٬ اولاد السيدة خليجة التملية ، وأما اولاد السيدة رقية فهم :

محمد المختار كاتب هذا الكتاب، ولد في صفر 1318 هـ وتوجد تقلبات حياته في كل ما خطه بيده، وقد كان الشيخ ذكر انه يشتغل بالعلم، صدر منه ذلك مرارا، منها ما حدثني به الاخ سيدي محمد ان الشيخ قال ذلك مرة، فقالت له الفقيرة حكة واما محمد فما تقول فيه ، فقال يكفيه ما يقرا به للفقرا٬ الكتب، ومنها ما حدثني به سيدي مبارك التاماعيتي قال دببت وانت صغير حتى خرجت من الباب الاعلى المطل على المركع، فبادر الشيخ فتلقاك لئلا تترامى من هناك، فصار يكلمك وقد تناول عمامته ووضعها على راسك، فقال لك سيكون محمد المختار عالما ، وسيقرأ في فاس ، ثم تناولك ودخل بك، ومنها ما حدثني به سيدي الطاهر السماهري قال، خرجت مرة وانت صغير من الدار ، فصار الفقرا٬ يقولون ، الفقيه الفقيه ، فإذا بالشيخ كأنه ينهرهم فقال لهم من ذكر لكم ذلك، ثم سكت مليا، ثم قال نعم نعم فقيه ان شا٬ الله، ومنها ما سمعته منه وانا صغير، وانا عن يساره،، واخوتي مستديرون بالقصعة، فصار الشيخ يقول لكل واحد منهم ما سيكونه في المستقبل عن غضبة غضبها على احدهم حتى وصلني فقال اما هذا فسيكون عالما عليه عمامة كبيرة ، ومنها انه قال مرة اخرى امام علما٬ منهم سيدي الطاهر التامانارتي ان ولدي هذا سيكون عالما ، ثم استدار الزمان فجالست شيخنا هذا 1361 هـ فجرت مباحثة علمية فتبسم بعدها ، فذكر ما سمعه من الشيخ، ومنها ما حدثتني به الوالدة ان الشيخ دائما كان يقول لها ان فلانا سيكون عالما ، وذكر الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح عن زوجه خالتي انها سمعت من الشيخ عني سعة الرزق ، وقال يوما آخر ان فلانا سيكون له علم ومقام حتى يقول اخوانه اذهبوا بنا اليه ، وقد شاعت هذه المقالة عن الشيخ كثيرا وما سقت هذه الاقوال تنويها بنفسي والعياذ بالله، فان العلم ان لم يصحبه عمل وعناية ربانية، وبال كله ، وانما اريد ان اذكر كل ما تكلم به الشيخ فظهر مصداقه، ونطلب من الله ان يجعلنا علما٬ كبارا عاملين خائفين من ربهم، وانما المحقق ان همتي الى الان لم تكن الا في العلم علم الله جعلنا بفضله .

والثاني السيد الحبيب، ولد في صفر 1319 هـ قد عاني حفظ القرآن فلم يتقنه، ثم قام بشؤون والدتي ، فماتت وهي ترضى عنه ، ولا تزال آثار دعوتها تلوح على ذات يده ، ويرتجى له كل خير، وقد انتقل بأهله من الغ الى كسيمه في جمادى الاولى 1363 هـ فسكن هناك الى الان(2)

1) تولى القضا٬ بعد الاستقلال في درعة ثم عضوية الاستيناف في اكادير ، ثم استشهد بالزلزال اول رمضان 1379 هـ

2) ولا يزال حيا الى الان 1380

والثالث السيدة فاطمة ولدت في صفر 1323 ه وهي تكتب وتقرأ كأخواتها وقد تزوجها سيدي صالح بن احمد الصالحي الالغي المتوفي 14 من ذي الحجة سنة 1363 ه وهي رقيقة القلب متدينة لهجة بعمل الخير ، تحب الصدقة حتى توثر بكل ما تملك، حسنة الظن بالله تحصل لها رؤى حسنة ، وهي ضعيفة المزاج فيخامرها مس من الجنة احيانا ، ولا تزال حية الى الان ، وقد ازدادت رجوعا الى الله بعد وفاة زوجها(1)

والرابع سيدي ابو القاسم ولد في ربيع الاول من سنة 1325 ه اخذ القرآن عن سيدي احمد الحاحي وعن سيدي عيسى، ثم لازم مع اخيه ابراهيم الدروس في مبادئه في العلم ، ثم فارقه الى الغ حيث بقي ما شاء الله ، ثم جاء الينا بمراكش فعانى تجارة في دكان صغير، فلم ينجح فيه ، ثم لازم الزاوية بمراكش الى الان بلا تجارة ، وهو عجيب في علو الهمة ، فهناك كثيرون من اصحاب الشيخ لا يرتضى ان يروه لئلا يظنوا به الطمع مما في ايديهم ، وكفى بذلك من ابناء الشيخ منقبة، فقد كنت اربيهم وهم تحت يدي على ذلك العزوف من صغرهم فأفاد فيه وفي أخيه ابراهيم ذلك والحمد لله، وقد اخبرت ان حاله الان يدور حول التلاوة في المصحف ، وملازمة الصلوات على حالة مغبوطة، فالحمد لله على ذلك، وهو لا يزال عزبا الى الان، وقد صبر على قلة ذات اليد، ثم لا يتطلع الى الاستكثار، وقد قال فيه الاخ سيدي محمد، ما عاش فينا الا ابو القاسم الذي قطع العوائق والعلائق فلا مشوش لقلبه الذي وجهه كله الى الله(2)

والخامس سيدي ابراهيم ولد مختتم رجب 1328 ه هو الاستاذ الاديب الجليل اصغرنا سنا، واعلانا مكانة وشهرة في العالم العربي ، وله في (المعسول) ترجمة واسعة ، ولا يزال في تطوان منذ حل فيها 1356 ه وقد اكب على التدريس وعلى تأليف كتب الدراسة الحية في الادب العربي وفي النحو وفي غير ذلك، وهو اديب شاعر وكاتب مجيد، ومفكر عالي الهمة، وقد كان الفقراء يصفونه من صغره بالفقيه حتى عرف بذلك فكان كذلك ، ولا يزال عزبا ايضا الى الان هناك، يسر الله ملاقاتنا به في اقرب وقت بفضله (ثم انه تزوج سيدة عالمة مثقفة ثقافة عالية تسمى آمنة بنت سيدي عبد الكريم اللوه)(3)

وبعد فهؤلاء اولاد الشيخ وفقهم الله ان يسلكوا سبيل المتقين ، وان لا يتكلوا على اعمال الاولين ، فمن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه، فمن تبع آباءه في العمل الصالح فإنه ولدهم حقا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) فمن لم يكن ابن ابيه فإنما ينشد فيه .

ان افتخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بيس ما ولدوا

---

1) لاتزال حية الى الان 1380 ه

2) لايزال في مراكش على حاله هذا الى الان عزبا 1380 ه

3) هو اليوم 1380 ه احد القضاة في مجلس النقض والابرام بعد الاستقلال في الرباط وقد استقرت به الدار، ولا اولاد له الى الان .

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر بعض اصحاب الشيخ الكبار المشهورين

تقدم لقلمي قبل اليوم ان حرر مؤلفا خاصا في اصحاب الشيخ المتجردين، وسميته (منية المتطلعين الى معرفة من في الزاوية الالغية من المنقطعين) في مجلد خاص، كما سبق لي ان جعلت في كتابي الاخر المسمى (المعسول) بابا خاصا للمشاهير الذين اخذوا عن الشيخ من الفقهاء والرؤساء ومن الذين ادركوا شأنا يذكر في حياتهم، فجمعت في الكتابين جملة وافية من اصحاب الشيخ الذين يمكن ان يذكروا، وقد حزرت وحزر غيري ان الذين كانوا يعدون انفسهم من اتباع الشيخ يبلغون عشرين الفا او يزيدون، وظاهر ان كل من ينتمي اليه غير مستحق للذكر، ما دام لم يكن ذا صفة خاصة تلفت اليه النظر من علم او رياسة او حال صوفي قوي له تاثير يذكر، ولما كان كل من لهم صفة من هذه الصفات يذكر في ذينك الكتابين، فلم يبق الا من كان تحت ذيل الخمول، فقد يكون له حال باطني اخفاه الله فيه ولم يظهره للاعين، فانه الى ربه وسيوتى منزلته عند ربه وحده في الحياة الاخرى ان حرم منزلة ما يذكر بها في هذه الحياة الدنيا، ولا علينا في ذكر امثال هؤلاء، على انه قد يكون لهؤلاء الخاملين من مقامات الصوفية الباطنة، ومن احوال القوم المستورة، ما يفوق كثيرين ممن عنينا بذكرهم من اهل العلم والشهرة، ولكن ذلك حظوظ وقسم وارزاق متباينة، ونطلب الله ان ينفعنا ببركة الجميع، المشتهرين والخاملين بفضله وكرمه، فلنسرد المشاهير بالحال او بالعلم او بالرياسة من اصحاب الشيخ، ثم ليرجع الى ما ذكرناه من الكتب من اراد ان يكون في احوالهم على بصيرة، ولا اذكر من المتجردين الا اقوياء الحال فقط، فلنذكر الفقهاء ثم الرؤساء ثم الاميين اصحاب الحال.

اما الفقهاء والمقرئون بالسبع فمنهم سيد العارفين الذي ربانا نحن اولاد الشيخ وهذبنا وصبر علينا الى ان عرفنا المقصود، سيدي سعيد التناني المتجرد الزاهد المتوفي 1343 ه ومنهم العابد الزاهد الذاكر مذكر اويس القرني في هذا العصر سيدي الحسين التامكونسي التناني المتوفي سنة 1365 ه ومنهم العابد المنبسط سيدي الحسن من ايت احمد بن بهي الزيكي المتوفي 1352 ه ومنهم ابن عمه الخشوع الناهض الى ربه سيدي عبد الله الزيكي المتوفي نحو 1356 ه ومنهم ابنه المتعجد القليل النظير همة وتاثيرا سيدي محمد بن عبدالله استاذ مسجد سيدي مكدول الان حفظه الله(1) ومنها سيدي محمد بن الطيب الشريف التناني المتوفي نحو 1346 ه ومنهم الفقيه السليم الصدر سيدي احمد بن محمد التاماروتي التناني حفظه الله، ومنهم معلم كتاب الله المتوجه الى ربه سيدي احمد بن مبارك التامرووتي حفظه الله(2) ومنهم الامام الخاشع الصوفي المتمكن سيدي الحسن التمجوطي استاذ كتاب

---

1) لايزال حيا الان 1380 .

2) كذلك

الله المتوفى نحو 1346 هـ ومنهم ذو الهمة العلية والاحوال السنية العلامة الكبير سيدي عبد القادر السباعي، ومنهم الاستاذ المقري النصوح سيدي محمد بن العربي الهواري المتوفى 1345 هـ ومنهم سيد الاصفيا وامام الاتقيا سيدي عبد الله اخرباش نزيل ردانة المتوفى 1344 هـ ومنهم القاضي الاجل محب اهل الخير سيدي محمود الخياطي الرداني المتوفى نحو 1326 هـ ومنهم ذو النظرة السامية سيدي علي بن الحبيب السباعي الكسيمي المتوفى 1331 هـ ومنهم المتهجد الصوام، القوام سيدي عبد الله الركراكي الكسيمي المتوفى 1338 هـ ومنهم الجوال في الميادين والحافظ لاقوال الصوفية العابد المشهود سيدي محمد بن علي التادلي نزيل الجديدة ، ومنهم الاديب العلامة سيدي محمد الوالي نزيل مراكش المتوفى 1340 هـ ومنهم ذو الاحوال العالية الفاني في الله سيدي بلعيد التزكيني المتوفى 1356 هـ ومنهم المفني عمره في التعليم سيدي مبارك الميلكي العشتوكي المتوفى 1342 هـ ومنهم المتقن للسبع الفاضل اللوذعي سيدي عبد الله البلفاعي حفظه الله ومنهم المتجرد الناهض الى ربه قولا وفعلا وحالا سيدي الحسن الماسي ومنهم ابن عم الشيخ وصهره على بنته الفقيه المسكين سيدي موسى بن الطيب المتوفى 1360هـ ومنهم الشاب الفقيه سيدي محمد بن محمد بن محمد الانامري الساموكني المتوفى 1346 هـ ومنهم القاضي الاجل سيدي مسعود الشيشاظمي حفظه الله،ومنهم من أنسته ملاقاة الصوفية محبة الدنيا سيدي محمد التملي نزيل أسا كا بمتوكة المتوفى 1328 هـ ومنهم المعلم المجتهد الذاكر سيدي عبد الله الانومري المعدري المتوفي 1330 ومنهم امام الايمة سيدي محمد بن مسعود المعدري المتوفى 1330 هـ ومنهم اخوه الشيخ العربي سيدي احمد المتوفى 1363 هـ ومنهم الاديب الصوفي سيدي الطاهر السماهري ، ومنهم العلامة سيدي عثمان الاكراري ، ومنهم الموقت المشارك المتطلع سيدي الحسن بن عبد الرحمان ومنهم اخوه المتفانى في الله حتى شرب الكأس الى ثمالتها سيدي محمد بن عبدالرحمان المتوفى 1359 هـ ومنهم القاضي الاجل المحافظ على اوقات دينه سيدي محمد اعمو ومنهم الفقيه المسكين المتواضع سيدي الطيب بن احمد بن مبارك التزنيتي ومنهم المفتي الكبير سيدي عبد الرحمان العوفي البعقيلي المتوفى 1361 هـ ومنهم سلالة العلماء المفتي سيدي الطاهر الساحلي المتوفى 1361 هـ ومنهم الخاشع المشتغل بخويصة نفسه الهائم بالذكر سيدي ابراهيم بن يدير، ومنهم شيبة الحمد بركة الساحل سيدي محمد بشورين ، ومنهم الهمام الناهض المستنهض الى جناب الله سيدي ابراهيم كزور المتوفى 1352 هـ ومنهم الذاكر المنبسط سيدي بلخير التمجاطي الابريمي ، ومنهم الاديب الصوفي سيدي احمد التاغوسي الابريمي ومنهم الواعظ المؤثر وعظه سيدي الحسن العمري البونعماني المتوفى 1361 هـ ومنهم الشيخ العربي سيدي ابراهيم بن صالح التاصروالتي المتوفى 1353 هـ ومنهم المدرس المخرج الصبور سيدي عمر الاكضيضي المتوفى 1335 هـ ومنهم المتجرد الواهب نفسه وماله لله سيدي الناجم التيفرميتي البعقيلي المتوفي 1319 هـ ومنهم صنوه في اوصافه سيدي محمد الهكاوي الاكماري

المتوفى 1321 ﻫ ومنهم المتجرد المحاسب لنفسه قبل الموت الشيخ احمد الفقيه المتوفى 1346 ﻫ ومنهم اخوه الاديب سيدي الحسن المتوفى 1312 ﻫ ومنهم ابن عمهما المقبل على شانه سيدي محمد بن ابراهيم المتوفى 1334 ﻫ ومنهم السائح الواعظ المنقذ من الغفلة سيدي اليزيد الساحلي المتوفى 1358 ﻫ ومنهم الفقيه المسكين المقتول ظلما سيدي علي بن بورحيم الاغيرملولني المتوفى 1344 ﻫ ومنهم قاضي سكتانة في عصره سيدى محمد بن علي المتوفى 1348 ﻫ ومنهم التواب المنيب الخاشع سيدي عبيد الايلالني ثم السكتاني المتوفى 1314 ﻫ ومنهم الشيخ المربي صاحب الهمة الفعالة سيدي محمد الشيخ الركائبي ثم الدرعي المتوفى 1344 ﻫ ومنهم المفتي المقبل على ربه سيدي الحسن الدرعي من أغلا ادرار المتوفى 1338 ﻫ ومنهم الصوفي المتمكن النساخ سيدي محمد بن البخاري المتوفى 1358 ﻫ ومنهم القاضي الاجل سيدي الحاج ادريس الورززي المراكشي المتوفى 1359 ﻫ ومنهم الشاب الناهض الى ربه سيدي اسماعيل الكرسيفي المتوفى 1306ﻫ ومنهم المدرس العابد الزاهد سيدي عبد الله ابن القاضي الايديكلي التملي المتوفى 1323 ﻫ ومنهم الفقيه ذو الاحوال السنية سيدي احمد الكرسيفي ثم التكموتى ، ومنهم صاحب الهمة العليا سيدي محمد نيت بها ابلا الزدوتي المتوفى نحو 1335 ﻫ ومنهم الفقيه الخاشع المخبت المنيب سيدي عبد الرحمان بن محمد الجشتيمي المتوفى 1357 ﻫ ومنهم المذكور بكل خير سيدي موسى الاغربويي التزنيتي المتوفى 1336 ﻫ ومنهم الذاكر سيدي الحاج عبد السلام المتوكي من جلساء القائد عبد الملك المتوكي المتوفى بعد 1343 ﻫ ومنهم سيدي عبد الله الكنسوسي الانولي المتوفى بعد 1330 ﻫ ومنهم الفقيه سيدي محمد حميدة الدرعي المتوفى بعد 1340 ومنهم ذو الهمة والذكرة سيدي عبد الله بن محمد العويني ، ومنهم الواعظ العدل سيدي احمد بن صالح الابرايمي حفظه الله ، ومنهم المدرس حينا سيدي محمد بن السائح الجراري حفظه الله . ومنهم قاضي بلده سيدي الحسين بن سعيد البدراري البعمراني المتوفى 1351 ﻫ ومنهم ذو السمت الحسن الذاكر سيدي علي الهوزالي المتوفى بعد سنة 1330 ﻫ ومنهم الخشوع النصوح سيدي المدني بن الطيب التازاروالتي المتوفى 1320 ﻫ ومنهم الصوفي الكبير الشأن المعتقد سيدي احمد بوسلهام الركائبي لايزال بمرقعته لم يفارقها مع شهرته توفي نحو 1322 ﻫ ومنهم ابنه سيدي محمد بن بوسلهام العلامة المتوفى بعد 1330 ﻫ ومنهم الواعظ الذاكر الزاهد سيدي الحسن الركائبي المتوفى في الصحراء بعد 1340 ﻫ ومنهم المقرئ الناهض ذو الهمة والمرائي الصالحة سيدي محمد صالح البعمراني المتوفى نحو 1345 ﻫ ومنهم المقرئ بتازانتوت الذاكر بالهمة سيدي الحسن المتوفى نحو 1310 ﻫ ومنهم النوازلي سيدي محمد ابن عبد الله نزيل تيزكوضن وهو من إيلالن المتوفى 1342 ﻫ ومنهم الخاشع الذاكر سيدي علي الزدوتي المتوفى نحو 1340 ﻫ ومنهم السليم الطوية الصوفي سيدي ابراهيم الزدوتي المتوفى نحو 1320 ﻫ ومنهم الاديب سيدي الحسين بن ابراهيم الجراري المتوفى 1353 ﻫ ومنهم العلامة الصوفي سيدي علي بن الطاهر المحجوبي الرسموكي حفظه الله، ومنهم اخوه سيدي عبد الوهاب المتوفى 1345 ﻫ ومنهم الخاشع المسكين سيدي علي بن محمد الايموكديري

ومنهم الصبور على الشدائد سيدي عبد الملك التناني، ومنهم المقري المجتهد سيدي علي التناني المتوفى نحو : 1310 ﻫ ومنهم الاديب الصوفي سيدي محمد المؤذن السويري المتوفى بعد 1330 ﻫ ومنهم ذو الحال والمقال والفعال سيدي سليمان الزكيطي ، ومنهم ذو اللسان الجوال في المذاكرة سيدي احمد بن سعيد الالكومي ، ومنهم نادرة الزمان سيدي مولود اليعقوبي ، ومنهم الثابت على حاله مع تقلبه في اجناس مختلفة سيدي بريك بن عمر المجاطي ومنهم الاديب النوازلي سيدي الطيب بن ابراهيم الاغربوبي الاكماري المتوفى 1358 ﻫ ومنهم الاديب الصوفي سيدي عبد الله الانزاضي المتوفى 1339 ﻫ ومنهم المسكين الوديع سيدي محمد بن احمد التيمولائي المتوفى 1352 ﻫ ومنهم اخوه النوازلي سيدي الحسين المتوفى 1335 ﻫ ومنهم الكريم المثري سيدي محمد بن عبد السلام الورزازي المتوفى 1359 ﻫ ومنهم الراجع الى ربه بالكلية سيدي الطيب الاماروبي الاغيرملولني المتوفى قبل 1340 ﻫ بغير كثير، ومنهم الفقيه الشياظمي محمد المتجرد ما شاء الله المتوفى بعد 1307 ﻫ ومنهم فقيه من زيمة يلقن الورد عن الشيخ (انسيت اسمه) توفى قبل 1350 ﻫ ومنهم المدرس الكبير سيدى عياد الرحماني المتوفي نحو 1340 ﻫ ورفيقه في التدريس سيدى محمد المتوفى 1354 ﻫ ومنهم سيدى عبد الله الفقيه الزيكى المتوفى 1340 ﻫ وهو غير المذكور قبل ، ومنهم سيدي محمد الزيكى نزيل زاوية سيدي عبد الله الهزميرى الايدويراتى المتوفى قبل 1325 ﻫ ومنهم القاضى سيدي عباس التادلى المراكشي حفظه الله، ومنهم العدل المحبوب الاخلاق سيدي محمد السماهري المتوفى 1364 ﻫ ومنهم الخامل سيدي حميدة بن الحسن التيمجاطى المتوفى نحو 1330 ﻫ ومنهم معلم كتاب الله سيدي عبد الله بن محمد الاسكاوري حفظه الله. واما الرؤساء فمنهم الحاج الحسن الكيلولى المتوفى 1345 ﻫ ومنهم سيدي محمد ابن عبد الرحمان الكسيمي المتوفى 1361 ﻫ ومنهم الشيخ سعيد التاماعيتي المتوفي نحو 1328 ﻫ ومنهم القائد محمد كورما الزمزمي الحاحي، ومنهم القائد عبدالسلام الجراري المقتول ظلما 1332 ﻫ ومنهم امغار محمد ازبنابو الايلالني المتوفى بعد 1340 ﻫ ومنهم الشيخ الحسن التيوتي المتوفى 1330 ﻫ ومنهم القائد العربي الضارضوري المتوفى 1347 ﻫ ومنهم القائد الطاهر القاهري الايدويراني المتوفى نحو 1350 ﻫ ومنهم امغار عابد الامربيي الزكرى المتوفى 1346 ﻫ ومنهم القائد عبد السلام البربوشي الرحماني المتوفى بعد 1330 ﻫ ومنهم الشريف الاصيل سيدي علي بن محمد التازروالتي. ومنهم القائد احمد الاكاراني الهشتوكي المتوفى بعد 1333ﻫ ومنهم الشيخ محمد بن منصور التازمورتي السندالي المتوفى 1360ﻫ ومنهم الشيخ حاما الالوكومي حفظه الله ، ومنهم امغار محمد ابن الاشكر الرسموكي المتوفى 1362 ﻫ ومنهم الشيخ احمد الامازري البعقيلي المتوفى 1335 ﻫ ومنهم امغار بلانفرتات التملي الحكيم الشهير المتوفى بعد 1340 ﻫ ومنهم الحاج محمد الجلالي المتوفى نحو ذلك، ومنهم الشريف الجليل درة الشرفاء مولاي الرشيد الفلالي من الاسرة العلوية المالكة المتوفى بعد 1332 ﻫ

ومنهم الشيخ علي الديملي الهشتوكي المتوفى 1332 ه

فهؤلا من استحضرهم الان من هؤلاء الرؤساء ، ولا ريب ان الشيخ يجاذب امثال هؤلاء شيئا فشيئا ينتظر ان يرأف بهم الله، فينظر اليهم برحمته ، وإلا فشرب الشيخ اعلى واسمى من ان يناله من لم يتجرد له الا ان تجذبه عناية ربانية بغتة ، ولم يكن رحمه الله ييأس من احد ان تناله هذه العناية ،

واما الاميون ونعني بهم حتى من حفظ القرآن ان لم يكن له المام بالسبع، فمنهم العارف الزاهد ابراهيم بن ادهم في هذا العصر سيدي محمد الزكري ومنهم الشاعر الشلحي سيدي ابوبكر الزكري المتوفى غريقا نحو 1324 ه ومنهم الذاكر سيدي احمد بن الطيب الزكري ومنهم المستهتر بذكر الله سيدي الحاج احمد الايسدغاسي الزكري ، ومنهم الحاج محمد الازوراي الزكري المتوفى نحو 1355 ه ومنهم صاحب الكرامات سيدي احمد بويديد الركني المتوفى نحو 1360ه ومنهم صاحب الغرائب سيدي ابراهيم القائد الركني دفين تيمولاي المتوفى 1338 ه ومنهم الذاكر المسمع الناسي نفسه في جانب الله ، الذي طالما هز القلوب في المجالس الذكرية سيدي ابوبكر بن عمر الايليغي المتوفى 1354 ه ومنهم سيدي محمد باسكاتي من قرية اداولسطان المتوفى 1358 ه ومنهم سيدي محمد العيسوى التزنيتي المتوفى نحو 1355 ه ومنهم المجذوب سيدى احمد العويني المتوفى بعد 1330 ه ومنهم الشريف سيدى ابراهيم بن محمد اليزيد التازروالتي ومنهم سيدي الحاج ابراهيم بن صالح الناهض الى ربه المتوفى 1352 ه ومنهم المؤثر بهمته سيدى ابراهيم الروسي الاغرملولني الجرارى ومنهم المقدم سيدى محمد بن الحسن الاكلويي، ومنهم العارف الكبير سيدى الحسين اولكود البعمراني المتوفى 1358 ه ومنهم الذاكر سيدى علي بن الحسن البعمراني المتوفى نحو 1340 ه ومنهم الخاشع المسكين سيدى الحبيب التازولتي البعمراني المتوفى منذ عقدين ، ومنهم مولاى محمد الشريف الشتراوى ، ومنهم الخاشع سيدى محمد المزارى المتوفى نحو 1335 ه ومنهم الواعظ ذو الهمة الموثرة سيدى بوجمعة المزارى ومنهم ذو السمت الحسن سيدى علي الولتيتى الاوريرى، ومنهم سيدى احمد الطالبى الاوريرى، ومنهم المفتوح عليه فتحا بينا سيدى محمد بن عمر التملي ثم الزمزمي الحاحي المتوفى نحو 1345 ه ومنهم المتهجد الصوام سيدى الحسين الكزميري المتوفى بعد1340ه ومنهم الصالح الطاهر الصلاحسيدى قدورالشياظمي المتوفى نحو 1345 ه ومنهم الذى لا يمل من الذكر سيدى فارس المتوكي المتوفى نحو 1349 ه ومنهم الشريف الرئيس مولاى الطاهر السباعي العيسوى المتوفى نحو 1351 ه ومنهم مولاى احمد الشريف الدرعي حفظه الله، ومنهم الناصح المرشد سيدى عبد القادر المحمودى الدرعي المتوفى نحو1350ه ومنهم الشيخ المربي سيدى الحاج الحسن التملي المتوفى1322ه ومنهم الواعظ سيدى محمد بن الحاج التملي المتوفى بعد 1330 ه ومنهم صاحب النظرات الغريبة سيدى احمد ازعنون المتوفى نحو 1346 ه ومنهم الواعظ ذو العين الدامعة سيدى الحاج محمد بن

عدي الواعظ المتوفى نحو 1341 ه ومنهم المفنى عمره في الله سيدى الحسين بن مبارك المجاطى المتوفى 1338 ه ومنهم صاحب الخلوة الدائمة وان كان بين الناس سيدى بوهوش الالغى، ومنهم السيد الخادم سيدى احمد بن باها الالغى المتوفى 1335 ه ومنهم النجار الزيكى سيدى محمد المتوفى 1363 ه ومنهم صاحب المرائى العجيبة سيدي محمد بن حمو المتوفى بعد 1344 ه ومنهم الصالح الناصح سيدى احمد بن مسعود الزيكى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم المتفانى فى محبة اهل الله سيدى ابراهيم امروش المتوفى نحو 1340 ه ومنهم المثرى الذى لم تحل ثروته بينه وبين ما خلق لاجله سيدى الحاج محمد البقال الامينتانوتى المتوفى نحو 1340 ه ومنهم اخوه سيدي عبد الله المتوفى بعد ذلك بقليل، ومنهم صاحب الكرامات سيدى عمر من تيكمى نتالاغت برأس الوادى المتوفى نحو 1350 ه ومنهم من شرب المحبة الصافية سيدى بلعيد التاكوتى المتوفى نحو 1348 ه ومنهم المقدم سيدى علي بن حمو التاكوتى المتوفى فى نحو ذلك،ومنهم سيدى صالح التاكوتى المتوفى اذ ذاك ، ومنهم سيدى موسى التاكوتى، ومنهم سيدى الحسين الصواغ دفين مراكش نحو 1351 ه ومنهم سيدى الحسين بن بلخير البعمرانى اليعزاوى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم المقدم سيدى محمد واكريم التيمولاءى ، ومنهم سيدى محمد الطيب البعمرانى المتوفى بعد 1335 ه ومنهم معلم كتاب الله سيدى الحسن من اكادير زكاغن بأيت برايم المشهود بكل خير المتوفى اخيرا، ومنهم سيدى عبد الله اللحياني الايكالغني البرايمي المتوفى بعد 1340 ه ومنهم الشيخ المربي سيدي ابراهيم البصير المتوفى 1364 ه ومنهم سيدى الحسين الامسراوى الافراني المتوفى بعد1330 ه ومنهم سيدي عبد الله الامسراوي الافراني المتوفى بعد1328 ه ومنهم سيدى بلقاسم المقدم بأمسرا ، ومنهم سيدى محمد بن الحسين التيمولاءى حفظه الله ، ومنهم المقدم سيدى علي بن احمد التيمولاءى المتوفى قبل 1330 ه ومنهم صاحب الاحوال العجيبة سيدى علي بيجكلين الكرسيفى الامسراوى المتوفى بعد 1335 ه ومنهم سيدى موسى التاعنونتى المتوفى 1337 ه ومنهم سيدى الطيب التيمولاءى المتوفى نحو 1333 ه ومنهم سيدى محمد بن سعيد التزنيتى المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى محمد ووشن التزنيتى المتوفى بعد 1338 ه ومنهم سيدى عبد الله المجاطى التزنيتى المتوفى بعد 1328 ه ومنهم سيدى عبد الله بن الحسين الاغبالوى الماسى المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى علي امزيل الميلكى المتوفى نحو 1340 ه ومنهم سيدى عبد الله الميلكى المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى محمد بن بوهوش الافريانى الهشتوكى ، ومنهم سيدى محمد التادارتى الهشتوكى المتوفى بعد 1331 ه ومنهم سيدى عبد الله الايلالنى المزالى المتوفى بعد 1338 ه ومنهم صاحب المقام العالى سيدى مبارك البعقيلى المتجرد نزيل هشتوكة ، ومنهم سيدي ابراهيم المقدم فى سيدى ابى السحاب المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى الحبيب من اسيف يبك التنانى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم سيدى احمد من تزى الحجاج المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى مبارك من تاينزرت الزيكي المتوفى نحو

1342 ه ومنهم سيدي الحاج عبد الله من اكادير اداوسوار التنانى المقتول ظلما بعد 1328 ه ومنهم سيدى محمد الطرطار من هناك ايضا المتوفى 1363 ه ومنهم سيدى الحسين بن العربى من ايت موسى المتوفى قبل 1340 ه. ومنهم سيدى علي الكرضانى الشريف التنانى المتوفى نحو 1352 ه ومنهم سيدى احمد بن عبد الرحمان الجراري الركنادى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم سيدى على نباهمو الزيكى المتوفى بعد 1325 ه ومنهم سيدى على بن مبارك التامكونسى الزيكى المتوفى نحو 1335 ه ومنهم سيدى الطيب التامكونسى المتوفى نحو1338 ه ومنهم سيدى محمد بن الغزوان الكنفايفى الهوارى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم المقدم سيدى عزوز من عين المداور الهوارى المتوفى بعد 1330 ه ومنهم سيدى الحاج عبدلا التيوتى المتوفى بعد 1328 ه ومنهم سيدى الحسن البناء التيوتى المتوفى نحو 1335 ه ومنهم سيدى ابراهيم المقدم بتزكين الامين الشهير،ومنهم سيدى المهدى التبوراري بالحوز المتوفى 1353 ه ومنهم المقدم سيدى احمد من ادوار الحاج الراحل بالرحامنة المتوفى 1358 ه ومنهم المقدم سيدي الحسن بويبسك المتوفى نحو 1340 ه ومنهم المقدم سيدى محمد بن على اليعقوبي التازامورتى حفظه الله،ومنهم سيدى محمد والد سيدى عبدالمومن التازمورتى المتوفى قبل 1350 ومنهم سيدي الحسن السكتانى الردانى المتوفى نحو1355 ه ومنهم سيدى العربى من الدشرة الهوارى المتوفى نحو 1346 ه ومنهم سيدى فضيل صاحب السمت العجيب من البهاليل الهوارى ومنهم سيدى محمد الجرارى الهوارى المتوفى نحو 1350 ه ومنهم سيدى محمد الشيخ من ايت قاسم فى احواز ردانة المتوفى بعد 1328 ومنهم سيدى ابراهيم الاكلهمى نبست المقدم من اكلي المتوفى بعد الشيخ ، ومنهم المقدم سيدى عبد الرحمان من ايت بعزى من تيكمي نتالاغت المتوفى قبل1355 ه ومنهم الشريف مولاى الحسن السعيدى الهلالى المنابهى المتوفى بعد 1340 ه ومنهم سيدى حميد المجاطى المتوفى قبل 1350 ه ومنهم المقدم سيدى ابراهيم الصوابي المتوفى نحو1357 ه ومنهم سيدى احمد الماسكرنى الصوابى الذى لايرقأ دمعه من خشية الله المتوفى قبل 1340 ه ومنهم سيدى ابراهيم اوماعترا الايتوغانى المتوفى نحو 1335 ه ومنهم سيدى احمد اهمادى التارسواطي المتوفى نحو1333 ه ومنهم سيدى عبد الله الساموكني المتوفى قبل 1350 ه ومنهم سيدى المحفوظ الايغيرى الساموكني المتوفى نحو ذلك، ومنهم سيدى احمد التيمولائى الساموكني نحو 1340 ه ومنهم سيدى يحيا الساموكني الاوكرضاني المتوفى نحو 1340 ه ومنهم سيدى محمد بن موسى التونيني الالغي المتوفى بعد 1330 ه وغالب هذه الوفيات انما هو على سبيل الحزر .

الى غير هؤلاء من آلاف وآلاف، وانما ذكرنا بعض من لهم احوال ظاهرة تلفت الانظار ممن استحضرناهم في ساعة واحدة ، ويؤتى لي انه يجب بعد علي ان اخص كتابا لامثال هؤلاء من اصحاب الشيخ المتسببين ، فاشترط فيه من له حال سني ، او كرامة او تاثير قوي، او حصلت له كرامة رآها او حصلت له من الشيخ ، ولعل الله يوفقنا لجمعه ان شاء الله

فان ذلك من تمام ما نحن فيه(1).

واما صواحب الشيخ من مشهورات الفقيرات ، فمنهن السيدة خديجة التاكضرانتية، والسيدة فاطمة ام سيدي محمد التيوتي ، والسيدة عائشة اخت الرئيس عابد امري الزكري، والسيدة مماس تابوييكت الالغية ، والسيدة الزهراء الدبهارية والسيدة فاطمة التاضرابتية التملية ، والسيدة رقية الصوابية ام سيدي ابراهيم الصوابية، والسيدة خديجة بنت الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي زوجة سيدى ابراهيم بن صالح ، والسيدة فاطمة ام سيدى ابراهيم الايلالني، والسيدة عائشة التاكموتية،، والسيدة مريم ام سيدى الحاج احمد الاسرغاسي، والسيدة ام القائد العربي الضرضوري، والسيدة كلثوم من اسيف يبك التنانية المتوفاة والسيدة، ايجو الامسرائية ، والسيدة الفاضلة المخلصة ام سيدي محمد بن عبد الرحمان الكسيمي، والسيدة كلثوم ام اولاد سيدي عبد الله ابن القاضي ، والسيدة عائشة الاكمارية، والسيدة فاطمة تابوريشت التونينية الالغية ، الى غيرهن من صواحب الشيخ ، فإن في كل قرية يكون فيها فقراء، تكون الفقيرات، فنلن ما ينال الفقراء من الاسرار ، خصوصا في قبيلة اداوكرى واداوزيكي ، فلهن مقامات .

---

1) نحن الان في 1380 ه وقد دب الضعف الى البصر ، اكاد ايأس من جمع هذا الكتاب والخير فيما اختار الله .

خاتـمـة

هذا ما تيسر الان جمعه في هذا الكتاب ، وقد لازمنا فيه خطة الايجاز ، وان كان ربما يتراءى لمن لم يعرف احوال الشيخ المتسعة اننا نسهب احيانا، والمقصود الوحيد ان لا يخرج القارئ من آخر فصل من فصول الكتاب حتى يتصور الشيخ في الجملة، وان كنت اوقن انه لا يمكن ان يتصوره كما يتصوره من يعرفه وان لم يره الا مرة واحدة، وسيقول الذين عرفوا الشيخ عن حق وصدق، ان الكتاب لم يوف بنواح كثيرة من احوال الشيخ الظاهرة والباطنة ، فأقول أنا ، ان هذه حقيقة لا انكرها ، لانني اغفلت عن عمد بعض صفحات مذهبة من احوال الشيخ الظاهرة ، لان الوقت لم يحن بعد لابرازها(1) واما ما يتعلق ببعض احواله الباطنة ، فإنني ايضا احس بأنني مقصر فيها، وعذري في التقصير شيئان ، احدهما ان امثالي الذين ليسوا من اهل هذا الشان الا محبة لاهله ، واكبارا لمقامهم وتصديقا بما اعطاهم الله بفضله من روحانيات واسرار، وخصوصية يسبلها الله على من يشاء من عباده منة منه وفضلا، يعذر غاية العذر ان لم ينطق بما لا يعرف، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، والثاني ان تراجم الرجال لا تعرف لمن بعدهم الا بالاحوال الظاهرة، او بما يتصل بالاحوال الظاهرة من الاحوال الباطنة ، وقد كان بعض المتقدمين يندد على من يؤلفون في المشائخ وافذاذ الرجال حين لا يذكرون كل ما يحيط بهم من عادات واحوال بشرية ، فيخال من يطالع مؤلفاتهم انهم في صفة اخرى غير صفات البشر ، فيرى نفسه عاجزا من اول نظرة عن ان يقتدى بهم من هم كالملائكة كما يصورهم اولئك المؤلفون ، ولهذا عنيت بكل ما ذكرته من نواح متعددة من احوال الشيخ ، وأظنني قاربت وصفه الحقيقي على قدر الامكان ، ولعل ما يفوتنا من احواله يوجد في غير هذا الكتاب ان شاء الله مثل (المعسول) و (من افواه الرجال) و (منية المتطلعين) .

ثم انني حصلت لي بشرى وقت افتتاحه مناما، كما حصلت لي اخرى في الليلة الماضية التي تصبح بهذا اليوم الذي يختتم فيه الكتاب، ونطلب الله ان يجعله مقبولا نجد في قلوبنا نوره المبين ، فانني منذ عرفت التصوف الحقيقي الصافي، وعرفت ماهية ما يسميه المحدثون

---

1) هذه الصفحة هي مقاومته للاحتلال بالدعاية التي كان يقوم بها في آخر عمره ، ذكرناها في ترجمته في (المعسول) وفي بعض اجزاء كتاب من (افواه الرجال) .

السنة الحقيقية الصافية ، ايقنت انهما صنوان لا يصح احدهما لانسان الا مع الاخر ، فالسنة المقروءة لاعماله واقواله واعتقاده ، والتصوف لاخلاص قلبه وتهذيب خلقه وتمام ميزانه ، وقوة روحانيته ، فمن فرق بينهما فانما هو جاهل بأحدهما ، فمن كان كابن القيم وزروق والجيلاني وامثالهم يحصل له الامران معا .

وبعد فها أنذا اكتب الان عند رأس الشيخ ازاء ضريحه ، فإن كان لي عند الله مقدرا ان اعلن ما انتظره كجزاء عن الكتاب في هذا المقام الذي يظن به الاستجابة، فان الذي اطلبه هو رضى الله الاكبر ، ومعرفة الله التامة ، وسعادة الدارين بكل ما تكون به سعادة كل واحدة منهما ، والحفظ من كل سوء ظاهرا وباطنا ، واداء كل تبعة، والعلم الواسع المشفوع بعمل مقبول ، والرحمة الواسعة لي ولوالدي ولاشياخي ولجميع المومنين والمومنات، والمسلمين والمسلمات، رحمة عامة شاملة لكل ناحية، ربنا إننا مددنا اليك ايدينا وبرجائك تعلقنا، وبعزتك وكبريائك توسلنا ، ربنا انظر الينا والى امتنا فأنت ادرى بما نطلبه يارب السماوات والارضين (ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون) (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) سبحان ربك العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اصيل الاربعاء 28 ربيع الثاني 1364 هـ

كلمة اخيرة ملحقة بعد حين

رأى القارئ الكريم في كتاب (الترياق المداوي) وقد تتبعه اخبار الشيخ الالغي الذي جمع الكتاب في اخباره، وقد رأى كيف كانت عمارة الزاوية الالغية في عهده حتى صارت مضرب الامثال في الجنوب، وقد اتسعت الطريقة الالغية ، حتى ضربت اطنابها في كل قبائل سوس وفي محلات اخرى خارج سوس ، في الحوز ودرعة الى دومينع ، فكانت الطرقات تطفح بالطوائف الى الغ في حياة الشيخ ، ففي كل يوم يرى جيران الغ طوائف تترى تتدافع من كل الجهات الى بسيط الغ تدافع الامواج من ثبج البحار الهائجة الى السواحل ، ويحزر المنخرطون في الطريقة في عهد الشيخ بزهاء عشرين الفا. هكذا كان الحال في ايام الشيخ ، ثم صار ذلك يتناقص شيئا فشيئا بعده بطبيعة الحال، كلما صار اصحاب الشيخ الذين هم اوتاد الطريقة الذين يتعهدون اتباعها بالتربية والارشاد والاستنهاض يتناقصون بالموت ، وقد كان المتجردون المنقطعون الذين توفي الشيخ عنهم وهم في الزاوية ملازمين اثر وفاة الشيخ ما كانوا عليه في عهده ملازمة الجند المسلح الخنادق والتخوم والمراقب في حرب من الحروب، فيسيحون ويرشدون، ويقدمون المتسببين - وهم المتزوجون من الفقراء - الى الزاوية في مناسبات عاشوراء وليلة السابع والعشرين من رمضان، فضلا عن الموسم الذي يكون دائما في غشت قبل الموسم الصيفي للشيخ سيدي احمد بن موسى ، وقد كان مقدم طائفتهم في هذا الوقت الرجل العظيم سيدي مولود اليعقوبي ، فقد صابر ورابط ما شاء الله، وقد تأثرت هذه الطائفة بحادثة هزيمة الشيخ احمد الهيبة من مراكش، لان سيدي محمدا الخليفة وكل المتجردين ذهبوا معه الى مراكش على نية الجهاد في الشاوية، فحين وقعت الهزيمة بمراكش تفرقت الطائفة التي كانت تنيف اذ ذاك على المائة ، فلم يبق الا نحو اربعين فأقل، ثم لم يزالوا يتخلفون اما بضعف واما بتزوج، حتى انقطعت هذه الطائفة التي كانت هي محور الحركة في الزاوية الالغية سنة 1338 ه فلم يبق بعد ذلك من الطوائف الواردة الى الغ الا ما قل، كالطائفة الافرانية والزكرية والازغارية والزيكية والحوزية، ثم صارت هذه ايضا تتخلف بموت الذين يقدمونها، الى ان لم يبق من الطوائف التي ترد في غير الموسم الا الطائفة الافرانية فلم يبق حينئذ من مظهر الطريقة الالغية الا الموسم الذي لايزال كل المنتسبين الى الطريقة يحرصون على ان لا يتخلفوا عنه ، وكان موسما خالصا للذكر والمذاكرة ، وتعهد النصيحة بين الاخوان ، لا تجارة فيه ولا مقايضة ، وعلى هذا بقيت الزاوية الالغية حتى بعد احتلال تلك الناحية في ذي القعدة 1352 ه وعلى هذا وجدت الزاوية

سنة 1356 ﻫ لما نفيت الى الغ . فكان الذي يجتمع في الموسم احيانا ان كثروا من الف الى خمس عشرة مائة من الفقرا' خاصة ، بعدما كانوا يصلون في أخريات ايام الشيخ الى آلاف، ياتون من الجهات التي لا يزال فيها من يزاولون الطريقة بإرشادهم واحوالهم ، على ما هي عليه العادة حياة الشيخ، وقد وجدت في الزاوية صبابة من العمارة من الذين لا يزالون احيا' من رجالات الطريقة الكبار ، كسيدي محمد الزكري ، وسيدي الحاج احمد الايسدغاسي وسيدي مبارك من تيكمي نتالاغت وسيدي محمد ابو الركيك الدرعي، وسيدي محمد بن بلعيد التناني وآخرين ، فكانت الصلاة والحزب ومجالس الذكر تقام في الزاوية بهم مع ما ينتاب المحل من الواردين الذين لا ينقطعون صباح مسا' ، ثم فارقت الغ آخر سنة 1364 ﻫ الى مراكش ، فكنت آتي الموسم تبركا بنفحات القوم ، ثم تحرى الموت في المذكورين الى ان لم يبق في الزاوية الى الاستاذ الذي يعلم القر'ان ويؤم في الصلوات ويقرأ الحزب مع تلامبذه وهو سيدي محمد بن الحسين التزنيتي من المحدثين في الطريقة بعد الشيخ ، والا المؤذن ابو الركيك وقد تأثرت الزاوية بأن غادرها عميدها الاخ سيدي محمد الى تزنيت حيث يسكن اتباعا لمكان وظيفته الرسمية ، وقيل ان الزاوية ايضا تأثرت بعد مغادرتي اياها ، وأيا كان فقد غادر كل الاخوان الزاوية لسكناهم في محلات شتى ، فلم يبق هناك الا الاخ عبد الحميد وحده، ثم دارت الدوائر فاعتقلت في تافيلالت 1372 ﻫ وحين سرحت اواخر 1373 ﻫ ويقيت في البيضا' صار يبلغني ان الزاوية كادت تكون خاوية على عروشها الا في ايام المواسم التي لا يمكن لي اذ ذاك ان احضر فيها، ثم لما جا' الاستقلال سنة 1375 ﻫ وشغلت بما نيط بي من الوزارة في القصر الملكي العامر، ارغمت على عدم الحضور بين الاخوان هناك في المواسم، بالاشغال وبحال الوقت الذي لا يخفى عن لبيب، مع انني لا احب ان تفوتني تلك النفحات، ولما وجدت فراغا من وقتي زرت الزاوية في غير الموسم، فقطع نياط قلبي، ان لم اجد فيها من تلك الصبابة من العمارة ما كنت تركته سنة 1364 ﻫ فقد دخلت مصلى الزاوية في المغرب، فوجدته مظلمة بلا ضو' وبلا صف وبلا حزب ، وقد غاب الامام، فلم اجد فيه الا اخي سيدي محمدا وحده، يصلي ويرفع صوته للمؤذن فوق السطح (ابي الركيك)، فقلت لا اله الا الله ، هكذا يصدق الحديث الشريف (ما رفع الله شيئا الا وضعه) فإن عهدي بهذا المصلى وبهذا المركع يموج بالمتجردين المنقطعين الخاشعين الصامتين الذاكرين حتى لا تسمع منهم ركزا ، وها انذا احيا حتى اراه خربا كأن لم يغن بالامس ، فإذ ذاك تذكرت ما كنت سمعته عن رجل صالح من الكرسيفيين يسمى سيدي احمد بن عبد الله ، وقد كان ممن اعطي الكشف الصريح، وهو حي الى سنة 1302 ﻫ فقد تواتر عنه اذ ذاك انه كان يقول قبل 1290ﻫ ستاتي سحابة يهطل منها مطر كثير في الغ ، ولكنها لا تبطي' ، فهذا ما كان ، فقد ابتدأت عمارة الغ بتأسيس المدرسة سنة 1297 ﻫ وبتاسيس الزاوية سنة 1302 ﻫ ثم لم يمض الا نحو سبعين سنة

فأقل فاذا بالسحابة قد اقلعت اقلاعا، فانقطع من عمارة المدرسة والزاوية ما رفع منعها شأن الغ، وكذلك ذكرت ما حدثني به الرجل الصالح المتجرد سيدي سعيد المجاطي ان الشيخ كان يسأله يوما عن فقرا" راس الوادي عن مقدار اجتهادهم في جانب ربهم بالحزم والعزم، قال فقلت له : ان اولئك الفقرا" في تلك الجهة صاروا يفترون شيئا فشيئا ، واخاف ان يستمروا في فتورهم حتى ترجع هذه الطريقة بهم وبأمثالهم فاترة المجاهدة ، حتى لا يبقى فيها الا الرسوم، قال، فأطرق الشيخ ما شا" الله ، ثم صاح (الله) بل ستصير هذه الطريقة في الفتور ابرد من غيرها ، هذا ما تذكرته ، فنوضت الامر لله .

ثم ان الموسم لا يزال بعد الاستقلال يعمر ، وان كان اصابه فتور، فالطريقة الالغية تكاد تكون الان شمسها على اطراف النخيل ، وان تلك العمارة الهائلة التي كانت في الزاوية الالغية، كادت تدخل الان في خبر كان (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وكل ما له بداية له نهاية، وهكذا الطريقة الدرقاوية الشاذلية، لا تقوم الا على ايدي الاشياخ الاحيا"، فكلما توفي واحد وذهب اتباعه ختمت صحيفة طريقته الخاصة .

كتبت هذه الكلمة في اواسط صفر 1378 هـ الموافق اواخر غشت 1958 م وقد ذهب الان بعض الفقرا" ليحضروا في الموسم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الاخرة، اللهم اننا نسألك رضاك الاكبر، ومعرفتك التامة ، وسعادة الدارين، والحفظ من كل موذ واذا" كل تبعة، اللهم اننا نسألك من كل خير سألك منه محمد نبيك، وأعوذ بك من كل شر استعاذ منه محمد نبيك ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الحقه جامع الكتاب الفقير الضعيف محب اهل الخير محمد المختار السوسي الذي ينشد في آخر كلمته هذه :

احب الصالحين ولست منهم	لعلي ان انال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي	وان كنا سواء في البضاعة

الفهرس العام لكتاب
(الترياق المداوى)

أ تمهيد
1 الخطبة
2 الفصل الاول في مولده وفي نسبه وفى ذكر قريته التي نشأ فيها
4 الفصل الثانى في اساتذته في القرآن الكريم
4 الفصل الثالث في ذكر امور شوهدت من الشيخ في هذا الطور
5 الفصل الرابع في اشياخه في العلوم وذكر المدارس التى كان فيها اولا
5 الفصل الخامس في بعض ما اثر عنه في هذا الطور الثاني من عمره
6 الفصل السادس في اعتناق الشيخ الطريقة الدرقاوية بعد الناصرية
8 الفصل السابع في مراجعته للدراسة العلمية حتى استتم تفوقه فى العلوم
9 الفصل الثامن في بعض ما يتعلق به في هذا الحين
10 الفصل التاسع في مشارطة الشيخ في المدارس وتدريسه فيها
11 الفصل العاشر في الانقطاع الى شيخه المعدري وتجريده بين يديه
13 الفصل الحادي عشر في خرق الشيخ العادة في الاسواق وفي قريته
15 الفصل الثانى عشر في سفر الشيخ الى جبالة وزيارته زاوية مولاي العربي
17 الفصل الثالث عشر في وقوع الفتح الكبير المشيخ في جبالة اثناء هذه السفرة
17 الفصل الرابع عشر في وفاة شيخه المعدرى وتقدم الشيخ التاموديزتى فى مكانه
20 الفصل الخامس عشر فى اشادة شيخه به وذكر ما اشار اليه من انه خليفته بعده
21 الفصل السادس عشر في تصدره للتربية وفي استقراره في قريته بإلغ
25 الفصل السابع عشر في مشارطته في المدرسة الالغية يدرس فيها
26 الفصل الثامن عشر في انتشار انوار الطريقة الالغية حتى انارت كل نواحي سوس

28 الفصل التاسع عشر في اداء الشيخ فريضة الحج وزيارته للقبر الشريف
29 الفصل العشرون في احوال الشيخ العامة والخاصة في زاويته وفي سياحاته
59 الفصل الحادي والعشرون في قيامه بالزاوية بالحزم وفي مزاولة اشغالها بالعزم
70 الفصل الثاني والعشرون في اعتنائه بالعلم الظاهر واهله تعلما وتعليما واعانة ومذاكرة
78 الفصل الثالث والعشرون في كيفية تربية الشيخ لاصحابه ولكل من يلاقيهم من الخاصة والعامة
109 الفصل الرابع والعشرون في بعض مقالات الشيخ التي تجري منه في أثناء مجالسه
149 الفصل الخامس والعشرون في بعض كرامات الشيخ الباهرة .
167 الفصل السادس والعشرون في ذكر بعض ما ذكره سيدي محمد بن مسعود في الشيخ
201 الفصل السابع والعشرون في ذكر بعض مطالع القصائد التي يولع الشيخ واصحابه بانشادها في مجالس الذكر
206 الفصل الثامن والعشرون في بيان القبائل التي كان الشيخ ينتابها كثيرا وفي ذكر امكنة زوايا اصحابه التي تأسست عن اذنه
209 الفصل التاسع والعشرون في مرض الشيخ ووفاته ومراثيه
216 الفصل الثلاثون في وصية الشيخ وما قام به اصحابه بعده
218 الفصل الحادي والثلاثون في ازواج الشيخ واولاده
228 الفصل الثاني والثلاثون في ذكر بعض اصحاب الشيخ الكبار المشهورين
236 خاتمة

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
6	5	بختمه	بختمة
6	27	وممن كانوا	ومن كانوا
8	13	ستولت	استولت
8	22	ان يذكر	ان يذكر
9	22	فقلت	نقلت
10	10	عليها	عليه
10	17	لمنزقت	لتمزقت
11	25	الشنخ	الشيخ
12	15	لغلط	لغلظ
12	17	لما تركتم	لما تركتكم
13	28	جدور	جذور
16	5	بينها	بينهما
16	17	صطل	سطل
16	19	للمشائخ	للمشايخ
16	11	شنشنه	شنشنة
17	16	الشمش	الشمس
19	19	وهو اطول	وهي اطول
20	30	الى لغ	الى الغ
25	7	ذى القعدة	ذي الحجة
25	19	في المقبره	في المقبرة
26	21	منذ ذلك	منذ تلك
27	26	بمهمة	بهمة
28	8	فى غير تعمل	من غير تعمل
28	15	جاز	حاز
29	30	تستمد	يستمد
30	19	ويطربهم	ويطير بهم
31	3	امحمد الزلرى	محمد الزكرى
32	8	ان لبنات الملوك صداقا	ليس لبنات الملوك صداق
34	4	تتساتط	تتساقط
34	5	ركاك	وكاك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
34	14	احمد بن علي	محمد بن علي
34	23	ليوم	اليوم
35	13	على عادتة	على عادته
35	28	الحاج علي	الحاج احمد
36	20	لهما شهرة	له شهرة
37	18	للسعاده	للسعادة
38	5	متمع	ممتع
39	11	توكدير	دوكدير
40	16	ثم ينتقل	ثم ينفتل
43	32	وربما يلغب	وربما يغلب
44	6	في ظاهر	في ظاهره
44	7	حتى ذا	حتى اذا
48	1	قبل الفخر	قبل الفجر
48	15	على الاجنحة	طي الاجنحة
48	23	مشائخ	مشايخ
50	25	واحذ	واخذ
51	18	العربيه	العربية
52	25	مشائخ	مشايخ
53	4	اللذائد	اللذائذ
53	29	فراع مجلس	فراغ مجلس
53	30	وعلى العضيدة	وعلى العصيدة
54	1	والصعيدة	والعصيدة
54	3	ينتساول	يتناول
54	25	القفاطين	القفاطين
55	11	وما اغلظ	وما اغلظ
56	13	بالذعاء	بالدعاء
57	27	إدهبوا	إذهبوا
58	13	ما يلهمهم	ما يلهبهم
59	9	وكل ما كان	وكل من كان
59	12	زهاء	زهاد
61	11	احب الى	اخف الى
62	23	بسحب	بحسب
63	16	يتواردن	يتوارد

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
65	21	وقد يكشر	وقد يكثر
65	24	يوافن	يوافق
66	27	البوكلاشى	البوعلاشى
66	28	السغبة	المسغبة
70	10	الى الفقيه	الى الفية
73	19	وتهذيبهن	وتهذيبهن
74	7	التفكير	التكفير
74	26	وقد اعتنيفا	وقد اعتنينا
74	30	اللة	اللـه
75	7	كساها	كساه
79	8	رأو ما رأو	رأوا ما رأوا
81	11	لا لمن	لا من
81	25	تحكى	تحكي
82	6	على حده	على حدة
84	3	الشيح	الشيخ
86	19	بها بها	بها
86	30	ولا يشغل غير الذكر	ولا يشتغل غير الذاكر
88	10	مما فيها	ما فيها
91	11	نيدعنوا	فيذعنوا
92	30	اللة	اللـه
93	4	التي يرون	الذين يرون
94	18	ن ينبذ	ان ينبذ
95	5	افقيره	لفقيرة
95	5	باناثر	بانامر
97	26	يجعلون في سوس في خدمه	يجعلون في خدمة
97	27	بالمظاهر اولا يراعون	بالمظاهر ولا يراعون
98	14	حظم	حظهم
99	10	الفقرا"	الفقرا"
99	28	أنفسهم	انفسهم
101	6	دقناه	ذقناه
103	24	يوم مسارة	يوما مسارة
104	16	سممت	سمعت
104	23	ققد	فقد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
106	3	بعت	بعث
107	15	يجعلها	يجعلها
108	20	ان يهيب	ان يهب
110	14	ان اتقين	ان اتقيتن
111	10	بالنواجد	بالنواجذ
113	30	في حاله بقائها	فى حالة بقائها
114	14	لا يغلط	لا يغلظ
115	30	رضي عنه	رضي الله عنه
115	14	الثوبة	التوبة
116	13	رضى عنه	رضي الله عنه
124	28	رضي الله	رضي الله عنه
124	2	وفع	وقع
126	28	دعا الله	دعا الى الله
126	29	من المسليسن	من المسلمين
127	22	فارفعوا	فاربعوا
127	29	احسن	احس
130	14	رضي الله	رضي الله عنه
134	30	بضفل	بفضل
135	13	نزع	نزرع
136	22	بلاءا	بلاء
140	20	يبتعد	يبتعد
140	2	افيحمل	افيجمل
142	3	حوانب	جوانب
143	17	يسحقه	يستحقه
143	23	ان لا يفتلها	ان لا يفلتها
145	9	عنا	عنه
146	15	بادنى	بأذنى
146	5	تتفطى	تتفصى
149	12	وارادتها	وارداتها
153	19	كثير ما	كثيرا ما
158	11	اكتط	اكتظ
159	23	ويعتقد	ويعتقد
159	30	مند	منذ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
160	12	القبيلة	القبلة
160	23	كلو	كلوا
160	30	غطائها	غطاءها
162	6	ويرلسخ	وارسخ
164	16	التاقي	انساق
164	25	في دراك	في دارك
164	29	رحمة الله	رحمه الله
165	17	واحدا واحد	واحدا واحدا
172	1	طعيان	طغيان
180	30	لخير الله	لغير الله
181	14	التصوف	التصوف
184	23	وينهص	وينهض
185	13	مواسيم	مواسم
190	9	قيسميه	فيسميه
209	30	ماء الميتين	ماء العينين
217	6	من الا التجارب	من التجارب
218	22	من محمد	بن محمد
221	14	مبارك	مباركة
221	26	اغلظ	اغلط
221	31	ايا	ايه
222	17	كل اخوانه	لكل اخوانه
222	20	سعيد	سيدي سعيد
223	20	بنت محمد	بنت بلقاسم
237	14	ربك العزة	ربك رب العزة
239	10	الى الاستاذ	الا الاستاذ
239	16	ويفيت	وبقيت